

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة
الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الشيعة الإمامية الإثنا عشرية
وموقف أهل السنة منهم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

عبد الله الحاج محمد التمبكتي



إشراف

الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف عيش

١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين •

وبعد : فان الشيعة الامامية الاثنى عشرية من أهم فرق الشيعة قديما وحديثا •

أما قديما فلما كان لها من افكار وعقائد مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة في الأمور الاعتقادية بصفة عامة وفيما يتعلق بالامامة الكبرى بصفة خاصة الأمر الذى جعل بينهم وبين غيرهم من المسلمين العداء والمخالفة سواء في الناحية الفكرية أو في العلاقات الاجتماعية •

واما حديثا فلأن الشيعة الامامية الاثنى عشرية يمثلون أغلب الشيعة المعاصرين ففى العراق عدد كبير يقارب نصف السكان يسيرون على مقتضى المذهب الاثنى عشرى في عقائدهم ونظمهم في الأحوال الشخصية والمواريث والوصايا والاوقاف والزكوات والعبادات كلها وسكان ايران – الا القليل منهم – على المذهب الاثنى عشرى عقيدة وعبادة و شريعة •

وكما يوجد الاثنا عشرية في العراق وايران كما قلنا يوجدون الآن في بقاع من سوريا ولبنان وبعض البلاد الاسلامية الأخرى •

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٥٤ •

وقد أصبح عدد الشيعة اليوم في انحاء المعمورة يناهز الخمسة والسبعين مليونا (١)

والاثنا عشرية كما قلنا لهم مذهبهم العقائدى ويطبقون الفقه الجعفرى ويختلطون بغيرهم من أهل السنة ويختلفون معهم نظريا وعمليا .

ونظرا لأهمية وضع الامامية الاثنى عشرية في المجتمع الاسلامى والخلافات القائمة قديما وحديثا بينهم وبين أهل السنة .

ونظرا لما يدور حول عقائد الامامية من خلاف ومدى موافقتها او مخالفتها للاسلام فانى قد جعلت عرض تاريخهم ودراسة آرائهم وبيان موقف أهل السنة منهم موضوعا لهذه الرسالة .

ليستبين وجه الحق فيما يعتقدونه من آراء ومعتقدات وتتضح العلاقة التي يجب ان تكون بينهم وبين غيرهم من المسلمين .

وفيما يتعلق بمنهج البحث فان من الواجب على الباحث الانصاف وأن يلتزم الحياد في نقل الأفكار وأن لا يميل الى فكرة دون فكرة الا لدليل وقد التزمت في بحثى هذا الحياد التام وعرض الآراء والرجوع الى المصادر الأصيلة في بابها ثم عرض هذه الآراء على مقياس الكتاب والسنة واقوال السلف الصالح .

أما خطة الرسالة فقد قسمتها الى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

---

(١) الحقائق الخفية عن الفاطمية والاثنى عشرية ص٢٠٢

اما التمهيد فقد تعرضت فيه الى تعريف الشيعة لغة واصطلاحا ومتى بدأ اطلاق هذه التسمية على اتباع علي رضي الله عنه ثم ذكرت الآراء في منبع التشيع واصل الشيعة ونشأته وتطوره وأدواره ثم ذكرت أصناف الشيعة في الصدر الأول للاسلام كما ذكرت أهداف التشيع ومواطنه، ثم ختمت التمهيد ببيان كيفية افتراق الشيعة الى فرق متعددة كان من بينها فرقة الامامية الاثنا عشرية .

أما الباب الأول : فانه يشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول عن نشأة الامامية الاثنى عشرية وبيان بدء ظهور القول بالاثنى عشر اماما وموقف أهل السنة من الاحاديث الواردة في ذلك .

وفي الفصول الثلاثة التالية عرضت تاريخ الأئمة ودرست شخصية كل واحد منهم وابرزت صورته عند الشيعة من جانب وعند أهل السنة من جانب آخر .

وفي الفصل الخامس والاخير من هذا الباب عرضت بالدراسة للدور الاخير من تاريخ الأئمة وهو دور غيبة الامام الثاني عشر .

اما الباب الثاني : ففي الامامة عند الامامية الاثنى عشرية ، وهذا الباب يشتمل على ثمانية فصول :

الفصل الأول في الامامة عند اهل السنة وجعلته كتمهيد بين يدى القارئ ليعرف الامامة عند اهل السنة وبذلك يستطيع ان يحكم على بطلان مفهوم الامامة عند الاثنى عشرية وقد بينت في هذا الفصل حكم الامامة وفيمن تكون وشروطها وحكم طاعة الامام والخروج عليه وحكم تعدد الامام في عصر واحد وذلك على ضوء الكتاب والسنة .

والفصل الثاني في وجوب الامامة وصاية وتعيينا عند الامامية الاثنى عشرية وقد عرضت في هذا الفصل افكارهم القائلة بأن الامامة ركن من اركان الدين وانها وصاية وتعيين من الله ورسوله وقد ذكرت مواقف السلف في ذلك على ضوء الكتاب والسنة والعقل .

الفصل الثالث في ذكر أدلتهم العقلية على الوصية لعلي رضى الله عنه بالامامة . وبيان بطلانها عند أهل السنة .

الفصل الرابع في عرض أدلتهم من القرائن على الوصية لعلي رضى الله عنه وقد اقتصرت في هذا الفصل على أهم الايات التي يستدلون بها على امامة علي رضى الله عنه و بينت بطلان الاستدلال بها .

أما الفصل الخامس فقد ذكرت فيه أدلتهم من السنة النبوية على الوصية لعلي رضى الله عنه بالامامة من بعده صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت في هذا الفصل أهم الاحاديث التي يستدلون بها على ذلك . وهي على ثلاثة أقسام عند أهل السنة :

- قسم صحيح لا حجة فيه على المطلوب .
- وقسم يشك بعض أهل السنة في صحته ولا حجة فيه ايضا على تقدير الصحة .
- وقسم موضوع لا تحل روايته فكيف الاحتجاج به .

وفي الفصل السادس قرائن احوال علي رضى الله عنه الدالة على امامته : كالشجاعة والعلم .. الخ وقد ذكرت هذه الاحوال وبينت عدم اختصاصه بها رضى الله عنه حيث شاركه غيره من الصحابة فيها وعلى فرض اختصاصه بها فقد بينت عدم دلالتها على اختصاصه بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الفصل السابع فقد عرضت فيه خصائص الامام عند الامامية : كالحلول والعصمة والعلم الكامل والسلطان التام في التشريع وجريان المعجزات على يديه والغيبة والرجعة ومع أن الرجعة من عقائدهم العامة الا انهم الصقوها بالأئمة ومن ثم ذكرتها هنا وقد أبطلت كل هذه الخصائص على ضوء الكتاب والسنة .

أما الفصل الثامن والاخير من هذا الباب وموضوعه : رأى الامامية الاثنى عشرية في الخلافات التي دارت حول الامامة والمشتركين فيها فقد بينت في هذا الفصل رأيهم فيمن ترك الائتمام بعلي رضى الله عنه بعد الرسول ورأيهم في الصحابة وبعض أهل البيت ورأيهم في الدولة الأموية والعباسية وكل حكام الاسلام غير علي رضى الله عنه وقد بينت بعد ذكر ارائهم رأى اهل السنة في هذه النقاط .

الباب الثالث والأخير من هذه الرسالة : آراؤهم الاعتقادية ، ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

الفصل الأول في الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله استعرضت في هذا الفصل عقيدة التشبيه عند الامامية . ثم اعتناق الامامية لمذهب المعتزلة وتطور مذهبهم العقائدى ثم بينت عقيدتهم في الصفات - والعدل - والوعيد والكلام والقرآن وفي جواز البداء على الله تعالى والرؤية وافعال العباد وطريقتي في جميع هذه المواضيع ذكر رأيهم اولا ثم التعقيب عليه برأى اهل السنة .

اما الفصل الثاني ففى النبوات وقد تحدثت فيه عن قولهم في وجوب بعثة الانبياء على الله ووجوب عصمة الانبياء عن الخطأ والنسيان والكبائر والصغائر معا عمدا وسهوا وقد بينت مذهب أهل السنة في هذه المواضع .

والفصل الثالث من هذا الباب في موضوع الايمان عند الامامية الاثنى عشرية وقد تحدثت فيه عن رأيهم في الايمان وكيف ادخلوا الاقرار بالامام في مسمى الايمان وقد ابطلت هذه الفكرة ولله الحمد •

اما الفصل الرابع والأخير من هذا الباب ففى آراء دينية أخرى لهم كالتناسخ — والتقية — عقيدتهم في تقديس قبور أئمتهم فعرضت آراءهم في هذه الموضوعات وبينت بطلانها على ضوء الكتاب والسنة واقوال أهل السنة والجماعة •

وقد أنهيت الرسالة بخاتمة أجملت فيها أهم نتائج البحث •

والله أسأل أن يكون قد كتب لي من التوفيق في بحثي هذا بقدر ما بذلت فيه من جهد والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين •

٢٨/٧/١٤٠١هـ

عبدالله بن الحاج التمبكت

أ ـ المعنى اللغوى لكلمة " شيعة "

شيعة الرجل (بالسكر) اتباعه وأنصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما خاصا بهم .

وجمعه أشياع وشيع كعنب . والتشيع في أصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع قال الله تعالى ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وان من شيعته لابراهيم ﴾ (٢)

ومنه تكلم فلان بكذا وكذا فتشيع فلان لكلامه أى صدقه فيه واتبعه في معانيه .

فالتشيع اذن يتضمن في معناه الاتباع والنصرة من جماعة الرجل عموما . (٣)

٢ ـ الشيعة في الاصطلاح :

ان كلمة (شيعة) مجردة . لا تعنى العموم المفهوم من المعنى اللغوى وانما تنصرف الى دلالة خاصة ومعنى خاص حيث تعنى هذه الكلمة عند الاطلاق الجماعة التي ناصرت عليا وشايعته والتفت حوله ونصبته اماما لها تقتدى به وتجعل له مقاما يسمو على مقام معاصريه . (٤)

يقول الأشعرى في تعريف التشيع : ان الشيعة انما سمو بذلك لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر الصحابة رضوان الله عليهم . (٥)

---

(١) سورة القصص اية ١٥

(٢) سورة الصافات اية ٨٣

(٣) راجع القاموس باب السين فصل الشين ج ٣ ص ٤٧ و (قطر المحيط) ج ١ ص ١١٠٠

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١ (٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٦٥

أما ابن حزم فيقول : ان من وافق الشيعة في أن عليا رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا .(١)

وهكذا نرى ابن حزم : يلحق بالشيعة كل من يوافقهم في القول بأفضلية علي على سائر الصحابة وان خالفهم فيما عدا ذلك من آرائهم المختلفة .

والواقع أن كلمة (الشيعة) أصبحت لقبا على الذين شايعوا عليا على الخصوص — وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الخلافة لا تخرج من اولاده فان خرجت فذلك ظلم من غيرهم او تقية من عندهم .(٢)

وقد سمى قائد الشيعة سليمان بن صرد الخزاعي بشيخ الشيعة ثم استمر هذا الاصطلاح دالا على هذا المعنى الى النهاية .

ومن هنا يبدو ان لفظ الشيعة بدأ اصطلاحا ولقبا خاصا بمن شايع عليا وبنيه منذ قامت حركة التوابين الذين قاموا بأخذ الثأر على قتلة الحسين السبط رضي الله عنه .

وان كان لفظ الشيعة معروفا في زمن علي ولكن بالمعنى الاصطلاحي لم يكن معروفا الا بعد قتل الحسين وفي زمن محمد بن الحنفية رضي الله عنه وذلك حين وقعت النكبات على أهل البيت .

فكان ظهور هذا المصطلح في الكوفة . والبصرة . والمدائن في وقت واحد .

يقول الدكتور سامي النشار(٣) : بعد مناقشة الآراء المختلفة في بدء

---

(١) الفصل جـ ٢ ص ١١٣

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٤٦

(٣) سامي النشار جـ ٢ ص ٢١/٢٢

الشيعة كمصطلح قال : ما نصه : ومن هنا يتضح لنا أن اسم الشيعة كمصطلح ظهر بعد استشهاد الحسين وأن الكلمة كانت تطلق في أول الأمر على أية مجموعة تلتف حول صحابي من الصحابة .

وفي الكوفة بعد مقتل المختار أبي عبيد أخذت الشيعة تتكون كفرقة دينية كلامية تضع أصول التشيع ولكن لم تصل الشيعة الى وضع مذهبها النهائي الا في عهد امامة جعفر الصادق .

وتكونت الشيعة حقا بعد مقتل الحسين عليه السلام فرقة دينية وذلك عند قيام التوابين . (١)

ومن هنا يمكننا أن نقول ان التشيع كان شكلا اسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي صلى الله عليه وسلم وتبلور اتجاهه السياسى بعد مقتل عثمان رضى الله عنه واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد مقتل الحسين . (٢)

---

(١) سامى النشار جـ ٢ ص ٢٢

(٢) راجع (الصلة بين التصوف والتشيع) ص ٢٣

(٣) الآراء في منبع التشيع وأصل الشيعة

تضاربت الاراء في أصل نشأة الشيعة فذكر بعض علماء العقائد أن أصل نشأة الشيعة كان من الفرس ووجه ذلك ان الفرس كانوا يقدسون ملوكهم فلما زال ملكهم بالفتح الاسلامي ودخلوا في الاسلام ظهر أثر ذلك التقديس في الموقف الذى وقفوه من أهل البيت وتقديسهم للائمة من آل البيت وهذا الرأى هو الذى صدر به الدكتور عبد الحليم محمود صاحب كتاب (التفسير الفلسفي في الاسلام) (١) الاراء التي قيلت في نشأة أصل الشيعة.

ثم ذكر الرأى الثاني وهو ان الشيعة تدين في نشأتها كلها لعبد الله بن سبأ، الذى كان يهوديا فاعتنق الاسلام للنيل منه لا رغبة فيه بل أراد الكيد بالاسلام فاظهر الاسلام واعتنق هذا المذهب ليفرق بين المسلمين ويقضى على وحدتهم.

وقد نقل الدكتور عبد الحليم عن الاستاذ احمد أمين (٢) أن الأستاذ: اولهوزن ذهب الى أن العقيدة الشيعية نبعت في اليهودية اكثر من نبعها في الفارسية حيث أن مؤسسها "عبدالله بن سبأ" وهو يهودى ويميل الاستاذ: دوزى الى أن اساسها فارسى.

وذلك أن العرب تدين بالحرية أما الفرس فيدينون بتقديس الملوك والوراثة لبيت المالك ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ولا معنى للشورى وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك ولدا فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب. فمن أخذ الخلافة منه كأبي بكر وعمر وعثمان والامويين فقد اغتصب الحق من يستحقه.

---

(١) ص ١٦٥

(٢) فجر الاسلام ص ٢٧٧

وقد اعتاد الفرس ان ينظروا الى الملك بنظرة فيها معنى الهي وقد نظروا هذا النظر بعينه الى علي وذريته وقالوا في زعمهم ان طاعة الامام طاعة لله وان طاعته اول واجب ·

ثم ان الدكتور عبد الحليم محمود بعد ان ذكر الرأيين السابقين اردف ذلك بقوله مبينا الرأى المختار عنده ولكننا نرى أن السبب في نشأة الشيعة لا يرجع الى الفرس عند دخولهم في الاسلام ولا يرجع الى اليهودية بمثله في عبدالله بن سبأ وانما هو أقدم من ذلك فنواته الاولى ترجع الى شخصية علي بن أبي طالب رضى الله عنه من جانب وصلته بالرسول صلى الله عليه وسلم من جانب آخر ثم سرد الدكتور جوانب ونماذج من تلك الصلة (١) ·

(٤) نشأة التشيع

تختلف (٢) الآراء في تحديد بداية ظهور الشيعة اختلافا كبيرا لا يكاد يوجد في غيرها من الفرق : لأن الفرق ظهرت كما هو الواقع اثر احداث تاريخية لها اتصال وثيق بتلك الأحداث التاريخية ·

ففرقة الخوارج مثلا ظهرت وعرفت وقت حادثة التحكيم ·

واما التشيع فقد كانت هناك حوادث وأمور لها اثرها في المذهب الشيعي ·

وهذه الاحداث متعددة وهامة ونظرا الى أهمية هذه الأحداث في نظر بعض الباحثين : اختلفوا في أى من تلك الأحداث يعتبر بداية للتشيع واهم هذه الأحداث أربعة :

أولا :— وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع السقيفة وتخلف علي رضى الله عنه عن البيعة ·

---

(١) التفكير الفلسفي في الاسلام ص ١٦٦

(٢) راجع نظرية الامامة ص ٢٩

ثانيا :—
الفتنة التي وقعت في زمن عثمان والتي أدت في النهاية الى قتل ذى النورين رضى الله عنه •

ثالثا :—
وقعة صفين والتحكيم •

رابعا :—
مقتل الحسين السبط رضى الله عنه •

ومن الباحثين من يجعل نقطة بداية التشيع الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم •

وهذا رأى الباحثين من الشيعة ومتكلميهم • يقول الشيخ آل كاشف الغطا :

ان اول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعني أن بذرة التشيع وضعت مع الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم اثمرت بعد وفاته • واستدل على ذلك بأحاديث رويت في مدح علي رضى الله عنه بما ورد في الدر المنثور للسيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿ اولئك هم خير البرية ﴾ (١) ان ابن عساكر اخرج عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل علي رضى الله عنه فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسي بيده ان هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة " (٢) الخ ••

والى مثل هذا الرأى يذهب محمد الحسين المظفرى (٣) الشيعي حيث يقول : ان الدعوة الى التشيع نشأت من اليوم الذى هتف فيه محمد صلى الله عليه وسلم صارخا بكلمة لا اله الا الله لما نزل عليه قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٤)

---

(١) سورة البينة / ٨ والحديث يأتي الكلام فيه في ص ١٢
(٢) أصل الشيعة واصولها ص ٨٢ (٣) راجع (نظرية الامامة) ص ٣٦
(٤) سورة الشعراء اية ٢١٤

جمع بني هاشم وانذرهم قائلا " أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووصي وخليفتي فيكم بعدي فلما لم يجبه الى ما أراد غير المرتضى قال لهم رسول الله : هذا أخي ووارثي ووزيري ووصي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا "(١)

فكانت الدعوة الى التشيع لأبي الحسين من صاحب الرسالة تمشي معه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين .

ومن هنا يقول محمد حسين الزين العاملي الشيعي : ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله هو الشيعة وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر ويذهب شيعي آخر وهو محسن الأمين العاملي الى نفس الرأي ،حيث يقول : ان لفظة (شيعة) كانت تقال لمن شايع عليا رضي الله عنه قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

وبعض كتاب الشيعة يفصل فيقول :

ان التشيع قد عرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أصل لفظة شيعة لما تمت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه وصار المسلمون فرقة واحدة الى اواخر ايام عثمان رضي الله عنه .

وبعض الباحثين من الشيعة يذكر زمنا آخر لبداية نشأة التشيع اذ ظهر عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نرى علماء الشيعة ومتكلميهم يحرصون أشد الحرص على أن يردوا أصل التشيع الى عهد الرسالة وذلك ليجعلوا بدايته اسلامية خالصة و لينفوا ما شاع عن مذهبهم من أن عناصره مستمدة من أصل أجنبي عن الاسلام كاليهودية او الفارسية .(٢)

---

(١) هذا الحديث يأتي الكلام عليه في ص ١٢ وفي فصل ادلة الامامية من السنة على امامة علي رضي الله عنه وسوف نرى انه موضوع لا يصح الاحتجاج به .

(٢) راجع نظرية الامامة ص ٣١

ونحن نرى أن الحوادث التي حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تتخذ بداية لنشأة التشيع ٠

ومن هنا كانت الاراء المختلفة التي لها وجهة نظر في تحديد زمن تاريخ نشأة التشيع وهي آراء أربعة :

ولذا كان من الضروري تتبع تلك الآراء ووجهات النظر المختلفة في تاريخ نشأة التشيع ليصل الباحث الى الرأى المختار منها :

الرأى الأول :— رأى من يقول : ان بداية ظهور التشيع كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وهذا الرأى هو الذى عليه معظم الكتاب في الفرق كالاشعرى (١) : وهو أن اول ما حدث من الاختلاف في الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الامامة والخلافة (٢) ٠ ومن المعلوم أنه قد ظهرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم آراء ثلاثة في الامامة وكل رأى له وجهة نظر :

وجهة نظر الأنصار :

يرى الانصار استحقاقهم للخلافة لأنهم اول من آوى رسول الله ونصره فلهم بذلك السابقة في الدين والفضيلة في الاسلام ومزايا لم تكن لغيرهم من قبائل العرب فرسول الله مكث في قومه بضع عشرة سنة فلم يؤمن به الا القليل ولم يمنعوا رسول الله ولا دافعوا عنه حتى خص الله الأنصار بالفضيلة وساق لهم الكرامة وخصهم بالنعمة ورزقهم الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استقام الامر لرسول الله ودانت له العرب بسيوف الأنصار حتى توفي رسول الله وهو عنهم راض وقد روى عنه أنه قال : عليه الصلاة والسلام : " لو

---

(١) المقالات جـ ١ ص ٣٩

(٢) راجع نظرية الامامة ص ٣٦

سلك الناس شعبا و سلك الانصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت لمرئ من الانصار والناس دثار والانصار شعار " (١)

اضافة الى هذا فقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم في دارهم ودفن فيها وقد فارق الدنيا والمدينة عاصمة الاسلام وقد عبر عن هذه النظرية وهذا الرأى سيد الأنصار سعد بن عبادة رضى الله عنه (٢) .

نظرية المهاجرين :

يرى المهاجرون انهم اولى الناس اسلاما وأوسط العرب انسابا ولن تدين قبائل العرب الا لهم كما كانت تدين لهم في الجاهلية وهم أول من عبدا لله في الأرض وهم اولياء رسول الله وعشيرته فالأئمة من قريش وممن عبر عن هذا الرأى وهذه النظرية ابو بكر الصديق رضى الله عنه. (٣)

نظرية بني هاشم :

اذا احتج المهاجرون بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا غرابة في احتجاج بني هاشم بالقرابة اذ هم أولى الناس قرابة له فلا ينبغى لسلطان محمد صلى الله عليه وسلم في العرب ان يخرج من داره ما دام في قرابته القارئ لكتاب الله والمتفقه في دين الله العالم بسنة رسوله .

هذه نظرية بني هاشم في الامامة والخلافة وقد عبر عن هذه النظرية علي بن ابي طالب رضي الله عنه (٤) .

---

(١) البخارى مع الفتح ج ٧ص ١١٢

(٢) البخارى مع الفتح البارى ج ٧ص ١٩

(٣) مسلم مع النووى ج ١٣ ص ٢٠١ والبخارى مع فتح البارى ج ٧ص ٢٠ وراجع نظرية الامامة ص ٢٢

(٤) البخارى مع فتح البارى ج ٧ص ٤٩٣ وراجع (نظرية الامامة)ص ٣٣

ومنذ ظهرت هذه النظريات الثلاث ظهر التشيع لعلى بن ابي طالب رضى الله عنه .

وهذا الرأى مبناه على أن التشيع نشأ بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة ومنذ ذلك الحين تكون حزب يناهض الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الأوائل : ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

وقد فضل هذا الحزب واختار للخلافة على بن ابي طالب رضى الله عنه وقد كان تكوين هذا الحزب بفرقة من الصحابة كانوا مخلصين في حبهم لعلي رضى الله عنه ويرونه أحق بالخلافة والامامة لصفات كان يتميز بها عن غيره . ومن أشهر هذا الحزب : سلمان الفارسى وابو ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر (١) .

ومن هنا نرى ان بعض الصحابة تخلف عن بيعة ابي بكر رضى الله عنه وهم من المهاجرين كالعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وأبي ذر الغفارى وأبي بن كعب والبراء بن عازب وخالد بن سعيد : غير أن هؤلاء كانت البواعث الداعية لتأييدهم لقضية علي بن ابي طالب متباينة فالعباس وابنه كانت من بواعث تأييده لعلي بن ابي طالب القرابة .

واما سلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقداد وغيرهم فكان الباعث لهم المحبة الخالصة ورؤية ان عليا رضى الله عنه افضل الناس واحقهم بالنيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك اخلصوا للقضية اخلاصا مجردا عن كل غرض .

ومن هنا اعتبر الشيعة هؤلاء الصحابة هم رواد التشيع وقواده الأوائل فنراهم يذكرونهم بالثناء والتمجيد وربما وصلوا الى تقديسهم كما هو الحال عند غلاة الشيعة ولكن مع اعتبار بداية التشيع وحقا كانوا أنصارا لعلي رضى الله عنه في قضاياه وحروبه . الا انه من البعيد أن ينسب الى أى منهم عقيدة

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٣

من عقائد الشيعة كالرجعة والبداء تلك العقائد التي وضعت بعد تطور التشيع وذلك في اول العصر العباسي . (١)

فالذى نقل عن هؤلاء الصحابة من تشيعهم لعلى رضى الله عنه و" اهل البيت " محمول على انهم كانوا في بيت علي رضى الله عنه في حادثة السقيفة وكانوا كذلك حتى تمت البيعة لأبي بكر رضى الله عنه لا أنهم كانوا شيعة على هذه الصورة حاشا الصحابة أن يكونوا كذلك.

وهم بلا شك يميلون اليه محبة لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربيته عنده ولما كان يتمتع به من مزايا . وهناك فرق بين الحب الذى تدفع اليه هذه الدوافع الكريمة وبين التحزب السياسى الذى لم يكن له وجود زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن موضع حديث بين الصحابة.

ثم ان التعبير عن هؤلاء الصحابة بأنهم من شيعة على انما ظهر بعدما نشأت الشيعة سياسيا وعسكريا خلال اختلاف علي مع اصحاب الجمل " وصفين " فهو تعبير استعمل فيه مصطلح جديد الدلالة على معان قديمة وعادية كالحب والاخلاص والصداقة .

فالقول : بنشأة الشيعة زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ليس قولا صحيحا زيادة على ان كلمة (شيعة) بدون أل التعريفية كان يستعملها معاوية وغيره في الحديث عن أصحابه فلو فرض : أنها استعملت في حق هؤلاء الصحابة خلال تلك الفترة المتقدمة لم يكن لها دلالة على نشأة التشيع بالمعنى الاصطلاحى حيث لم يكن لهذا المعنى الاصطلاحى وجود : اذ هو يدور حول قضية الاستخلاف بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهذه قضية لم يكن لها وجود من قبل اللهم الا في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دار بين علي والعباس في حديث الصحيفة والدواة وسيأتي سياقه عند ذكر ادلة الامامية الاثنى عشرية المأخوذة من السنة كما يأتي الجواب عنه هناك باذن الله .

---

(١) راجع نظرية الامامية ص ٢٢-٢٤

اما زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم فهو خال من التشيع ومن كل البواعث الدافعة اليه.

واما الحديث الذى نقلوه في تفسير قوله تعالى ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ فنقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لعلى رضى الله عنه (أنت وشيعتك) وفي رواية (ان هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة)

فهذا الحديث كذب وموضوع . يقول : ابن تيمية : انه موضوع باتفاق أهل المعرفة بالمنقولات ورواية أبي نعيم له ليست حجة باتفاق طوائف المسلمين .(١)

وكذا حديث (أنت وصى) يقول فيه ابن تيمية : ليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون عليها وغايته أن يوجد في كتب التفسير التي تنقل الغث والسمين يتخللها احاديث كثيرة موضوعة مكذوبة والحديث موضوع وفيه عبد الغفار بن القاسم الكوفي وهو مجمع على تركه كذبه سماك بن حرب وابو داود .(٢)

الرأى الثانـي :— في بداية التشيع قول من يرى ان التشيع قد بدأ في أواخر عهد عثمان رضى الله عنه .

كثير (٣) من كتاب الفرق والباحثين يميلون الى أن بداية التشيع كان في اواخر عهد عثمان رضى الله عنه او الى حركة ابن سبأ اليهودى المعروف بابن السوداء . وهذا الرأى يميل اليه كثير من الباحثين المحدثين وكلام الملطي يشير الى: ان منشأ التشيع من ابن سبأ . لانه حينما ذكر الرافضة جعل السبأئية على رأسهم . (٤)

وكذلك الدكتور سامى النشار : يميل الى نفس الرأى حيث يرى :

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٤ ص ٧٠

(٢) نفس المرجع السابق ٨٠ — ٨١ (٣) راجع نظرية الامامة ص ٣٥

(٤) راجع ابو الحسين الملطى : السبئية والرد على اهل الاهواء والبدع ص ١٨

ان هذه الفكرة " الاعتقاد بأن عليا رضى الله عنه " هو صاحب الحق الأول في الخلافة لم تظهر في عهد أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ولكنها نشأت في خلافة عثمان رضى الله عنه على يد عبدالله بن سبأ / الذي يمثل تيارا باطنيا من التيارات التي تحمل لهدم الاسلام[1] والشيخ أبو زهرة ممن يميل الى هذا المذهب حيث يقول :

وكان الطاغوت الأكبر عبدالله بن سبأ الذى دعا الى الوهية علي ووصايته وأنه في ظل الفتن التي أثارها ضد عثمان وعماله نشأ المذهب الشيعي[2] والذين يرجعون بداية نشأة التشيع الى ابن سبأ يعتمدون في رأيهم الى مايلي :

أولا :- ان عبدالله بن سبأ اليهودى أول من نادى بقداسة علي رضى الله عنه وبعبارة أدق : الى الوهيته ووصايته عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانيا :- ان ابن سبأ اول من هاجم الخلفاء الثلاثة الذين تقدموا على علي رضى الله عنه بالخلافة واعتبرهم غاصبين للحق .

ثالثا :- هو أول من قال بالرجعة : ولكن لما كان هذا الرأى يؤدى الى ارجاع أصل التشيع الى أصل يهودى نرى علماء الشيعة قد حرصوا جدا على رده وابعاد هذه الشبهة عنهم .

ومن كتنا كانت كتب الشيعة مشحونة بالبراءة من ابن سبأ والهجوم على السبئية .

والواقع ان عمل ابن سبأ خلال الفتنة الكبرى في اواخر عهد عثمان رضى الله عنه يعتبر بمثابة وضع الأساس الحقيقي للتشيع فقد ابتدأ القول بالوصية حتى قال : انه يوجد في التوراة أنه كان هناك الف نبي ولكل نبي وصى ووصى محمد صلى الله عليه وسلم علي رضى الله عنه وكذلك بدأ يجمع الصفوف الثائرة على سيدنا عثمان رضى الله عنه حول اسم الامام علي رضى الله عنه باعتباره المنقذ

(١) سامى النشار جـ ٢ ص ١٨ - ٢٣ - ٢٤ ونظرية الامامة ص ٣٥ - ٣٦

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٣١

المنتظر من مظالم بني أمية وما نقمه الناس على عثمان رضى الله عنه .

وكذلك أخذ يشيع الأقوال الغالية في حق علي رضى الله عنه وابنائه من الأئمة بحيث يرفع مقامهم في أعين الناس وفي قلوبهم .

وبذلك أخذوا يلتفون حولهم باعتبارهم اصحاب الحق المطلق في وراثة النبي صلى الله عليه وسلم في الامامة العظمى .

وهذا هو أساس التشيع الذى وضعه ابن سبأ للتجمع السياسي والحربي الذى ضم الشيعة فيما بعد حول الامام على رضى الله عنه وهو الأساس ايضا لكل العقائد الغالية التي سرت فيما بعد بين مختلف فرق الشيعة ولولا القول بنظرية الوصية لما كان للتشيع وضعه المعروف فعمل ابن سبأ في هذا المجال بمثابة وضع البذور الأولى لنشأة التشيع بوضعه الخاص فيما بعد .

الرأى الثالث :— ان التشيع يرجع بدايته الى حادثة (التحكيم) لأن اول خلاف وقع حول المبادئ الاسلامية كان من الخوارج .

وذلك حين نازعوا عليا رضى الله عنه في قضية (التحكيم) حيث قالوا لا حكم الا لله . فكان الخوارج اول طائفة في الاسلام تثير مشكلة الامامة على نحو لم يسبق له مثيل .

ومن هنا بدأ ظهور الشيعة لأن من الطبيعي أن تظهر مبادئ أخرى معارضة تؤيد حق علي رضى الله عنه مخالفة لرأى الخوارج الذين جعلوا الامامة عامة بينما جعلها الشيعة كما قلنا : خاصة بالبيت العلوى .

ومن هنا يتبين ان بدئ ظهور التشيع كان رد فعل لآراء الخوارج في الامامة .

غير أنه يجب الاعتراف للخوارج كمذهب عقائدى له نظرياته في الامامة في انه سابق وجوده على التشيع لعقيدة الا أنه لا يستبعد أن تكون بعض

عقائد الشيعة قد صيغت متأخرة بنظرية الخوارج في الامامة على طريقة عكسية ولقد كانت كارثة انشقاق الخوارج وثورتهم على علي رضى الله عنه من أعظم ما حل بأنصاره من الكوارث ونتيجة لهذه الكارثة استشهد علي رضى الله عنه على يد أحد الخوارج الملحدين .

ثم مبالغتهم في الجفاء وروية تكفير علي رضى الله عنه وهذا من أشنع انواع الجفاء .

فكان من الطبيعي أن يقابل ذلك الجفاء بالتقديس لعلي رضى الله عنه وذريته ورفع مقامه الى مرتبة وصى النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته بالنص الالهي وهذا هو روح التشيع لعلي رضى الله عنه الذى بدأ في ذلك العصر نتيجة للاختلاف في قضية (التحكيم) وما تلاها على نحو ما قلنا سابقا .

الرأى الرابع :— في بداية التشيع وهو أن التشيع يرجع بدايته الى فاجعة (كربلاء) التي قتل فيها الحسين السبط رضى الله عنه .

وهذه الحادثة تعتبر نقطة تحول في التاريخ الفكرى العقائدى للتشيع . اذ لم يقتصر أثر هذه الحادثة الرهيبة على أنصار أهل البيت المقربين .

وقد كان الشيعة قبل هذه الحادثة مختلفى الكلمة متباينى الأهواء . بل كان التشيع قبل هذه الحادثة مجرد رأى سياسى لم يصل الى قلوب الشيعة . فلما وقعت هذه الكارثة امتزج التشيع بدماء الشيعة وتغلغل في أعماق صدورهم وأصبح عقيدة راسخة في النفوس .

وبينما كان الشيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يعدون بالأصابع ويشكلون طائفة قليلة من الناس يرون " عليا رضى الله عنه " اولى بالامامة لصفات فيه بينما ناصر كثير من الناس (عليا رضى الله عنه) لما آلت اليه الخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه لكونه اماما للمسلمين الا أن هذه

الدماء التي اريقت وهي دماء حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثارت شعور الكثيرين ما يعامل به أهل البيت من الأذى والاضطهاد •

ومن ثم أصبح التشيع مقرونا بأحقية آل البيت النبوى وهذا يوضح أن دم الحسين هو الذى غرس العقيدة الشيعية في صورتها النهائية •

ولقد أدرك الشيعة بعد الهزيمة النكراء والتي كان من نتائجها مصرع الحسين رضى الله عنه •

وبعد ثورة التوابين الذين ثاروا على الأمويين لأخذ الثأر من قتلة الحسين رضي الله عنه وبعد هذا كله أدرك الشيعة انه لا قبل لهم في مقاومة سلطان بني امية بالقوة والمواجهة فاستعانوا بستر أنفسهم وهو مبدأ هام أصبح فيما بعد له ارتباط وثيق بالعقيدة الشيعية — الا وهو مبدأ التقية الذى سيأتي الكلام عنه في الباب الثالث من هذه الرسالة عند ذكر ارائهم الاعتقادية ان شاء الله تعالى •

ومن هنا نستطيع أن نقول ان دم الحسين رضي الله عنه ترك الأثر العميق في نفوس الشيعة مما جعل التشيع بعد ذلك يكون حركة فكرية على نطاق واسع بين المسلمين • بينما كان تسليم الحسن بن على . الخلافة لمعاوية قد جعل ذلك يسمى عام الجماعة لاجتماع الناس ولاعتبار النفوس قد هدأت واطمأنت وانقادت الأمة الاسلامية لمعاوية — وان كان ذلك في الظاهر من البعض • فان هذا الهدوء والاطمئنان قد انهار واضمحل بعد مقتل الحسين رضى الله عنه •

من هنا انفصل الشيعة عن أهل السنة في الآراء والمعتقدات •

ومن ثم يرى بعض الباحثين في العقائد : ان التشيع كعقيدة لها افكار وآراء تخالف أهل السنة بدأ بعد هذه الفاجعة الأليمة • اذ ان دم الحسين الذى أراقته الدولة القائمة — يعتبر البذرة الأولى لبدئ الشيعة كعقيدة •

ومن هنا يمكننا ان نقول : ان الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم وصبغت مبادئ الشيعة بصبغة دينية فاتجهت بعد مقتل الحسين اتجاها فكريا بل غلب الجانب الفكرى في التشيع على الجانب السياسى كما قلنا آنفا . وبالرغم من أن متكلمى الشيعة وعلمائهم يحاولون بداية التشيع الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته مباشرة كما تقدم ، غير أنهم لا ينكرون ما لحادثة " كربلاء " من أثر عميق في تطوير عقائدهم . ولم تكن حادثة كربلاء تقف الى هذا الحد وانما يعتبر دم الحسين رضى الله عنه هو الذى ظل يروى عقائد الشيعة وافكارهم طوال القرون .

ولقد صمدت هذه الفرق بالرغم مما نالها من اضطهاد فكرى وسياسى ، وبالرغم مما حدث على العالم الاسلامي من احداث وتطورات فان الشيعة قد تميزت بسبب هذه المؤثرات عن فرق المسلمين ولم يكن الأمر مجرد عاطفة على تلك الحادثة المحزنة/الاليمة والكارثة وانما أمدتهم تلك الدماء الزكيه بما جعلهم على عقيدتهم ثابتين وعلى افكارهم متمسكين .

وقد اتخذوا مصرع الحسين رضى الله عنه مثلا للصبر على البلاء والصمود امام الكوارث التي توالت عليهم في العصرين : الأموى والعباسى .

وبالرغم من تحالف قوى الفكر عليهم من جانب اهل السنه ومن جانب المعتزله والمرجئه والخوارج فقد صمدوا امام هذه التيارات الفكريه والسياسيه كلها .

والواقع ان كلام صاحب هذا الرأى على نحو ما قدمناه لا يدل على أن بدئ ظهور التشيع كان بعد موقعة كربلاء وبسببها ، بل يدل على أن هذه الموقعة كانت عاملا مهما في تجميع الشيعة وتقوية صفوفهم وقوة التحامهم بمبادى التشيع وتطوير افكارهم وتمييزها عن غيرها من آراء الفرق الأخرى .

أما التشيع نفسه فقد بدأ ظهوره من قبل وبدأت تجتمع الصفوف حول علي رضي الله عنه متشيعة له ولوراثته الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكون التشيع سابقا على موقعة "كربلاء" أمر واضح مهما قيل في أهمية تلك الموقعة في تاريخ التشيع وتطويره •

ويدل على ذلك بدء الظهور التاريخي لمصطلح الشيعة والتشيع كاسم على اتجاه سياسي وعقائدي •

(٥) تطور التشيع وأدواره

ان التشيع قد مر عليه أدوار وتطورات سياسية وفكرية هامة .

وسوف نستعرض فيمايلي تطوره وأدواره .

فان التشيع كان في اوله طبيعيا وعاطفيا بدأ من الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن اهل البيت النبوى أحق بالخلافة والامامة من بعده صلى الله عليه وسلم .

وهذا الرأى مبنى على أن الخلافة ميراث أدبي يكون بالقرابة وأقرب الناس اليه أهل بيته وأولاهم بذلك علي بن ابي طالب رضى الله عنه .

وخلاصة هذا الرأى : انه لا نص على الخلافة وانما ترك الأمر للرأى والمشورة .

وقد ذهب اصحاب هذا الرأى الى أن الخلافة ميراث أدبي ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يورث ماله لكانت قرابته اولى بارثه فكذلك الخلافة .

ومن هؤلاء عمار بن ياسر وابو ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي والعباس وبنوه وجابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وأبي بن كعب ومن هؤلاء بدأ التشيع في أول أمره وكان كما قلنا طبيعيا وعاطفيا . وذلك لصفات رأوها في علي بن ابي طالب رضى الله عنه أوجبت في نظرهم أن يكون أحق بالامامة .

ثم تكاثرت الشيعة بعد ذلك في أواخر عهد عثمان رضى الله عنه .

ذلك ان الناس خضعوا لمظالم بعض عمال عثمان رضى الله عنه وكذلك نقموا عليه بعض أشياء اجتهد فيها وقد أدى ذلك الى ثورة أهل الأمصار على الخليفة وعلى عماله مطالبين بالاصلاح من وجهة نظرهم وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه هو الشخص الذى تتطلع اليه النفوس ليقوم بالاصلاح

المنشود ومن هنا بدأ كثير من الناس يتطلعون اليه و يتشيعون له •

وقد استغل بعض دعاة السوء هذا الموقف كعبدالله بن سبأ الذى عمل على اثارة الفتنة ضد الخليفة وعماله داعيا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه •

ولسنا نريد الاطالة بالتاريخ لهذه الفترة وأحداثها •

ولكننا نقول : ان هذه الدعوة أنتجت ثمرتها في تطور التشيع فقد انتهى الأمر بمقتل الخليفة الثالث وتمت البيعة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ووقع الخلاف بينه وبين معاوية من جهة وبينه وبين الخوارج من جهة أخرى •

وكان له في هذا الخلاف انصار ومشايعون لم يقف التشيع عندهم عند مجرد رؤية أحقيته بالخلاف وميراث النبي صلى الله عليه وسلم بل تعدى ذلك الى العمل الحربي المنظم في سبيل نصرته وتأييد امامته ضد الخارجين عليه •

وقد غمرت هذه الفترة بما أشاعه ابن سبأ من العقائد الباطلة حول علي بن ابي طالب رضي الله عنه مما اضاف الى التشيع من العناصر الجديدة التي تعتبر تطورا في تاريخه • فقد اشاع بين الناس القول بحلول الجزء الالهي في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأن الرعد صوته والبرق تبسمه وأنه لم يمت وانما يرجع من جديد •

وذكر أيضا القول بالوصية وأنه قرأ في التوراة أنه كان هناك الف نبي ولكل نبي وصي ووصي محمد صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب (١) فبدأ بذلك دخول مفاهيم الوصية والرجعة والحلول في تاريخ التشيع •

ولا يخفى ان هذه الافكار التي تطور اليها التشيع قد انتشرت في جميع الامصار الاسلامية ولا سيما في العراق وما جورها من بلاد فارس وهي المناطق

---

(١) راجع الشهرستاني ج ١ ص ١٧٤

التي كانت موطنا أصيلا من مواطن التشيع والتي استجابت للدعوة الشيعية بدرجة أكثر من غيرها •

وقد تمثلت بعض مظاهر التطور في التشيع في فكرة المهدية التي الحقها المختار بن ابي عبيد الثقفي بمحمد بن الحنفية بوصفه صورة جديدة من محمد صلى الله عليه وسلم للتشابه القائم بينهما في الاسم والكنية •

ولما مات محمد بن الحنفية رضي الله عنه قالت : الكيسانية " وهم من انصار المختار " برجعة محمد بن الحنفية الى الدنيا وهنا استمرار للقول بالرجعة - ويأتي الكلام على الرجعة في الباب الثاني من هذه الرسالة باذن الله تعالى عند الكلام عن خصائص الامام عند الامامية • وما لبثت الفكرة المهدية ان صارت طابع الشيعة عموما فصار كل امام شيعي من مختلف الفرق مهديا اما في حياته او بعد مماته لكي يعود من جديد •

ولما حل القرن الثالث الهجرى واعلنت غيبة المهدى الاثنا عشرى أدخل على الفكرة تطور جديد وهو وصل ظهوره بنزول المسيح •

وكانت فكرة نزول المسيح اسلامية متصلة بالمسيح مستقلة عن المهدية • (١)

ثم جاء عصر الامام الصادق وكان عصرا حافلا بمتكلمي الشيعة الذين لهم اليد الطولى ليس فقط في صياغة العقيدة الشيعية صياغة كلامية وانما في وضع اسس النظريات السياسية في الاسلام باعتبارهم اول من فتق علم الكلام في الامامة •

وكان عصر الصادق رضي الله عنه قد ازدهر علم الكلام وبلغ الذروة في الازدهار لدى المعتزلة فكان لا بد للشيعة من متكلمين يدافعون عن المذهب على طريقة كلامية •

وقد قام تلامذة الصادق بذلك خير قيام امثال هشام بن الحكم الذى يعتبر اول من فتق علم الكلام في الامامة وهذب المذهب •

---

(١) الفكر الشيعي ص ٢٣ - ٢٤

ومثل محمد بن النعمان الملقب عند الشيعة بمؤمن الطائي وعند أهل السنة بشيطان الطائي ومثل زرارة بن أعين وغيرهم .

وهؤلاء كلهم من تلامذة الامام الصادق رضى الله عنه وسيأتي الكلام عنه في الباب الاول من هذه الرسالة باذن الله .

ثم تابعهم بعد ذلك على مدى العصور متكلمون من الشيعة : امثال : الطوسى والحلى والقمى والشيخ المفيد .

وبهذه الدراسة نصل في النهاية الى أن التشيع مر عليه في تاريخه اربعة أطوار :

الطور الأول :— جماعة التفوا حول علي رضى الله عنه وناصروه وحاربوا معه وفضلوه على غيره لأنهم أقرب شبها به في ايمانه وسيرته وهؤلاء هم المخلصون من أصحابه وأنصاره .

والطور الثاني :— جماعة لا ينقصها الكثرة وانما ينقصها الاخلاص وذلك في خلافة علي رضي الله عنه .

والطور الثالث :— مرت على التشيع فيه حالة سكون وركود وذلك في خلافة معاوية رضى الله عنه حيث استتب الأمر له بتنازل الحسن له عن الامامة ولقد اعقب هذا السكون اتجاه عقائدى وانشقاق تام عن التفكير الاسلامي العام وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .

ثم جاء الطور الرابع والنهائى :— حيث برزت معالم المذهب واصوله واتضحت اراؤه الكلامية على يد الصادق أو تلامذته المتكلمين .

على ان التشيع الذى مرت عليه هذه الأدوار وهذه المراحل ويشمله اسم واحد يندرج تحته المؤمنون به من شيعة علي رضى الله عنه وآل البيت رضوان الله عليهم — الا أن لكل دور من ادواره المتقدمة خصائصه الخاصة به

التي تميزت عما بعده . بحيث يعتبر كل دور من هذه الأدوار الأربعة نقطة تحول هام في المذهب .

فلا يمكن أن يشابه التشيع الأخير التشيع في طوره الأول كما لا يمكن ان يكون سلمان الفارسي او عمار بن ياسر او المقداد بن الأسود او حذيفة بن اليمان شبيها بهشام بن الحكم أو الشيطان الطاقي المسمى عند الشيعة بمؤمن الطاقي أو لزرارة بن أعين في الرأي والعقيدة . ومن هنا اختلفت الآراء في التشيع وتطوره (١) .

والواقع ان الشيعة في القديم وفي خطوتها الاولى تقتصر على تفضيل علي رضي الله عنه وانه احق من غيره بالامامة لأدلة (٢) ذكروها ويأتي الكلام على تلك الأدلة في فصل نظرية الامامة عند الامامية من هذه الرسالة باذن الله تعالى .

ثم ان الشيعة الامامية تخطت عن هذه الدرجة الى الوقيعة في كبار الصحابة طعنا وتكفيرا . (٣) وقد شهدت نصوص القرآن والسنة الثابتة على عدالتهم والرضا عن جملتهم .

قال تعالى ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ (٤)

وقال الله ثناء على المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان :

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ (٦) وقال تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ (٧)

---

(١) نظرية الامامة ص ٥٢
(٢) راجع الشهرستاني ج ١ ص ١٦٤
(٣) نفس المرجع السابق
(٤) سورة الفتح اية ١٨
(٥) سورة التوبة اية ١٠٠
(٦) سورة التوبة اية ١١٧
(٧) سورة النور اية ٥٥

يقول الشهرستاني : بعد ذكره للآيات المذكورة قال : وفي ذلك دليل على عظمة قدرهم — يعني الصحابة — عند الله تعالى وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم قال الشهرستاني : وليت شعري كيف يستجيزون الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم وقد قال رسول الله (عشرة من اصحابي في الجنة)[١] وعددهم رضوان الله عليهم[٢]

(١) رواه الترمذي جـ ١٠ ص ٢٥٠-٢٥١
(٢) الشهرستاني جـ ١ ص ١٦٤

(٦) أصناف الشيعة في الصدر الأول

اعلم أن اصناف الشيعة في الصدر الأول ثلاثة (١) :

الصنف الأول :—
وهم الجمهور الاعظم وهؤلاء يرون امامة ابي بكر وعمر وعثمان الى أن غير عثمان وأحدث الاحداث . هو على ما ترجحه الشيعة والواقع ان عثمان رضي الله عنه لم يأت منكرا لا في اول الامر ولا في آخره — راجع العواصم من القواصم ص ٥٠

الصنف الثاني :—
وهم اقل من أولئك عددا وهؤلاء يرون ان الامام بعد رسول الله هو ابو بكر ثم عمر ثم علي على هذا الترتيب ولا يرون لعثمان امامة قال شاعرهم :

له في رقاب الناس عهد وبيعة كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر

وحكي الجاحظ : أنه كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيا الا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني فالشيعي من قدم عليا على عثمان والعثماني من قدم عثمان على علي .

وكان واصل بن عطاء ينسب الى التشيع في ذلك الزمان لأنه كان يقدم عليا على عثمان .

الصنف الثالث :—
وهم عدد يسير جدا وهؤلاء يرون ان عليا اولى بالامامة بعد رسول الله ويرون أن امامة ابي بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأى والمشورة ويصوبونهم في رأيهم ولا يخطئونهم الا أنهم يقولون ان امامة علي كانت أصوب وأصلح . وهؤلاء الأصناف الثلاثة هي التي شايعت عليا رضي الله عنه على قتال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج .

وليس في هذه الأصناف من يقع في الصحابة او ينقص من قدرهم لا سيما في كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . (٢)

تعليقات محي الدين

(١) راجع المقالات ج ١ ص ٦٥ وراجع (فجر الاسلام) ص ٦٨ .

(٢) راجع شرح المقالات ج ١ ص ٦٥

(٧) أهـــــداف التشـــــيع

ان لاتشيع اهدافا مختلفة ومتباينة في الاصل والمبدأ وذلك تبعـــا لاغراض الناس وتباين طباعهم ونتيجـة لهذا التباين فقد كانت الاهـداف على النحو التالى :

أولا :— الايمان (١) بأحقية علي بالخلافة والذين تشيعوا لهذا الهدف هم المخلصون من الشيعة وهم انصاره .

ثانيا :— تشيع قوم لأجل كراهية الحكم الأموى ثم العباسى لظلمهم فيـه .

ثالثا :— قد تشيع قوم من الموالى لأنهم رأوا ان الحكم الأموى مطبــوع بالتعصب للقومية العربيـة . ولهذا الهدف بالذات تشيع قوم من الفرس خاصـة .

رابعا :— تشيع قوم لانهم ارادوا الانتقام من الاسلام وهؤلاء لما رأوا قوة الاسلام فلم يستطيعوا مدافعته بالقوة دخلوا فيه فنظروا فلم يجدو طريقا للنيل منه وصرف الناس اليهم الا باظهار محبة اهل البيت وذكر محاسنهم والبكاء على ما نالهـم من جانب الحكام من اضطهاد وبذلك يكسبون الشعبية وهذا ما هدف اليه عبدالله ابن سبأ اليهودى وهو بعينه ما يهدف اليه بعض من دخل في الاسلام من الفرس .

يقول الاستاذ احمد أمين : (٢)

والحق ان التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من اراد هدم الاسلام لعداوة اوحقد ومن كان يريد ادخال تعاليم اباته من يهوديه ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء يتخذون حب أهـــل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت اهواؤهم فاليهودية ظهرت في التشيـع

---

(١) راجع (اهم الفرق الاسلامية) ص ٧٢

(٢) راجع فجر الاسلام ص٢٧٦

بالقول بالرجعة وقال الشيعة ان النار محرمة على الشيعى الا قليلا كما قال اليهود ﴿ لن تمسنا النار الا اياما معدودات ﴾(١)

والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح امين وقالوا ان اللاهوت اتحد بالناسوت في الامام وتستر بعض الفرس بالتشيع فحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم الا كره العرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم •

(٨) مواطن التشيع

ان التشيع قد استوطن بلدانا كثيرة من العالم الاسلامي قديما وحديثا وان كان وجودهم في تلك البلدان يختلف قوة وضعفا وقلة وكثرة •

فالشيعة : يوجدون على نسب مختلفة في كل من الأوطان الآتية :

(١) العراق (٢) ايران (٣) باكستان (٤) تركيا (٥) افغانستان (٦) الهند (٧) الصين (٨) الاتحاد السوفيتي (٩) اندونيسيا (١٠) ماليزيا (١١) سيلان (١٢) سنغافورة (١٣) البانيا (١٤) افريقية الشرقية (١٥) الصومال •

هذا ومن الدول العربية :

(١) لبنان (٢) سوريا (٣) الكويت (٤) البحرين (٥) قطر (٦) مسقط (٧) عمان (٨) دبي وجميع دول الخليج (٩) القطيف (١٠) الاحساء (١١) اليمن ودول المغرب العربي •

ونحن هنا نخص بالذكر على وجه التفصيل مواطن التشيع الهامة وهى كالتالى :

(العراق) :

ان العراق كان مهدا وموطنا للتشيع منذ بدايته فهو من مواطنه الاصلية (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٨٠

(٢) راجع تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٣٨

وذلك ان الشيعة اتخذت العراق مستقرا ومقاما لها بينما كانت مكة والمدينة للسنة والشام كانت اموية .

اما العراق فكما قلنا : شيعية . وهناك اسباب وظروف اقتضت تقبل هذا الاقليم من العالم لهذا المذهب دون تردد .

ومن هذه الاسباب استيطان علي بن ابي طالب للعراق حيث نقل الخلافة من المدينة الى الكوفة فاقام في العراق مدة خلافته وهذا سبب هام في تقبل التشيع دون توقف اوتروى : اضافة الى ما حصل لعلي رضي الله عنه واهل بيته من النكبات على مرأى ومسمع من اهل العراق وهو الأمر الذى جعل قلوب اهل العراق تتعاطف معه ومع ابنائه من بعده فيما نزل بهم من المحن وذلك بالتشيع لهم وقبول كل ما امتلأ به هذا التشيع من الافكار والعقائد .

ومن هذه الاسباب ايضا ان العراق كان مهدا للدراسات وفي اهلها ذكاء وفطنة كما كان ملتقى الحضارات القديمة ففي العراق علوم الفرس وعلوم الكلدان وقد ضمت الى هذا فلسفة اليونان وفكار الهنود .

وقد امتزجت هذه الحضارات وتلك الافكار والنظريات في العراق .

ولذا كان العراق المنبت الذى نبتت فيه اكثر الفرق الاسلامية وخصوصا ماله علاقة منها بالفلسفة .

ومن هنا نلاى ان الشيعة قد امتزجت بآراء فلسفية كثيرة تتلاءم مع بيئة ال العراق الفكرية . (١)

وفى العراق (النجف الاشرف) الذى يعتبر مركزا هاما من مراكز الشيعة ومحط امالهم و هوفي منتهى القداسة عندهم . (٢)

والنجف مدينة تقع على ثلاثة اميال غربى الكوفة والنجف تغمره القباب

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٣٩

(٢) راجع دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٢٧٨

والمشاهد في مقبرة لا تدرك العين مدى اتساعها و يكثر فيها قبور العلويين ومن ثم تتعلق بها قلوب الشيعة في كل مكان • و يزعم الشيعة ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه مدفون في (النجف) •

وفي العراق أيضا (كربلاء) وتقع جنوب غربي بغداد وفي كربلاء مقبرة الحسين بن علي السبط رضي الله عنهما وكربلاء من اعظم مزارات الشيعة وفي غاية القداسة عندهم وقد نظموا لزيارتها مواسم عامة وخاصة •

وفي العراق ايضا (الحلة) المعروفة بالتشيع وتقع في الجنوب الغربي من بغداد — والحلة كانت في وقت من الاوقات دار العلم للشيعة وذلك في القرن الخامس وما بعده وكانت اليها الهجرة وخرج منها جماعة من اجلاء علماء الشيعة وفقهائهم وادبائهم ثم انتقل التدريس منها الى كربلاء ، والنجف ثم انحصر في النجف •

وقد قامت في القرن الخامس الهجرى دولة بني مزيد الشيعية في (الحلة) ومؤسس هذه الدولة الشيعية على بن سيف الدولة بن مزيد الاسدى• (٢)

والى الحلة ينسب ابن المطهر الحلي صاحب (منهاج الكرامة) الذى يعتبر من ابرز متكلمى الشيعة الأمامية المتاخرين وقد الف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابه (منهاج السنة) في الرد عليه وسيمر بك في هذه الرسالة كثير من تقولات ابن تيمية عنه مع الرد عنها ان شاء الله تعالى •

(ايران):

تعتبر ايران موطنا من مواطن التشيع ومنبعا من منابعه الاصيلة قديما وحديثا والسنيون في ايران اقلية ضئيلة بالنسبة الى الشيعة فان الدولة القائمة في ايران الان على المذهب الجعفرى الاثني عشرى •

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٣٢٩

(٢) راجع المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٩١

وأهم المدن الشيعية المدن التالية :

(قم) — وقم بالضم والتشديد اول من مصرها طلحة بن الاحوص الاشعرى واهلها كلهم شيعة امامية واصل ذلك ان سعد بن عبيد الله بن سعد بن مالك ابن عامر الاشعرى كان قد تربى بالكوفة فانتقل منها الى (قم) وكان اماميا وهو الذى نقل التشيع الى اهلها فلا يوجد بها سنى قط ٠ (١)

ويقول حسن الامين (٢) : واهل قم شيعة غالية ٠ وفي مدينة (قم) الان يقيم آية الله الخمينى الزعيم الروحى لايران ٠

(مشهد) — ومن (٣) المدن الشيعية والمقدسة عند الشيعة مدينة (مشهد) وقد اقيمت هذه المدينة الايرانية على انقاض مدينة (طوس) وذلك بعد دفن الامام على بن موسى الرضا فيها وهو الامام الثامن في سلسلة الائمة الاثنى عشر ٠ فانتقل العمران من طوس الى جوار قبر الامام المذكور وهي من امهات المدن الايرانية في القدسية ٠ وتقع هذه المدينة في اقليم خراسان ٠ و يعتبر هذا الاقليم في الوقت الحاضر المقاطعة التاسعة من مقاطعات ايران وهو اكبر المقاطعات الايرانية ويقع في الشمال الشرقي من ايران ونسبة الشيعة في اقليم خراسان اكثر من تسعين في المائة ٠

والى هذا الاقليم ينسب : ابو مسلم الخراساني الذى كان له دور كبير في الدعوة الى نصرة اهل البيت النبوى ٠

(الرى) — مدينة مشهورة وتقع في طرف من اطراف طهران : وتتكون فيها ثلاث طوائف الشافعية وهم الاقل والحنفية وهم الاكثر والشيعة وهم السواد الاعظم حيث يعادلون نصف سكان الرى ٠ (٤)

---

(١) راجع تعليقات محي الدين على (المقالات ج ١ ص ١٣٥)
(٢) دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٦٧
(٣) راجع المصدر السابق ج ١٢ ص ٤٤
(٤) راجع المصدر السابق ج ١٢ ص ٤٧

(سجستان) — وسجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة جنوبي هراة • وهذه الولاية من تشيعها انه لم يلعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب في منابرهم في عهد بني امية برغم العمل بهذه السنة السيئة في منابر المسلمين شرقا وغربا •

(الباكستان) :

ان من اهم مواطن التشيع (باكستان) واهم مواطنه في الباكستان المدن التالية :

(كراتشي) — فكراتشي في الوقت الحاضر تعد من اهم مواطن الشيعة في الباكستان : يقول الاستاذ حسن الامين : وبعد تقسيم القارة الهندية اصبحت كراتشي اكبر موطن للشيعة في الباكستان اذ هاجر الشيعة فيمن هاجر من مسلمي الهند وقصد كثير منهم الى كراتشي فنشأت لهم احياء جديدة وهي (رضوية) و (كلاليمار) و (الفردوس) وهذه الاحياء الثلاثة شيعية بحتة ويجتمع الشيعة في احياء اخرى وفي جميع احيائهم لهم مساجدهم وحسينيات وجمعيات (١)

(سركودها) — وهي من المدن الباكستانية ويبلغ عدد الشيعة فيها خمس السكان للشيعة فيها خمس حسينيات ومؤسسة علمية تعمل هذه المؤسسة العلمية بارسال الطلاب الى النجف على حسابها • (٢)

٣ـ(سيالكوت) — وسيالكوت من المدن الباكستانية والتشيع في هذه المدينة قديم لكنه ازدهر في القرن التاسع عشر الميلادي (٣) •

٤ـ (شيكر) — وشيكر من المدن الباكستانية ايضا واكثرية سكانها من الشيعة ولهم فيها العديد من المساجد والحسينيات التي يطلقون عليها (المأتم) (٤)

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ١٦٨

(٢) المصدر السابق ص ٨٢

(٣) المصدر السابق ص ١١٣

(٤) المصدر السابق ص ١١٧

٥ - (تتـــة) — وتـتة من اقدم بلاد السند وهي اليوم من المدن الباكستانية و يقطنها كثير من الشيعة لهم فيها مساجدهم وحسينياتهم العديدة • (١)

٦— (حيدر اباد) — وحيدر اباد من امهات المدن الباكستانية التي يقطنهـــــــا الشيعة في احيائها •

واما في مقاطعتها فلا تخلو مدينة ولا قرية من الشيعـــة باعداد مختلفة تكثر او تقل في كل بلدة وللشيعة في حيدر اباد جمعيات متعددة • جمعية الرسالة الحسينية والجمعية الامامية والجمعية الحيدرية والجمعية الخوجا الاثنـــى عشرية • واكثر ما تقوم به هذه الجمعيات العناية بالحفلات الموسمية لمواليـــد الائمة ووفياتهم • (٢)

(الهنـــــــد) :

ومن مواطن التشيع الهند : ومن اهم مدن الهند الكبرى التـــــي يقطنها كـثير من الشيعة (حيدر اباد الدكن) (٣)

(افغانستان) :

و يقطن الشيعة في افغانستان وفي (الجوزجان) التي استشهـــــد فيها يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهـــم • يقول الاستاذ حسن الامين : وله مزار عامر يقصد من كل مكان • (٤)

(تركســتان) :

ومن مواطن التشيع تركستان وتقع في اسيا الوسطى وهي تشمل بخارى وما ز وراء النهر وكانت بلادا اسلامية حتى استولت عليها روسيا الشيوعية فشـــــردت المسلمين •

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٣
(٢) المصدر السابق ص ٤١
(٣) المصدر السابق ص ٣٢
(٤) المصدر السابق ص ٣٢

كما يوجد في الاتحاد السوفييتي بعض المسلمين وهم ما بين سني وشيعي[١].

(تركيا) :

ومن مواطن التشيع تركيا حيث يقطنها عدد كبير من الشيعة يناهز الثلاثة ملايين نسمة واكثريتهم في مناطق الحدود بين روسيا وايران و يبلغ نسبة عددهم خمسا وسبعين في المائة في مدينة (قارص) وتسعين في المائة في مدينة (غـذر) ومائة بالمائة في بعض الاقضية والقرى الاخرى.[٢]

(الجزيرة العربية) :

و يقطن عدد كبير من الشيعة في الجزيرة العربية لا سيما في دول الخليج حيث ان تلك الدول تتاخم بلاد فارس مقر التشيع الأصيل.

ففي قطر يكثر عدد الشيعة وهؤلاء بعضهم من ابناء البلاد والبعض الاخر من اصل ايراني اوباكستاني ولهم فيها العديد من المساجد والحسينيات[٣] كما يوجد الشيعة في الكويت والبحرين والامارات العربية كما قلنا : كما يوجدون في (الاحساء) و (العوالي) بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.

(اليمن) :

اما اليمن فكانت موطنا للتشيع منذ استقر الزيديون[٤] فيها ولا يزالون حتى الان ومؤسس[٥] المذهب الزيدي الاول في اليمن هو الامام الهادي عبد الله بن القاسم وقد بلغ عدد الائمة من الاول الى محمد البدر ١٦٠ اماما وكان بداية حكم الزيدية في اليمن سنة ٢٨٤ هـ.

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٨ ومابعدها

(٢) المصدر السابق جـ٩ ص ٣٧

(٣) المصدر نفسه ص٦ ٢٢

(٤) راجع (الفكر الشيعي) ص ٤٢

(٤) راجع دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٧٠

(الشـام) :

اما الشام فكانت اموية وقد كان بنو امية قد اتخذوا الشام مقـرا للخلافة طوال حكمهم ومضادة اهل الشام للشيعة امر معلوم ولذا كان من الغريب استيطان التشيع لهذا الاقليم واستيطان التشيع للشام كان على النحـو التالي :

كثر التشيع في (دمشق) في القرن الرابع الهجري [١] و يذكر صاحب (دائرة المعارف الشيعية) عن ابن جبير في رحلته التي كانت في القـرن السابع الهجري في الكـلام على (دمشق) انه قال : وكثرة الشيعة بتلبـك البلاد امر عجيب لانهم اكثر من السنين بها اما الان فيقول صاحب (دائرة المعارف الشيعية) [٢] يوجد في دمشق عدة الوف من الشيعة • والشيعة في حمص تبلغ العدد الا انه يوجد حوالي حمص عدة قرى اهلها شيعة وقـد عد في (دائرة المعارف الشيعية) اثنى عشرة قريـة وذكر ان هذه القرى المجاورة (لحمص) اهلها شيعة [٣] •

كما يقطن عدد كبير من الشيعة (لبنان) وفي لبنان " جبل عامل " [٤] الذي اشتهر بالتشيع ويشمل هذا الجبل مدينة (صيدا) وقرى (كوكبا) و (برغز) و (سوق الخان) و (الخالصـة) والعامليون [٥] يزعمون ان تشيع جبلهم يرجـع الى الصدر الاول من الاسلام وان ابا ذر هو الذي نزل هذا الجبل حين نفاه معاويـة تبذر فيه بذرة التشـيع فنمت وترعرعت فاستمـر

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٥٢
(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٢
(٣) نفس المرجع السابق ص ٤١
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٥
(٥) نفس المرجع السابق ص ٢٦

التشيع لهذا الجبل بالذات : يقول الاستاذ حسن الامين : هذا ما يتداوله العامليون جيلا بعد جيل وليس هناك مصدر تاريخي يؤيد هذا الامر الا الشهرة الموروثة من العامليين سلفا عن خلف دون استناد الى مصدر اللهم الا أن المؤرخين ذكروا ان اباذر لما نفاه معاوية حينما ضاق به ذرعا فنفاه الى جبل من جبال الشام دون ان يتعرض المؤرخون الى تعيين الجبل ويستند العامليون بان الجبل جبلهم بوجود مسجدين ينسبان الى ابي ذر الغفاري في قريتين من قراهم .

ثم قال : الاستاذ حسن الامين (١) وسواء صح هذا ام لم يصح فالذي لا ريب في صحته ان القرن الرابع الهجري قد شهد مدا شيعيا متعاظما كان سببه قيام دولة شيعية في العراق وايران والشام وشمال افريقيا ومصر حيث كان البويهيون والحمدانيون والفاطميون والادارسة فوجد التشيع حريته فانتشر انتشارا كبيرا وكان جبل عامل في حكم الفاطميين وظل كذلك حتى سقط كغيره من بلاد الاسلام في يد الصليبيين .

وينسب الى هذا الجبل كثير من العلماء .

التشيع في افريقيا :

ان التشيع قد استوطن (مصر) (٢) ابتداء من عهد عثمان رضي الله عنه اذ وجد الدعاة فيها ارضا خصبة وكانت دعوة عبدالله بن سبأ قد وجدت آذانا صاغية في مصر الا ان الدعوة سرعان ما انتقلت الى العراق فاتخذتها مستقرا ومقاما لها كما مر ثم لما فر ادريس بن عبدالله بن الحسن الى افريقيا تمكن من تأسيس دولة له فيها وهذه الدولة شيعية وان عبدالله بن المهدي استطاع ان يؤسس له ملكا في افريقيا الشمالية ثم انتقلت الدولة الى مصر واستطاعت ان تستولي على الشام وكانت هذه الدولة الاسماعيلية الفاطمية . (٣)

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٢٦

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٣٨

(٣) راجع الفكر الشيعي ص ٤٢

وفي (١) عهد هارون الرشيد بدأ حكم بني الاغلب في (تونس) بتولي ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقيا وظل ابناؤه يتوارثون الحكم حتى قضى على دولتهم سيطرة الفاطميين بقيادة ابى عبدالله الشيعى وفي سنة ٢٩٧ هـ دخل عبدالله المهدى الى القيروان وبويع بالخلافة ثم اخذ الفاطميون يوطدون اركان دولتهم فأسسوا عاصمتهم الجديدة في (تونس) سنة ٣٠٨ واسموها المهدية واستطاعوا ان يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب بعد ان قضوا على دولة الخوارج الاباضية في الجزائر ودولة الخوارج الصفوية الاخرى (بسجلمات) والادارسة في (فاس) (٢)

وقامت دولة الموحدين بالمغرب على اسس شيعية واتجاه شيعي يقول صاحب دائرة المعارف الشيعية : ان دولة الموحدين التي قامت (بالمغرب) كانت قد قامت على أسس شيعية وكان ادبها ادبا شيعيا لا سيما الشعر وما وصلنا من شعر شعراء تلك الدولة يرينا الى اى مدى تشيعهم حيث كان عريقا اصيلا . (٣)

وكانت (طنجة) من مواطن التشيع (٤) ذكرها الياقوت .

ومن مواطن التشيع زنجبار وتقع زنجبار في سواحل افريقيا الشرقية على المحيط الهندى .

قال الاستاذ حسن الامين في دائرة المعارف الشيعية (٥) .

وفي زنجبار عدد غير قليل من الشيعة ويعود اصل هؤلاء الشيعة الى مهاجرين من الهند وايران والبحرين ومسقط والعراق . وللشيعة في

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٩

(٢) المرجع السابق ص ٩

(٣) المرجع السابق ص ١٠

(٤) راجع تعليقات محى الدين على المقالات ج ١ ص ١٣٥

(٥) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٦٧

زنجبار مسجدان كبيران واربع حسينيات كبيرة وحوالى عشر ين حسينية صغيرة وعدة مدارس وفيها دار ضيافة ينزل فيها غرباء الشيعة . ويعود تاريخ اقامة المآتم الحسينية في زنجبار الى عام ١٨٥٠ م في عهد السلطان برغش حيث كان عنده قائد عسكرى ايراني ادى له ولبلاده الكثير من الخدمات مما حمل السلطان على ان يبدأ في اقامة المآتم في زنجبار واقيم اول مأتم في قصر السلطان نفسه .

طبيعة التشيع في افريقيا

و طبيعة التشيع في افريقيا تتلخص في حب علي وآله و يستوى في ذلك عالمهم وجاهلهم جبلة في طباعهم حتى ان نساءهم عند طلق الولادة تنادى احداهن (يا محمد يا على) وكان الامام الشاذلى يقول : لاصحابه اذا اشتد عليكم كرب فقولوا (يا محمد يا على) .

هذا ما نقله حسن الامين من كتاب (اتحاف اهل الزمان باخبار تونس)
ثم قال الاستاذ حسن الامين : هذا كل ما بقي من اثار التشيع في (تونس) من العهد التركي حتى الاستقلال (١)

و هكذا تجد في بلاد افريقيا عامة من بقايا التشيع فتجد اهل العلم والعوام على حد سواء يعتنون بمناقب علي رضى الله عنه وحروبه وانتصاراته فتجدهم وهم عاكفون على قراءة الكتب التي تذكر هذا الجانب بينما لا تجد ذكرا لبقية الصحابة الشجعان كخالد بن الوليد و سعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام وغيرهم .

غير انهم لا يقعون في الصحابة بل يترضون على الجميع .

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٩

٩ ― فرق الشيعة وظهور الامامية الاثنى عشرية

ان اختلاف الشيعة مبنى على اختلافهم واضطرابهم في سوق الامامة وتسلسلها ولهم في ذلك خبط ومذاهب لاحصر لها لان الراى اذا كان مبنيا على هوى ولم يكن مبنيا على نص شرعي صحيح كانت نهايته هذا التهافت وهذا الخبط ٠

قال الشهرستاني و يجمعهم " يعني الشيعة " القول بالتعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة والانبياء وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا الا في حال التقية و يخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الامام كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية توقف ومقالة ومذهب وخبط[1] وذكر البغدادى في كتابه (الفرق بين الفرق) ان الشيعة السبئية (منهم) اظهروا بدعتهم في زمان على رضى الله عنه وقد قال بعضهم لعلى لأنت الاله فاحرق على قوما منهم ونفى ابن سبأ اليهودى زعيم الطائفة السبئية الى ساباط المدائن وهذه الفرقة ليست من فرق الاسلام لنسبتهم عليا اليها ٠

ثم ذكر البغدادى رحمه الله تعالى ان الرافضة افترقت بعد زمان على رضى الله عنه الى اربعة اصناف زيدية وامامية وكيسانية وغلاة ٠[2] هذا تقسيم البغدادى لاصناف الشيعة اما الشهرستانى[3] فيزيد صنفا خامسا وهو الاسماعيلية وجعله صنفا مستقلا بنفسه والظاهر ان البغدادى عد الاسماعيلية من الغلاة واقتصر على الاصناف الا ربعة السالفة الذكر ٠

اما صاحب التحفة فيذكر تقسيما اخر لفرق الشيعة فيقول ما نصه :[4]

---

(١) الشهرستاني ج ١ ص ١٤٧

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢١

(٣) ج ١ ص ١٩١

(٤) التحفة ص ٣

اعلم ان الشيعة الذين يدعون مشايعة على كرم الله وجهه ومتابعته وحبه الذى افترضه الله على عباده اربع فرق :

الفرقـــة الاولى

الشيعة الاولى ويسمون بالشيعة المخلصين وهم عبارة عن الذين كانوا في وقت خلافته كرم الله وجهـــه من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان كلهم عرفوا له حـــقه فاحلوه من الفضل محله ولم ينقصوا احدا من اخوانه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا على اكفاره وسبه غير ان منهم من قاتل معه على تأويل القرآن كما قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على تنزيله وقد كان معه رضى الله عنه في حرب صفـــين من اصحاب بيعة الرضوان ثمانماءة صحابى وقد استشهد منهم تحت رايته هناك ثلاثماءة ومنهم من تقاعد عن القتال تورعا واحتياطا لشبهة عرضت له ، لكنه مع ذلك كان قائما بمحبته وتعظيمه ونشـــر فضائله وذلك لا يقصر بكثير عن القتال معه ٠

ومن مشهورى هذا الصنف عبدالله بن عمر رضى الله عنهما وقد زالت شبهته بعد ذلك فندم غاية الندم على قعوده وتخلفـــه عن الأمير كرم الله تعالى وجهـــه لكن فات ذاك وتعذر الاستدراك ٠

وهذا يشبه من وجه ما كان من محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه من التوقف يوم الجمل حتى قال له الامير كرم الله تعالى وجهـــه : ويحـــك اتتوقف وابوك سابقـــك ومنهم من غـــلب عليه القضاء والقدر فوقع منـــــه ما ادى الى قتاله كـطلحة والزبـــير وام المؤمنين عائشـــة رضى الله عنها ، فهـــم وان وقع بينهم وبين الامير ما وقع يوم الجمل فهم محبون له عارفون له فضله كما انه رضى الله عنه في حقهم كذلك وليس بين ذلك وبين القتال الواقع فى البيـــــن تـــنافى لان القتال لم يكن مقصودا بل وقع عن غـــير قصد لمكر من قتلـــة عثمان رضى الله عـــنه الذين كانوا بعشائرهم في عسكر الامير اذ غـــلب على ظنهم من خلوته بطلحـــة والزبيـــر انه سيسلمهم الى اولياء عثمـــان بن عفـــان فأطـــاروا

من نبران غدرهم شرارا ومكروا مكرا كبارا فاوقعوا القتال بين الفريقين ووقع ما وقع انشاء وان أبى ابو السحنين فكل من الفريقين كان معذورا وكان امر الله قدرا مقدورا مع العلم بان ظهور هذه الفرقة من الشيعة كان عام ٣٧ هـ •

الفرقة الثانية

الشيعة التفضيلية وهم عبارة عن الذين يفضلون الامير كرم الله وجهه على سائر الصحابة من غير اكفار واحد منهم ولا سب ولا بغض كابى الاسود الدؤلى وكتلميذه ابى سعيد يحيى بن يعمر احد قراء البصرة وكسالم بن ابى حفصة راوى الحديث عن الامامين الباقر وابنه الصادق رضى الله تعالى عنهما وكعبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث وكابي يوسف يعقوب بن اسحاق المعروف بابن السكيت صاحب (اصلاح المنطق) في اللغة وخلق آخرين وبعض متاخرى الصوفية •

الفرقة الثالثة

الشيعة التبرئية وهم عبارة عن الذين يسبون الصحابة و يتبرءون منهم الا قليلا منهم كسلمان الفارسى والمقداد بن الاسود وابى ذر الغفارى وعمار بن ياسر رضى الله عنهم •

بل نسبوا الى الصحابة رضوان الله عليهم الكفر والنفاق والعياذ بالله تعالى وقد وصموا الصحابة بالارتداد خصوصا من حضر (غدير خم) لتواطؤهم على كتمان الوصية بعلى رضى الله عنه وقد كانت هذه الفرقة باغواء من ابن سبأ اليهودى ولذا يقال لهذه الفرقة السبئية نسبة الى ابن سبأ ولعل ذلك كان مذهبا له في خطوته الاولى قبل دعواه في على بن ابي طالب رضى الله عنه الالوهية •

فكان موقف على رضى الله عنه من هذه الفرقة البراءة والانكار الشديد كما تمثل ذلك في عديد من خطبه على منبر الكوفة وقد نوه فيها على فضل الشيخين

وتقدمهم في الاسلام وقد ظهر هذا الصنف من الشيعة في عهد على كرم الله وجهه وعند ظهور هذه الفرقة تحرز الشيعة المخلصون من تسميتهم بالشيعة خوفا من الالتباس وكراهة للاشتراك الاسمي مع اولئك فلقبوا انفسهم باهل السنة والجماعة •

الفرقة الرابعة (١)

الشيعة الغلاة وهم القائلون بالوهية امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه وكان موقف على رضى الله عنه من هذه الفرقة قتل من صح عنده انه قال بالوهيته وكانت هذه الفرقة باغواء من ابن سبأ ايضا السالف الذكر ولعل هذه المغالاة هي الخطوة النهائية لا بن سبأ اليهودى لعنه الله هذا النوع من التشيع ظهر في زمان على بن ابي طالب رضى الله عنه ثم افترقت الشيعة كما تقدم عن البغدادى والشهرستانى الى زيدية وكيسانية والامامية وغلاة ويبدو ان صاحب التحفة لم يذكر من الوان الشيعة واصنافهم الامالة وجود في زمن الامام على رضى الله عنه اما البغدادى والشهرستانى وغيرهما ممن كتب عن الفرق والمقالات فقد ذكروا اصناف الشيعة سواء ما كان في زمن على رضى الله عنه او بعده •

ومن هنا يمكن لنا الحكم بان اقسام الشيعة والتي يمكن ان تخص بالبحث ولها العناية من الكتّاب والباحثين في الفرق والمقالات هي اربعة :

الزيدية ، الامامية ، الكيسانية ، والغلاة •

(١) اما الزيدية فامهات فرقهم ثلاث : الجارودية والسليمانية والتبرية •

والجارودية اتباع ابي الجارود وهم القائلون (٢) بان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضى الله عنه بالوصف دون الاسم والناس قد قصروا حيث لم يعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف • (٣)

---

(١) التحفة الاثني عشرية ص٩

(٢) الشهرستاني جـ ١ ص ١٧٨ (٣) البغدادى ٣١

وهناك اختلاف ونزاع في الجارودية في التوقف وسوق الامامة حيث ان بعضهم ساق الامامة من على رضى الله عنه الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى على بن الحسين زين العابدين ثم الى ابنه زيد بن على الى الامام محمد بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن ابي طالب والذين قالوا بامامة محمد بن عبدالله الامام من الجارودية اختلفوا في موته فمنهم من قال انه لم يمت وانه سيعود فيملأ الارض عدلا وبعضهم اقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين .

اما السليمانية فهم اتباع سليمان بن جرير الزيدى الذى يقول ان الامامة شورى بين الخلق فتصح امامة المفضول مع وجود الافضل وقالوا بصحة امامة ابي بكر وعمر الا ان الناس تركوا الاصلح والافضل وان الامامة تنعقد ببيعة رجلين من خيار المسلمين .

اما البترية ويقال لها الصالحية : فهم اتباع رجلين احدهما الحسن بن صالح بن حي والثانى كثير الابتر وهما متفقان في المذهب ومذهبهما في الامامة كالسليمانية الا انهم توقفوا في عثمان رضى الله عنه اما سليمان بن جرير فقد حكم بكفر عثمان رضى الله عنه .

وقد اقتصر البغدادى على ذكر هذه الفرق الثلاث للزيدية . اما الاشعرى (١) فقد اضاف ثلاث فرق اخرى فتكون مجموع الفرق ستا الثلاث السابقة الذكر .

والرابعة : النعيمية : اصحاب نعيم بن اليمان وهم القائلون بان عليا كان مستحقا للامامة وان عليا افضل الناس بعد رسول الله وان الامة ليست مخطئة خطأ اثم من تولية ابي بكر وعمر ولكنها مخطئة في ترك الافضل وتبرؤا من عثمان ومن حارب عليا رضى الله عنه .

---

(١) جـ ١ ص ١٤٤

والفرقة الخامسة : من الزيدية يتبرؤون من ابي بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الاموات قبل يوم القيامة .

والفرقة السادسة : اليعقوبية من الزيدية وهم يتولون ابا بكر وعمر ويتبرؤون ممن تبرئ منهما وينكرون رجعة الاموات ويتبرؤون ممن دان بها .

وسميت هذه الفرقة من الشيعة بالزيدية لتمسكهم بقول زيد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب وكان زيد قد بويع له في الكوفة وكان يفضل عليا الا انه كان يتولى الشيخين ولا يذكرهما الا بخير فلما اظهر ذلك لاصحابه الذين بايعوه بالكوفة رفضوه فقال رفضتموني وسموا رافضة وسميت البقية الباقية معه بالزيدية لانهم لازموه بعد رفض اولئك له حين ابى ان يتبرأ من الشيخين رضى الله عنهما . (١)

والزيدية ساقوا الامامة في اولاد فاطمة رضى الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم الا انهم اشترطوا في الامام بعد كونه فاطميا ان يكون عالما شجاعا سخيا مع اشتراط خروجه على الوالى في عصره وسواء من توفرت فيه هذه الشروط من اولاد الحسن او اولاد الحسين رضى الله عنهما . ومن هنا جوز بعضهم امامة محمد وابراهيم ابنى عبدالله بن الحسن بن الحسن الذين خرجا بالمدينة ايام المنصور .

اما الكيسانية من الشيعة فهم اتباع المختار بن ابي عبيد الثقفي الذى قام بثأر للحسين بن على والانتقام من قتلته رضى الله عنه .

فقتل اكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء والمختار قيل انه يقال له كيسان وقيل انه اخذ مقالته هذه من كيسان مولى لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وهذا الصنف من الشيعة يقال له المختارية نسبة الى المختار هذا .

وقد افترقت الكيسانية الى فرقتين : فرقة تقول بموت محمد بن الحنفية وفرقة تقول انه حى لم يمت والذين قالوا بموت محمد بن الحنفية قالوا بسوق الامامة

---

(١) الاشعرى في المقالات جـ ١ ص ١٣٦

(٢) الشهرستانى جـ ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٥

فمنهم من زعم ان الامامة بعده رجعت الى ابن اخيه علي بن الحسين زين العابدين ومنهم من يقول بسوقها الى ابنه ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية هذا ما ذكره البغدادي واما الشهرستاني فذكر أنه فرق الكيسانية اربع :

المختارية وتقدمت والهاشمية والبيانية اتباع بيان بن سمعان التميمي قالوا بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه والرزامية اتباع رزام بن رزم وقد ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابنه ابي هاشم ثم منه الى علي بن عبدالله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي واوصى الى ابنه ابراهيم الامام .

والبغدادي ذكر البيانية في فرق الغلاة لانهم يقولون بالوهية علي ابن ابي طالب .

وجميع فرق الكيسانية يجمعها امران :

١ — القول بامامة محمد بن الحنفية

٢ — والقول بجواز البداء على الله تعالى

وهم مختلفون في سبب امامة محمد بن الحنفية حيث قال قوم منهم بان الامامة صارت اليه بعد ابيه مباشرة .

وقال اخرون بل صارت اليه الامامة بعد اخيه الحسين بوصية منه .

واول من قام بدعوة الكيسانية الى امامة محمد بن الحنفية : المختار بن ابي عبيد الثقفي (١) فاستطاع المختار استمالة شيعة الكوفة اليه بدعوى ان ابن الحنفية قد ارسله ليأخذ له البيعة من شيعة الكوفة فاجتمع له سبعة عشر الف رجل ومن جملة من استماله اليه عبدالله ابن الحر الذي لم يكن في زمانه اشجع منه وابراهيم بن مالك الاشتر الذي لم يكن في شيعة الكوفة اكثر منه تبعا فخرج على والي ابن الزبير بالكوفة فوقعت الحروب بينهما كانت

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٤٣

النهاية انتصار المختار وبذلك استولى المختار على الكوفة فقتل كل من كـــان بالكوفة ممن شارك في قتل الحسين (بكربلاء) .

اما الغـــلاة من الشيعة فهم القائلون بالوهـــية الائمة من اهل البيت فقد اخرجوا الائمة عن حد الانسانية وبدعتهم كما قال الشهرستاني محصورة في اربـــع :

التشبيه والبداء والرجعـــة والتناســـخ وهم احد عشر صنفا :

١ — السبئية اتباع عبدالله بن سبأ الذى قال لعلى بن ابي طالب انت انــت يعنى انت الاله فنفاه الى المدائن .

٢ — والكاملية اصحاب ابي كامل الذى كفر الصحابة لتركهم بيعة على رضوان الله عليه وطعن في على رضى الله عنه لعدم مطالبته الحق الثابت له مع غـلوه في على رضى الله عـنه .

٣ — والعلبائية اصحاب علباء بن ذراع الدوسى وقيل الاسدى وكان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم .

٤ — والمغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد العجلى وكان يدعى النبوة بعد ان كان يدعى سوق الامامة من محمد بن على بن الحسين الى النفس الزكـية ثم مـــن النفس الزكـية اليه وقد استحل المحارم وغلا في على بن ابي طالب رضى الله عـنه

٥ — والمنصورية اتباع ابى منصور العجلى ومن ترهاته انه زعـم ان اول ما خلق الله عيسى بن مريم عليه السلام ثم على بن ابي طالب رضى الله عنه .

٦ — الخطابية اتباع ابي الخطاب محمد بن ابى زينب الاسدى ومن اباطيلـــه زعمه ان الائـمة انبياء ثم آلهـــة

٧ — الكيالية اصحاب احمد بن الكيال وله اقوال باطلة وتاويلات فاسدة .

٨ — الهشامية اتباع الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقى الذى نسج على منواله في التشبيه وهم من متكلمى الشيعة .

٩ — والنعمانية اصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول الملقب شيطان الطاق ويقال لها الشيطانية .

١٠ — اليونسية اصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي زعم ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهو من مشبهة الشيعة •

١١ — النصيرية والاسحاقية وقد غلوا في الائمة ونزلوهم منزلة الانبياء بل رفعوهم عن منزلة البشرية الى منزلة الالوهية (١) •

وعادة الكتاب في الفرق ذكر الغالية من الشيعة في باب مستقل وهذا المسلك هو الذى سلكه البغدادى والشهرستانى فان البغدادى ذكر ان مجموع فرق الشيعة عشرون فرقة :

الزيدية ثلاث فرق والكيسانية فرقتان والامامية خمس عشرة فرقة (٢) وقد تقدم تفصيل فرق الزيدية والكيسانية ولعل عدم ذكر هؤلاء الكتاب للغالية في تعداد فرق الشيعة يرجع الى عدم عدهم في فرق المسلمين •

والغلاة هم الذين بدأوا بظهور عبدالله بن سبأ وما اشاعه من العقائد الضالة المتعلقة بالامام على رضى الله عنه كبقائه حيا وصعوده الى السماء ورجعته اخر الزمان وحلول الروح الالهى فيه والقول بوصيته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الاقوال التي لا مجال لاطالة القول بذكرها •

وقد تتابع الغلاة بعد ابن سبأ فكانت لهم اباطيلهم الكثيرة فيما ينسبونه الى الائمة من العصمة والمعجزات وتناسخ الروح الالهى فيهم •

وكذلك العلوم السرية التي يختص بها الائمة وتجويز البداء على الله وتاويل النصوص وتغيير احكام الشريعة واباحة المحرمات الى آخره •

واما الامامية المخالفة للزيدية والكيسانية والغلاة فهم خمس عشرة فرقة •

(١) الكاملية (٢) والمحمدية (٣) والباقرية) (٤) والناوسية (٥) والشميطية (٦) والعمارية (٧) والمباركية (٨) والاسماعيلية (٩) والقطعية (١٠) والهشامية (١١) والاثنا عشرية (١٢) والزرارية (١٣) واليونسية (١٤) والموسوية (١٥) والشيطانية •

---

(١) الشهرستانى جـ ١ ص ١٧٣ الى ١٧٩

(٢) البغدادى ص ٢٣ (٣) البغدادى ص ٥٣

واذا جئنا الامامية الاثنى عشرية والاسماعيلية ثانيا نجد هاتين الفرقتين قد اتفقتا على سوق الامامة في ابنـاء فاطمة على النحو الآتى :

على بن ابي طالب فالحسن فالحسين فعلى بن الحسين زين العابدين فابنه محمد الباقر فابنه جعفر الصادق ثم يختلف الامامية الاثنا عشرية والاسماعيلية في سوق الامامة بعد جعفر الصادق اختلافا ادى الى تمييز كل منهما عن الاخرى بعد ان كانوا جميعا يجمعهم لقب الامامية فالاسماعيلية ساقوا الامامة بعد جعفر الصادق في اسماعيل بن جعفر ثم في محمد بن اسماعيل • ومن هنا لحقهم لقب الاسماعيلية ثم بعد محمد بن اسماعيل بدأ دور الائمة المستورين الذيـن يسيرون في البلاد سرا ويظهرون للدعاة جهرا • ومن هنا نشأت القرامطـة الباطنية • (١)

اما الامامية الاثنا عشرية فهم الذين ساقوا الامامة في ابن اخر من ابناء جعفر الصادق وهو موسى الكاظم •

ثم في بنيه من بعده حتى وصلوا بالائمة الى اثني عشر اماما توقفوا بعد ذلك عن سوقها في غيرهم من آل البيت تصديقا لما رووه من الاحاديث الدالة على ان الائمة سيكونون اثنى عشر آخرهم هو قائمهم ومهديهم المنتظر •

وقد ساقوا الامامة بعد جعفر الصادق فجعلوها كما قلنا في ابنه موسى الكاظم فعلى الرضا فمحمد الجواد فعلى الهادى فالحسن العسكرى فمحمد القائم وهو الامام الغائب المنتظر •

اما سبب افتراق الشيعة الى هذه الفرق وتسميتها بتلك الاسماء فانه يرجع كما قلنا الى اختلافهم في سوق الامامة وتسلسل الائمة فالزيدية هم الذين جعلوا الامامة في زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ثم في ابنه يحيى بن زيد وكانت لهم اراؤهم الخاصة في مسائل الامامة والمهدية والعقائد الدينية ولهم فقههم الخاص وهم يتميزون عن غيرهم من فرق الشيعة باعتدال ارائهم وقربهم نسبيـا من اهل السنة •

---

(١) الشهرستاني جـ ١ ص ١٩٢

وان كان ، اتباع زيد قد تطورت آراؤهم بعد امامهم حتى دخلها الغلو نتيجة لاتصالهم بغيرهم من الغلاة •

واما الكيسانية فهم الشيعة الحنفية الذين نادوا بامامة الامام محمد بن الحنفية وهو الابن الثالث لعلي بن ابي طالب ثم ابنه ابي هاشم واعتبروا محمدا مهديا غائبا ينتظرون رجعته وقد تشعبت الكيسانية بعد ابي هاشم الى فرق صغيرة تنتسب الى اصحابها غير آل البيت كالحربية والبيانية وقد دخلها الغلو فيما أثر عنها •

وليس غرضنا الحديث في هذا التمهيد عن تلك الفرق ورجالها وارائهم وانما نخص بهذا الحديث المفصل الامامية الاثني عشرية من بين هذه الفرق الخمس •

فدراسة تلك الفرقة هو موضوع هذه الرسالة •

الباب الأول

تاريخ الإمامية الإثني عشرية

الباب الأول

تاريخ الامامية الاثنى عشرية

الفصـــــل الاول

نشأة الامامية الاثني عشريـــــة

١ — ظهور الشيعة الاثني عشريـة :

يبـدأ دور الشيعة الامامية الاثني عشرية بالامام موسى الكاظـــــم بعد الامام جعفر الصادق عليه السلام بعد ان كان اسم الامامية يشمل فرق الامامية كلها ولكن بعد وفاة الصادق وقع الاختلاف في الامامية فافترقوا فرقـا بناء على اختلافهم في الامام بعد الصادق من اولاده الخمسة حيث ان الامام الصادق اعقـب خمسة اولاد وقيل ستة ٠

(١) محمد (٢) واسحاق (٣) وعبدالله (٤) وموسى (٥) واسماعيل (٦) وعلي (١)

ففرقة تقول بالنص على محمد بن جعفر الصادق وهذه الفرقة أنكـرت بموت الصادق وان الصادق اوصى بالامامة لابنه محمد ثم ساقوا الامامـة في اولاد محمد بن جعفر الصادق وزعموا ان المنتظر من اولاده وتسمى هذه الفرقـة بالشميطيـة نسبة الى محمد بن شميط وقيل يحيى بن ابي شميط وقيل سميط بالسين لا بالشين وهو من ابرز رجال هذه الفرقة ٠

وفرقة ثانية ساقوا الامامة من جعفر الصادق وزعموا ان الامام بعـــده هو ابنه الاكبر عبدالله الافطح ولذا تسمى بالافطحيـة وهو اخو اسماعيل لابيـــه وقد زعمت هذه الفرقـة بأن الصادق نص على ان الامام هو اكبر اولاده وهناك نصوص ذكروها عن الامام الصادق مشيرة الى انه هو الامام وتسمى هذه الفرقـة ايضا بالعمارية نسبة الى زعيم لهم يسمى عمارا ٠

وفرقـة ساقت الامامة من جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل وهم الاسماعيلية :

---

(١) الشهرستاني ج ١ ص ١٦٥

والاسماعيلية على فرقتين فرقة تقول برجعة اسماعيل وهي في انتظاره مع اتفاق اصحاب التواريخ على موت اسماعيل في حياة ابيه فهم يقولون انما اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس .

والفرقة الثانية من الاسماعيلية اقرت بموت اسماعيل في حياة ابيه لكنها قالت ان النص لا يرجع القهقرى بمعنى انه لا يرجع في الاخوة بل يبقى في عقب المنصوص عليه فتبقى الامامة في اولاده دون غيرهم وبناء على ذلك فالامام هو محمد بن اسماعيل وهؤلاء هم المباركية نسبة الى رئيسلهم يقال له المبارك (١) : ومحمد بن اسماعيل هو السابع من ائمة الاسماعيلية وبه تم دور الائمة الظاهرين ثم بدأ دور الائمة المستورين الذين يسيرون في البلاد سرا ويظهرون للدعاة جهرا ومن هنا نشأت القرامطة الباطنية (٢) .

واما اسحاق وعلى من اولاد الصادق فلم تكن هناك فرقة تدعى لهما النص والتعيين بالامامة : هذا ما ذكره الشهرستاني اما صاحب التحفة (٣) فقد ذكر من ضمن الفرق الامامية الاسحاقية نسبة الى اسحاق بن جعفر الصادق فيحمل قول الشهرستاني على ان الفرق البارزة هي هذه الاربع .

والفرقة الرابعة الموسوية وهذه الفرقة هي التي قالت بامامة موسى بن جعفر الصادق نص عليه بالاسم حيث قال الصادق عليه السلام سابعكم قائمكم او صاحبكم قائمكم الا وهو سمى صاحب التوراة (٤) . ومن الفرقة الموسوية نشأت الاثني عشرية التي نحن في صدد البحث عنها والموسوية على فرقتين : فرقة تقول ان موسى بن جعفر الصادق حي وانه هو المهدى المنتظر وهذه الفرقة وقفت على موسى الكاظم وقالت انه سيخرج بعد الغيبة ومن هذه

---

(١) راجع الشهرستاني ج ١ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ والبغدادى ص ٦٢ ـ ٦٣

(٢) الشهرستاني ج ١ ص ١٩٢

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ٣١

(٤) الشهرستاني ج ١ ص ٢٦٨

الفرقة نشأت الفرقة الممطورة وهي التي تقول نحن لا ندرى عن الامام موسى الكاظم وقد علمنا امامته وتشككنا في موته فلا نحكم بموته الا بيقين وقيل لهذه الفرقة ممطورة لان على بن اسماعيل قال في حق هذه الفرقة (ما انتم الا كلاب ممطورة) (١) والفرق بين الواقفة والممطورة ان الواقفة قطعت بحياة موسى الكاظم وانه سيخرج من غيبته وانه لم يمت وانه المهدى المنتظر .

اما الممطورة فهي مترددة وتقول انها لا تدرى اهو ميت ام حي الا انها قد علمت حياته وامامته . فلا تحكم بموته الا بيقين اذن هي متحيرة في امر موسى بخلاف الواقفة كما تقدم . (٢)

والفرقة الثانية من الموسوية القطعية وهي التي قطعت بموت موسى ومن القطعية نشأت الامامية الاثنا عشرية لان القطعية ساقت الامامة من جعفر الصادق الى موسى الكاظم ثم في اولاد موسى الى الثاني عشر قال الاشعرى في المقالات :

والقطعية انما سموا قطعية لانهم قطعوا على موت موسى بن جعفر بن محمد بن على وهم جمهور الشيعة يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بن ابي طالب واستخلفه بعده بعينه واسمه وان عليا نص على امامة ابنه الحسن بن على وان الحسن بن على نص على امامة اخيه الحسين بن على وان الحسين بن علي نص على امامة ابنه على بن الحسين وان على بن الحسين نص على امامة ابنه محمد بن على وان محمد بن على نص على امامة ابنه جعفر بن محمد وان جعفر بن محمد نص على امامة ابنه موسى بن جعفر وان موسى بن جعفر نص على امامة ابنه على بن موسى وان على بن موسى نص على امامة ابنه محمد بن على بن موسى وان محمد بن على بن موسى نص على امامة ابنه على بن محمد بن على بن موسى وان على بن محمد بن على بن موسى نص على امامة ابنه الحسن بن

---

(١) الشهرستاني جـ ١ ص ١٨٩

(٢) راجع البغدادى ص ٦٣ والاشعرى جـ ١ ص ١٠٣ في المقالات .

على بن محمد بن على بن موسى وهو الذى كان بسامراء وان الحسن بن على نص على امامة ابنه محمد بن الحسن بن على وهو الغائب المنتظر : وهو الثاني عشر في ترتيب الأئمة الاثنى عشر . (١)

وقد اشار محمد محي الدين في تعليقاته على المقالات الى ان القطعية غير الاثني عشرية وقال ان صنيع البغدادى يدل على ذلك . (٢)

والذى يبدو ان القطعية هم الاثنا عشرية وكلام البغدادى يدل على ان من القطعية من يقول ان الامام بعد موسى الكاظم هو سبطه على بن محمد ابن على بن موسى وهذا لا يمنع من ان جمهور الشيعة الاثنى عشرية تسمى ايضا بالقطعية لقطعهم بموت موسى الكاظم كما تقدم وهذا ما قرره الاشعرى و والشهرستاني وصرح البغدادى بذلك حيث قال : في معرض الكلام على القطعية :

ويقال لهم (الاثنا عشرية) ايضا لدعواهم ان الامام المنتظر هو الثاني عشر في نسبه الى على بن ابي طالب رضي الله عنه . (٣)

وهذا الترتيب الذى ذكرنا هو الذى مشى عليه ابن حزم في الفصل (٤) ونسبه الى جمهور الرافضة الا انه ذكر ان الحسن العسكرى مات عن غير عقب الا ان جمهور الشيعة الاثني عشرية على انه ولد له ولد فأخفاه وقيل ولد بعد موته من جارية له وقد وقع الخلاف في اسم الجارية وكذلك في وجود الولد عند وفاة ابيه بناء على انه ولد في حياة ابيه والقول في ذلك يأتي عند الكلام على الامام الثاني عشر : فالامامية الاثنا عشرية بدأ نشأتها بوجود القطعية من اتباع موسى الكاظم وهم الذين ساقوا الامامة في على بن موسى ثم في عقبه بعد ذلك . (٥)

---

(١) الاشعرى ج ١ ص ٩٠ والبغدادى ص ٦٤ والشهرستاني ج ١ ص ١٦٨

(٢) راجع المقالات محي الدين على الاشعرى ج ١ ص ٩٠

(٣) الفرق بين الفرق ص ٦٤

(٤) الفصل ج ٤ ص ١٨١

(٥) راجع الملل والنحل ج ١ ص ١٦٩

٢ — متى بدأ القول باثنى عشر اماما :

وهنا سؤال هل تميز هؤلاء القطعية باسم الاثنى عشرية ابتداء من قولهم بامامة علي بن موسى ام ان هذا اللقب جاء متاخرا .

او بعبارة اخرى هل بدأ القول بالائمة الاثنى عشر منذ ذلك التاريخ ام ان هذه الفكرة جاءت متاخرة فيما بعد معروف ان هناك احاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤداها ان الائمة اثنا عشر اماما لكن السؤال يظل باقيا متى رويت هذه الاحاديث ومتى بدأ اثباتها في الكتب وجريانها على الالسنة واعتبارها سندا اساسيا لقيام الامامية الاثنى عشرية والواقع في الاجابة على هذه الاسئلة ان الدراسة التاريخية تدلنا على ما يأتي :

أولا :— ان شيخ الاسلام ابن تيمية قد صرح بان القول بهذا العدد هو قول متاخرى الشيعة وان الفكرة بدأ القول بها بعد وفاة العسكرى وقد صرح شيخ الاسلام بذلك في اثناء رده على ابن المطهر الحلى : الذى ذكر ان النص على الاثنى عشر قد توارثته الشيعة في البلاد المتباعدة خلفا عن سلف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : للحسين (هذا امام ابن امام اخو امام ابو ائمة تسعة تاسعهم قائمهم) الخ

وفيما يلى رد ابن تيمية على هذا الزعم ويشتمل رده على وجوه متعددة . (١)

الوجه الاول :— ان هذا كذب على الشيعة فان هذا لا ينقله الا طوائف من طوائف الشيعة وسائر طوائف الشيعة تكذب هذا .

فالزيدية باسرها تكذب هذا والاسماعيلية كلهم يكذبون بهذا وسائر فرق الشيعة تكذب بهذا الا الاثنا عشرية وهم فرقة من نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة .

---

(١) راجع منهاج السنة النبوية ج ٤ ص ٢٠٩

وبالجملة فالشيعة فرق متعددة جدا وفرقهم الكبار اكثر من عشرين فرقة كلهم تكذب هذا الا فرقة واحدة فاين تواتر الشيعة .

الثاني :— ان هذا معارض بما نقله غير الاثنى عشرية من الشيعة من نص آخر يناقض هذا كالقائلين بامامة غير الاثنى عشر .

الثالث :— ان علماء الشيعة المتقدمين لم يعرف فيهم من ينقل هذا النص ولا ذكره في كتاب ولا احتج به خطاب واخبارهم مشهورة متواترة فعلم ان هذا من اختلاق المتاخرين وانما اختلق هذا لما مات الحسن العسكري .

وقيل ان ابنه غائب وحينئذ ظهر هذا النص بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من مائتين وخمسين سنة .

الرابع :— ان اهل السنة وعلماء هم اضعاف اضعاف الشيعة كلهم يعلمون ان هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم علما يقينيا لا يخالطه الريب ويباهلون الشيعة على ذلك .

الخامس :— انه قبل وفاة الحسن العسكري لم يكن احد يقول بامامة هذا المنتظر ولا عرف من زمن علي ودولة بني امية احد ادعي امامة الاثنى عشر وهذا القائم .

وانما كان المدعون يدعون النص على علي رضي الله عنه او على ناس بعده واما دعوى النص على الاثنى عشر وهذا القائم فلا يعرف احد قاله متقدم فضلا عن ان يكون نقله متقدم . (١)

ثانيا :— ان صاحب (التحفة) حدد زمن ظهور الشيعة الامامية الاثنى عشرية بسنة مائتين وخمس وخمسين وهي سنة وفاة الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر في سلسلة الائمة الاثني عشر . (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ٤ ص ٢٠٩

(٢) التحفة الاثنا عشرية ص٣١

وبموت الحسن العسكري ساقت الامامية في ولده محمد القائم المنتظر وهو الثاني عشر في سلسلة الائمة عندهم .

ثالثا :— هذه التساؤلات قد اثارها الدكتور سامي النشار بقوله :

والامامية تؤمن باثني عشر اماما ، فهل ذكر الاولون من الائمة اثنى عشر اماما ، وهل اعلن الامام علي بن ابي طالب استخلاف اثني عشر اماما ، وهل نادى بهذا علي زين العابدين او محمد الباقر او جعفر الصادق ثم قال بعد هذه التساؤلات من المحتمل ان يكون ابو هاشم بن محمد بن الحنفية قد ذكر شيئا عن اثني عشر نقيبا لمحمد بن علي العباسي .

ولكن الشيعة حملوا الائمة السابقين آثارا تعلن فكرة العدد الاثني عشرى كما حملوهم فكرة الامام الغائب غيبته وخلوده ورجعته وهم لم يذكروها ابدا ثم اشار الدكتور النشار الى ان فكرة العدد الاثني عشرى جاءت متاخرة على يد المجتهدين من علماء المذهب الاثني عسرى فقال :

ان اقامة مذهب الامامة الاثني عشرى في صورته الكاملة انما كان على يد المجتهدين المتأخرين من علماء المذهب الذين قاموا بأخذ مصادره الاولى واخذوا يصوغونها صياغة جديدة ويضيفون اليها عناصر متعددة من هنا وهناك حتى اكتمل في ايديهم . (١)

٢ — الاحاديث التي فيها عدد الاثني عشر ومعناها عند اهل السنة :

يقول ابن تيمية : والذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدد الاثني عشر هو ما اخرجه الشيخان عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع ابي على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : (لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام : ج ٢ ص ٢٨٩ — ٢٩٠

اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني فسألت ابى ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قال قال : كلهم من قريش : وفي لفظ (لا يزال هذا الامر عزيزا الى اثنى عشر خليفة ثم قال كلمة لم افهمها قلت لأبي ماقال : قال : كلهم من قريش .

وفي لفظ (لا يزال هذا الامر عزيزا الى اثنى عشر خليفة (١) قال : ابن تيمية : وهذا النص لا يجوز ان يراد به هؤلاء الاثنا عشر لانه قال : (لا يزال الاسلام عزيزا ولا يزال هذا الامر عزيزا ولا يزال امر الناس ماضيا . وهذا يدل على انه يكون امر الاسلام قائما في زمن ولايتهم ولا يكون قائما ان انقضت ولايتهم وعند الاثنى عشرية لم يتم امر الامة في مدة احد من هؤلاء الاثنى عشر بل ما زال امر الأمة فاسدا منتقضا يتولى عليهم الظالمون المعتدون بل المنافقون الكافرون واهل الحق أذل من اليهود .

وايضا فان عندهم ولاية المنتظر قائمة الى آخر الدهر وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثنى عشر واذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين :

نوع يقوم فيه أمر الأمة . ونوع لا يقوم .

بل هو قائم في الازمان كلها وهو خلاف الحديث الصحيح وايضا فالامر الذى لا يقوم بعد ذلك الا اذا قام المهدى اما المهدى الذى يقربه اهل السنة .

واما مهدى الرافضة ومدة قليلة لا ينتظم فيها أمر الأمة وايضا فانه قال في الحديث " كلهم من قريش " ولو كانوا مختصين بعلى واولاده لذكر ما يميزون به الا ترى انه لم يقل كلهم من ولد اسماعيل ولا من العرب وان كانوا كذلك لانه يقصد القبيلة التي يمتازون بها فلو امتازوا بكونهم من بنى هاشم او من قبيل على مع على لذكروا بذلك . فلما جعلهم من قريش مطلقا علم انهم من قريش بل لا

---

(١) البخارى مع فتح البارى جـ ١٣ ص ٢١١ ومسلم مع النووى جـ ١٢ ص ٢٠١

يختصون بقبيلة بل بنو تيم وبنو عدى وبنو عبد شمس وبنو هاشم •

فان الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل • (١)

وقال ابن كثير وفي هذا الحديث دلالة على انه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلا وليسوا هم بائمة الشيعة الاثنى عشر فان كثيرا من اولئك لم يكن لهم من الأمر شيء فاما هؤلاء فانهم يكونون من قريش ويلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ثم لا يشترط ان يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الأمة متتابعا ومتفرقا • وقد وجد منهم اربعة على الولاء وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم • ثم كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم من شاء الله ثم قد يوجد منهم من بقى في الوقت الذى يعلمه الله ومنهم المهدى الذى اسمه يطابق اسم رسول الله وكنيته يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا • (٢)

وقال النووى في شرح مسلم (٣) في شرح هذا الحديث بعد سياق الفاظه قال : قال القاضي :

وهنا سؤالان : احدهما : انه قد جاء في الحديث الآخر (الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا) وهذا مخالف لحديث اثنى عشر خليفة فانه لم يكن في ثلاثين سنة الا الخلفاء الاربعة والاشهر التي بويع فيها الحسن •

قال : والجواب عن هذا ان المراد في حديث : الخلافة ثلاثون خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثنى عشر •

السؤال الثاني : انه قد ولى اكثر من هذا العدد قال وهذا اعتراض باطل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل لا يلي الا اثنى عشر خليفة وانما قال : يلي

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ٤ ص ٢١٠

(٢) راجع ابن كثير في تفسيره جـ ٦ ص ١٣٩

(٣) شرح مسلم جـ ١٢ ص ٢٠١

وقد ولي هذا العدد ولا يضركونه وجد بعدهم غيرهم هذا ان جعل المراد باللفظ كل وال و يحتمل ان يكون المراد مستحق الخلافة العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام العدد قبل قيام الساعة ٠

قال : وقيل ان معناه انهم يكونون في عصر واحد و يتبع كل واحد منهم طائفة ٠

قال القاضي : ولا يبعد ان يكون هذا قد وجد اذا تتبعت التواريخ فقد كان بالاندلس وحدها منهم في عصر واحد بعد اربعمائة وثلاثين سنة ثلاثة كلهم يدعيها و يلقب بها وكان حينئذ في مصر آخر وكان خليفة الجماعة العباسية ببغداد سوى من كان يدعى ذلك في ذلك الوقت في اقطار الارض ٠

قال : ويعضدهذا التاويل قوله : في كتاب مسلم بعد هذا (ستكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال : في بيعة الاول فالاول : قال : ويحتمل ان المراد من يعز الاسلام في زمنه و يجتمع المسلمون عليه كما جاء في سنن ابي داود (كلهم تجتمع عليه الامة وهذا قد وجد قبل اضطراب امر بني امية واختلافهم في زمن الوليد بن يزيد وخرج عليه بنو العباس و يحتمل اوجها أخر ٠ والله اعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وسلم (١) ٠

واشار الحافظ ابن حجر في الفتح الى ترجيح الاحتمال الاخير في معنى الحديث قال : و ينتظم من مجموع ما ذكره القاضي اوجه اوجهها الثالث ٠ لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة (كلهم يجتمع عليه الناس) وايضاح ذلك ان المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته والذى وقع ان الناس اجتمعوا على ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على الى ان وقع امر الحكمين في صفين : فسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين امر بل قتل قبل ذلك ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف

---

(١) شرح النووى جـ ١٢ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣

الى ان اجتمعوا على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ثم اجتمعوا على اولاده الاربعة الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان و يزيد عمر بن عبد العزيز (١) الخ

ثم قال ابن حجر :

والاولى ان يحمل قوله (يكون بعدى اثنا عشر خليفة على حقيقة البعدية فان جميع من ولى الخلافة من بعد الصديق الى عمر بن عبد العزيز اربعة عشر نفسا منهم اثنان لم تصح ولا يتهما ولم تطل مدتهما وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم والباقون اثنا عشر نفسا على الولاء كما اخبر صلى الله عليه وسلم وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة وتغيرت الاحوال بعده وانقضى القرن الاول الذى هو خير القرون .

ولا يقدح في ذلك قوله (يجتمع عليهم الناس) لانه يحمل على الاكثر الأغلب لان هذه الصفة لم تفقد منهم الا في الحسن ابن على رضى الله عنهما وعبدالله بن الزبير مع صحة ولا يتهما والحكم بان من خالفهما لم يثبت استحقاقه الا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير والله اعلم .

وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثنى عشر منتظمة وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة الى الاستقامة نادر والله أعلم . (٢)

ومن هنا يمكن القول بان فكرة القول بالاثنى عشر اماما جاءت متاخرة فلم يكن الاولون يعرفونها حتى مات الحسن العسكرى واعتنقت الشيعة امامة ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر وقد تقدم ما يكفي ويشفي في الوجوه التي ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على الشيعة القائلين بأن النص على الاثنى عشر كان معروفا وانه متوارث بين الشيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم والاثار التي مؤداها ان الائمة اثنا عشر اماما قد رأيت سياق الفاظها ومعانيها على خلاف

---

(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ٢١٤

(٢) المصدر السابق ص ٢١٥

المعاني التي تقول بها الشيعة الاثنا عشرية وهذه الاحاديث بدأت الاثنا عشرية في الاستدلال بها عند القول بمذهب الاثني عشرى وذلك بعد وفاة الحسن العسكرى كما قلنا .

وأيا كان القول في بدء ظهور القول باثني عشر اماما لمذهب الاثني عشرى فمن المقرر ان الشيعة الامامية الاثنى عشرية توءمن بفكرة الاثنى عشر اماما كما تقدم وسوف نترجم لهوءلاء الائمة في الفصول الثلاثة الاتية تبعا لوجودهم في الادوار الثلاثة التي مر بها المذهب الاثني عشرى ثم نقفى على ذلك بذكر دور الغيبة والسفراء والتطور الذى آل اليه المذهب الاثني عشرى بعد اختفاء "المهدى المنتظر".

الفصل الثانـــــــي

دور الظهـور (عـلى وابنـــاه)

أولا ـ علي بن أبي طالب :

ا ـ حياتـــه : هو امير المؤمنين على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابو الحسن والحسين و يكنى ابا تراب وابا القاسم الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء و ليس للرســـول عليه السلام عقب الا من اولاده ٠

وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى (١) ٠

قال الحافظ بن حجر : ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح (٢)

كان رضى الله عنه آدم شديد الأدمة اصلع وهو الى القصر اقرب وكان عظيـــم اللحيـة قد ملأت صدره وكان كثير شعر الصدر حسن الوجـه ضحوك السن خفيف المشى على الأرض (٣)

اسلامـه : اسلم قديما وفي تحديد سنه وقت اسلامه اقوال ذكـر ابن كثير في البداية والنهاية منها عشرة اقوال حيث قال : اسلم على وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثمان وقيل ابن تسع وقيل ابن عشر وقيل احد عشرة وقيل اثنتى عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل اربع عشرة وقيل خمس عشرة او ست عشرة ٠ (٤) وكـان على بن ابي طالب اول الناس اسلاما في قول لكن الراجح انه اول الغلمان اسلاما كما ان خديجة اول النساء اسلاما وابو بكر اول الرجال الاحرار اسلاما وزيـد بن حارثة اول الموالى اسلاما ٠ (٥)

---

(١) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٢٢

(٢) الاصابة جـ ٢ ص ٥٠١

(٣) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٢٢ (٤) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٢٢

(٥) راجع البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٢٢ والاصابة جـ ٢ ص ٥٠١

والسبب في اسلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو صغير انه كان في كفالة الرسول عليه الصلاة والسلام وقد تربى في بيت النبوة وذلك ان قريشا قد اصابتهم سنة مجاعة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم عليا من ابيه ليخفف عنه حيث كان ابو طالب كثير العيال ومن هنا كان علي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث وآمنت به خديجة واهل البيت وكان من جملتهم علي رضي الله عنه حيث لم يفارقه مدة حياته صلى الله عليه وسلم.

كان علي احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة اصحاب الشورى ورابع الخلفاء وقد توفي النبي عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض وقد شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان لواء المهاجرين في يده في اكثر المشاهد شهد بدرا وما بعدها وكانت له اليد البيضاء فيها ولم يشهد تبوك [1] وقد قال النبي له حين استخلفه في تبوك اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه "لا نبي بعدي" [2].

ودفع له النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ففتح الله به حصون خيبر [3] وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام قبل دفع الراية له "لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه" [4]. الحديث.

وآخى النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين نفسه وذلك لما آخى النبي عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار فقال لعلي (أنت أخي في الدنيا والاخرة) [5]

وهو رابع الخلفاء الراشدين وكان شجاعا ورعا زاهدا في الدنيا ومن كبار علماء الصحابة وكان عمر بن الخطاب يسأله عن المسائل المشكلة ويحلها رضي الله عنه.

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٢-٢٢٣
(٢) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٧١
(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٤ (٤) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٧٠
(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب: تحفة الاحوذي ج ١٠ ص ٢٣٦
وسياتي الكلام عن هذا الحديث في الكلام عن ادلة الامامية الماخوذة من السنة ان شاء الله تعالى.

استشهاده : قتل رضى الله عنه في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونصف شهر. (١)

٣ — صورة على عند الشيعة :

والشيعة في على طرفان الطرف الاول الغلاة وهؤلاء غلوا في على حتى رفعوه عن درجة الانسانية الى درجة الالوهية وهؤلاء الشيعة كانوا في البداية قد الصقوا بالامير كرم الله وجهه الوصاية ثم الولاية ثم الامامة ثم المهدية ثم النبوة واخرا قالوا بالوهيته .

وهذه العقائد الصقتها السبئية بالامام على رضى الله عنه .

وقد زعم عبدالله بن سبأ انه وجد في التوراة ان لكل نبي وصيا وان عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وانه خير الاوصياء كما ان محمدا خير الانبياء وقد زعمت هذه الفرقة في على انه لم يمت ولا يموت وانه سوف ينزل من السماء فيملك الارض بحذافيرها ويقيم العدل وهذه الطائفة تزعم ان المهدى المنتظر هو علي بن ابي طالب دون غيره . وقد روى ان ابن سبألما قيل له ان عليا مات قال : لو جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته فانه لا يموت وانه يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا و ابن سبأ هو الذى قال لعلى رضى الله عنه أنت : أنت : اذن فالسبئية كما قلنا تقول بالرجعة وان الاموات يرجعون الى الدنيا . (٢)

وابن سبأ كان اول من شهد بالقول بفرض امامة على رضى الله عنه واظهر البراءة من اعدائه وكفر مخالفيه .

---

(١) راجع الاصابة جـ ٢ ص ٥٠٢

(٢) سامى النشار جـ ٢ ص ٢٤
راجع الاشعرى جـ ١ ص ٨٦ والملطى : ص ١٨
والبغدادى ص ٢٣٣ — ٢٣٤ — ٢٣٥

والوصية التي تقول بها السبئية معناها ان عليا وصى الرسول صلى الله عليه وسلم فالامامة له نصا وكان ابن سبأ في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام ثم بعد ذلك اعلن الوصية على رضى الله عنه كما تقدم وقد ذهب بعض اتباعه الى على في الكوفة فقالوا له :أنت : أنت فلما سألهم عن ذلك قالوا انت الله .

فاوقد نارا ودعا مولاه قنبرا .

فاستتاب على هؤلاء فلم يتوبوا فأمرا بالقائهم في النار وهم يصيحون ويقولون انت الاله حقا فانه لا يعذب بالنار الا الاله وكان على يردد هذا البيت :

لما رأيت الامر أمرا منكرا أججت نارا ودعوت قنبرا

واما ابن سبأ فقد نفاه على الى المدائن ولم يقتله خوفا من الفتنة وبمشورة من عبد الله بن عباس فيه.

ومن آراء هذه الطائفة في على انه رفع الى السماء كما رفع عيسى الى السماء وان الذى قتل هو شيطان يشبهه فظنت الخوارج والنواصب انه قتل كما ظنت اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام انه قتل [1] ولما جاء الخبر الى المدائن بقتل على رضى الله عنه قال ابن سبأ وجماعته في المدائن لمن اخبرهم بوفاته كذبت يا عدو الله لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة واقمت على موته سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا انه لم يمت ولم يقتل حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الارض ثم ذهبوا الى الكوفة فاستأذنوا في الدخول عليه فاخبرهم من حضر من اولاده واهله وقالوا سبحان الله ما علمتم ان امير المؤمنين استشهد فقالوا انا نعلم انه لم يمت ولم يقتل حتى يسوق العرب بعصاه وسيفه كما ساقهم بحجته وبرهانه وانه ليسمع النجوى وما يلمع في الظلام

---

(١) راجع البغدادى :ص ٢٣٣-٢٣٤ والشهرستاني جـ ١ ص ١٧٤ وسامي النشار جـ ٢ص ٢٧- ٢٨- ٢٩

وانه رب العالمين قد تواري عن خلقه سخطا منه عليهم وسيظهر ٠

وبعضهم يرى ان عليا في السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه فاذا سمعوا صوت الرعد او رأوا السحاب : قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين وقد نقلت ابيات منسوبة الى اسحاق بن سويد العدوي في الرد على هذه المقالة وهي :

برئت من الخوارج لست منهم … من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا … يردون السلام على السحاب

ولكني احب بكل قلبي … واعلم ان ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا … به ارجو غدا حسن الثواب (١)

ثالثا — صورة علي عند الشيعة المعتدلة :

واما الشيعة المعتدلة فلم يبلغوا بعلي حد الالوهية بل اعتبروه وارث العلم النبوي الخاص الذي لم يطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما ادركته الوفاة غيره واضافة الى ذلك فان الشيعة تؤمن بان الرسول صلى الله عليه وسلم ترك لعلي كتبا خاصة وهي مصحف فاطمة : وعلى هامشه علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقد املاه النبي صلى الله عليه وسلم على وصية وصاحب الامر من بعده الا وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكتاب الجفر الجامع او الجامعة ٠

وفي هذه الجامعة صحف الانبياء صحيفة آدم وصحف ادريس وابراهيم وموسى وعيسى ثم خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وصحفه وقد اورث محمد صلى الله عليه وسلم هذا خاتم الاوصياء ٠

---

(١) البغدادي ص٢٣٤ — ٢٣٥ وسامي النشار ج ٢ص ٢٩ — ٣٠

وكتابان آخران وهما الجفر الابيض والجفر الاحمر .

اما الجفر الاحمر فخاص بالقائم كيف يقضي بالسيف على اعدائه .

واما الابيض ففيه جزءان: كتب الانبياء وصحفهم ثم الحلال والحرام : ثم تفسير الاسم الاعظم واسراره والصحيفة .(١)

هذه نظرية الشيعة المعتدلة في اوساط الكوفة والمدائن والعراق على العموم ويضاف الى ما تقدم دعواهم عصمة الامام علي وانه لا يخطىء وانه بات يعلم انه يموت ليلة اغتياله وانه ما زال يمشي في تلك الليلة بين الباب والحجرة وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وفي صبيحة تلك الليلة . خرج الامير كرم الله وجهه لصلاة الفجر فتقدم اليه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي فضربه بالسيف فوقع قتيلا رضي الله عنه .

وانه لما مات قام الحسن خطيبا فقال لقد مات من كان يقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى ورفع فيها عيسى عليهما السلام وانزل القرآن الا انه ما خاف صفراء ولا بيضاء .

ودفن علي في النجف قريبا من الكوفة واعلن الشيعة الامامية المعتدلة ان النبي ابراهيم عليه السلام ذكر انه سيكون في هذا المكان قبر عليه مشهد عظيم يفوز به سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفعون لغيرهم وهذا المكان هو وادي السلام وهو جزء من جنة الباقية واليه تحشر ارواح الشيعة .

والى هذا القبر يحج الشيعة الامامية من كل فج يقفون امامه باكين الامام المعصوم يلتمسون منه الشفاعة في اليوم الاخر والشفاء ينادون يا قسيم الجنة والنار . ويوارث النبيين ، ويهتف الشيعي اشهد انك كنت التقي والاصل الثابت .

واذا وقف احدهم امام قبر الامام يردد السلام على ذات الله العليا السلام على ذات الله القائمة بالسنن السلام على المن والسلوى وقبل دخوله المشهد يستقبل المدينة ويستأذن من الرسول صلى الله عليه وسلم في الدخول على الامام علي رضي الله عنه .(٢)

---

(١) سامي النشار جـ ٢ ص ٣٤

(٢) راجع نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٣٥ ــ ٣٦

رابعا — صورة على عند اهل السنة :

يحتل على بن ابي طالب عند اهل السنة مكانة عالية حيث يعتبر اول من آمن من الغلمان كما تقدم في ترجمته وقد تربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وبات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وهذا موقف عظيم ومنقبة كبيرة حيث استخلفه الرسول عليه الصلاة والسلام في فراشه ليؤدى الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابها .

فعلي في نظر أهل السنة رابع الخلفاء الراشدين وهو افضل اهل عصره فطريقة اهل السنة في على وسط بين الروافض الذين غلوا فيه حتى رفعوه فوق منزلته وحكموا ببطلان من تقدمه من الخلفاء والنواصب الذين ناصبوا عليا واهل بيته العداء .

فاهل السنة وضعوا كل واحد من الصحابة في المكانة اللائقة به وحفظوا وصية النبي صلى الله عليه وسلم في اهل بيته واعتبروا الامام عليا كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين قال ابن تيمية في بيان مذهب اهل السنة في هذه المسألة " ويقرون : يعني اهل السنة والجماعة : بما تواتر به النقل عن علي رضي الله عنه وغيره من ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الاثار .

وكما اجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع ان بعض اهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم ابي بكر وعمر فايهما افضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي وقوم قدم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر اهل السنة على تقديم عثمان . ثم على وان كانت هذه المسألة : مسألة عثمان وعلي ليست من الاصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور اهل السنة لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك انهم يؤمنون ان الخليفة بعد رسول الله ابو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة احد من هؤلاء فهو اضل من حمار اهله . (١)

(١) العقيدة الواسطية ص ٢٦١ — ٢٦٢

ومن هنا وجب الاعتقاد بان خلافة ذى النورين كانت صحيحة لكونهـــا وقعت بمشورة من الستة الذين عينهم عمر رضي الله عنه فاختـــاروه خليفة فمن زعم ان خلافة عثمان كانت باطلـة وان علـيا كان احـق بالخلافة منه فهو مبتـــدع ضـال يغلب عليه التشيـع مع ما في قوله من ازدراء بالمهاجرين والانصار (١)

وقال الطحاوى في عقيدته ما نصه :

" ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا لابي بكـــر الصديق رضي الله عنه تفضيـلا له وتقديما على جميع الأمـة ثم لعمر بـــن الخطاب رضـي الله عـنه ثم لعثمان رضـي الله عنه ثم لعلي بن ابي طـالب رضـي الله عـنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمـة المهتدون .

وهنا نرى مكانة علي عند اهل السنة وهم قد سلكوا مسلكا وسـطا بين الرافضـة القائلين بأحقية علي بالخلافـة ممن تقدمه من الخلفـــــاء الثلاثـة وبين النواصـب الذين قالوا بتكفير علي رضي الله عـنه وناصبوا اهل البيت العداء .

فاهل السنة كما تقدم يحترمون على بن ابي طالب لقرابته من رسول الله ولما قدمه للاسلام من اعمال جليلة ولما كان له من دور ايجابي منذ فجـــر الاسلام الى ان مات وقد ساعد الخلفاء الثلاثة الذين قبله بآرائه الصائبـــــة وعلومه الغزيرة .

ان اهل السنة يؤمنون بان خلافة علي رضي الله عنه ثبتت بمبايعـة الصحابة له بعد مقتل عثمان رضي الله عـنه وخطـأوا معاويـــة بن ابي سفيان واهل الشام في عدم مبايعته رضي الله عنه والحـق مع علي رضـي الله عنه فان عثمان رضي الله عـنه لما قتل كثر الافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من اكابر الصحابة مثل علي والزبير وطلحـة وعظمت الشبهة عند من

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس ص ١٦٢

لم يعرف الحقيقة والواقع وقويت التهمة وراجت عند ذوى الاهواء والنفوس المريضة لا سيما من بعدت داره عن المدينة كأهل الشام واما عثمان ذو النورين فلا يظن به انه يخطر بباله ان يظن بالاكابر من الصحابة ظنون سوء . (١)

والحاصل ان مكانة على بن ابي طالب عند اهل السنة رفيعة وعالية يقول ابن حجر مات في رمضان سنة اربعين وهو يومئذ افضل الاحياء من بني آدم بالارض باجماع اهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الارجح ورمز له بالعين اشارة الى ان حديثه في الكتب الستة . (٢)

واما ما نسبته الشيعة اليه من العلوم السرية فكل ذلك كذب وسياتي الكلام في ذلك عند حديثنا على الصادق وفي موقف اهل السنة مما نسبته الشيعة اليه من العلوم السرية .

ثانيا — الحسن بن علي

١ — حياته : والامام الثاني في ترتيب الائمة الاثنى عشر هو الحسن السبط . وهو الحسن بن علي بن ابي طالب وامه فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم كنيته ابو محمد .

وكانت ولادته سنة (٣) ثلاث من الهجرة رضي الله عنه . قال ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤) في ترجمة الحسن رضي الله عنه هو ابو محمد القرشي الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن ابنته فاطمة الزهراء وريحانته

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٨٥

(٢) راجع تقريب التهذيب ج ٢ ص ٣٩

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٩

(٤) ج ٨ ص ٣٣

واشبه خلق الله به في وجهه ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة . فحنكه الرسول بريقه وسماه حسن وهو اكبر ولد أبويه .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا وربما جاء والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد في الصلاة فيركب على ظهره ويقره على ذلك وربما صعد به المنبر .

وفي الحديث [١] ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الحسن والحسين وهو يخطب على المنبر فنزل اليهما فاحتضنهما واخذهما الى المنبر فقال صدق الله * انما اموالكم واولادكم فتنة * [١] اني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم املك ان نزلت اليهما [٢] وفي صحيح البخاري ان ابا بكر رضي الله عنه صلى بالناس العصر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج هو وعلي يمشيان فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول (بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي قال وعلي يضحك) [٣] .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه) [٤]

صحب الحسن رسول الله وحفظ عنه وروى عن ابيه وعبد الله ابن جعفر وغيرهما وروى عنه اولاده ومات رضي الله عنه سنة تسع واربعين وقيل سنة خمسين وقيل بعدها وهو ابن سبع واربعين سنة [٥]

قال الحافظ ابن حجر مات بالسم [٦] ولم يعين من دس له السم واما الشيعة فيرون ان معاوية هو الذي دس له السم ليتخلص منه ويتمكن من اخذ البيعة لابنه يزيد [٧] .

---

(١) التغابن ١٥

(٢) قال ابن كثير في تفسيره : رواه احمد واصحاب السنن ج ٨ ص ٣٨١ الترمذي مع التحفة ج ١ ص ٢٧٨

(٣) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٩٥

(٤) المصدر السابق ص ٩٤ ومسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٩٢

(٥) راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٦٣ والتقريب ج ١ ص ١٦٨

(٦) التقريب ج ١ ص ١٦٨

(٧) راجع اصل الشيعة ص ٨٨ ودائرة المعارف الشيعية ج ٢ ص ٢٣

(٢) خلافة الحسن وتنازله

ولي الحسن بن علي الخلافة بمبايعة الناس له بعد وفاة ابيه اما ابوه فقد رفض ان يستخلف خلافا لما تدعيه الامامية الاثنا عشرية قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قالوا له استخلف يا أمير المؤمنين قال لا ولكن ادعكم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بغير استخلاف فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن لأنه اكبر بنيه ودفن بدار الامارة فلما فرغ من شأنه كان اول من تقدم الى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له أبسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن فبايعه وبايعه الناس بعده وكان ذلك يوم مات علي وكان موته يوم ضرب على قول كما تقدم وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اربعين من الهجرة ومن يومئذ ولي الحسن الخلافة . (١)

وكان قيس بن سعد واليا على اذربيجان وتحته اربعون الف مقاتل كانوا بايعوا عليا على الموت ولذا حث قيس الحسن على النفير لقتال اهل الشام فعزل الحسن قيسا وولى على اذربيجان عبدالله بن عباس ولم يكن في نية الحسن ان يقاتل احدا ولكن اصحابه ما زالوا يلحون عليه في قتال معاوية وأهل الشام فلما غلبوه على رأيه رتب الجيوش فجعل على المقدمة قيس بن سعد بن عبادة وقوام ما كان مع قيس اثنا عشر الفا فأرسل قيسا امامه فكان مع بقية الجيش على اثر قيس قاصدا الشام غير انه لما وصل المدائن نزل بها فأرسل المقدمة بين يديه فبينما هو بالمدائن معسكرا بظاهرها اذ جاء خبر بقتل قيس بن سعد بن عبادة فثار الناس بمجرد سماع هذا الخبر فانتهب بعضهم

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص ١٦

بعضا حتى انتهبوا سرادق الحسن عليه السلام وحتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه .

فلما وقعت هذه الحادثة كرههم الحسن كراهية شديدة فركب ودخل القصر الابيض من المدائن فنزله وهو جريح لأنه قد طعنه رجل ممن كان معه لما وقعت الحادثة الآنفة الذكر (١) ومن هنا راى الحسن ان يفاوض معاوية على الصلح بشروط حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبي عليه الصلاة والسلام فيه " ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " (٢)

وكان معاوية قد خرج بجيشه لمقابلة جيش الحسن فعسكر في مسكن فبعث اليه معاوية بن ابي سفيان عبدالله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة فقدما على الحسن وهو بالكوفة فبذلا له ما اراد من الاموال غيراته اشترط على معاوية اربعة شروط وهي :

اولا :ـ عدم سب علي كرم الله وجهه لا سيما وهو يسمع .

ثانيا :ـ ان يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة الاف الف درهم .

ثالثا :ـ ان يكون له خراج ابجرد

رابعا :ـ ولاية العهد من بعده .

فمتى قبل معاوية ما ذكر كان ما أراد فاستجاب معاوية لمطالب الحسن رضي الله عنه فتنازل له عن الامارة فاصطلحوا واجتمعت كلمة المسلمين ولهذا سمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على امير واحد وهو معاوية بن ابي سفيان الأموي .

وقد واجه الحسين اخاه الحسن باللوم على هذا الرأي الا ان الحسن لم يلتفت الى ذلك والصواب مع الحسن في رأيه هذا (٣) حيث حقن دماء المسلمين وتحقق فيه قول جده صلى الله عليه وسلم " ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " (٤)

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤
(٢) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٩٥
(٣) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤ـ١٦
(٤) هذا الحديث تقدم تخريجه قريبا . رقم ٢ في هذه الصفحة .

وبتنازل الحسن لمعاوية انتهت الخلافة النبوية وبدأ الملك واول الملوك معاوية رضى الله عنه . قال ابن كثير والدليل على ان الحسن احد الخلفاء الراشدين الحديث الذى اوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا وانما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على فانه تنازل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الاول من سنة احدى واربعين وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه توفى في ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم . (١)

يقول الدكتور صبحي : يعتبر تنازل الحسن لمعاوية من اهم حوادث التاريخ الاسلامي فهو في عرف جمهور المسلمين نهاية الخلافة الدينية وبداية الملك او نهاية عصر الخلافة الراشدة وبداية الدولة الأموية . (٢)

(٣) صورة الحسن عند الامامية الاثنى عشرية :

والشيعة تعتبر الحسن بن على بن ابي طالب رضى الله عنه هو الامام الثاني من ائمتهم الاثنى عشر وان امامته بدأت منذ توفى الامام على الى ان فارق الدنيا خلافا لمذهب اهل السنة القائلين بان امامته انتهت بتنازله لمعاوية كما مر آنفا بل الشيعة الامامية يرون أن امامته متصلة منذ مقتل ابيه الى ان فارق الدنيا كما قلنا . (٣)

ويرون (٤) ان عليا كرم الله وجهه دفع الى الحسن كتبه وسلاحه وسائر تراث الانبياء والاوصياء كما سلم للحسن الاسم الاعظم وان عليا رضى الله عنه جمع

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦

(٢) راجع نظرية الامامية ص ٣٢٢

(٣) نظرية الامامية ص ٢١٢

(٤) راجع عقائد الامامية ص ٦٢ (والرسول الاعظم واهل بيته الاطهار) ص ١٠٨ ونظرية الامامة ص ٣١٣

اولاده بعد طعنه وكانوا اثنى عشر فقال لهم يا بنى ان الله قد ابى الا ان يجعل في سنة يعقوب اذ دعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكرا فاخبرهم بصاحبهم الا وانى اخبركم بصاحبكم الا ان هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار الى الحسن والحسين فاسمعوا لهما واطيعوا وذودوا عنهما فاني قد ائتمنتهما على ما أتمنني ~~بما~~ أئمنه الله عليه من خلقه (١) . ولقد اصبح الحسن اماما في نظر الشيعة بناء على وصية ابيه كما قلنا ومنذ ان بايعه قيس بن سعد بن عبادة وعبدالله بن العباس وكان قيس هذا اعظم قواد على الذين بقوا على قيد الحياة وهو رئيس الانصار فكانت بيعته بيعة الانصار واما عبدالله بن عباس فكانت بيعته بيعة آل البيت وبنى هاشم فاستجاب الناس له وقالوا ما احبه الينا واحقه بالخلافة : والشيعة الامامية لا تعتبر اختيار الناس هو الموجب لامامته بل النص والوراثة فهي لا تعتبر الدور الذى لعبه كل من قيس وابن عباس ان له ادنى اهمية في امامة الحسن رضى الله عنه .

وذكروا ان الحسن عندما بويع بالخلافة خطب الناس فقال في خطبته : (ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد انا ابن البشير انا ابن النذير انا ابن الداعي الى الله عز وجل باذنه انا ابن السراج المنير انا من اهل البيت الذى اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذى افترض الله مودتهم في كتابه . (٢)

---

(١) راجع (نظرية الامامة) ص٣١٢

(٢) المصدر السابق ص٣١٦

(٤) استشكال الامامية لتنازل الحسن

وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية يعد مشكلة عظيمة لدى الشيعة الامامية حيث يعد الحسن من المعصومين فكيف يترك الحق لغير اهله ولذا عد كثير من اصحابه هذه الفعلة بانها خطأ وليست بصواب ومن هؤلاء سليمان بن صرد الخزاعي و حجر بن عدى وسفيان بن ابي ليلى بل اخوه الحسين لامه على هذا التنازل كما تقدم.

ومن هنا وقعت الشيعة الامامية القائلون بعصمة الأئمة في مأزق لم يخرجوا منه الا بمبدأ انشأوه للخروج عن هذا المأزق الذى لم يستطيعوا الجواب عنه الا وهو مبدأ (التقية).

قال صاحب نظرية الامامة ان الشيعة/الذين يرون العصمة لائمتهم سلموا بصواب رأى الحسن وبرروا هذا التنازل اذ لم يكن هناك محيص عنه وتبعة ذلك تقع على اهل العراق الذين خذلوا اباه ونهبوا فسطاطه وكادت منيته تكون على يد واحد من رعاعهم فضلا عن خيانة اشرافهم بمكاتبة معاوية سرا والمؤامرة على تسليم الحسن له وغير ذلك من مكايد القوم. (١)

غير ان هذا ان كان يبرر اعتزال الحسن من الناحية السياسية فليس كاف لتبرير تنازله عن خلافة الهية ثابتة بنص وذلك من الوجهة العقائدية ولذا لا يجد الشيعة ما هو انسب لحل الاشكال اللازم عن عصمته من ناحية والنص الالهى على امامته من ناحية اخرى الا مبدأ التقية الذى بدأ في الظهور كاحدى عقائد الشيعة بعد تنازل الحسن عن الخلافة والذى لا شك فيه ان التنازل وقع في ظروف حرجة فالحسن يواجه عدوا اكثر منه عددا واوسع منه حيلة وأملك لناصية الأمور اضافة الى الخيانة المستمرة في

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٦٣

صفوف انصاره كما انه ليس من شك بان الحسن لم يتنازل لمعاوية لاعتقاده ان معاوية اولى بالأمر منه أو اجدر أو لا ستحقاق الخلافة .

فالحسن اذن قد تنازل في ملأ من الناس والحال انه في قرارة نفسه كاره لهذا التنازل وناقم على هذه الظروف التي هيأت ان يرى معاوية وهو خليفة المسلمين فكان تنازل الحسن (تقية) ولذا اصبحت عقيدة لدى الشيعة بعدما اصبحوا على امرهم مغلوبين . (١)

وهكذا يحل مبدأ التقية اشكال تنازل الحسن فهو في رأى الشيعة مصيب ولكنه الى ذلك مضطر فهو في نظر الشيعة قد تنازل عن خلافة الدنيا ولكن بقيت ليه الامامة الالهية قائمة في الباطن لأنه منصب الهي لا ينبغي التنازل عنه .

فالحسن في نظر الشيعة حين تنازل عن خلافته لم يخالف وصية أبيه الذى يرى الاستمرار في قتال معاوية اذ نسب الشيعة الى علي هذه الوصية لابنه الحسن الذى يقول فيها (صن دينك وعلمنا الذى اودعناك واستعمل التقية في دينك ولقد أذنت لك في تفضيل اعدائنا ان الجأك الخوف اليه واظهار البراءة ان حملك الرجل عليه فان تفضيل اعدائنا عند الخوف لا ينفعهم ولا يضرنا واظهار البراءة منا عند التقية لا يقدح فينا ولا ينقصنا ولأن تبرأ منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا فان ذلك افضل من ان تتعرض للهلاك واياك اياك ان تترك التقية التي امرتك بها الخ) وهكذا تزيل هذه الوصية المنسوبة الى علي رضي الله عنه التعارض بين موقف كل من علي والحسن حيث تحل التقية الاشكال حلا ترضاه العقيدة الشيعية . (٢)

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٢٦ — ٣٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٧

(٥) صورة الحسن عند أهل السنة

والحسن في نظر أهل السنة هو السبط الاول وكان خليفة بعد ابيه بمبايعة اهل العراق له ثم بعد ستة اشهر من خلافته فوض الامر لمعاوية ابن ابي سفيان مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم " ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين " (١)

وقد صوب اهل السنة الحسن في رأيه هذا حيث حقن دماء المسلمين واسكن الفتنة التي كانت قائمة منذ سنين وذلك منذ قيام الفتنة التي أدت الى قتل عثمان بن عفان والى مقتل على بن ابي طالب كرم الله وجهه .

ومن هنا اعتبر المسلمون العام الذي وقع فيه الصلح بين الحسن ومعاوية عام الجماعة لأنه عام اجتمعت فيه كلمة المسلمين على امام واحد .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الحسن " اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه " (٢)

ثالثا - الحسين بن علي

١- حياته : الامام الثالث في ترتيب الأئمة لدى الشيعة الاثنى عشرية هو الحسين السبط . وهو (٣) الحسين بن على بن ابي طالب بن هاشم ابو عبدالله القرشي الهاشمي السبط الشهيد بكربلاء ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء وريحانته من الدنيا .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٨٣ والحديث تقدم تخريجه في الحديث على حياة الحسن قريبا .

(٢) البخارى مع فتح البارى ج ٧ص ٩٤ ومسلم مع النووى ج ١٥ ص ١٩٢ .

(٣) راجع البداية والنهاية ج ٨ص١٤٩

ولد سنة اربع من الهجرة وذلك لخمس ليال خلون من شعبان •

وكان مقتله رضي الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة في شهر المحرم الحرام •

توفي رضي الله عنه وله من العمر اربع وخمسون سنة وستة اشهر ونصف شهر •

حنكه النبي عليه الصلاة والسلام وتفل في فيه ودعا له وسماه حسينا •

وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخرج حديثه الجماعة (١) كان الحسن شبيها بالنبي عليه الصلاة والسلام من الصدر الى الرأس / والحسين يشبهه فيما دون ذلك فالحسن شبيه به في الوجه والحسين في الجسد •

وروى عن انس انه قال كنت عند عبيد الله بن زياد لما جيء برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في انفه ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا فقلت له انه كان من اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢)

وقد ادرك الحسين في حياة جده صلى الله عليه وسلم خمس سنين او نحوها وروى عنه احاديث وكان الحسن والحسين موضع اكرام من رسول الله ومحبته •

والمقصود ان الحسين عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الى ان توفي وهو عنه راض ولكنه كان صغير السن عند وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كما قدمنا •

ثم كان الصديق يكرمه ويؤثره وكذلك كان عمر وعثمان وصحب اباه وروى عنه وكان معه في مغازيه كلها في وقعة الجمل وصفين وكان ذا هيبة ووقار • (٣)

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ١٨٧
(٢) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٩٤
(٣) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٠

ولم يزل رضي الله عنه في صحبة ابيه وعلى طاعته حتى قتل فلما آلت الخلافة الى اخيه واراد ان يصالح معاوية على ان يتنازل له عن الامر كما تقدم شق ذلك على الحسين رضي الله عنه فلم يصوب رأى اخيه في ذلك بل حرضه على قتال اهل الشام فقال له اخوه والله لقد هممت ان اسجنك في بيت واطبق عليك بابه حتى افرغ من هذا الشأن ثم اخرجك فلما علم الحسين عزم اخيه وسمع منه هذا القول سكت وسلم فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد اليه مع اخيه الحسن فيكرمهما معاوية اكراما زائدا ويرحب بهما ويجزل لهما العطاء • فلما توفى الحسن بقي الحسين على ما كان عليه في حياة اخيه فكان يفد الى معاوية كل عام فيجزل له العطاء ويكرمه •

وقد (١) كان الحسين ضمن الجيش الذى غزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية في سنة احدى وخمسين (١) من الهجرة •

ولما عزم معاوية على اخذ البيعة لابنه يزيد في حياته وجاء الى المدينة لنفس الغرض كان الحسين ممن امتنع من مبايعته وكان من جملة من اتخذ موقف الحسين هذا في الامتناع من البيعة ليزيد في حياة معاوية عبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس ثم مات عبد الرحمن وهو عازم على هذا الرأى •

فلما مات معاوية سنة ستين من الهجرة وبويع ليزيد بايع عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس اما الحسين وابن الزبير فقد صمما على المخالفة وعدم البيعة فخرجا من المدينة الى مكة فأقاما بمكة اما ابن الزبير فقد لزم مصلاه عند الكعبة واما الحسين فقد التف الناس حوله واستمعوا لكلامه ومالوا اليه ميلا عظيما وكيف لا يكون ذلك وهو السيد الكبير وابن بنت رسول

---

(١) البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٥٠ــ١٥١

الله صلى الله عليه وسلم فليس على وجه الارض يومئذ احد يساميه او يساويه ولكن الدولة اليزيدية كلها كانت تسناوءه . (١)

(٣) خروج الحسين الى العراق (٢)

تقدم ان معاوية عزم على اخذ البيعة لابنه يزيد وان كبار الصحابة امتنعوا عن ذلك ومن جملة من امتنع عن مبايعة يزيد ابن الزبير والحسين وانهما قدما الى مكة بعد موت معاوية ومبايعة الناس ليزيد فلما استقر المقام بالحسين صار الناس يتتابعونه كما تقدم . ففي هذه الظروف وردت الى الحسين ابن علي كتب من بلاد العراق حيث شيعة ابيه يدعونه اليهم وذلك حين بلغ اهل العراق موت معاوية وولاية يزيد الامر من بعده ومسير الحسين الى مكة فرارا من بيعة يزيد وقد كثرت كتب اهل العراق الى الحسين بضرورة التوجه اليهم لمبايعته فكان اول من قدم عليه عبدالله بن سبع الهمداني وعبدالله بن وال ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية وقدما على الحسين لعشر مضين من رمضان من سنة ستين ثم بعثوا بعدهما نفرا منهم قيس بن مسهر الهمداني وعبد الرحمن بن عبدالله الأرحبي وعمارة بن عبدالله السلولي ومعهم نحو من مائة وخمسين كتابا الى الحسين رضي الله عنه .

ثم بعثوا هانى بن هانى السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في المسير اليهم وهكذا توالت عليه كتب القوم ومضمون هذه الكتب كما قلنا ضرورة قدومه لمبايعته عوضا عن يزيد بن معاوية وذكروا في كتبهم فرحهم بموت معاوية وعدم رضاهم بولاية يزيد وانهم لم يبايعوا احدا حتى الآن وعلى انتظار قدومه عليهم وعند ذلك بعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥١

(٢) راجع المصدر السابق ص ١٥٦ الى ١٧١

ليكشف له حقيقة الأمر فان كان الامر حقا والوضع محكما بعث اليه كتابا
وعند ذلك يتوجه الحسين بالاهل الى العراق وكتب الحسين كتابا مع
مسلم بن عقيل الى اهل العراق بذلك فخرج مسلم بن عقيل من مكة متوجها
الى بلاد العراق فلما دخل الكوفة ونزل على مسلم بن عوسجة الأسدى
فتسامع اهل الكوفة بقدومه من قبل الحسين وان الحسين قدمه بين يديه
ليكشف الأمر وليأخذ له البيعة من اتباعه الذين دعوه فجاؤا اليه وبايعوه
على امرة الحسين وحلفوا له لينصرنه بانفسهم واموالهم فاجتمع على بيعته
ثمانية عشر الفا فلما تحقق مسلم الامر كتب الى الحسين رضى الله عنه يأمره بالقدوم
ويخبره بما تم من البيعة له ولما جاء الكتاب الى الحسين عزم على الخروج
الى العراق • وقد استشعر الناس خروجه فاشفقوا عليه من ذلك واشار عليه
ذوو الرأى والمحبة بعدم الخروج الى العراق وامروه بالمقام بمكة وذكروه ماجرى
لأبيه واخيه الحسن منهم من قبل •

ولقد حذر كبار الصحابة الحسين رضى الله عنه عن الخروج الى
العراق ومن جملة من حذره عن الخروج الى العراق ابن عباس وقد ذكره
بخذلانهم لأبيه واخيه من قبل : وانهم قوم غدر وكذا ابن عمر رضى
الله عنهما فانه لما سمع بخروجه لحقه ونصحه على عدم الخروج •

وهكذا ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ولكن الحسين رضى الله عنه
أبى وعزم على المسير •

وكان خروجه من مكة الى العراق في اليوم العاشر من ذى الحجة
ومعه اهل بيته وفي صحبته ستون شخصا من اهل العراق •

هذا ولما سمع مروان بن الحكم بمسير الحسين الى العراق كتب الى عبيد
الله بن زياد يحذره من ان يمسه بأذى وألا يثير فتنة في امر الحسين وكتب اليه
عمرو بن سعد بن العاص كتابا مماثلا •

وكان الحسين قد واصل سيره الى بلاد العراق وقد لقى في اثناء سيره الفرزدق الشاعر المعروف فسأله عن اهل العراق فقال له قولته المشهور :

قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية • وسلم عليه الحسين وفارقه وواصل سيره رضى الله عنه •

وكان مسلم بن عقيل الذى تقدم خبره قد قتل لكن الحسين لم يكن عنده علم بذلك •

وذلك ان مسلما لما وصل الى الكوفة كان اميرها النعمان • وكان النعمان هذا قد ولاه معاوية الكوفة واقره يزيد وكان رجلا حليما عابدا يكره الفتنة فلما بلغه وصول مسلم بن عقيل واجتماع الشيعة اليه صعد المنبر فقال : اما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة فان فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال واني لا اقاتل الا من قاتلني ولا آخذ بالتهمة والظن فانكر عليه بعض الحاضرين هذا الموقف غير انه لم يلتفت الى ذلك •

اما يزيد بن معاوية فانه لما سمع بالخبر عين عبيد الله بن زياد واليا على الكوفة لمواجهة الموقف بالقوة وكان ابن زياد معروفا بالقسوة •

فلما وصل ابن زياد الكوفة جمع الناس فرغب وخوف وهدد وعين العرفاء وحذر من ايواء مسلم بن عقيل بل هدد كل من وجد في منزله بالقتل فخاف الناس وخذلوا مسلما رضى الله عنه وغدروا به وبلغ به الأمر حيث لم يجد منزلا يدخل فيه فصار يمشي في الأزقة ثم امر ابن زياد بالبحث عنه واحضاره حيا او ميتا فاحضروه في حالة سيئة فقتله ابن زياد والحسين رضى الله عنه لم يعلم بهذا كله •

(٣) استشهاده رضي الله عنـــه (١)

اما الحسين فكما قلنا لم يكن عنده علم بما وقع لا بن عمه مسلم بـــن عقيل بل اعتمد على كتب اهل الكوفية وكتاب مسلم بن عقيل الذى أرسلـــه له عند وصوله الكوفة كما تقدم فكان رضي الله عنه يواصل سيره تجـــاه الكوفة .

اما عبيد الله بن زياد فانه لما فرغ من امر مسلم بن عقيل ارسل جيشا وارسل في مقدمة الجيش سرية مكونة من الف مقاتل بقيادة الحر بن يزيد وبينما الحسين سائر اذ طلعت عليه تلك السرية فوقفوا في مقابلته وهنا أمـــر بالنزول فنزلوا .

ولما وجاء وقت الصلاة امر بالاذان ثم جـاء فخطب الناس من اصحابـه واعدائه واعتذر اليهم عن مجيئه وانه انما جاء بسبب كتب اهل الكوفة اليـــه بانه لا امام لهم ثم اقيمت الصـلاة فتقدم فصلى بهم . اما الحر بن يزيد فانه قال للحسين انا لا ندرى من كتب لك هذه الكتب وانما امرنا الا نفارقك اذا لقيناك / حتى . تقدمك على عبيد الله بن زياد فقال الحسين رضي الله عنه الموت ادنى من ذلك فأمر اصحابه بالركوب لكن القوم حالوا بينه وبين الانصراف .

فقال الحسين رضي الله عنه للحر بن يزيد ثكلتك أمك ماذا تريد فقال الحر بن يزيد اما والله لو كان غيرك من العرب يقول لي ذلك وهـــو على ما أنت عليه لا قتصن منه ولكن لا سبيل لي الى ذكر أمك الا بخير .

ثم قال : اني لم أومر بقتالك وانما امرت بعدم مفارقتك حتى تقدم الكوفة على عبيد الله بن زياد فاذا ابيت فخذ طريقا لا تقدمك الكوفة ولا تردك الى المدينة .

واكتب انت الى يزيد واكتب انا الى عبيد الله بن زياد لعل الله ان يرزقني

---

(١) راجع البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٧٢ وما بعدها الى ١٨٩

السلامة من ان ابتلي بشيء من امرك ولكن الحسين رضي الله عنه اخذ ناحية اليسار عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره وهو يقول له يا حسين اذكرك الله في نفسك فقال له الحسين : ابالموت تخوفني واستمر السير هكذا حتى انتهوا الى عذيب الهجانات واذا باربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة لاستقبال الحسين وقد اراد الحر ان يحول بينهم وبين الحسين فمنعه الحسين من ذلك حتى خلصوا اليه واخبروه بان اشراف الناس مع ابن زياد وسائرهم قلوبهم معك وسيوفهم مع عدوك واخبروه بقتل من ارسله الى الكوفة .

ثم ان الحسين تياسر في مسيره حتى انتهى الى نينوى فاذا راكب قد اقبل من الكوفة حتى استقبل الحر بن يزيد وسلم له كتابا من زياد وفيه ان يعدل بالحسين في السير الى العراق حتى تأتيه رسله وجنوده وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة احدى وستين .

فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن ابي وقاص في اربعة الاف وكان قد جهزه ابن زياد لغزو الديلم فلما جاء امر الحسين صرفه اليه وامره اذا فرغ من امر الحسين ان يتوجه بجيشه الى الديلم الا ان عمر بن سعد طلب من ابن زياد ان يعفيه فابي عليه وتهدده وخوفه بالعزل ثم بالقتل وكان قد استشار الناس في ذلك فاشاروا عليه بعدم القدوم الى الحسين وان ذهاب ما في الارض كله اهون من المشاركة في دم الحسين رضي الله عنه .

غير ان ابن زياد ما زال يتهدده حتى خرج كما قلنا فوجد الحسين قد وصل الى المكان الذى ذكرناه فنازله هناك .

ثم انه بعث الى الحسين الرسل يسأله ما الذى اقدمك فقال : كتب اهل الكوفة بان اقدم عليهم فاذا كرهوني فانا راجع الى مكة .

فلما سمع عمر بن سعد هذا قال ارجو ان يعافيني الله من حربه .

وكتب بذلك الى ابن زياد فرد عليه بان يحول بينه وبين الماء كما فعل بعثمان رضي الله عنه . واعرض على الحسين ومن معه مبايعة يزيد فان فعلوا رأينا رأينا .

وصار اصحاب عمر بن سعد يمنعون اصحاب الحسين من الماء وقد حاول عمر بن سعد ايقاف هذه الفتنة تذهب بنفسه الى عبيد الله بن زياد " فاقنعه بأن يتركوا الحسين لينصرف الى حيث اراد فوافق على ذلك الا ان الخبيث شمر بن ذى الجوشن دخل على ابن زياد واخبره بأن عمر بن سعد بن ابى وقاص يتوانى في قتال الحسين وانه يجتمع به كل ليلة فغضب ابن زياد وكتب كتابا الى عمر بن سعد وارسله مع شمر بن ذى الجوشن وأمره ان يقتل عمر بن سعد اذا توانى في الأمر ويكون هو الأمير من بعده فلما جاء هذا الخبيث اثار الفتنة ونفخ في الجيش روحا خبيثة ومن هنا عزموا على قتاله وكان الحسين قد وقف وسط الناس وخطبهم وذكرهم بفضائله وانه لا ينبغى لكم ان تقتلوا ابن ابنة نبيكم وليس على الارض اليوم ابن ابنة نبي الا أنا .

كما وجه اصحاب الحسين النصيحة الى هؤلاء بالكف عن هذه الفعلة الشنيعة وقد تحيز عند ذلك الى الحسين فرقة من الجيش ابن زياد تقرب من الثلاثين منهم الحر بن يزيد امير مقدمة جيش ابن زياد المتقدم ذكره فلما جاء الحر بن يزيد الى الحسين اعتذر اليه ثم استقبل اهل الكوفة ادعوتم الحسين ثم اسلمتموه وحتى منعتموه التوجه الى فى بلاد الله الفسيحة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير وحلتم بينه وبين الفرات الجارى الذى يشرب منه الكلب والخنزير فما كان من القوم الا ان رماه جماعة منهم بالنبل .

اما ابن سعد فقال لو كان الامر بيدى لاجبت الحسين الى طلبه ولكن الامر بيد ابن زياد ، ثم تقدم ابن سعد وشمر على ساعده فرمى عمر بن سعد القوم فقال اشهدوا بانى اول من رمى .

وهكذا بدأ القتال بين الفريقين وكثرت المبارزاة من الفريقين وقد حمل الخبيث شمر بن ذى الجوشن على الميسرة وقصد الحسين ودافعت عنه الفرسان من اصحابه وجعل القوم يرمون خيول اصحاب الحسين حتى عقروها جميعا ثم وصل شمر قبحه الله الى فسطاط الحسين فطعنه برمح وقال : أتونى بالنار لاحرقه

على من فيه فصاحت النسوة وخرجن وقد حمل زهير واصحابه على شمر حتى ازالوه عن موقفه فلما جاء وقت صلاة الظهر صلى الحسين باصحابه صلاة الخوف ثم شرعوا في القتال وقد قتل الحر بن يزيد وزهير بين يدى الحسين وقد اشتد القتال وازداد البلاء •

ومكث الحسين طويلا لا يأتى احد اليه الا رجع عنه ولا يحب احد ان يلى قتله حتى جاء رجل من بنى بداء يقال له مالك بن البشير فضرب الحسين على رأسه بالسيف فادمى رأسه وكانت على الحسين برنس فقطعه وجرح رأسه رضى الله عنه فالقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعمامة فلبسها وكان العطش قد اشتد به فحاول ان يصل الى الفرات فرماه رجل يقال له حصين بن تميم بسهم في حنكه ففار الدم ثم شرع القوم يرمون اولاده وبنى عمه واخوته بالنبال فيقتلون فرجع الحسين الى فسطاطه فاحاطوا به وليس هناك من يحول بينه وبينهم وجعل القوم لا يتقدم احد على قتله حتى نادى شمر بن ذى الجوشن ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل فاقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمى على كتفه اليسرى وضرب على عاتقه ثم جاء سنان بن ابى عمرو بن أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع ثم نزل فذبحه وحز رأسه ثم دفع رأسه الى خولى بن يزيد •

وقيل ان الذى قتله هو شمر بن ذى الجوشن وقيل رجل من مذحج وقيل عمر بن سعد بن ابى وقاص وليس هذا القول بشيء وانما كان عمر بن سعد امير السرية فقط وانتهت هذه الواقعة الشنيعة التي لم يقع مثلها في الاسلام •

وكان قد قتل من اصحاب الحسين اثنان وسبعون شخصا ومن اهل البيت النبوى ثلاثة وعشرون رجلا ثم جيء برأس الحسين الى ابن زياد وبعثه

الى يزيد بدمشق في قول كما بعث النساء والصبيان اليه. (١)

٤ـ قبر الحسين :

اشتهر عند كثير من المتأخرين انه في مشهد عل بمكان من الطف عند نهر كربلاء فيقال ان ذلك المشهد مبنى على قبره رضى الله عنه وقد ذكر ابن جرير وغيره ان موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع احد على تعيينه .

وقد كان ابو نعيم الفضل بن دكين ينكر على من يزعم انه يعرف قبر الحسين رضى الله عنه . (٢)

٥ـ رأس الحسين :

يختلف اهل العلم في تعيين موضع رأس الحسين وهل نقل الرأس الى الشام ام لا .

يقول ابن كثير : المشهور عند اهل التاريخ واهل السير انه بعث به ابن زياد الى يزيد بن معاوية ومن الناس من انكر ذلك وعندى ان الاول اشهر فالله أعلم.

ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذى دفن فيه الرأس فروى محمد بن سعد ان يزيد بعث برأس الحسين الى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع .

وذكر ابن ابى الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح — وهما ضعيفان — ان الرأس لم يزل في خزانة يزيد ابن معاوية حتى توفى فاخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس الثاني من

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٢ وما بعدها فسالقصةملخصة منه

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٣

مدينة دمشق ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم وذكر ابن عساكر في تاريخه : ان يزيد حين وضع الرأس بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى :

ليت اشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الاسل

قال ثم نصبه بدمشق ثلاثة ايام ثم وضع في خزائن السلاح حتى كان زمن سليمان ابن عبد الملك جيء به اليه وقد بقي عظما ابيض فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين فلما جاء بنو العباس نبشوه وأخذوه معهم .

وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة اربعمائة الى ما بعد سنة ستين وستمائة ادعوا ان الرأس وصل الى الديار المصرية وانه مدفون بها وقد بنوا عليه المشهد المشهور به بمصر والذى يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة وقد نص غير واحد من الأئمة على انه لا اصل له .(١)

اما ابن تيمية فيقطع قطعا جازما بأن رأس الحسين لم يحمل الى الشام فضلا عن ان يحمل الى مصر بدليل ما ثبت في صحيح البخارى بأن الرأس حمل الى عبيدالله بن زياد وانه هو الناكت بالقضيب على ثناياه بحضرة انس بن مالك رضى الله عنه .(٢)

وفي مسند الامام احمد ان ذلك كان بحضرة ابي برزة الاسلمي ولكن بعض الناس يروى باسناد منقطع يروى ان النكت كان بحضرة يزيد بن معاوية وهذا باطل .

فان ابا برزة الاسلمي وانس بن مالك كانا بالعراق ولم يكونا بالشام ويزيد بن معاوية كان بالشام ولم يكن بالعراق حين قتل الحسين فمن نقل انه نكت بالقضيب بحضرة هذين قدامه فهو كاذب قطعا كذبا معلوما بالنقل المتواتر ثم قال ابن تيمية :

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤

(٢) تقدم تخريج الحديث في ص ٧٩ رقم ٣

ومعلوم بالنقل المتواتر أن عبيد الله بن زياد كان هو امير العراق حين قتل الحسين رضي الله عنه •

وقد ثبت بالنقل الصحيح انه هو الذى ارسل عمر بن سعد مقدما على الطائفة التي قاتلته وقد امتنع عمر بن سعد عن ذلك فأرغبه وارهبه حتى فعل ما فعل • (١)

ثم ما نقلوه من ان النكت من يزيد وهي رواية منقطعة وقد عارضها من الروايات ما هو اثبت واظهر فقد رووا ان يزيد لما بلغه قتل الحسين اظهر التألم من ذلك وقال : لعن الله اهل العراق فقد كنت ارضى بطاعتهم بدون هذا وقال في عبيدالله بن زياد انه لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله واحسن جهاز اهل بيته وردهم الى المدينة بعد ما خيرهم بين البقاء معه والرجوع الى المدينة فاختاروا الذهاب الى المدينة • (٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (منهاج السنة) «والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا اشياء من الكذب كما زادوا في قتل عثمان وكما زادوا فيما يراد تعظيمه من الحوادث وكما زادوا في المغازى والفتوحات وغير ذلك•

والمصنفون في اخبار قتل الحسين منهم من هو من اهل العلم كالبغوى وابن ابى الدنيا وغيرهما ومع ذلك فيما يروونه اثار منقطعة وامور باطلة •

واما ما يرويه المصنفون في المصرع بلا اسناد فالكذب فيه كثير والذى ثبت في الصحيح ان الحسين لما قتل حمل رأسه الى قدام عبدالله بن زياد وانه نكت بالقضيب على ثناياه وكان بالمجلس انس بن مالك وابو برزة الاسلمي (رضي الله عنهما) ففى صحيح البخارى عن محمد بن سيرين عن انس بن مالك رضي الله عنه قال اتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل

---

(١) راجع رأس الحسين ص ١٥ـ١٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٥

ينكت وقال في حسنه شيئا فقال انس كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوبا بالوسمة وفيه ايضا عن ابي نعيم قال سمعت ابن عمر وسأله رجل عن المحرم يقتل الذباب فقال يا اهل العراق تسألوني عن قتل ذباب وقد قتلتم ابن بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم هما ريحانتين من الدنيا (١) وقد روى باسناد مجهول ان هذا كان قدام بن يزيد وان الرأس حمل اليه وأنه هو الذى نكث على ثناياه وهذا مع انه لم يثبت ففي الحديث ما يدل على انه كذب فان الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام بل كانوا بالعراق كما تقدم . (٢)

والمقصود هنا ان نقل رأس الحسين الى الشام لا اصل له في زمن يزيد فكيف بنقله بعد زمن يزيد .

وانما الثابت هو نقله الى امير العراق عبيد الله بن زياد بالكوفة والذى ذكر العلماء انه دفن بالمدينة (٣) ومن هنا يتبين ان في موضع دفن رأس الحسين رضي الله عنه ثلاثة أقوال :

القول الأول :— انه بعد حمله الى يزيد بن معاوية بالشام رد الى مدفنه بكربلاء وهذا ما تقوله الشيعة الامامية كما يأتي في الحديث على صورة الحسين عندهم .

القول الثاني :— انه حمل الى الشام وبقي هناك حتى دفنه سليمان بن عبد الملك في مقبرة المسلمين ويميل الى هذا القول ابن كثير كما تقدم النقل عنه .

القول الثالث :— انه ارسل به الى المدينة ودفن بجانب قبر اخيه الحسن رضي الله عنهما وهذا القول يميل اليه شيخ الاسلام ابن تيمية . وقد وصف هذا القول بانه منقول عمن يعتمد عليه من العلماء كابي بكر بن ابي الدنيا وابي القاسم البغوى وغيرهما . (٤)

---

(١) البخاري جـ ٧ ص ٩٥
(٢) راجع منهاج السنة جـ ٢ ص ٢٤٨
(٣) راجع (رأس الحسين) ص ٢٦
(٤) المصدر السابق ص ١٧—١٨

وأما المشهد المضاف الى الحسين والموجود بالقاهرة فلا اصل له وكذلك المشهد العسقلاني وغيرهما من المشاهد المضافة الى الحسين رضى الله عنه كل ذلك لا اصل له وقد رأيت فيما مر اختلاف العلماء في رأس الحسين هل حمل الى الشام ام لا ورأيت ان الراجح عدم حمله الى الشام واما الى مصر فليس هناك نزاع في عدم المجيء به الى مصر .

يقول ابن تيمية :

ان المشهد المنسوب الى الحسين بن علي رضى الله عنهما والذى بالقاهرة كذب بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند اهل العلم الذين يرجع اليهم المسلمون في مثل ذلك وانما يذكره بعض الناس عمن لا يعرف على عادة من يحكي من مقالات الرافضة وامثالهم من اهل الكذب. (١)

هذا المشهد المضاف الى الحسين فانه باتفاق الناس انما بنى عام بضع واربعين وخمسمائة هجرية وذلك باتفاق الناس.

وانه نقل من مشهد بعسقلان وان ذلك المشهد بعسقلان كان قد احدث بعد التسعين واربعمائة .

فاصل هذا المشهد القاهرى من ذلك المشهد العسقلاني وذلك العسقلاني لحدث بعد مقتل الحسين باكثر من اربعمائة وثلاثين سنة.

وهذا بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة وهذا مما لا يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من اهل العلم على اختلاف اصنافهم كاهل الحديث ومصنفى اخبار القاهرة ومصنفى التواريخ وما نقله اهل العلم طبقة عن طبقة.

وهذا بينهم مشهور متواتر : فهذا المشهد انما نقل من عسقلان في اواخر الدولة العبيدية .

واذا كان اصل هذا المشهد القاهرى هو ما نقل عن ذلك المشهد

---

(١) راجع (رأس الحسين) ص ٤ — ٥

العسقلانى باتفاق الناس وبالنقل المتواتر • فمن المعلوم ان قول القائل ان ذلك المبنى بعسقلان هو مبنى على رأس الحسين رضى الله عنه قول بلا حجة اصلا • فان هذا لم ينقله احد من اهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا لا من اهل الحديث ولا من اهل الاخبار والتواريخ ولا من العلماء المصنفين في النسب نسب قريش اونسب بنى هاشم •

وذلك المشهد العسقلانى احدث في آخر المائة الخامسة لم يكن قديما ولا كان هناك مكان قبله مضاف الى الحسين ولا حجر منقوش اونحوه مما يقال : انه علامة على ذلك • فيتبين بذلك ان اضافة المضيف مثل هذا الى الحسين قول بلا علم اصلا : وليس مع قائل ذلك ما يصلح ان يكون معتمدا وذكر ان هذا المشهد العسقلانى قبر لبعض الحواريين (١) •

ثم قال ابن تيمية :

ونحن نعلم ونجزم انه ليس رأس الحسين ولا كان ذلك المشهد العسقلانى مشهدا للحسين • وذلك من وجوه متعددة :

منها انه لوكان رأس الحسين هناك لم يتأخر كشفه واظهاره الى ما بعد مقتل الحسين باكثر من اربعمائة سنة ودولة بني امية انقرضت قبل ظهوره باكثر من ثلاثمائة سنة وبضع وخمسين سنة •

وجاءت دولة بنى العباس وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثيرا منها كذبا وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهدا وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت الدولة العباسية فتفرقت الأمة وكثرت فيهم الزنادقة المنتسبون الى الاسلام •

وذلك في دولة المقتدر في اواخر المائة الثالثة وفي ذلك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك الى مصر •

---

(١) راجع رأس الحسين ص ٧ — ٨

فلو كان رأس الحسين بعسقلان لكان المتقدمون اعلم بذلك من المتأخرين .

الثاني : ان الذين جمعوا اخبار الحسين ومقتله مثل ابي بكر بن ابي الدنيا وابي القاسم البغوى ونحوهما لم يذكر أحد منهم ان الرأس حمل الى عسقلان او الى القاهرة .

الثالث : ان الذى ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين ان الرأس حمل الى المدينة ودفن عند اخيه الحسن .

الرابع : ان الذى ثبت في صحيح البخارى ان الرأس حمل الى قدام عبيد الله بن زياد وجعل ينكت بقضيب على ثناياه (١) وقد مر بنا في الحديث على موضع رأس الحسين رضى الله عنه قريبا .

وقال ابن كثير :

ان الفاطميين هم الذين ادعوا ان رأس الحسين مدفون بمصر ويقول عليه المشهد المذكور والذى يقال له (تاج الحسين) بعد سنة خمسمائة وقد نص غير واحد من الائمة على انه لا اصل له وانما ارادوا بذلك ان يروجوا ما ادعوه من الباطل من النسب الشريف وهم في ذلك كذبة خونة .

والناس اكثرهم يروج عليه مثل هذا فانهم جاءوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد وقالوا هذا رأس الحسين فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك . (٢)

---

(١) راجع (رأس الحسين) ص ١٦—١٧—١٨

(٢) راجع البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤

٦ — صورة الحسين عند الامامية الاثنى عشرية :

والحسين في نظر الشيعة هو الامام الثالث بعد اخيه الحسن وان امامته بدأت عند وفاة اخيه الحسن رضي الله عنه واستمرت الى أن استشهد في كربلاء كما مر وهذه هي عقيدة الشيعة قال محمد رضا المظفر :

ونعتقد ان الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة هم مرجعنا في الاحكام الشرعية المنصوص عليهم اثنى عشر اماما فبدأ بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وثنى بالحسن بن علي ثم ثلث بأبي عبدالله الحسين بن علي سيد الشهداء ثم ذكر بقية الاثنى عشر . (١)

فالحسين بن علي هو ثالث الائمة المعصومين وخلفاء الله في أرضه وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بأسمائهم ثم نص المتقدم منهم على من بعده على الترتيب الذى ذكرناه في سلسلة الائمة الاثنى عشر وذكروا ان من القابه الشهيد والسعيد والسبط الثاني والامام الثالث وألقابه كثيرة الا أن اهمها هذه الاربعة واسمه الحسين وفي التوراة بشبر وفي الانجيل طالب وكنيته ابوعبدالله والخاص ابو علي . (٢)

ومدة خلافته خمس سنين واشهر اخر ملك معاوية واول ملك يزيد بن معاوية . (٣)

ويرون ان الذى تولى قتله عمر بن سعد بن ابي وقاص وخولي بن يزيد الاصبحي واحتز رأسه سنان بن انس النخعي وشمر بن ذى الجوشن وسلب جميع ما كان عليه اسحاق بن حويه الحضرمي واميرالجيوش عبيد الله بن زياد وجهه اليه يزيد بن معاوية .

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) الرسول الأعظم واهل بيته الاطهار ص ١٤٤

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢

ومضى قتيلا يوم السبت العاشر من شهر محرم قبل الزوال وقيل يوم الجمعة بعد صلاة الظهر وقيل يوم الاثنين (بطف كربلاء) بين نينوى والناصرية من قرى النهرين بالعراق سنة احدى وستين من الهجرة ودفن بكربلاء غربي الفرات وان رأسه رد من الشام الى مدفنه (بكربلاء) فضم اليه (١) .

ويرون انه لما انتهى الامر الى ملك هاشم بتوارثه بنو أمية لم يكن الحسين رضى الله عنه ليقبل ذلك ولذلك خرج الى الكوفة حيث انصاره وأنصار أبيه من قبل ولكن سرعان ما خدعه القوم وتخلوا عنه وساعدوا في القضاء عليه وعلى حركته الاصلاحية وذلك ان عبيد الله بن زياد امير الكوفة من قبل يزيد ارسل جيشا من اهل الكوفة انفسهم فقاموا بقتله وقتل اولاده وأغلب الهاشميين معه : وكانت مذبحة لم ير المسلمون لها مثيلا وخرجت نساء بني هاشم حواسر يبكين الحسين رضى الله عنه . (٢)

ولقد بكى المسلمون الحسين حتى يومنا هذا ، واعتبره الشيعة سيد الشهداء جميعا .

كما يرى الشيعة ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبر بمصرع الحسين رضى الله عنه وان الملائكة جاءت بتراب من بيت المقدس الى كربلاء ليدفن فيه الحسين رضى الله عنه وانهم هيئوا قبره قبل استشهاده بالف سنة كما أشار الامام علي رضى الله عنه الى ذلك حين مر بكربلاء . (٣)

والواقع ان هذه عقيدة الغلاة من الشيعة الامامية فيما يتعلق بقبر الحسين رضى الله عنه وما نسب الى الامام علي رضى الله عنه حوله وحول مدفنه فالظاهر انه نوع من انواع الغلو المعروف عند الشيعة في حق أئمتهم وما ينسبونه اليهم من اقوال هم منها براء .

---

(١) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ١٤٢ والاشعرى في المقالات ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥١

(٢) راجع سامى النشار ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨

(٣) المصدر السابق ص ٣٧ والرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ١٥٤
وفي مسند الإمام احمد ج ١ ص ٨٥ ان عليا رضى الله عنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان فسأله فقال ان جبريل عليه السلام حدثني ان الحسين بشط الفرات فناوله قبضة قال علي رضى الله عنه فلم املك عيناي ان فاضتا .

ولقد كان مقتل الحسين رضي الله عنه حقا اكبر حادث في تاريخ الاسلام السياسي والروحي .

فكان لهذا الحادث الدوي لم اثره المباشر والفعال لدى الشيعة الامامية وفي نشأة التشيع وتطوره وقد مر بنا الحديث في ذلك في (التمهيد) فلقد قامت حركة التوابين اثر مقتله رضي الله عنه بقيادة سليمان بن صرد وكانت كرد فعل عن هذه الحادثة . (١)

ويرى الشيعة ايضا أن الحسين رضي الله عنه كتب الله له ذلك في الازل ليفدي الاسلام بنفسه فضحى بروحه الزكية . فقرن الشيعة موقف الحسين الفدائي بموقف المسيح عند النصارى حيث اعتبروه مكفرا للبشرية عن الخطيئة الموروثة ومخلصا لها فنقلوا عن الصادق انه قال : لم يولد لستة أشهر الا المسيح بن مريم عليه السلام . والحسين بن علي رضي الله عنه . وذكروا عنه روايات تؤكد علاقة المسيح بالحسين من حيث الولادة الشاذة وانه لما حملت فاطمة بالحسين جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان فاطمة ستلد غلاما تقتله امتك من بعدك فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه .

وقال ابو عبدالله جعفر الصادق لم تر في الدنيا ام تلد غلاما تكرهه ولكنها كرهته لما علمت انه سيقتل . قال وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ (٢)

هذا وبعض الشيعة يزعمون ان الحسين لم يقتل وانما شبه للقوم كما كان الحال في عيسى ابن مريم عليه السلام . (٣)

---

(١) سامي النشار ج ٢ ص ٣٨

(٢) سورة الاحقاف اية /٤٦

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع : ص ٩٤

كما يرى الشيعة ان الحسين لم يرضع كالاطفال بل كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيلقمه ابهامه فيمص منه ما يكفيه من اللبن فصار لحم الحسين من لحم رسول الله فلم يرضع من انثى لا من فاطمة ولا من غيرها . وهذا هو الغذاء الروحي ومثله العلم الموروث وهو روح النبوة التي من عند الله كما ارادها الشيعة لأئمتهم . (١)

ولقد (٢) صار الحسين في نظر الشيعة المثل الاعلى للبطولة الاسلامية في سبيل الحق كما صار مقتل الحسين سببا في ذل المسلمين . اشار الى هذا المعنى عبدالله بن مطيع حين قال للحسين فداك ابي وامي متعنيا بنفسك ولا تسر فوالله لئن قتلت ليتخذونا خولا وعبيدا ومن هنا قال سليمان بن قتة :

فان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاب المسلمين فذلت (٢)

وكتب رجل من خراسان الى محمد بن الحنفية يصف له ما نال الشيعة من اضطهاد وذل فيقول :

فما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الاعناق وابطلت الشهادات وشردنا في البلاد واوذينا حتى لقد هممت ان اذهب في الأرض قفرا فاعبد الله حتى القاه .

وقال عبد الرحمن بن ابي نعيم وكان من زهاد البصرة " يا اهل العراق تسألونني عن المحرم يقتل وقد قتلتم ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الصلة بين التشيع والتصوف ص ٩٤ وراجع نظرية الامامة ص ٣٤٥

(٢) هذا البيت نقله الشيبي هكذا منسوبا الى سليمان المذكور (الصلة بين التصوف والتشيع) ص ٩٥ اما الاشعري فقد نسب هذا البيت مع ابيات اخرى الى ابن ابي ربح الخزاعي ونص البيت في المقالات ج ١ ص ١٤١ :

وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقابا من قريش فذلت

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي اخيه الحسن (هما ريحانتاى من الدنيا) (١)

وترك ابو عثمان النهدى الكوفة وقال لا أسكن بلدا قتل فيه ابن بنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد صار مقتل الحسين ملحمة كبرى في اوساط الشيعة يذكر الشيعة بذلك هذا البطل الذى انقذ الاسلام وحماه .

وجعل الشيعة يكررون كل عام تذكير الناس بتفاصيل هذه الواقعة المؤلمة واعتبروا اليوم الذى قتل فيه الحسين ذكرى لهم وهو يوم عاشوراء فيأتي الشيعة الى كربلاء او غيرها من المشاهد الحسينية للبكاء .

ولذا يعتبر البكاء بعد اشهار السيف الرابطة بين الشيعة وآمالهم في اعادة الحق الى اصحابه .

وجعلوا مجالس للعزاء تعقد في ايام الواقعة وفي غيرها لأن الشيعة يغتنمون كل مناسبة ليشهدوا هذه المجالس .

والذى يجمع شمل الشيعة ويوحد صفوفهم حبهم الزائد لأهل البيت والبكاء المحرق عليهم فالشيعة اذن منذ كارثة كربلاء سلسلة لا تنقطع من التعذيب والاضطهاد واجتماعاتهم تنعقد كل عام في الثلث الاول من المحرم . (٢)

ومن الجدير بالذكر ان خروج الحسين في فئة قليلة من اهل بيته على يزيد قد اثار مشكلة في اوساط الشيعة وذلك بعد ما توصلوا الى حل مشكلة تنازل الحسن لمعاوية كما مر .

فنقل صاحب نظرية الامامة لدى الشيعة الامامية عن النوبختي قوله : فلما قتل الحسين حارت فرقة من اصحابه وقالت قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لانه ان كان الذى فعله الحسن واجبا صوابا من موادعته معاوية

---

(١) البخاري مع فتح الباري جـ ٧ ص ٩٥

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ٩٥ — ٩٦

وتسليمه له الامر عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة انصار الحسن وقوتـه فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة انصاره وضعفهم وكثرة اصحاب يزيد باطل غير جائز لأن الحسين اعذر في الخروج وطلب الصلح والموادعة من الحسن في الخروج عن محاربة معاوية وان كان ما فعله الحسين حقا واجبا صوابا من مجاهدة يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده واصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ولقد واجهت هذه المشكلة الشيعة في كل زمان لان موقف كل منهما معارض للآخر مع ان تصرفات الأئمة لا تخضع للهوى او للرأى الشخصي حسب معتقداتهم .

ولقد عرف عن الحسين انه كان كارها لصلح الحسن وتنازله لمعاوية غير أنه آثر طاعة اخيه الحسن والسكوت طالما كان معاوية على قيد الحياة الا ان معاوية بالرغم من صلح الحسن هذا لم يكن له اثر ونفع بالنسبة الى اهل العراق وشيعة علي وأهل بيته ذلك ان معاوية سلط عليهم زياد بن أبيه فأخذهم بالخسف والقسر وبانواع الذل والهوان وسار فيهم سيرة سيئة طابعها البطش والجبروت حتى اذل رقاب الرجال فأخذ بالظنة وعاقب على التهمة .

من ذلك انه لما استقر لمعاوية امر العراق طلب من الشيعة ان يكفوه شر الخوارج انتقاما عليهم لما عرف من شجاعة الخوارج واستماتتهم في الحرب فلقد كان يتوقع ان يكون صلح الحسن ذا فائدة لانصاره ولكن كان معاوية أدهى من ان يدع الشيعة يستفيدون من هذا الصلح .

وهكذا وقع الشيعة بين بطش زياد وشر الخوارج وخيبت آمالهم في ان تزداد اعطياتهم بعدما زادت اعطيات اهل الشام مركز السيادة وعاصمة الدولة .

اضافة الى ما ذكر فقد أمر معاوية ولاته بسب علي كرم الله وجهه على المنابر.(١)

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٣٠ ـ ٣٣١

واراد ان يجعل السب في الناس سنة متبعة وحين ثار بعض الشيعة من ذلك ارسلوا الى معاوية ليلقوا حتفهم مما اورث الشيعة حقدا اذ علموا ان لا امان في حياتهم مع ان عدم السب كان من شروط الحسن في صلحه مع معاوية كما مر في الحديث على تنازل الحسن من هذا الفصل ثم ختم معاوية هذا كله بطلب البيعة لابنه يزيد وهذا مخالف لشروط الصلح ايضا . وبهذا يكون معاوية قد نقض شروطه كلها مع الحسن وآخر شرط نقضه طلبه البيعة لابنه يزيد . (١)

وليست هذه كل مبررات الحسين في الخروج على يزيد ومخالفة سيرة اخيه بعد ان ادت الموادعة والمهادنة الى اسوأ حال بالنسبة لشيعة اهل البيت .

بل في ولاية العهد ليزيد ما يخالف السنة المتبعة في الخلافة وهذا ما عبر عنه عبد الرحمن بن ابي بكر حين قال لمروان بن الحكم لما طلب البيعة ليزيد بأمر من معاوية فقال عبد الرحمن بن ابي بكر رضى الله عنهما ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل غير انه لم يكن استنكار المسلمين لبيعة يزيد انكارا لولاية العهد او وراثة الملك وانما لما عرف به يزيد من سوء السيرة .

وكان الامر بالنسبة للحسين دقيقا غاية الدقة ليس فقط لاجل تعلق الناس بشخصه سواء اهل الحجاز ام اهل العراق . ولكن الامر يتعلق بوصفه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب عليه النصيحة للأمة وجوبا خاصا فليس كغيره من المسلمين .

كما ترجح عند الحسين انه لو وضع يده في يد يزيد وبايعه فان ذلك لا يكف يده واذاه عنه فهو لا يهنأ الا بموته كما ان اباه لم يهنأ الا بموت علي والحسن رضى الله عن الجميع .

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٢١ ت ٣٣٢ ودائرة المعارف الشيعية ج ١ ص ١٥ ـ ١٦

اذن حياة الحسين في نظر يزيد تعتبر غصة في حلقه سواء بايع او لم يبايع لكنه لو بايع لكانت بيعته حجة للأمويين على الشيعة ولكنها لا تبعث على الرضا ما بقي على قيد الحياة ٠

هذه المبررات هي التي حملت الحسين على الخروج في نظر الشيعة بالرغم من نصح الناصحين له على عدم الخروج وليس ذلك عنادا منه او تكبرا ومع ذلك فقد حرص على ان لا يخرج معه انصاره من اهل الحجاز لئلا يقع فيهم ما وقع في صفوف ابيه من النزاع حيث نشأ عن ذلك فرقة الخوارج بل الحسين كان في الليلة التي قتل في صبيحتها قد طلب من انصاره ان يتسللوا في ظلام الليل وانه قد اذن لهم في ذلك وما ذلك الا خوفا من ان يظهر من اصحابه مثل ما ظهر من انصار ابيه وحتى لا يبقى معه من يكون معه ادنى شك في عدالة خروجه وشرعية قتاله ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لا يرى الحياة مع دولة يقوم نظامها السياسي على عدم اعتبار البيعة بل ولا تعتبر انتخاب الحاكم عملا سياسيا ومن هنا راى الحسين رضى الله عنه ان الاقدام على بيعة يزيد انحراف عن اصول الدين بناء على ان السياسة الدينية لا ترى ولاية العهد ووراثة الملك الا بدعة في الدين هرقلية كسروية دخيلة على الاسلام ٠

فيكون اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة والميل الى اللهو ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر رزية تحل بالنظام السياسي للاسلام فيتحمل وزر ذلك كل من شارك فيه او رضى عنه فما بالك اذا كان المشارك ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ (١)

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

من هنا كان خروج الحسين في نظر الشيعة امرا ضروريا يتصل بالعقيدة والدعوة اكثر مما يتصل بالسياسة والحرب فلقد اراد الحسين ان يصلح كثيرا من اصول العقيدة بعد ما اختلت الموازين اثناء خلافة معاوية حيث ذكروا امورا احدثها معاوية في ولايته وجعلها من الدين فكان من الضروري زيف ذلك حتى يعود الاسلام الى ما كان عليه في عهد النبوة من الصفاء والاستقامة ولم يكن تقدير فشل الحركة عسكريا غائبا عن ذهن الحسين في نظر الشيعة فلقد اشار اليه قوم من الناصحين له وفي مقدمتهم ابن عباس وابن عمر وابن عمه عبدالله بن جعفر بعدم الخروج ومن المستبعد بمكان ان يكون الحسين غافلا عن تقدير مدى اخلاص اهل الكوفة في دعوتهم له وقد خذلوا اباه وتآمروا على اخيه من قبل . ولم يكن هؤلاء الناصحون موضع اتهام من الحسين رضي الله عنه .

فلقد نصحوه ان اصر على الخروج بالخروج مع عدد من الانصار الذين كانوا اشد اخلاصا له ولأبيه فأبى ونصحوه ان يتجه الى اليمن فلأبيه فيها شيعة فضلا عن بعدها عن مقر الخلافة بدمشق فأبى ثم نصحوه ان اصر على الخروج بترك اهل بيته بالحجاز فابى ولا يعقل ان يكون الحسين غافلا عما يقدم عليه من الاخطار . (١)

يقول صاحب (نظرية الامامة) :

وليس لدينا من النصوص التي تثبت وجهة نظر الحسين في خروجه على الصورة التي اصر على الخروج بها فلا تثبت المصادر الشيعية مغزى خروجه من وجهة نظره الا انه وقف على قبر الرسول قبل خروجه يقول كيف أنسى شيعتي وأنا سأضحي بنفسي مختارا في سبيلهم ثم ترك القبر وصار يخاطب نفسه فيقول :

لقد وجدت وراء هذا الحجاب ما تاقت اليه نفسي منذ زمن طويل وحان موعد الخلاص فقد غسلت يدي من الحياة وعزمت على تنفيذ ما أراد الله

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٢٦

وهذه الاقوال تفصح عن راى الشيعة في امامهم من حيث انهم لا يصورون ان امامهم غلب او قتل ضد ارادته ولكنها لا تفصح تماما عن السر الكامن وراء خروجه .

ومهما يكن من امر فان الحسين كان يقدر الموت في خروجه اكثر مما يقدر النصر الذى عز على ابيه مع شجاعته وعلى اخيه مع كثرة انصاره ولقد ودعه ابن عمر قائلا استودعك الله من قتيل . (١)

ومن هنا يتبين ان الشيعة تصوب الحسين في خروجه وان خروجه ضرورى وواجب تمليه عليه العقيدة وانه غير مخطئ في ذلك استنادا الى المبررات التي تقدمت الاشارة اليها .

وذهب بعض الباحثين الى تخطئة الحسين السبط في خروجه على يزيد قال الاستاذ الخضرى بك في كتابه تاريخ الامم الاسلامية بعد ذكر مقتل الحسين .

(بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التي اثارها عدم الاناة والتبصر في العواقب فان الحسين ابن على رمى بقول مستشاريه جميعا عرض الحائط وظن اهل العراق خيرا وهم اصحاب ابيه فقد كان ابوه خيرا منه واكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة في الاعناق ومع ذلك لم ينصروه حتى تمنى في اخر امره الخلاص منهم .

واما الحسين فلم تكن له بيعة فاغتر ببعض كتب كتبها بعض دعاة الفتن ومحبو الشر فحمل اهله واولاده وسار الى قوم ليس لهم عهد وانظروا كيف تألف الجيش الذى حاربه هل كان الا من اهل العراق وحدهم الذين يرفعون صوتهم بانهم شيعة على ثم قال الاستاذ : وعلى الجملة فان الحسين اخطأ خطأ عظيما في خروجه الذى جر على الامة وبل الفرقة والاختلاف وزعزع عماد

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٢٧

وهم

ائمتها الى يومنا هذا . وقد اكثر الناس من الكتابة عن هذه الحادثة/لا يريدون بذلك الا ان تشتعل النيران في القلوب وغاية ما في الأمر ان الرجل طلب امرا لم يهيأ له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه .

وقبل ذلك قتل ابوه ولم يجد من الكتاب من يشنع على قتله ويزيد به نار العداوة تأججا وقد ذهب الجميع الى ربهم يحاسبهم على ما فعلوا .

والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهي انه لا ينبغي لمن يريد عظائم الامور ان يسير اليها بدون عدتها الطبيعية فلا يرفع سيفه الا اذا كان معه ما يكفل له النجاح او يقرب من ذلك كما انه لا بد ان تكون هناك اسباب حقيقية لمصلحة الأمة بأن يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل وعسف شديد ينوء الناس بحمله واما الحسين فقد خالف يزيد بعد ان بايعه الناس ولم يظهر منه جور ولا عسف عند ظهور هذا الخلاف . (١)

قال محمد رضا بعد ان نقل هذا الكلام بالحرف الواحد في الرد عليه خطأ الاستاذ الخضري بك الحسين رضي الله عنه لانه لم يتبصر في العواقب .

ومن السهل ان يخطىء الانسان غيره ولا سيما اذا كان هذا الغير لم ينتصر اولم يفز بما اراد .

ولو ان الحسين حارب وقهر اعداءه ونزع الخلافة من يزيد لما قيل عنه انه اخطأ اولم يتبصر في العواقب . صحيح ان الحسين لم يعمل برأي نصحائه من اهله واحبابه لكنه كان معذورا لانه كان في مبدأ الأمر مخالفا لاخيه الحسن في تسليم الأمر لمعاوية فلما مات معاوية واوصى لابنه يزيد لم يبايعه لأن

---

(١) الحسن والحسين ص ١٥٤

من لم ير تسليم الأمر لمعاوية لم ير من باب اولى واحرى تسليمه ليزيد وكان الحسين حينئذ سيد الحجاز ويرى انه احق بالخلافة من يزيد الذى لم تكن له سيرة محمودة وكان يشرب الخمر واشتهر باقتراف المعاصى فلما خرج الحسين من المدينة قاصدا مكة اتته كتب من اعاظم الناس في الكوفة يدعونه لمبايعته والقدوم عليهم لنفس الغرض •

وكان مما قاله لهم في رده عليهم " ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط " يعنى ان يزيد بن معاوية لا يصلح للخلافة وليس لديه مؤهلات الامامة وشروطها الا وهى العمل بالكتاب والقيام بالقسط •

وكان الحسين في الوقت نفسه يشعر بالكفاءة والقدرة والاهلية لذلك وليس هو كاحد افراد الأمة بل هو فرد ممتاز ومن اسرة النبي صلى الله عليه وسلم يهمه صالح الأمة ويهمه امورها فهل يترك الخلافة بيد شارب فاسق مستهين لا يراعى حرمة للدين •

اذا كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبا على كل مسلم فلا ريب انه اولى من يقوم به واولى من يعمل على ازالة المنكر ولو بالتضحية بنفسه لان مثل هذه التضحية جهاد في سبيل الله واذا كان الحسين لا يجاهد في هذا السبيل فمن الذى يجاهد ومن ذا الذى تقتدى به الأمة في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر •

لقد كان الحسين يرى ان التضحية واجبة عليه وذلك في قوله " انى لا ارى الموت الا سعادة ولا ارى الحياة مع الظالمين الا حرمانا فلماذا قال ذلك فلا ريب انه رأى ظلما واقعا وجرما يرتكب في البلاد فصرح انه لا يطيق الحياة مع الظالمين •

فقول الاستاذ الخضرى بك معترضا : أما الحسين فانه خالف يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور والعسف •

فهل كان يريد من الحسين ان ينتظر ولا يحرك ساكنا حتى يرى يزيد يوتع في الظلم والجور وبعد ذلك يقوم في وجهه؟ نعم ان الحسن رضي الله عنه قد سلم الامر لمعاوية اجتنابا لارلقة الدماء لكن معاوية ليس كأبنه يزيد لانه قد برهن على حسن سياسته عندما كان اميرا على الشام زمن عمر وزمن عثمان وكان صحابيا فاضلا حليما كريما غير مرتكب للمحرمات فشتان ما بينه وبين ابنه الذى كان باعتراف الجميع لا يستحق الخلافة • (١)

والشيعة تقول بأن السلف يخطئون الحسين ومنهم ابن تيمية لكونه من اهل الشام لكن كلام ابن تيمية في منهاج السنة حول مقتل الحسين لا يدل على ما زعموا بل اعتبره شهيدا ومظلوما واعتبر تلك الحادثة بانها مصيبة ويأتي ايراد كلامه رحمه الله تعالى عند الحديث على صورة الحسين عند اهل السنة •

والشيعة يقولون ان الامام الحسين رضي الله عنه وان خسر قضية سياسية او هزم في معركة حربية فانه لم يعرف في التاريخ هزيمة كان لها من الاثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين فقد اثار مقتله ثورة ابن الزبير بالحجاز والمختار بالكوفة وحركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد كما تقدم في التمهيد مما ادى في النهاية الى سقوط الدولة الأموية •

فالحسين في نظر الشيعة قد استطاع ان ينجح فيما لم ينجح فيه ابوه ولا اخوه من قبل •

٧ — صورة الحسين بن علي عند اهل السنة :

قال ابن تيمية : والناس في امر الحسين على ثلاثة اصناف ، طرفان ووسط •

---

(١) راجع الحسن والحسين ص ١٥٥ — ١٥٦ — ١٥٧ — ١٥٨

الطرف الاول :ـ يقول انه قد خرج عن الطاعة وشق عصا المسلمين وفارق جماعة المسلمين وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من جاءكم وامركم على رجل واحد يريد ان يفرق جماعتكم فاقتلوه) (١)

قالوا والحسين جاء وامر المسلمين على رجل واحد فاراد ان يفرق جماعتهم

وقال بعض هؤلاء هو اول خارج خرج في الاسلام على ولاة الأمر .

والطرف الثاني :ـ قالوا بل كان هو الامام الواجب طاعته الذى لا ينفذ امر من امور الايمان الا به ولا تصلى جماعة ولا جمعة الا خلف من يوليه ولا يجاهد عدو الا باذنه ونحو ذلك .

واما الوسط :ـ فهم اهل السنة الذين لا يقولون هذا ولا هذا .

بل يقولون قتل مظلوما شهيدا ولم يكن متوليا امر الامة والحديث المذكور لا يتناوله فانه لما بلغه ما فعل بابن عمه مسلم بن عقيل ترك طلب الأمر وطلب ان يذهب الى يزيد او الى الثغر او الى بلده فلم يمكنوه وطلبوا منه ان يستأسر لهم وهذا لم يكن واجبا عليه . (٢)

واما مقتل الحسين رضى الله عنه فلا ريب انه قتل مظلوما شهيدا كما قتل اشباهه من المظلومين الشهداء وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممن قتله او اعان على قتله او رضى بذلك وهي مصيبة اصيب بها المسلمون من اهله وغير اهله وهو في حقه شهادة له ورفع درجة وعلو منزلة فانه واخاه سبقت لهما من الله السعادة التي لا تنال الا بنوع من البلاء ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما .

فانهما تربيا في حجر الاسلام في عز وامان فهذا مات مسموما وهذا مقتولا لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء .

---

(١) مسلم مع النووى جـ ١٢ ص ٢٤١

(٢) منهاج السنة النبوية جـ ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨

وليس ما وقع من ذلك باعظم من قتل الانبياء فان الله تعالى قد اخبر ان بنى اسرائيل كانوا يقتلون الانبياء بغير حق وقتل النبي اعظم ذنبا ومصيبة. وكذلك قتل على اعظم ذنبا ومصيبة وكذلك قتل عثمان اعظم ذنبا ومصيبة .

واذا كان كذلك فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع كما يحبه الله ورسوله قال الله تعالى ﴿ وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ﴾ (١)

وفي مسند الامام احمد وابن ماجة عن فاطمة بنت الحسين عن ابيها الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وان قدمت فيحدث لها استرجاعا الا اعطاه الله مثل اجره يوم اصيب بها) (٢)

ورواية الحسين وابنته التي شهدت مصرعه لهذا الحديث آية فان مصيبة الحسين هي مما يذكر وان قدمت فشرع للمسلم ان يحدث لها استرجاعا واما ما يكرهه الله ورسوله من لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية فهذا محرم تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من فاعله . كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) (٣)

وتبرأ من الصالقة والحالقة والشاقة) (٤)

فالصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة .

والحالقة التي تحلق شعرها .

والشاقة التي تشق ثيابها .

---

(١) البقرة / ١٥٦

(٢) المسند جـ ١ ص ٢٠١ وابن ماجه جـ ١ ص ٥١٠

(٣) مسلم جـ ٢ ص ١٠٩

(٤) مسلم جـ ٢ ص ١١٠

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها فانها تلبس درعا من جرب وسربالا من قطران)[١] ورفع الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نائحة فامر بضربها فقيل له يا أمير المؤمنين قد بدأ شعرها فقال له لا حرمة لها انها تنهى عن الصبر وقد امر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه وتفتن الحي وتؤذي الميت)[٢]

٨ — مذهب اهل السنة في يزيد :

واما يزيد فقد صار الناس فيه طرفين ووسطا قوم يعتقدون انه من الصحابة او من الخلفاء الراشدين المهديين او من الانبياء ، وهذا كله باطل . وقوم يعتقدون انه كافر منافق في الباطل وانه كان له قصد في أخذ ثأر كفار اقاربه من اهل المدينة وبني هاشم وانه تمثل بشعر الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

قد قتلنا القرن من ساداتهم   وعدلناه ببدر فاعتدل

وكلا القولين باطل يعلم ببطلانه كل عاقل فان الرجل ملك من ملوك المسلمين وخليفة من الخلفاء الملوك لا هذا ولا هذا .[٣]

والواقع ان يزيد بن معاوية فعل امورا منكرة مثل وقعة الحرة .

وقد جاء في الحديث الصحيح عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة حرم ما بين عائر وكذا من احدث فيها حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا)[٤] وقال (من اراد اهل المدينة بسوء اذابه الله كما يذاب الملح بالماء)[٥]

---

(١) مسلم مع النووي ج ٦ ص ٢٣٥ — ٢٣٦

(٢) راجع منهاج السنة النبوية ج ٢ص ٢٤٧ وراجع البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٢

(٣) راجع منهاج السنة ج ٢ص ٢٤٦

(٤) مسلم ج ٩ ص ١٤٣ / ١٤٤ ورواه البخاري ج ١٢ ص ٤١

(٥) رواه مسلم عن ابي هريرة وسعد بن ابي وقاص ج ٩ ص ١٥٧ — ١٥٨

ولهذا لما قيل للامام احمد رحمه الله اتكتب الحديث عن يزيد قال لا ولا كرامة اوليس هو الذى فعل باهل الحرة ما فعل ٠

وقيل له ان قوما يقولون انا نحب يزيد قال : فهل يحبه احد يؤمن بالله واليوم الاخر فقيل فلماذا لا تلعنه فقال ومتى رأيت اباك يلعن احدا ٠ (١)

الا ان اهل السنة لا يكفرون احدا بذنب مهما عظم الذنب الا اذا كان كفرا ٠

وكان يزيد بن معاوية اميرا للجيش الذى غزا القسطنطينية وله موقف حسن في هذا وكان هذا الجيش اول جيش يغزو القسطنطينية ٠ (٢)

٩ — موقف يزيد من قتل الحسين عند اهل السنة :

واهل السنة يقولون ان يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولا كان له غرض بذلك بل كان يختار ان يكرمه ويعظمه كما امره بذلك معاوية ولكن كان يختار ان يمتنع من الولاية والخروج عليه ٠

فلما قدم الحسين وعلم ان اهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب ان يذهب الى يزيد او يرجع الى وطنه او يذهب الى الثغر فمنعوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتل مظلوما شهيدا رضى الله عنه ٠

وان خبر قتله لما بلغ يزيد واهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد لعن الله ابن مرجانة يعنى عبيدالله بن زياد اما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله وقال قد كنت ارضى من طاعة اهل العراق بدون قتل الحسين ثم انه جهز اهله باحسن الجهاز وارسلهم الى المدينة ٠

ولكنه مع ذلك لم ينتصر للحسين ولا قتل قاتله ولا أخذ بثأره ٠

واما ما ذكره من سبي نسائه واولاده والدوران بهم في البلدان

---

(١) رأس الحسين ص ٢٤

(٢) المصدر السابق ص ٢٦

وحملهم على الجمال بدون اقتاب فكذب وباطل ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط ولا استحلت امة محمد صلى الله عليه وسلم سبى بنى هاشم قط ولكن اهل الهوى والجهل يكـذبون كثيرا . (١)

١٠ — موقف اهل السنة من يوم عاشورا والحزن فيه :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يحدث للناس بدعتين : بدعة الحزن والنوح يوم عاشورا من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وانشاد المراثى وما يفضى اليه ذلك من سب السلف ولعنهم وادخال من لا ذنب له في ذوى الذنوب حتى يسب السابقون الاولون وتقرأ اخبار مصرعه التي كثير فيها كذب وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة . فان هذا ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين بل احداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من اعظم ما حرمه الله ورسوله .

وكذلك بدعة السرور والفرح .

وكانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين وكان رأسهم المختار بن ابي عبيد الكذاب . وقوم من الناصبة المبغضين لعلى رضى الله عنه واولاده : ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفى .

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (سيكون في ثقيف كذاب ومبير) (٢) فكان ذلك الشيعى هو الكذاب وهذا الناصبى هو المبير فاحدث اولئك الحزن واحدث هؤلاء السرور ورووا ان من وسع على اهله

---

(١) راجع منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٩ وراس الحسين ص ٢٦ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٢

(٢) مسلم ج ١٦ ص ١٠٠ والترمذى ج ٦ ص ٤٦٧ و (المبير) المهلك

يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال حرب الكرماني سألت احمد ابن حنبل عن هذا الحديث فقال لا اصل له وليس له اسناد ثابت الا ما رواه سفيان ابن عيينة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال بلغنا انه من وسع على اهله " الحديث وابن المنتشر كوفي سمعه ورواه عمن لا يعرف ورووا انه من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام فصار قوم يستحبون في يوم عاشوراء الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال واتخاذ أطعمة غير معتادة: وهذه بدعة اصلها من المتعصبين بالباطل على الحسين رضي الله عنه وتلك بدعة اصلها من المتعصبين بالباطل له وكل بدعة ضلالة .

ولم يستحب احد من الائمة الاربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا ولا في شيء من استحباب ذلك حجة شرعية بل المستحب يوم عاشوراء الصيام عند جمهور العلماء ويستحب ان يصام معه التاسع .

ومنهم من يكره افراده بالصيام . (١)

وقال ابن كثير :

فكل مسلم ينبغي له ان يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه فانه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالما شجاعا سخيا لكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من اظهار الجزع والحزن الذى لعل اكثره تصنع ورياء وقد كان ابوه افضل منه فقتل وهم لا يتخذون مقتله مأتما كيوم مقتل الحسين فان اباه قتل يوم الجمعة وهو خارج الى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة اربعين .

وكذلك عثمان رضي الله عنه قد قتل وهو محصور في داره في ايام التشريق من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وقد ذبح من الوريد الى الوريد ولم

---

(١) راجع منهاج السنة النبوية ج ٢ص ٢٤٨

يتخذ الناس يوم مقتله مأتما ، وكذلك عمر بن الخطاب فقد قتل وهو قائم يصلي صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما وكذلك الصديق لم يتخذ الناس يوم وفاته مأتما ورسول الله سيد ولد آدم في الدنيا والاخرة وقد قبضه الله اليه كما مات الانبياء قبله فلم يتخذ الناس يوم موتهم مأتما يفعلون فيه كما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين رضي الله عنه .(١)

و(١) راجع البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٣

الفصل الثاني

دور الامامة الروحية والعلمية

— زين العابدين محمد الباقر جعفر الصادق

أولا زين العابدين :

١ — حياته : والامام الرابع لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية هو زين العابدين ٠

وهو علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين وأمه ام ولد اسمها سلامة وكان له اخ اكبر منه يقال له علي ايضا لكنه قتل مع ابيه في حادثة كربلاء ٠

روى عن ابيه وعمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور ابن مخرمة وابي هريرة وصفية وعائشة وام سلمة امهات المؤمنين ٠

وروى عنه جماعة منهم بنوه زيد وعبدالله وعمر وابو جعفر محمد بن علي وزيد بن اسلم وطاوس وهو من اقرانه والزهري ويحي بن سعيد الانصاري وابو سلمة وهو من اقرانه ايضا وخلق ٠

وامه بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس كانت قد سبيت نقل ابن كثير (١) عن الزمخشري انه قال كان يزدجرد له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب فحملت واحدة لعبدالله ابن عمر فأولدها سالما والاخرى لمحمد بن ابي بكر الصديق فأولدها القاسم والاخرى للحسين ابن علي فأولدها عليا زين العابدين ٠ وقيل ان امه سندية ٠

وكان علي مع ابيه في كربلاء كما مر عند الكلام على والده فاستبقى اما لصغره اولمرضه وكان عند هذه الحادثة ابن ثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك ٠ (١)

---

(١) راجع البداية والنهاية ج٩ ص ١٠٣ — ١٠٤

وقد هم عبيد الله بن زياد بقتله فصرفه الله عن ذلك •

كما نقل ان بعض الفجار قد اشار على يزيد بقتله ولكن الله عصمه من ذلك •

وكانت اخته زينب لها دور كبير في الحيلولة دونه ودون القتل •

وصار يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويحب مجالسته ولا يأكل الا بحضوره معه •

ولما ارسل يزيد آل الحسين الى المدينة كان زين العابدين من جملتهم وقد ردهم يزيد بعد ان خيرهم بين البقاء معه والرجوع الى المدينة فاختاروا الرجوع الى المدينة فأرسلهم معزز بن مكرمين[1] كما تقدم •

ويكنى ابا محمد وقيل ابا الحسن وقيل ابا عبدالله ولد رضى الله عنه سنة ٣٨ هـ وتوفي بالمدينة سنة ٩٥ هجرية وقيل سنة ٩٤ وعمره ٥٨ ودفن بالبقيع وكان رضى الله عنه ورعا شديد الورع •

قال الواقدى كان من اورع الناس واعبدهم واتقاهم لله عز وجل وكان اذا مشى لا يخطر بيده وكان يعتم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه

قال محمد ابن سعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا •

وقال سعيد بن المسيب وزيد بن اسلم ومالك وابو حازم لم يكن في اهل البيت مثله •

وقال الاصمعى لم يكن للحسين عقب الا من على بن الحسين وكان كثير الاحسان الى الفقراء والمحاويج •

قال محمد بن اسحاق كان ناس في المدينة يعيشون لا يدرون من اين يعيشون فلما مات على بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا انه هو الذى ياتيهم في الليل بما يأتيهم به ولما مات وجدوا في ظهره واكتافه اثر حمل الجراب الى بيوت الارامل والمساكين في الليل •

---

(١) البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٠٤

وقيل انه كان يعول مائة بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . (١)

وهو الذى قال فيه الفرزدق الابيات المشهورة وذلك حين حج هشام بن عبد الملك فلما طاف بالبيت واراد استلام الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه وقام اهل الشام حوله فبينما هو كذلك اذ اقبل على بن الحسين فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس اجلالا له وهيبة وهو في بزة حسنة وشكل مليح فقال اهل الشام لهشام من هذا فقال لا اعرفه استنقاصا له واحتقارا لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا انا اعرفه فقالوا من هو فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهى الكرم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا

سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزين اثنتان الحلم والكرم

من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم

وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم

من يعرف الله يعرف اولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الأمم

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٤ — ١٠٥

فلما سمع هشام من الفرزدق هذه الابيات غضب عليه وأمر بأن يسجن بعسفان فلما سمع به علي بن الحسين بعث اليه باثنى عشر الف درهم فلم يقبل منه الفرزدق ذلك وقال له : انما قلت ما قلت لله تعالى ونصرة للحق وقياما بحق رسول الله في ذريته ولست اعتاض عن ذلك بشيء . (١)

٣ — صورة زين العابدين عند الشيعة الامامية :

يعتبر علي بن الحسين الامام الرابع من أئمة الامامية الاثنى عشر كما تقدم .

قال حسون ملا رجي الذلفي :

الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليهم السلام هو الامام بعد الحسين بن علي رابع الأئمة وخلفاء الله في الأرض الى ان قال : أقول ان علي بن الحسين هو المعصوم السادس (٢) والامام الرابع ولقد نص على ذلك ابوه الامام الحسين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم / وعلي عليهما السلام وعندما خرج الحسين من المدينة وتوجه الى العراق ترك لولده وصية عند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بأن الامام بعدى ولدى علي وكذلك نقل اكثر مواريث النبوة في دار ام سلمة .

وفي طف كربلاء نقل قسما كبيرا من ميراث النبوة في خيمة فاطمة ابنة الحسين وهي زوجة الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وخالفت الكيسانية فقالت بامامة محمد بن الحنفية بعد الحسين واستدلوا بأن امير المؤمنين كان يحبه حبا كثيرا ولكن الامام زين العابدين ناظر عمه محمد بن الحنفية حتى اعترف له بالامامة ولقد تحمل الامام زين العابدين

---

(١) راجع البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٨ — ١٠٩

(٢) هذا بناء على قولهم بأن فاطمة الزهراء في تعداد المعصومين .

الكثير من المصائب والتي يواجهه بها من اعدائه واعداء ابائه وكان له الفضل الكبير في الدفاع عن جده محمد صلى الله عليه وسلم وكانت له مواقف في هذا الصدد في مجلس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية. (١)

ومدة امامته في نظر الشيعة الامامية اربع وثلاثون او اكثر او اقل وهي بقية ملك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك.

وكانت بداية امامته من وفاة ابيه الحسين الى ان توفي وهذه هي عقيدة الامامية الاثنى عشرية. (٢)

وقال محمد رضا المظفر :

ونعتقد ان الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة وهم حجتنا في الاحكام الشرعية المنصوص عليهم بالامامة اثني عشر اماما نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم باسمائهم الى اخره وقد سبق/ سوق هذا النص فبدأ بعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم قال والرابع ابو محمد علي بن الحسين زين العابدين. (٣)

ويلقب بالقاب منها زين العابدين والسجاد وذو الثفنات ويغلب عليه اللقب الأول وقد اشتهر به عند اهل السنة كما هو الحال عند الامامية. (٤)

والسبب في تسميته بزين العابدين في نظر الشيعة ما رووه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي مناد ابن زين العابدين فكأني أنظر الى ولدي علي بن الحسين يخطر بين الصفوف وقيل لكثرة عبادته وهو الاولى واما الحديث السابق فلا أصل له كما قال شيخ

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ١٧٤/ ١٩٤

(٢) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ١٧٤

(٣) عقائد الامامية ص ٦٢

(٤) سامي النشار ج ٢ ص ١١٧

الاسلام ابن تيمية كما سيأتي ٠

واما السبب في تسميته بالسجاد ما رواه الصدوق في العلل عن الباقر عليه السلام ان على بن الحسين ما ذكر الله بنعمة عليه الا سجد ولا قرأ آيـة من كتاب الله عز وجل فيها سجود الا سجد ولا دفع الله عنه سوء يخشاه اوكيد كائد الا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة الا سجد ولا وفق لا صلاح بين اثنين الا سجد وكان اثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمى بالسجاد لذلك ٠

واما تسميته بذى الثفنات فلأن مواضع السجود منه كانت كثفنات البعير من طول السجود وكثرته وهي ما يقع على الأرض من البعير اذا استناخ ما غلظ كالركبتين وغيرها ٠ (١)

فلقد عاصر على بن الحسين احداثا واهوالا عظاما حيث شاهد بنفسه واقعة كربلاء والتي قتل فيها ابوه الحسين واخوته واعمامه وبنوهم كما شهد في صغره قبل : قتل جده على بن ابي طالب وما حصل لعمه الحسن وكما شاهد حركة ابن الزبير وجبروت الحجاج ورميه الكعبة بالمنجنيق وحكمه الرهيب على اهل العراق كل ذلك شاهده الامام على زين العابدين فما كان منه الا ان طلق الدنيا واعتزل السياسة وعكف على العبادة ولم يطالب بأمارة بل لم يكن يشق في الناس فلم يشارك في شأن من شئون السياسة طول امامته بل تفرغ للعلم والعبادة حتى قيل انه يصلى في اليوم والليلة الف ركعة وكان اذا قام للصلاة اصابته رعدة خوفا من الله ٠ (٢)

ومن هنا كانت حياته الخاصة وطابعه الذى صبغ به اتجاهه الى الامامة الروحية بعيدا عن طلب امامة سياسية وهذا ما صبغت به الشيعة الاثنا

---

(١) راجع كتاب الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار) ص ١٧٥ — ١٧٦

(٢) راجع سامى النشار جـ ٢ص ١٢٠ — ١٢١

عشرية على بن الحسين ولم تكن عزلته لتبعده عن موالاة الناس له ا وتخلع عنه الامامة ولم يكن له خبرة في ذلك كما لم يكن له خبرة في كونه ابن الحسين وسليل النبي صلى الله عليه وسلم • ويشهد لذلك قصة الفرزدق مع هشام بن عبد الملك وتنحى الناس عن الحجر لعلى بن الحسين عند رؤيته كما تقدم قريبا •

ولما مات يزيد اقبل المراقبون الى على بن الحسين لأجل جذبه اليهم وهم ينادون بامامته فقال لهم : وقد ذكر جده وعمه وأباه ما اكذبكم واجرأكم على الحق نحن من صالحى قومنا وحسبنا ان نكون من صالحى قومنا) (١)

كما رفض دعوة المختار اليه لمبايعته نقل الاستاذ سامى النشار عن المسعودى : ان المختار كتب الى على بن الحسين كتابا يريد ان يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وانفذ له اموالا كثيرة فابى ان يقبل ذلك منه بل لم يجبه على رضى الله عنه في ذلك•

ويبدو ان زين العابدين كان يخشى ان تؤدى حركة المختار الى ابادة الشيعة في الكوفة وهذا امر حاول بكل الوسائل اجتنابه رضى الله عنه •

والشيعة يرون ان على بن الحسين رغم رفضه لدعوة المختار فقد رضى عنه حين تتل قتلة الحسين وفيهم عبيد الله بن زياد وانه ارسل برأسه الى على بن الحسين بالمدينة فأبدى فرحا بذلك هو واهل بيته ونقل الاستاذ سامى النشار عن اليعقوبي قوله " ان على بن الحسين رضى الله عنه لم ير ضاحكا منذ قتل ابوه الا في ذلك اليوم وانه كان له ابل تحمل الفاكهة من الشام الى المدينة فلما أتى برأس عبيد الله بن زياد امر بتلك الفاكهة ففرقت

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١١٩

لأهل المدينة وفي هذا اليوم اختضبت نساء آل الرسول ولم تختضب امرأة منهن منذ مقتل الحسين الا يومئذ .(١)

عاش علي بن الحسين في هذه الاحداث العظام كما قلنا وكان منحازا تماما عن هذه التيارات الجارفة التي مرت على العالم الاسلامي بل اسم زين العابدين لا يظهر في تلك الاحداث وحين اعلنت الكيسانية مهدية ابن الحنفية لم ينازعه زين العابدين الامر(٢) بل وحين اعلنت الكيسانية ايضا ان الأئمة اربعة علي والثلاثة من بنيه وفي هذا المعنى يقول كثير عزة وكان من الكيسانية :

الا ان الأئمة من قريش
ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء (٣)

كل هذا يشاهده زين العابدين ويسمعه فلا يتعرض او يعترض بشيء فلا يقدح في عمه لا من بعيد ولا من قريب .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ١١٩ــ١٢٠
(٢) سامي النشار ج ٢ص ١٢٠ ــ١٢١
(٣) راجع فجر الاسلام ص٢٧٢

ولقد اقدمت الامامية فيما بعد الى المقارنة بين على زين العابدين وبين عمه محمد بن الحنفية ولجأوا الى وضع اسطورة الاحتكام الى الحجر الأسود حين تنازع الاثنان في الوصية وحكم الحجر الأسود لعلى زين العابدين فقبل عمه محمد بن الحنفية امامته (١) قال الاستاذ سامي النشار بعد نقله لهذه الاسطورة : وكل هذه اخبار لا ظل لها في الحقيقة فلم يختلف الاثنان قط بل كان محمد بن الحنفية باعتباره شيخ بني هاشم في ذلك الوقت من اكبر المدافعين عن ابناء فاطمة وكانت له مواقف مع ابن الزبير في المدافعة على ابناء فاطمة وكان لعلى بن الحسين طراز في الحياة اغناه عن الخلاف في الوصية او غيرها كما تقدم فكان يتعبد بلا انقطاع وكان يقول : ان لله عبادا عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار واخرين عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار . (٢)

وعلى بن الحسين في نظر الشيعة هو الذى سن الحزن على الحسين فكان يكثر البكاء عليه حتى اعتبره الشيعة احد البكائين الخمسة آدم ثلاثمائة سنة بعد ارتكابه المعصية وبكى نوح قومه ويعقوب يوسف وفاطمة النبي صلى الله عليه وسلم وزين العابدين الحسين والذين استشهدوا معه .

وقد طبع زين العابدين التشيع عامة بالحزن المقيم وشارك على هذا الحزن على السواء الغلاة والمقتصدون من الشيعة ولقد طبعت حركة التوابين من ناحية وحركة المختارية والكيسانية من ناحية اخرى بهذا الطابع ولعل هذا ما يفسر ارسال المختار برأس عبيد الله بن زياد الى على بن الحسين

---

(١) سامي النشار ج ٢ص ١٢١

(٢) راجع المصدر السابق ج ٢ص ١٢١ — ١٢٢

زين العابدين ولم يرسله الى محمد بن الحنفية مع ان المختار كان يقاتل باسمه وتحت رايته . فلقد عاش هذا الحزن الذى انبثق من قالب زين العابدين في قلوب الشيعة الى يومنا هذا .

ولذا كان البكاء على الحسين هو السنة التي استنها على بن الحسين زين العابدين للشيعة وقد نقل الشيعة عنه : أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خديه بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها احقابا وأيما مؤمن دمعت عيناه فيما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بوأه الله منزل صدق وأيما مؤمن مسه اذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خديه من فرط ما اوذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى وامنه يوم القيامة من عذاب النار .

فكان من نتيجة هذا الحزن والبكاء حركة التوابين كما قلنا وكما تقدم في التمهيد عند الكلام على تطور التشيع .

والشيعة يجددون البكاء على الحسين في مجالس العزاء الشيعية يذكرون فيها الحسين على الدوام وقد بقيت هذه المجالس حتى الآن.(١)

اما القداسة التي نسبت الى اهل البيت والعصمة التى اضيفت الى الأئمة فلم تر الشيعة المعاصرة لعلى زين العابدين وضعه في سلسلة الأئمة الخالدين او المعصومين في نظرهم فالغلو اولا يتركز حول جده على ثم محمد بن الحنفية ثم ابنه ابى هاشم ثم الامام الباقر .

واما زين العابدين فقد قطع الطريق على كل غال بنوع حياته التي حياها وبطراز دعواته فقد كان يدعو ويقول : الهى بعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتك مخالفتك وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك معترض ولكن سولت لى نفسي واعانني على ذلك سترك فانا الآن من عذابك مستجير فمن ينقذني وبحبل من اعتصم الخ

---

(١) سامى النشار ج ٢ص ١٢٢ـ١٢٣ ـ ١٢٤

فلما قيل له في اكثاره العبادة لماذا تفعل بنفسك هذا وأبوك الحسين وامك فاطمة وجدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هيهات هيهات دع عنك حديث ابي وامي وجدي خلق الله الجنة لمن اطاعه واحسن ولوكان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولوكان شريفا قرشيا * فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * (١)

والى هذا الحد يبلغ هذا الامام في الابتعاد عن ان يلصق به اي صورة من صور القداسة فقد قطع اي وسيلة امام الشيعة في الغلو فيه رضي الله عنه . (٢)

وتأتي اهمية على زين العابدين في التشيع من انه الامام الرابع من أئمة الامامية الاثنى عشرية والاسماعيلية معا اما الكيسانية فقد وقفت على ابن الحنفية ثم الى ابنه ابي هاشم كما قلنا ثم انقرضت لانها لم تقل بامامة ابناء فاطمة بعد الحسين رضي الله عنه وتزداد اهميته لكونه اول امام يتخذ الزهد منهجا لحياته ولم يشارك في حرب اوفي امر من الأمور .

وفوق ذلك فانه كان ابن اميرة فارسية من اميرات آل ساسان وقد اتاح له ذلك في نظر بعض الباحثين ان يلتف حوله الشيعة فينتشر التشيع في بلاد فارس بسرعة لاعتباره سيد العرب والعجم وعلى الجميع ان يدينوا له بالطاعة وقد أشار ابو الاسود الدؤلي الى هذا المعنى فقال :

وان غلاما بين كسرى وهاشم

لأكرم من نيطت عليه التمائم (٣)

---

(١) المؤمنون اية ١٠١/

(٢) راجع (الفكر الفلسفي في الاسلام) ج ٢ص ١٢٤ـ ١٢٥

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٨ ـ ١٤٩

قال صاحب نظرية الامامة لدى الشيعة الامامية حول هذا الموضوع •

ولقد انتشر التشيع بين الموالي والفرس ويفسر كثير من المستشرقين ذلك بزواج الحسين بن علي احدى بنات يزدجرد آخر ملوك بني ساسان فكان زين العابدين ابن الخيرتين وان نظرية الحق الالهي وحصرها في البيت الساساني كان لها تاثير عظيم في تاريخ الفرس في العصر الاسلامي ذلك ان زواج الحسين من ابنة يزدجرد الثالث قد جعل الائمة من حزب الشيعة بقسميه الاثني عشري والاسماعيلي لا يمثلون حق النبوة فقط بل يمثلون الملك ايضا لانهم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وآل ساسان معا ومن ذلك تولدت النظرية الساسانية التي اصبحت عقيدة غير متنازع فيها لدى الفرس وهي ان العلويين وحدهم يحملون حق التاج لاجتماع العنصرين آل النبي عليه الصلاة والسلام وآل ساسان •

وان صح هذا الرأى في تفسير انتشار التشيع في العنصر الفارسي فقد كان ابا هؤلاء الأئمة الذين دان لهم الفرس بالامامة والقداسة لانتسابهم الى النبي صلى الله عليه وسلم والى كسرى هو علي بن الحسين زين العابدين •

وبالرغم من هذا الشرف العظيم فان عليا زين العابدين لم يكن رفيعا على الناس بل كان متواضعا غاية التواضع وقد تتلمذ على التابعين كسعيد بن المسيب وغيره وكان يكره العصبية والقومية •

هذا هو علي بن الحسين زين العابدين فهو في نظر الشيعة ورث امامته من انتسابه الى فاطمة الزهراء ورسم للشيعة طريق الامامة الروحية كما طبع التشيع بطابع الحزن المقيم والبكاء المتصل على الحسين رضي الله عنه (١) •

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧

يقول الاستاذ سامي النشار :

ويبدو ان عليا زين العابدين سن للشيعة التقية فقد اتقى مسلم بن عقبة يوم الحسرة كما اتقى الحجاج وقد حاول الحجاج ان يجرعه الغيظ وكان يتهدده دائما ولكن الامام العظيم لم يهن ولم يرح بل قال له ان لله كل يوم ثلاثمائة لحظة وارجو أن يكفينك أول لحظة من لحظاته .

وفي ايام سليمان بن عبد الملك اتقاه زين العابدين وكان يرسل اليه الرسائل يمدحه فيها ولما تولى عمر بن عبد العزيز كتب اليه يعظه ويخوفه من الله ولما سئل عن ذلك قال ان سليمان كان جبارا فكتبت اليه بما يكتب للجبارين وان عمر اظهر أمرا فكتب اليه بما شاكله .

ونصائحه بعد ذلك في حق السلطان وحق الرعية ودعوته الى التقية من السلطان الجائر وقد اراد الرجل ان يحفظ دماء الشيعة .(١)

وابن سعد في الطبقات الكبرى ينقل عن ابي جعفر الباقر قوله : انا لنصلي خلفهم في غير تقية واشهد على علي بن الحسين انه كان يصلي خلفهم في غير تقية (٢) فانت ترى من هذا النص ان الباقر نفى عن ابيه التقية . وهذا هو الواقع .

مؤلفاته :

ذكر محسن الأمين ان مؤلفات الامام علي زين العابدين المدونة والتي تعتبر من اوائل التاليف في صدر الاسلام :

١ — الصحيفة الكاملة وقد استنسخ الناس منها نسخا لا تعد ولا تحصى بالخطوط الجميلة النادرة المثيل والمزينة بجداول الذهب . وطبعت في مصر طبعات كثيرة وشرحها العلماء شروحا عديدة واحسن شروحها شرح السيد علي خان الشيرازي وقد

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٢٨

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢١٣

كانت منها نسخة عند ولده زيد الشهيد ثم انتقلت الى اولاده واولاد عبدالله بن الحسن مضافا الى ما كان عند الباقر وتعتبر من اعلى درجات البيان العربي باسلوبها ومعانيها .

٢ — رسالة الحقوق : وهي من الاعمال الفكرية السامية في الاسلام تحتوى على توجيهات وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص من ادق ما يعرفه الفكر الانساني .(١)

٣ — صورته عند اهل السنة :

ومنزلة على بن الحسين عند اهل السنة رفيعة حيث يعتبر من سادات التابعين يقول ابن تيمية : فيه : واما على بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علما ودينا اخذ عن ابيه وابن عباس وابى رافع مولى رسول الله وعائشة وام سلمة وصفية امهات المؤمنين وعن مروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وعبدالله ابن عثمان بن عفان وزكوان مولى عائشة وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وروى عنه ابو سلمة بن عبد الرحمن ويحى بن سعيد الانصارى والزهرى وابو الزناد وزيد بن اسلم وابنه ابو جعفر .

قال يحى بن سعيد هو افضل هاشمى رأيته في المدينة .

وقال محمد بن سعد في الطبقات كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا وروى عن حماد بن زيد قال سمعت على بن الحسين وكان افضل هاشمى ادركته يقول:أيها الناس احبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار عارا علينا .

وعن شيبة بن نعامة قال كان على بن الحسين يقوت مائة اهل بيت بالمدينة في السر وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف حتى انه كان من صلاحه ودينه يتخطى مجالس اكابر الناس ويجالس زيد بن اسلم مولى

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ج ٢ ص ٦٧

عمر بن الخطاب وكان من خيار اهل العلم والدين من التابعين فيقال له تدع مجالس قومك وتجالس هذا فيقول انما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه .

واما ما نقله الشيعة من قيامه الف ركعة في اليوم فهو مما لا يمكن الا على وجه مكروه في الشريعة او لا يمكن بحال فلا يصلح ذكره لمثل هذا في المناقب .

وكذا ما نقلوه من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسيد العابدين هو شيء لا أصل له ولم يروه احد من اهل العلم والدين .(١)

واما الذهبي في تذكرة الحفاظ فقد ذكر في ترجمة علي بن الحسين ان مالكا قال : بلغني ان علي بن الحسين يصلي في اليوم والليلة الف ركعة الى ان مات .(٢)

قال الحاكم سمعت ابا بكر بن دارم عن بعض شيوخه عن ابي بكر بن ابي شيبة قال : اصح الاسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن ابيه عن علي وقال : حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال سمعت علي بن الحسين وكان افضل هاشمي ادركته .(٣)

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

---

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٣ وراجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٥

(٢) ج ١ ص ٧٤ـ٧٥

(٣) راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٦

ثانيـا ـ محمد الباقـر :

١ ـ حياتـه :

والامام الخامس من أئمة الامامية الاثنى عشرية هو محمد الباقــــر وهو محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب القرشي الهاشمى ابو جعفر الباقر وامه ام عبدالله بنت الحسن بن على .

وهو تابعى جليل كبير القدر احد اعلام هذه الأمة علما وعملا وسيادة وشرفا روى عن غير واحد من الصحابة وحدث عنه جماعة من كبار التابعيــن وغيرهم فممن روى عنه ابنه جعفر الصادق وربيعة والاعمش وابو اسحــاق السبيعى والاوزاعى والاعرج وهو أسن منه وابن جريج وعطاء وعمرو بن دينار والزهرى .

وقال سفيان بن عيينه عن جعفر الصادق قال حدثني أبى وكان خير محمدى يومئذ على وجه الأرض وقال العجلى هو مدنى تابعى ثقة وقال محمد بن سعد كان ثقة كثير الحديث ولد سنة سبع وخمسين هجرية توفـى سنة خمس عشرة ومائة في قول وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها او التي بعد بعدها .

وقيل لم يجاوز الستين [١] وسبب تسميته بالباقر انه كان يبقـــر العلوم ويستنبط الحكم . [٢]

وكان كثير البكاء والعبرات معرضا عن الجدال والخصومات [٣] .

---

(١) الرسول الاعظم ص١٩٦

(٢) البداية والنهاية جـ ٩ ص٣٠٩

(٣) راجـع (منهاج السنة جـ ٢ ص١٢٣)

٢- صورة الباقر عند الامامية :

يعتبر محمد بن على الباقر كما قلنا من قبل الامام الخامس في سلسلة الأئمة الاثنى عشر قال محمد رضا المظفر : ونعتقد ان الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة هم اثنا عشر اماما فذكر الأئمة الاربعة الذين تقدم الكلام عليه ثم ذكر ان الامام الخامس هو ابو جعفر محمد بن على الباقر. (١)

وان امامته بدأت بعد وفاة ابيه زين العابدين واستمرت الى ان توفى في ملك هشام بن عبد الملك. (٢)

ودفن في البقيع بجانب ابيه زين العابدين وعم أبيه الحسن في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب . وام الباقر فاطمة بنت الحسن بن على بن ابي طالب فهو هاشمي بين هاشميين وفاطمي بين فاطميين واول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين وكنيته ابو جعفر وقيل ابو جعفر الأول ولقبه الباقر لبقره العلم بقرا أي بفجره تفجيرا اولتوسعه في العلم (٣) . ويرى الامامية ان الذى يدل على امامته هو ما ثبت من وجوب الامامة وكون الامام معصوما ومنصوصا عليه . (٤)

قال ابن كثير في ترجمة الباقر : وهو يعني محمد الباقر احد من تدعي فيه طائفة الشيعة انه احد الأئمة الاثنى عشرية (٥) .

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ١٩٦ ودائرة المعارف الشيعية ج ٤ ص ٦٩

(٣) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ١٩٦ — ١٩٧

(٤) الرسول الاعظم ص ١٦٩

(٥) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٠٩

ويرى الامامية انه هو الذى اشار على عبد الملك بضرب النقود الاسلامية لما تعرضت الدولة للتحدى البيزنطى فاستحسن عبد الملك ذلك فضربت السكة الاسلامية بمشورة هذا الامام ٠ (١)

واما عن علمه فيرون انه لم يظهر من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلم ما ظهر عنه وقد اخذ العلماء عنه واقتدوا به واتبعوا اقواله وكانت مدرسته استمرارا لمدرسة ابيه الكبرى ٠

ويرى الشيعة الامامية ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به في حديث رووه عن جابر بن عبد الله ولفظه يا جابر انك ستعيش حتى ترى رجلا من ولدى اشبه الناس بي اسمه اسمي يبقر العلم بقرا فاذا رأيته فاقرئه مني السلام ولما كبر جابر وخاف الموت كان يسير في طرقات المدينة يصيح يا باقر يا باقر أين انت حتى ولد محمد ودخل الكتاب فاقبل عليه جابر يقبل يديه الصغيرتين ورجليه ويقول بأبي وأمي شبيه ابيك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباك يقرئك السلام ٠ (٢)

واذا كانت العبادة قد غلبت على أبيه كما تقدم في الكلام عليه فان الباقر في نظر الشيعة يغلب عليه العلم فكان اول عالم من الأئمة الفاطميين بعد على بن ابي طالب رضى الله عنه ٠

وقد عاصر الباقر ابان امامته اهم الحركات الفكرية التي لها آثارها المباشرة في التفكير الاسلامي فيما بعد كما عاصر ايضا الحركات السياسية التي سادت العالم الاسلامي في ذلك الوقت ٠

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ٤ ص ٦٩

(٢) راجع الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٢٤
ودائرة المعارف الشيعية جـ ٤ ص ٦٩
والبداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥١

كما ان الشيعة الامامية يرون ان الباقر وان كان على سيرة ابيه زين العابدين من ناحية السياسة . غير انه يختلف عنه من حيث كونه سار يرسي قواعد عقيدة الامامية وصار يضعها في اسلوبها المنهجي وهذه القواعد قد نضجت واثمرت في عهد ابنه الصادق (١) كما يأتي عند الحديث على الصادق ان شاء الله .

ومن هنا يمكن القول بأن امامة الباقر روحية مع العناية التامة بالعلوم والمعارف ومن اسباب تفرغه للمعارف انه لم يلق التضييق الذى لقيه من قبله من الأئمة فكثر الرواة عنه لهذا السبب .

ومن رواته بالاضافة الى من ذكرنا من قبل جابر الجعفي وزرارة بن اعين وبريد العجلي وصوبر الصيرفي ومحمد بن مسلم وهؤلاء جميعا من الشيعة فقيل ان جابرالجعفي روى عنه اكثر من خمسين الف حديث وان محمد بن مسلم روى عنه اكثر من ثلاثين الف حديث .

يقول الدكتور صبحي ومهما يكن من المبالغة في عدة هذه الاحاديث فانها تدل على ان الباقر قد تفرغ للعلم الحديث وسار على نهج ابيه زين العابدين في تاكيد الامامة الروحية دون التعرض للسياسة او الطلب بالحكم وان كان الفارق بينهما ان زين العابدين قد غلبت عليه الروحية حتى اقترب من التصوف بينما كان الباقر يغلب عليه العلم لا سيما رواية الحديث من ناحية وطابع التشيع حيث برز عقائد الشيعة في الامامة والولاية والرجعة وان نسب شيء من ذلك الى على زين العابدين فان معظم

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٣٤

(٢) الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٣٥

(٣) نظرية الامامة ص ٣٥٧ — ٣٥٨

والفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٣٥

العقيدة المذهبية للشيعة الاثني عشرية .(١) فنسبت للباقر ثم للصادق من بعده ومن هذه الاحاديث المنسوبة اليه في الامامة انه سئل عن الحاجة الى الامام فقال بدفع العذاب عن اهل الأرض وذكر قول الله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ﴾ (٢)

وقيل له اكان علي حجة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله فقال نعم .. الخ وسئل أكانت طاعة علي رضي الله عنه واجبة في حياة الرسول وبعد وفاته فقال نعم الا انه صمت فلم يتكلم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه من ناحية ما نسب الى الباقر في الامامة (٣) .

واما من ناحية التشيع فيظهر الطابع المذهبي في اقواله المنسوبة اليه ومنها حين نظر الى الحجاج يطوفون حول الكعبة فقال هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية انما امروا ان يطوفوا بها و ينفروا الينا و يعطونا ولايتهم ومودتهم و يعرضوا علينا نصرتهم قال تعالى ﴿ واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ﴾ (٤)

وكل شيء لم يخرج من عند الائمة فهو باطل اذ ليس عند احد من الناس حق، ولا صواب ولا يقضي احد بقضاء حق الا مما خرج منا اهل البيت واذا تشعبت بهم الامور كان الخطأ عندهم والصواب عندنا وعلى الناس ان يهتدوا بهدى الأئمة لينجوا من عذاب الله .

---

(١) نظرية الامامة ص٣٥٨

(٢) سورة الانفال اية ٣٣

(٣) نظرية الامامة ص٣٥٨ ، ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ص٢٣٦

(٤) سورة ابراهيم الاية / ٣٧

ومن عبد الله عبادة اهتمام وتعب ولم يقتد بامام عادل منصوب من الله فلا يقبل الله منه سعيا .

الى غير ذلك من النصوص التي تشحن بها كتب العقائد لدى الشيعة الاثنى عشرية والتي تدل على ان في عصر الباقر شق التشيع طريقه الى ان يكتمل مذهبا له عقائده الخاصة وان الشيعة قد تميزوا تماما في عصره في آرائهم عن جمهور المسلمين . (١)

وهذه الاحاديث المنسوبة للباقر عليها طابع التعصب الشيعي وفي نفس الوقت تعبير عن العداء الصريح للمذاهب الاخرى ولكن يبدو ان هذا امر لازم اقتضته هذه المرحلة التي مر بها المذهب الشيعي ليكون له طابعه المستقل اذ اقام الشيعة بعد اضطهادهم حائلا بينهم وبين سائر فرق المسلمين ، فكانت آراؤهم المذهبية حماية لكيانهم حتى لا تتسرب اليه معتقدات خصومهم او يجرؤ بعض افرادهم على اتخاذ أئمة آخرين (٢)

يقول الدكتور صبحي : وتبدو شخصية الباقر لدى اهل السنة مغايرة لشخصيته لدى التشيع اذ انه سئل هل منكم اهل البيت من يعتقد الرجعة ؟ قال: لا . وقيل له : هل فيكم اهل البيت من يبغض ابا بكر وعمر ؟ قال : لا بل نحبهما ونتولاهما " ثم قال الدكتور ولا يمكن تفسير تعارض الاراء المنسوبة الى الباقر بين اهل السنة وبين الشيعة الا ان الاقوال المنسوبة اليه من الشيعة تعبر عن مرحلة ما من مراحل التشيع في وقته اكثر مما تعبر عن آرائه هو نفسه. (٣)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٥٨ـ٣٥٩
(٢) نظرية الامامة ص ٣٦٠
(٣) نظرية الامامة ص ٣٦٠

اما الاستاذ سامي النشار فقد استبعد صحة هذه الاقوال واشار الى ان هذه النصوص موضوعة او محرفة كما قطع بان العلم السري الذى الصق بالامام الباقر بانه اول من وضع نواته كل ذلك فالامام برئ منه ولم يصدر ذلك منه بدليل ما ثبت عن الباقر انه لا يريد نصرة المسلمين له لتولي الامر وان ولايته ولاية روحية لا صلة لها بمال ولا بجاه فما كان يخطر على امام من اهل البيت وقد ثبت عنه ذلك ان ينظر الى المسلمين في حجهم هذه النظرة فانه اشبه بكلام القرامطة حين خاطبوا الحجر الاسود وهم يضربونه ايها الحجر كم تعبد في الارض وآل محمد ممن لا يظهرون .

هذا مجمل ما ذكره الاستاذ سامي النشار ثم قال وان النقد الداخلي للنصوص السالفة الذكر يثبت انها موضوعة او محرفة كما ان نظرية العلم السري التي تنسب جرثومتها الاولى لمحمد الباقر لم تصدر عنه على الاطلاق .(١)

اما الغلو فكان الباقر يكرهه وقد اشار سامي النشار الى ان السبب في جمعه للحديث رواية ودراية يرجع الى ما راى من الغلو الذى ادخله الغلاة من الشيعة في الاحاديث النبوية ولذا وجه اهتمامه الى هذه الناحية الهامة من التراث الاسلامي .

وقد حاول جهده ان يوقف تيار الغلو فقد تبرأ من الغلاة فتبرأ من حمزة بن عمار البربري ولعنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لعن بيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد .

وقد عاصر الباقر ابن عم ابيه ابي هاشم بن محمد بن الحنفية وشاهد ما يحيطه من حركات الغلو في الكوفة بل وفي المدينة نفسها وقد اهاله هذا .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٣٦ — ١٣٧

ومن هنا وصف الاستاذ سامي النشار اتباع الباقر بانهم المقتصدون وهم حينئذ قلة في المدينة والكوفة واما بقية الشيعة فقد تقاسمهم الكيسانية بفرقها المختلفة والغلاة بحركاتهم القاسية بينما كانت العباسية تثبت اقدامها في خراسان .

وفي ظروف هذه الحركات المتضاربة والمتناقضة عاش محمد الباقر حياته الهادئة والمنعزلة عن كل شيء سوى رسالته العلمية (١)

اما موقف الباقر من المعتزلة فكان موقف محدث فاهل الحديث يكرهون الكلام في الدين و يعدونه من المراء في الدين .

ولما جاء واصل بن عطاء الى المدينة وتتلمذ عليه زيد بن علي اخو الباقر كره الباقر ذلك اشد الكراهية وكان يقول يا جابر لا تخاصم فان الخصومة تكذب القرآن و يقول لا تجالسوا اصحاب الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله وكانت مسألة الفاسق تشغل المجامع الاسلامية في ذلك الوقت فسأله جابر أكان منكم اهل البيت احد يزعم ان ذنبا من الذنوب شرك ؟
قال : لا .

وقد اكد كراهيته للكلام بقوله : اياكم والخصومة فانها تفسد القلب وتورث النفاق والذين يخوضون في ايات الله هم اصحاب الخصومات . (٢)

هذا ما ذكر الدكتور سامي النشار من كراهية الباقر لعلم الكلام والخوض فيه .

اما الدكتور صبحي فيذكر انه في عهد الباقر تشعب البحث في علم الكلام وظهرت آراء المعتزلة العقلية وكثر الجدال في ذات الله

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٣٤ـ١٣٥
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٠

وصفاته وماهية الروح .

وان الباقر شارك في ذلك كله وان لم يكن يشجع البحث في كنه ذات الله وكان يقول ان ذلك فوق مستوى عقول البشر .(١)

فالذى تؤيده الادلة : كراهية الباقر لعلم الكلام كما قلنا فقد حذر من الخصومة في الدين كما حذر عن مجالسة اصحاب الخصومات وقد نقل ابن سعد آثارا عنه في ذلك .(٢) وسيأتي مزيد ايضاح لهذا عند حديثنا عن صورته في نظر اهل السنة ان شاء الله تعالى .

واما من ناحية الزهد فكان الباقر زاهدا لكن ليس بمعنى اتخاذه الزهد نظاما له قواعده واصوله فهو يكره زهد الغلاة فانه انما كان محدثا زاهدا عابدا على طريقة اهل السنة رغم محاولة الكثيرين من المتصوفة والزهاد وضع الباقر في سلسلة الزهاد والمتصوفة كما حاول الاستاذ الشيبي وضعه كذلك / ولكنه في الحقيقة لم يكن متصوفا او زاهدا بالمعنى المصطلح عليه بل كان زهده بعيدا عن كل مؤثر خارجي فهو يتحرى القرآن والحديث تحريا علميا فلا يتعبد الا بما ثبت له صدقه فزهد الباقر اذن هو الزهد الذى عرفه علماء الحديث وعرفوا به . فالبكاء كان سنة لمحدثي الاسلام فكون الباقر كثير البكاء لا يجعله في تعداد المتصوفة والزهاد فهو متابع لأبيه في ذلك .

قال الاستاذ سامي النشار في الرد على من نسب الى الباقر التصوف او الزهد ما نصه :

واما (٣) ما تنسبه كتب الشيعة من ناحية وكتب طبقات الصوفية من

---

(١) نظرية الامامة ص١٦٠

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣٢١

(٣) سامي النشار ج ٢ ص ١٤٤ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٤ ص ٢٤١ / ٢٤٢

ناحية اخرى من كون الباقر زاهدا فلا يثبت امام النقد العلمي لوضع الباقر في اطار الزهد والتصوف فليس قوله في قوله تعالى " قال الله تعالى في الصيد * ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم * (١) فقتل الصيد اعظم ام قتل النفس التي حرم الله ليس قوله هذا قول متصوف هذا قول في كراهة القتل .

ويجاب عنه بنص اخر ذكره صاحب الحلية كما ذكره ايضا ابن كثير ان الباقر قال : ان الله يلقى في قلوب شيعتنا الرهب فاذا قام قائمنا وظهر مهدينا كان الرجل منهم اجرأ من ليث وامضى من سيف فاذا كان النص الاول في الزهد وليس كذلك فالنص الاخير ليس زهدا وان كان هذا الاخير ايضا مما ينكر لانه ذكر فيه مصطلح القائم وهو ما انكره على اخيه زيد فانه انكر عليه الخروج كما ذكر في هذا النص لفظ المهدى وهو عقيدة الغلاة والباقر قد عرف عنه انكار الغلو والغلاة وكان يقول : شيعتنا من اطاع الله عز وجل واتقاه ، وكان يقول ايضا اللهم انى ابرأ اليك من المغيرة بن سعيد وبيان وقد سبق الكلام على ذلك في بيان موقفه من الغلو والغلاة . (٢)

غير ان ابتعاد الباقر عن المشاكل السياسية كما رأيت وسيره على نهج ابيه زين العابدين ورسمه لخطته في الامامة الروحية لم يشجع الشيعة على الالتفاف جميعا حوله وكان زيد بن على اخو الباقر يرى الخروج رغم مخالفة اخيه له في الرأى ومن هنا وجد الشيعة بغيتهم زمن الباقر في زيد بن على زين العابدين .

---

(١) سورة المائدة الاية / ٩٥

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ١٤٤ — ١٤٥

فحدث الانشقاق في الرأى بين الشيعة / الى موالين للباقر / وإلى آخريـــن يؤيدون زيدا . ومن هنا نشأت الزيدية وتميزت عن الامامية الاثنـــى عشرية واعلن زيد ان كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج بالامامـــة يكون اماما واجب الطاعة ولذلك خالف الاثنا عشرية الذين حصروا الامامـــة في ولد الحسين فقط . (١)

فالمذهب الزيدى يعتبر رد فعل عنيف للتشيع الاثنى عشرى عـلى صورته ايام الباقر اذ تتلمذ زيد بن على على واصل بن عطاء مع اعتقاد واصل ان عليا لم يكـن في الحروب التي جرت بينه وبين اصحاب الجمل واهل الشـام لم يكن في ذلك على يقين من الصواب هذا والشيعة الاثنى عشرية يحكمون بضلال من يخطىء أئمتهم او ينسب العلم الى غيرهـم .

فالزيدية لا تقبل الامامة للروحية باعتبارها اتجاها سلبيا في حـل المشاكل السياسية .

و لذا اشترطوا الخروج لصحة الامامة وقد احتج الباقر علـــى أخيه بهذا الشرط قائلا له فعلى مقتضى مذهبك والدك ليس بامـــام فانه لم يخـرج ولا تعرض للخروج . (٢)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٦٠ — ٣٦١

(٢) المصدر السابق ص ٣٦١

٣ - صورة الباقر عند اهل السنة :

وابو جعفر الباقر يعتبر من اهل العلم والورع سمى الباقر لبقره العلم كما تقدم في ترجمته قال شيخ الاسلام في الكلام على الأئمة الاثنى عشر عند اهل السنة وفي صدد الحديث على الباقر قال ما نصه :

وكذلك ابو جعفر محمد بن علي من خيار اهل العلم والدين وقيل انما سمى الباقر لانه بقر العلم لا لاجل بقر السجود جبهته واما كونه اعلم اهل زمانه فهذا يحتاج الى دليل .

والزهرى من اقرانه وهو عند الناس اعلم منه .

ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا اصل له عند اهل العلم بل هو من الاحاديث الموضوعة وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام من النبي عليه السلام هو من الموضوعات عند اهل العلم بالحديث لكن هو روى عن جابر بن عبدالله غير حديث مثل حديث الغسل والحج وغير ذلك من الاحاديث الصحيحة عنه ودخل على جابر مع ابيه علي بن الحسين بعد ما كبر جابر وكان جابر من المحبين لهم رضي الله عنهم .

واخذ العلم عن جابر وانس بن مالك .

وروى ايضا عن ابن عباس وابي سعيد وابي هريرة وغيرهم من الصحابة وعن سعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن ابي رافع كاتب علي رضي الله عنه .

وروى عنه ابو اسحاق الهمداني وعمرو بن دينار والزهرى وعطاء بن ابي رباح وربيعة بن عبد الرحمن والاعرج وهو اسن منه وابنه جعفر وابن جريج ويحيى بن ابي كثير والاوزاعي وغيرهم .(١)

وقال ابن سعد :

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٢٣

اخبرنا الحسن بن موسى قال حدثنا زهير عن جابر قال قلت لمحمد بن علي : ا كان منكم اهل البيت احد يزعم ان ذنبا من الذنوب شرك قال :لا قال قلت ا كان منكم اهل البيت احد يقر بالرجعة ؟ قال : لا . قال ان كان منكم اهل البيت احد يسب ابا بكر وعمر ؟ قال : لا فاحبهما وتولهما واستغفر لهما . (١)

وكان يكره الخصومة في الدين وينهى عن مجالسة اهل الخصومات. (٢)

وقال ابن حجر :

قيل روايته عن الصحابة مرسلة ما عدا روايته عن ابن عباس وجابر بن عبدالله وعبدالله بن جعفر بن ابي طالب .

وذكر عنه محمد بن فضيل عن سالم بن ابي حفصة سألت ابا جعفر وابنه جعفر بن محمد عن ابي بكر وعمر فقالا لي يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فانهما كانا امامي هدى .

وعنه قال : ما ادركت احدا من اهل البيت الا وهو يتولاهما .

واخرج حديثه الجماعة . (٣)

وقال ابن حجر في التقريب : ابو جعفر الباقر ثقة فاضل من الرابعة ورمز له بالعين اشارة الى ان الجماعة اخرجوا حديثه كما قلنا . (٤)

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣٢١

(٢) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٣٢١

(٣) راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٠

(٤) راجع تقريب التهذيب ج ٢ ص ١٩٢

وقال فيه ابن كثير :

تابعي جليل كبير القدر احد اعلام هذه الأمة علما وعملا وعبادة وشرفا وهو احد من تدعي فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثنى عشر ولم يكن الرجل على طريقهم ولا على منوالهم ولا يدين بما وقع في اذهانهم واوهامهم وخيالهم بل كان ممن يقدم ابا بكر وعمر وذلك عنده صحيح في الأثر (١) .

وقد تحامل الدكتور علي سامي النشار (٢) على شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله : ان محمدا الباقر لم يكن باعلم اهل زمانه ، حيث يقول : اي أما انكار ابن تيمية كون الباقر اعلم اهل زمانه فهذا اتجاه سلفي من عالم اشتهر عنه تخطئة الناس جميعا حتى امامه احمد بن حنبل بل الصحابة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم مزاج ابن تيمية الحار الخ (٢)

وهذا تحامل منه على ابن تيمية فان ابن تيمية قد عرف بعدم التقليد لاحد وان كل قول يزنه على الكتاب والسنة فلا يخطىء اهل العلم الا حيث ظهر الدليل فهو يدور مع الدليل حيث دار وكتابه المعروف (رفع الملام عن أئمة الأعلام) يدل على عدم تحامله على اهل العلم ولكنه كغيره من اهل السنة لا يعتقدون العصمة لاحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عداه فقوله عرضة للخطأ والصواب كما روى عن مالك انه قال ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله عن الباقر في كونه لا يفوق اهل زمانه قد سبقه اليه ابن حزم رضي الله عنه حيث قال :

---

(١) البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٠٩.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٣٩

ولا يجدون يعني الامامية لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا لا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبدالرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمرو بن ابي بكر بن المكندر ولا على ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ولا على اخيه زيد بن علي ولا على عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيز ٠ (١)

وقد تقدم ثناء ابن تيمية عليه حيث قال فيه انه : من خيار أهل العلم والدين ٠ ثم قال : واما كونه اعلم اهل زمانه فيحتاج الى دليل ، فهل يستطيع الدكتور سامي النشار ان يثبت بالادلة ان الباقر كان اعلم اهل زمانه بل ما نقل عن الزهري من العلوم اكثر مما نقل عنه ولا يقدح ذلك في شرفه وعلمه وورعه رضي الله عنه وقد كان ابو بكر رضي الله عنه افضل من ابي هريرة رضي الله عنه ولكن الذي روى عن ابي هريرة من الحديث اكثر مما روى عنه رضي الله عن الجميع ٠

والمقصود وضع كل شخص في موضعه دون افراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء ٠

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٤ ص ١٠٦ و (البسوق) السبق والتقدم والعلو ٠ قال الجوهري في صحاحه في مادة (بسق) ج ٤ ص ١٤٥٠ ويقال بسق فلان على اصحابه اى علاهم

ثالثا — جعفر الصادق :

١- حياته :

والامام السادس من أئمة الامامية الاثنى عشرية جعفر الصادق وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي .

ولد الصادق رضي الله عنه يوم الجمعة او يوم الاثنين قبل طلوع الفجر وذلك في سبعة عشر ربيع الاول وقيل اول رجب سنة ثمانين من الهجرة هكذا رجح صاحب دائرة المعارف الشيعية في سنة ولادته مع انه نقل عن الكليني ان الصادق ولد سنة ثلاث وثمانين (١) اما حسون ملا رحبي فقد اقتصر على رواية الكليني هذه ولم يذكر غيرها (٢) كما اقتصر الذهبي على القول الاول في مولده .

ثم قال الذهبي بعد ذكر مولد الصادق والظاهر انه ، اى الصادق رأى سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه. (٣)

وكانت ولادته بالمدينة النبوية واقام بها حتى توفي سنة ١٤٨ هجرية وله من العمر ٦٨ او ٦٥ سنة وقد ادرك مع جده زين العابدين منها اثنتي عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة ومع ابيه الباقر تسع عشرة سنة وبقى بعد أبيه اربعا وثلاثين سنة (٤) ودفن بالبقيع بجانب ابيه وجده زين العابدين .

وامه ام فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر .

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ٤ ص ٧١

(٢) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢١٩

(٣) راجع تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦١

(٤) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢١٩

وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ولذلك كان الصادق يقول : ولدني ابو بكر مرتين . (١)

وكنيته ابو عبدالله وهي المشهورة وقيل كنيته ابو اسماعيل والخاص ابو موسى .

وله ألقاب كثيرة والمشهور منها الصادق وكان ربع القامة ازهر الوجه حالك الشعر جعده على خده خال اسود . (٢)

واولاده عشرة سبعة ذكور وثلاث بنات اما الذكور فقد تقدم الكلام عليهم في التمهيد عن هذه الرسالة اما البنات الثلاث فهن ام فروة من فاطمة بنت الحسين الاصغر واسماء من ام ولد وفاطمة من ام ولد ايضا . (٣)

روى جعفر الصادق عن جده / لأمه القاسم بن محمد بن ابي بكر احد فقهاء المدينة السبعة كما روى عن ابيه محمد الباقر وعبدالله بن ابي رافع وعروة بن الزبير وعطاء ونافع مولى ابن عمر وعدة .

ومن جملة من روى عن الصادق مالك والسفيانان وحاتم بن اسماعيل ويحيى القطان وابو عاصم النبيل وخلق كثير .

ومناقب الصادق كثيرة وجمة وسيأتي ذكر طرف من مناقبه عند الحديث على صورته عند اهل السنة باذن الله تعالى .

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ٤ ص ٧١

(٢) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢٢٠

(٣) دائرة المعارف جـ ٤ ص ٧١ والرسول الاعظم ص ٢١٩

٢— صورة الصادق عند الامامية الاثنى عشرية :

يعتبر الصادق هو الامام السادس كما قلنا في سلسلة الأئمة الاثنى عشر واليه ينسب هذا المذهب فهو اهم أئمتهم وقد ذكر الشيخ محمد رضا المظفر في عقائد الامامية ان ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق هو الامام السادس من أئمة الامامية الاثنى عشرية وان ذلك هو عقيدة الامامية بناء على عصمته شأن بقية الاثنى عشر الذين قطعوا بان لهم صفة الامامة الحقة وانهم المرجع في الاحكام الشرعية وان النص النبوى قد ورد بتعيينهم بالاسم والعين كما نص المتقدم على المتأخر . (١)

وان امامته بدأت عند وفاة ابيه محمد الباقر واستمرت الى ان توفي في شوال سنة ١٤٨ كما تقدم .

وقد استغرقت امامته بقية ملك هشام الى ان سقطت الدولة الأموية فآل الملك الى بني العباس فتوفي الامام الصادق بعد مضى عشر سنين من ملك المنصور العباسي (٢) هذا ما ذكره حسن الأمين في بداية امامة الصادق اما حسون ملا رحيى الدلفى فيقول ان بداية امامة الصادق كانت في ملك ابراهيم بن الوليد وانتهت في عهد ابي جعفر المنصور . (٣)

وهذا الخلاف مبنى على الخلاف في زمن من كان ملكا عند وفاة ابيه الباقر فان الامامية لا يختلفون في ان امامة الامام تبدأ عند وفاة من قبله مباشرة وهذا امر غير متنازع فيه في نظرهم والصواب ان اباه توفي

---

(١) راجع عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) دائرة المعارف الشيعية جـ ٤ ص ٧١

(٣) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢١٩

في عهد هشام بن عبد الملك كما تقدم فيكون بداية امامته في عهد هشام .

والمذهب الاثنى عشرى ينتسب الى الصادق ويحمل فقه الطائفة الاثنى عشرية اسمه حيث يسمى بالفقه الجعفرى فهو اكثر أئمة المذهب الاثنى عشرى آراء في كل لون من الوان العلوم الموجودة في ذلك العصر ولا تقف معرفة هذا الامام في نظر الشيعة الامامية الاثنى عشرية عند علوم الدين فحسب بل تتجاوز ذلك الى علوم الكيمياء والطب وغير ذلك من العلوم التى تبدو بعيدة العلاقة عن الامامية الدينية . (١)

يقول النشار في اهمية هذا الامام عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية : لقد كان ظهور جعفر الصادق الحدث الاكبر في تاريخ الشيعة ولقد نسبت الشيعة الاثنا عشرية : وهم جمهور الشيعة اليه فلقبوا بالجعفرية ونسب الفقه الشيعى الاثنى عشرى اليه فا طلق عليه الفقه الجعفرى (٢) كما قلنا من قبل .

وكما نسب الى جده الاكبر على بن ابي طالب كل علوم الدين والدنيا فقد نسب اليه ايضا كل العلوم سرية وفلسفية وصوفية وفقهيه وكيمائية وطبيعية فهوفي نظر اهل السنة عالم محدث ثقة بينما هو في نظر الشيعة الاثنى عشرية كما قلنا الامام السادس والغلاة يعتبرونه نبيا والها وعند الصوفية شيخها وكبيرها وعند اصحاب الكيمياء معلمها الكبير (٣) وكان الصادق قد ولد في السنة التي ولد فيها عمه زيد بن على امام الزيدية وابو حنيفة النعمان بن

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٦٢

(٢) راجع سامى النشار ج ٢ ص ٢٠٥

(٣) على سامى النشار ج ٢ ص ٢٠٦

ثابت وواصل بن عطاء شيخ المعتزلة الاول وكان جعفر يلزم اباه محمد الباقر يأخذ العلم عنه ويعيش في رحابه رحاب بيت النبوة ينهل من ينابيعه وهكذا كان طيلة حياة ابيه ولما مات ابوه وهو في الرابعة والثلاثين من عمره انتقلت اليه الامامة الروحية للشيعة الامامية وكان في نسقها الامام السادس كما قلنا أما عمه زيد فقد كان يتزعم حركته السياسية تلك التي كانت السبب في انفصال الزيدية عن الامامية وكان ذلك في عهد اخيه محمد الباقر الذى التزم الامامة الروحية وكان ينصح اخاه زيدا على عدم الخروج غير انه لم تتسع مضادة بينهما فاعلن زيد ان من أراد الجهاد فليلزمه ومن اراد العلم فليلزم ابن اخيه .

ونقل الدكتور سامي النشار عن جعفر الصادق قوله :

(القائم امام سيف والقاعد امام علم) فترك الصادق القيام لعمه زيد واستمر هو اماما قاعدا يمضي بالعلم الاسلامي الى اوجهه . فبقي كذلك حتى توفي سنة ١٤٨ كما تقدم منقطعا تمام الانقطاع للعلم ممثلا الامامة الروحية .

فاقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ثم انتقل الى العراق واقام بها مدة لم يتعرض للامامة السياسية قط ولا نازع احدا في الخلافة . (١)

فالشيعة يصورون جعفرا على صورة مخالفة لصورته الحقيقية فهو الامام السادس عند الاثنى عشرية انتقلت اليه الوصية كما انتقل اليه العلم الرباني جميعه ونسبوا اليه الجفر الابيض وفيه زبر داود وتوراة موسى

---

(١) سامي النشار ج ٢ص ٢٠٦-٢٠٧

وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة وفيه ما يحتاج اليه الناس وما من ملك يملك الا وهو مكتوب فيه اسمه واسم أبيه .

كما نسب الى الصادق انه قال (ورب الكعبة لو كنت بين موسى والخضر لاخبرتهما انى اعلم منهما ولا نبأتهما بما ليس في أيديهما لأن الخضر وموسى اعطيا ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن الى ان تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن خلدون ان هارون بن سعيد العجلى هو الذى روى الجفر عن الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت وبعض الاشخاص منهم على الخصوص وفسر ابن خلدون ذلك بانه وقع لجعفر الصادق كما يقع لنظرائه من الاولياء على طريقة الكرامة والكشف ثم قال ابن خلدون معلقا على العجلى : ونحن نعلم ان هارون بن سعيد العجلى زيدى انشد فيما بعد شعرا تبرأ فيه من كل غال في جعفر الصادق .

قال الدكتور سامى النشار : ويبدو ان فكرة الكتاب السرى الحاوى لكل شىء قد نسبت الى جعفر الصادق في القرن الرابع الهجرى وفي زمن متأخر جدا وانها زيفت بكل انواع الزيف وانها دخلت عقائد الشيعة الاثنى عشرية فيما بعد : وذلك حين صور الامام بانه مبدأ المعرفة كما هو مبدأ الوجود ثم اخذت صورتها الكبرى عند الاسماعيلية .(١)

ولقد حاول الدكتور سامى النشار ان يجعل الصادق من الملهمين المحدثين وان ما اخبر به من نوع الكرامة والكشف والالهام مثل اخباره بقتل محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية وقتل اخيه ابراهيم ومثل اعلانه للهاشميين لما اجتمعوا لمبايعة النفس الزكية بانه لا يملك

---

(١) سامى النشار ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢٤٩

بل سيخرج ويقتل وان الامر يكون لبنى العباس يتداولونه واحدا بعد واحد حتى تملكهم النساء والغلمان وان ابا جعفر المنصور هوقاتل الاثنين محمد وابراهيم وقد نازعه شيخ العلويين حينئذ عبدالله والد النفس الزكية منكرا عليه دعوى علم الغيب وان الحسد هو الذى حمله على هذه الدعوى ولما وقع الأمر كما حدث جعفر دعاه المنصور بالصادق وكان ذلك بداية الكشف والالهام الذى عرف عن الرجل ولكن الشيعة افتتنت به فحملوه علم ما كان وما سيكون وحيكت الاسطورة وكتبت الكتب ونسبت الى الامام وقد اعلن نفسه تبروءه عن هذه الدعوى ٠

غير ان هذا الالهام وهذا التحديث الذى عرف به الصادق انقلب في عقائد الشيعة الاثنى عشرية والاسماعيلية الى فكرة القول بان الامام هو منبع المعرفة ومصدرها وواهبها ٠ (١)

ولم يكتف الشيعة بجعل الصادق منبع العلم ومبدأ المعرفة بل جعلوه ينطق بفكرة الامام الكونى وذلك ان الامام هو عنصر الوجود فعنصر الوجود الاول نور وهذا النور اول ما خلق الله وهو صورة محمد عليه الصلاة والسلام فانتقل هذا النور بعد خلق آدم في صلب آدم عليه السلام وما زال هذا النور ينتقل في الاصلاب الطاهرة الى ان ظهر اخيرا في محمد صلى الله عليه وسلم ثم في اعقابه من الأئمة ٠

وهذا النور هو الميثاق في عالم الذر عند الشيعة ٠

فالنور الاول نور محمد القديم وانتقل في الائمة واحدا بعد واحد ولهذا فهم نور السموات والأرض ومن تولاهم نجا لتوليهم وان نهايات الامور اليهم ومصير الناجين في ايديهم ٠

---

(١) سامى النشار ج ٢ ص ٢٠٩

وهذه هي ولاية الامام المشهورة في العقيدة الاثني عشرية ونهاية هذا النور بالامام الاخير وهو المهدى الذى هو الحجة البالغة على الخلق وهو خاتمة او غاية النور الاخيرة وكمالها كما قلنا .

ونتيجة للتسليم لفكرة النور المحمدى وانتقاله في الأئمة نشأ القول بعصمة الامام ونتج عن عصمة الأئمة القول بظهور المعجزات منهم وقد نسب كل هذا الى الامام الصادق .

كما نسب اليه القول بالبداء لكن في صورته الكاملة لان المختار بن ابي عبيد قد سبق الى القول بالبداء .

كما نسب اليه القول بالرجعة والتقية قال الدكتور سامى النشار : وهذه آراء تنسب له وليست له اطلاقا .

وما يهمنا ان نوضحه الان ان عقائد الشيعة الامامية كفرقة تنسب كلها لجعفر الصادق كما ان عقائد الشيعة الاثنى عشرية تنسب اليه ايضا ان حقا وان باطلا .

واخيرا نسبت اليه آراء جابر بن حيان الكيمائية واما نظرية النور المحمدى فقد رجح الدكتور سامى النشار انها ليست لجعفر الصادق بل الاولى ان تنسب هذه النظرية الى الغلاة من بعده ولعلها من ابتكارات اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع وفيها روح العقيدة الاسماعيلية اكثر منها في امامية اواثنى عشرية .

ولكن الامامية الاثنى عشرية تقبلوها تماما في عقائدهم .(١)

والصادق في نظر الشيعة قد برزت شخصيته لا كأحد أئمة الشيعة فقط بل سمت مكانته على معاصريه من علماء ومتكلمي سائر الفرق الاسلامية

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٢٠٩ — ٢١٠ — ٢١١ — ٢١٢ — ٢١٣

وما من علم الا وقد اضافه الشيعة اليه حتى الطب والحساب والكيمياء كما تقدم قريبا .

وقد اثار تفوق الصادق على سائر الأئمة في العلم والدين تساؤلا بناء على ان العلم الديني الشهودي الصادر عن الوحي والالهام حسب عقيدة الشيعة في مصدر علم الأئمة يجب ان لا تتفاوت درجاتهم فيه .

ومن هنا فالشيعة لا يفسرون ما احرزه الصادق من سبق على كثير من اسلافه بقصورهم عنه في العلم والفضل ولكن المعاصرين لغيره من الأئمة هم الذين اعرضوا عن ان ينهلوا من علومهم فاحتجب نورهم عنهم فلم تسنح الفرص لواحد منهم ليظهر ما استودعه الرسول اياه او يبلغ ما استحفظه عليه كما سنحت للصادق .

ذلك ان زمن استقلاله بالامامة قد جاوز الثلاثين عاما من عمره ولئن كان علي زين العابدين او موسى الكاظم او علي الهادي قد شاركوه في طول زمن امامتهم فانه لم يتفق لهم ما اتفق له ففي عصر الصادق كثرت النحل والاراء والأهواء والكلام والبحث والمناظرة والحديث والرواية فضلا عن تعارض النحل وكثرة الأهواء فبذل الصادق في هذه الظروف علمه : هذا الى انه مرت عليه فترة نعم فيها بالهدوء لم تمر على سابقيه اذ انشغل الامويون بمشاكل احتضار دولتهم ومحاربة الزيديين والخوارج وبني العباس ثم لما حكم العباسيون انشغلوا بمشاكل قيام دولتهم الجديدة .

ومن هنا سنحت له الفرصة كي يظهر علمه للناس بينما حيل بين آبائه وبين الجمهور بمعارفهم اذ منع الخلفاء الناس عنهم ومنعوهم عن الناس. (١)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٦٢

وفي عهد الصادق شاعت الزندقة والالحاد واشتد الجدل مع اصحاب الديانات الاخرى وكان للصادق مع هؤلاء جميعا صولات وجولات.

ومن مشاكل علم الكلام في ذلك العصر القول بخلق افعال العباد اذ اعتبرها المجبرة مخلوقة لله بينما رأى المعتزلة انها مخلوقة للعباد فيقول الصادق الأمر بين امرين فلا جبر ولا تفويض اى أن الله تعالى لم يجبر الخلق على افعالهم حتى يكون قد ظلمهم في عقابهم على المعاصي بل لهم القدرة والاختيار فيما يفعلون ولكن الله لم يفوض اليهم خلق افعالهم تفويضا يخرج عن سلطانه.(١)

وآراء الصادق تارة تقترب من آراء المعتزلة ولكنه يبتعد عنهم برأيه في افعال العباد ثم يشارك المعتزلة او يشاركه المعتزلة في الرأى مبتعدا عن أهل السنة عن الرأى في امكان الرؤية يوم القيامة اذ كان يوافق المعتزلة في نفي الرؤية فيقول انه تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار)(٢) فلن تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان فلا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ورؤية القلب معرفة الله وهى أسمى مراتب اليقين.

واذا كانت حجج الصادق ومنهجه في الجدل مع المخالفين في اصول العقيدة من الزنادقة والملحدين واهل الديانات الاخرى تشبه حجج المعتزلة ومنهجهم في الكلام حتى عد الكثيرون الشيعة في الأصول معتزلة.(٣)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦

(٢) نظرية الامامة ص٣٦٦

(٣) سورة الانعام آية ١٠٣

وحينما كثر الجدل في الجبر والاختيار قال الصادق (ان الله اراد منا شيئا واراد بنا شيئا فما اراد بنا طواه عنا وما اراده منا اظهره لنا فما بالنا نشغل بما اراده بنا عما اراده منا)(١)

واهم تلامذة الصادق في علم الكلام عامة وفي الامامة خاصة هشام بن الحكم وزرارة بن اعين .

فهشام بن الحكم هو اول من فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب وقد حاور الزنادقة واصحاب الديانات الاخرى كما حاور المعتزلة وخصوم المذهب وبالرغم من ان هشام بن الحكم قد اتهم بالتجسيم فان الشيعة ينفون عنه ذلك اذ كان يحظى برضا الصادق في نظرهم ونقلوا عن الصادق قوله فيه (لا تزال يا هشام مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) ودعا له الصادق فما قهره احد بعد في التوحيد .

اما زرارة بن أعين فكما وصفه ابن النديم اكبر رجال الشيعة فقها وحديثا ومعرفة بالكلام والتشيع يقول الدكتور سامى النشار ونسب الى جعفر الصادق العلم السرى كما نسب اليه التصوف وتعددت المدارس من غلاة ومعتدلين ومقتصدين .

غير أن اهم مدرسة تعبر عن آرائه وعاصرته وحظيت منه بالتأبيد هي مدرسة مجسمة الامامية ويرأسها هشام بن الحكم . ومن هذه المدرسة فتق الكلام في الامامية الا ان كتب الفرق تبرئ الصادق من كل ما نسب اليه ومنهم الشهرستاني فانه برأه من كل ما نسب اليه من اقوال في الرجعة والغيبة والبداء .(٢)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٧٢

(٢) الشهرستاني جـ١ ص١٦٦

قال الدكتور صبحي :

والواقع انه ليس بين أئمة الشيعة من انتحلت الأقوال ونسبت اليه كما وقع للصادق ونقل عن الدكتور محمد كامل حسين قوله :

عرف عن الصادق الاعتدال في الرأي والعقيدة بحيث يقبل آراء كل مسلم السني منهج والشيعي ولكن هذه الاراء التي كان ينادى بها الصادق ركزت مذهبه الديني ودار حولها كتابات كثير من علماء الشيعة في القرن الرابع للهجرة وما تلاه من قرون فتطورت هذه الاراء بمرور الزمن.

ونسب الى الصادق تعاليم وآراء لم يقل بها كما أدخل بعض الشيعة في تعاليمه آراء هي من تراث الأمم القديمة . (١)

وبالرغم من ان الصادق ابتعد عن طلب الامامة السياسية فقد امتحن في آخر حياته امتحانا عسيرا يتعلق بوراثة الامامة من بعده فقد هيأ الصادق ابنه الاكبر اسماعيل ليقوم مقامه ولكن ظهر من اسماعيل ما لا يرتضيه ابوه وتبع ذلك وفاة اسماعيل في حياة ابيه وقد أدى ذلك الى القول بالبداء منسوبا الى جعفر اذ قال بدا الله في اسماعيل ابني اذ اخترته قبل العلم ذلك انه ليس بامام بعدى هذا ما ذكره الدكتور صبحي في امتحان الصادق. (٢)

اما الدكتور سامي النشار فيقول :

لقد تعرض الصادق لمحن متعددة في عهد هشام والوليد وابراهيم ومروان من الأمويين .

---

(١) نظرية الامامة ص٣٧٣ـ٣٧٤

(٢) المصدر السابق ص٣٧٨

وفي عهد المنصور العباسي وقد تتبع هؤلاء اهل بيته بالقتل الذريع وامتحن الرجل أشد امتحان وصبر جعفر بن محمد على كل ما نزل به من محن واضطهاد وتضييق وتشريد ومهانة وتذكر المصادر الشيعية ان المنصور أمر باحراق داره فخرج من النار يمشي وهو يقول (انا ابن ابراهيم الخليل) (١)

---

(١) راجع ساق النشار ج ٢ ص ٢١٣

٣ ـ انشقاق الامامية بعد الصادق :

وفي عام ١٤٨ هجرية مات الصادق وبموته حدث انشقاق في صفوف الشيعة الامامية فانقسمت فرقتين فرقة ساقت الامامة في موسى الكاظم وهي الاثنى عشرية ثم في ذريته من بعده . والفرقة الثانية الاسماعيلية الذين رأوا ان الامامة لا تكون الا في الاعقاب ولا تنتقل من الأخ لأخيه بعد الحسن والحسين .

هذا بالنظر الى ان هاتين الفرقتين هما الهامتان وهما اللتان تستحقان الدراسة والا فقد ذكرنا في التمهيد انه بموت الصادق وقع انشقاق في الشيعة ويرجع ذلك الانشقاق الى اختلافهم فيمن يكون الامام بعد الصادق من اولاده الخمسة او الستة في قول وقد تقدم تفصيل ذلك في التمهيد .

وهذا الانشقاق الذى طرأ بعد وفاة الصادق يعد من اكبر ما وقع من الانقسامات في صفوف الشيعة .

ليس فقط لان طائفة الاسماعيلية لا يزال لها اتباع الى اليوم ولكن لانها تمكنت في ان تقيم دولة كانت في وقت ما اكبر الدويلات التي نشأت في العصر العباسى الثاني واعنى بها الدولة الفاطمية .(١)

وترى طائفة الاسماعيلية ان جعفراً الصادق نص على ان يتولى اسماعيل الامامة من بعده فلما توفي اسماعيل في حياة ابيه انتقلت الى ابنه محمد بن اسماعيل ويرى بعض مؤرخى الاسماعيلية ان قصة وفاة اسماعيل في حياة ابيه اراد بها الصادق التمويه على الخليفة المنصور الذى كان يطارد أئمة الشيعة . وحيث ثبت ان الصادق نص عليه والأئمة معصومون من الخطأ

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٨٠

فلا يرجع النص القهقري كما لا يكون النص في الأخوة بل لا بد ان يكون في الاعقاب فقط كما قلنا من قبل .

والاثنا عشرية قالوا بأن الصادق عدل عن ولده الاكبر اسماعيل فجعل الامامة في ولده موسى الكاظم لما بدر منه من اعمال لا تليق بالائمة ويضاف الى ذلك وفاة اسماعيل في حياة ابيه ومن هنا قالت الشيعة الاثنا عشرية بان الصادق استعمل عقيدة البداء في هذه القضية حيث عين اسماعيل اماما من بعده ثم بدا له عدم احقية اسماعيل للامامة فنص على موسى بأنه الامام من بعده. (١)

يقول الشيبي :

ظهرت الاسماعيلية بعد وفاة الصادق وكانت حركة مفاجئة مستمدة من الافكار الغالية التي عاصرته وسبقته وقد انشق الشيعة المعتدلون بذلك الى طائفتين احداهما هذه الاسماعيلية والاخرى الفرقة الرئيسية التي استمرت في طريقها تملؤها اختلافات حول شخص الامام .

ومذهب الاسماعيلية يقوم على فكرة الامامة بالنص كما قلنا .

وكان لاسماعيل مولى يقال له المبارك وهو كوفي وهو الذى بدأ في تثبيت الاسماعيلية بعد ان انصرف الناس بعد جعفر الصادق الى ابنه الاكبر عبدالله الذى توفى بعد سبعين يوما من وفاة ابيه فاجتمع الشيعة على امامة موسى الكاظم اخيه الآخر .

غير ان المبارك واتباعه يزعمون ان النص لا يرجع القهقرى كما تقدم .

والفائدة في النص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسماعيل ولده محمد بن اسماعيل (٢) كما سبق في التمهيد لهذه الرسالة.

---

(١) نظرية الامامة ص٣٨٠

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص١٩٥ — ١٩٦

٤ - صورة الصادق عند اهل السنة :

وصورة الصادق عند اهل السنة غير صورته المتقدمة عند الشيعة فهو عند اهل السنة احد السادة الاعلام .

قال الذهبي :

مناقب هذا السيد جمة واحسنها رواية حفص بن غياث انه سمعه يقول : ما ارجو من شفاعة علي شيئا الا وانا ارجو من شفاعة ابي بكر مثله وقد ولدني مرتين . (١)

ونقل ابن حجر العسقلاني عن زهير بن معاوية قال قال ابي لجعفر بن محمد ان لي جارا يزعم انك تبرأ من ابي بكر وعمر فقال جعفر برئ الله من جارك والله اني لارجو ان ينفعني الله لقرابتي من ابي بكر رضي الله عنه. (٢)

وقال محمد بن فضيل عن سالم بن ابي حفصة سألت ابا جعفر وابنه جعفر بن محمد عن ابي بكر وعمر فقالا لي يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فانهما كانا امامي هدى) (٣) وقد سبق سوق اثر سالم هذا في الحديث عن الباقر .

قال ابن سعد كان كثير الحديث ولا يحتج به ويضعف سئل مرة سمعت هذه الاحاديث من ابيك فقال نعم وسئل مرة فقال انما وجدتها في كتبه .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧

(٢) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٣

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٥٠

قال الحافظ ابن حجر بعد سياقه لكلام ابن سعد هذا ،قال ويحتمل ان يكون السؤالان وقعا عن احاديث مختلفة فذكر فيما سمعه انه سمعه وفيما لم يسمعه انه وجده وهذا يدل على تثبته .

وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان من سادات اهل البيت فقها وعلما وفضلا يحتج بحديثه من غير رواية اولاده عنه وقد اعتبرت احاديث الثقات عنه فرأيت احاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الاثبات ومن المحال ان يلصق به ما جناه غيره .

وقال الساجي كان صدوقا مأمونا اذا حدث عنه الثقات فحديثه مستقيم .

قال ابو موسى كان عبد الرحمن بن مهدى لا يحدث عن سفيان عنه .

وكان يحيى بن سعيد يحدث عنه .

وقال النسائي في الجرح والتعديل ثقة .

وقال مالك اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصلى واما صائم واما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث الا على طهارة . (١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فيه :

وجعفر الصادق رضى الله عنه من خيار اهل العلم والدين اخذ العلم عن جده ابي امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابن بكر الصديق وعن محمد بن المنكدر ونافع مولى ابن عمر والزهرى وعطاء بن ابي رباح وغيرهم .

وروى عنه يحيى بن سعيد الانصارى ومالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة وابن جريج وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وحاتم بن اسماعيل وحفص ابن غياث ومحمد بن اسحاق بن يسار .

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ١٠٤ــ١٠٥

وقال عمرو بن ابي المقدام : (كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين).

واما قولهم اشتغل بالعبادة عن الرياسة فهذا تناقض من الامامية لان الامام واجب عندهم ان يقوم بها وبأعبائها فانه لا امام في وقته الا هو في نظرهم فالقيام بهذا الامر اعظم لو كان واجبا اولى من الاشتغال بنوافل العبادات .

واما قولهم هو الذى نشر فقه الامامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية فهذا الكلام يستلزم احد امرين : اما انه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه من قبله واما ان يكون الذى قبله قصر فيما يجب من نشر العلم : وهل يشك عاقل ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لامته المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية اكمل بيان وان اصحابه تلقوا عنه ذلك وبلغوه الى المسلمين .

وهذا يقتضي القدح اما فيه واما فيهم بل كذب على جعفر الصادق اكثر مما كذب على من قبله .

فالآفات وقعت في الكذابين عليه لا منه ولهذا نسبت اليه انواع من الاكاذيب مثل كتاب البطاقة والجفر والهفت والكلام على النجوم وفي مقدمة المعرفة من جهة الرعود والبروق واختلاج الأعضاء وغير ذلك حتى نقل عنه عبد الرحمن في حقائق التفسير من الاكاذيب ما نزه الله جعفرا عنه وحتى ان من اراد ان يحقق اكاذيب نسبها الى جعفر حتى ان طائفة من الناس يظنون ان رسائل اخوان الصفا مأخوذة عنه وهذا من الكذب المعلوم فان جعفرا توفي سنة ثمان واربعين ومائة وهذه الرسائل صنفت بعد ذلك بنحو من مائتي سنة صنفت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة سنة بضع وخمسين وثلاثمائة وفي تلك الاوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذى ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض .(١)

---

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤

٥ — موقف اهل السنة فيما نسبته الامامية الى الصادق وغيره من العلوم :

نسب صاحب الكافي : وهو من الكتب المعتبرة لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية نسب صاحب هذا الكتاب الى الصادق امورا غريبة يستحي العاقل من ذكرها .

فذكر ان الصحيفة المنسوبة اليه هي الجامعة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس اليه حتى الأرش في الخدش .

والجفر المنسوب اليه وهو وعاء من ادم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل ومصحف فاطمة وفيه مثل القرآن ثلاث مرات وليس فيه من هذا القرآن حرف واحد .

وعلم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وما يحدث بالليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء الى ان تقوم الساعة .

وان الجفر جفران جفر ابيض وفيه زبر داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام .

والجفر الاحمر وفيه السلاح .

وان مصحف فاطمة كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الحزن الذى حصل لها بعده فكان الملك يأتيها ويسليها فكان علي يكتب ما يسمع من الملك حتى كتب مصحفا وهو مصحف فاطمة الا ان هذا المصحف لم يكن فيه الحلال والحرام انما فيه علم ما يكون .

وان الأئمة يبسط لهم العلم فيعلمون ويقبض عنهم فلا يعلمون .

وان الله أسر امره الى جبريل عليه السلام وأسر جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم .

واسره محمد الى من شاء قال الشارح في الشافي المراد امير المؤمنين علي عليه السلام .

والقارئ اذا وقف على هذه الأشياء المنسوبة الى الصادق يتعجب من القوم كيف بالغوا في الغلو في الأئمة عامة وفي جعفر بدرجة اخص مع ان صاحب الكافي بنفسه ناقض هذه العلوم الغيبية التي نسبها الى الصادق في نفس الكتاب حيث نقل بسنده عن سدير قال كنت انا وابو بصير يحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس ابي عبدالله اذ خرج الينا وهو مغضب فلما اخذ مجلسه قال يا عجبا لأقوام يزعمون انا نعلم الغيب ما يعلم الغيب الا الله عز وجل لقد هممت بضرب جارية فلانة فهربت مني فما علمت في اى بيوت الدار هي . (١)

وهذا الجفر الذى قلنا ان الشيعة الامامية نسبته الى الصادق فهو منسوب ايضا الى الامام على رضى الله عنه .

يقول الاستاذ محمد الرضا نقلا عن ابن طلحة انه قال : والجفر والجامعة كتابان جليلان احدهما ذكره على بن ابي طالب وهو يخطب بالكوفة على المنبر والاخر اسر به النبي صلى الله عليه وسلم اليه وأمره بتدوينه فكتبه على حروف متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والاخرين .

وقال الجرجاني :

الجفر والجامعة كتابان لعلى رضى الله عنه ذكر فيهما على طريقة الحروف : الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم .

وكان الأئمة المعروفون يعرفونهما و يحكمون بهما .

ثم قال الاستاذ محمد رضا بعد نقله عن هؤلاء نسبة الجفر لعلى قال ما نصه :

---

(١) اصول الكافي ج ٢ص ١٩٨ــ١٩٩ــ٢٠٠ــ٢٠١ــ٢٠ــ ٢٢٩

وكون الجفر من العلوم التي اسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه يتوارثه ابناؤه ، هو عقيدة المتقدمين من الشيعة الذين يعتقدون ان الأئمة لا تذنب ولا تخطىء ثم ذكر ان الدميرى نقل عن آدب الكاتب لابن قتيبة : ان الجفر من وضع الصادق الامام السادس كما تقدم .

ونقل ابن خلدون انه قال في صدد الكلام على نسبة الجفر الى الصادق :

وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات ولا يصحبها دليل ثم ذكر الاستاذ محمد رضا رأيه في اخر البحث في صحة نسبة هذا الكتاب الى على او الى الصادق بقوله :

وليس لدينا دليل يثبت ان علم الجفر من وضع الامام على رضى الله عنه او من وضع جعفر الصادق . (١)

وقال البغدادى :

ومن اعجب الاشياء ان الخطابية زعمت ان جعفرا الصادق قد اودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون اليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا وزعموا انه لا يقرأ ما فيه الا من كان منهم .

وقد ذكر ذلك هارون بن سعد العجلى في شعره فقال :

الم تر ان الرافضين تفرقوا

وكلهم قال في جعفر منكرا

فطائفة قالوا اله ومنهم

طوائف سمته النبى المطهرا

---

(١) الامام على رضى الله عنه ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢

ومن عجب لم أقضه جلد جعفـــرا

برئـت الى الرحمـن من تجعفـرا

فان كان يرضى ما يقولون جعفـــر

فاني الى ربـى افارق جعفـــرا

برئت الى الرحمن من كل رافـــض

بصـير بباب الكـفر في الدين اعورا

اذا كـف اهل الحق عن بدعة مضـــى

عليها وان يمضـوا الى الحق قصرا

ولو قيل ان الفيل ضب لصدقـــوا

ولو قيـل زنجـى تحول أحمـــرا

فيا قبح اقوام رمـوه بفريـــة

كما قال في عيسى الفراء من تنصرا (١)

وقد نفى على بن ابي طالب فيما ثبت عنه ان يكون الرسول قد خصهم بشيء لم يعم به الناس وقد حلف على ذلك قائلا " والذى فلق الحبـــة وبرأ النسمة ما عندنا الا ما في القرآن الا فهما يعطى رجل في كتـــاب الله اوما في هذه الصحيفة قال ابو جحيفة قلت فما هذه الصحيفة قـــال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر .

وقد اخرج هذا الحديث الامام البخارى في تسعة مواضع مـــن صحيحـــه .

---

(١) راجع البغدادى في الفرق بين الفرق ص ٢٥٢

١ – فاخرجه في باب كتابه العلم :

فقال حدثنا محمد بن سلام قال اخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف عن الشعبي عن ابي جحيفة قال قلت لعلي هل عندكم كتاب قال لا الا كتاب الله اوفهم اعطيه رجل مسلم او ما في هذه الصحيفة قال قلت فما هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر . (١)

٢ – واخرجه في باب حرم المدينة :

بلفظ ما عندنا شيء الا كتاب الله و هذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وقال وذمة المسلمين واحدة فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ومن تولى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدة . (٢)

٣ – واخرجه ايضا في باب فكاك الاسير :

بلفظ هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله قال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما اعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر . (٣)

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ج ١ ص ٢٠٤

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ج ٤ ص ٨١

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ج ٦ ص ١٦٧

٤ — واخرجه ايضا في باب ذمة المسلمين وجوارهم واحد ويسعى بها أدناهم :

فقال حدثني محمد اخبرنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال خطبنا علي فقال ما عندنا كتاب نقرؤه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فقال فيها الجراحات واسنان الابل والمدينة حرم ما بين عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا اوآوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلما فعليه مثل ذلك. (١)

٥ — واخرجه ايضا في باب اثم من عاهد ثم غدر :

قال حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال : ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا القرآن وما في هذه الصحيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرام ما بين عائر الى كذا فمن احدث حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ومن والى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . (٢)

٦ — واخرجه ايضا في باب اثم من تبرأ من مواليه :

فقال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ج ٦ ص ٢٧٣

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٢٧٩ — ٢٨٠

التيمى عن ابيه قال قال على رضى الله عنه ما عندنا كتاب نقرؤه الا كتاب الله غير هذه الصحيفة قال فاخرجها فاذا فيها اشياء من الجراحات واسنان الابل قال وفيها المدينة حرم ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل ومن والى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل . (١)

٧ — واخرجه ايضا في باب العاقلة :

فقال : حدثنا صدقة بن الفضل اخبرنا ابن عيينة حدثنا مطرف قال سمعت الشعبي قال سمعت ابا جحيفة قال سألت عليا رضى الله عنه هل عندكم شيء ما ليس في القرآن وقال مرة ما ليس عند الناس وقال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا الا ما في القرآن الا فهما يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر . (٢)

٨ — واخرجه ايضا في باب لا يقتل المسلم بالكافر :

قال حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مطرف ان عامرا حدثهم عن ابي جحيفة قال قلت لعلي ح (٣) حدثنا صدقة بن الفضل اخبرنا ابن عيينة

---

(١) البخارى مع الفتح جـ ١٢ ص ٤١ — ٤٢

(٢) البخارى مع الفتح جـ ١٢ ص ٢٤٦

(٣) (ح) اشارة الى تحويل السند الى سند آخر

حدثنا مطرف سمعت الشعبي يحدث قال سمعت أبا جحيفة قال سألت عليا رضى الله عنه : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن قال ابن عيينة مرة مما ليس عند الناس فقال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا الا ما في القرآن الا فهما يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر . (١)

٩ — واخرجه ايضا في باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع:

حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا ابي حدثنا الاعمش حدثني ابراهيم التيمى حدثني ابي قال حدثنا على رضى الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال والله ما عندنا من كتاب يقرأ الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فنشرها . فاذا فيها اسنان الابل واذا فيها المدينة حرم من عير الى كذا فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا واذا فيه ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا واذا فيها من ولى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . (٢)

وحديث الصحيفة هذا اخرجه مسلم في صحيحه أيضا في موضعين :

---

(١) البخارى مع الفتح ج ١٢ ص ٢٥٩ — ٢٦٠

(٢) البخارى مع الفتح ج ١٣ ص ٢٧٥ — ٢٧٦

الاول — في باب فضل المدينة وبيان تحريمها :

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى :

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة وزهير بن حرب وابو كريب جميعا عن ابي معاوية قال ابو كريب حدثنا ابو معاوية حدثنا الأعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال خطبنا علي بن ابي طالب فقال من زعم ان عندنا شيئا نقرؤه الا كتاب الله وهذه الصحيفة قال وصحيفة معلقة بقراب سيف فقد كذب فيها اسنان الابل واشياء من الجراحات وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرم ما بين عير وثور فمن احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم ومن ادعى الى غير ابيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .(١)

الثاني — في كتاب الذبائح بألفاظ مختلفة :

منها عن ابي الطفيل عامر بن واثلة قال كنت عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاتاه رجل فقال ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر اليك قال فغضب وقال ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر اليّ شيئا يكتمه الناس غير انه قد حدثني بكلمات اربع قال فقال ما هن يا أمير المؤمنين قال لعن الله من لعن والده ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض .(٢)

---

(١) مسلم مع النووي ج ٩ ص ١٤٣ — ١٤٤

(٢) المصدر السابق ج ١٣ ص ١٤١

ومنها عن ابي الطفيل ايضا قال قلنا لعلى بن ابي طالب اخبرنا بشيء أسره اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ما أسر اليّ شيئا كتمه الناس ولكني سمعته يقول : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من غير المنار . (١)

ومنها عن ابي الطفيل ايضا قال سئل على رضى الله عنه اخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة الا ما كان في قراب سيفي هذا وقال فأخرج صحيفة مكتوب فيها لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض ولعن الله من لعن والده ولعن الله من آوى محدثا . (٢)

واخرج حديث الصحيفة الامام النسائي عن قيس بن عبادة قال : انطلقت انا والأشتر الى على رضى الله عنه فقلنا هل عهد اليك نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس عامة قال لا الا ما كان في كتابي هذا فاخرج كتابا من قراب سيفه فاذا فيه المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم والا يقتل مؤمن بكافر . (٣)

واخرجه الترمذى عن الشعبي قال : حدثنا ابو جحيفة قال :

قلت لعلى رضى الله عنه يا امير المؤمنين عندكم سوداء في بيضاء ليس في كتاب الله؟ قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما جاء في الصحيفة قال : قلت وما في الصحيفة قال : فيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر . (٤)

---

(١) مسلم جـ ١٣ ص ١٤٢

(٢) مسلم ايضا جـ ١٣ ص ١٤٢

(٣) المجتبى جـ ٨ ص ١٩

(٤) الترمذى جـ ٤ ص ٦٦٨

ورواه ابن ماجه عن الشعبي عن ابي جحيفة قال : قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس ؟ فقال : لا والله ما عندنا الا ما عند الناس الا ان يرزق الله رجلا فهما في القرآن او ما في هذه الصحيفة فيها الديات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا يقتل مسلم بكافر .(١)

ورواه الامام احمد ، عن طارق بن شهاب قال : شهدت عليا رضي الله عنه وهو يقول على المنبر (والله ما عندنا كتاب نقرأ عليكم الا كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة معلقة بسيفه اخذتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فرائض الصدقة)(٢)

قال الحافظ ابن حجر :

والجمع بين هذه الاحاديث : ان الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوبا فيها فنقل كل واحد من الرواة ما حفظه والله أعلم .

وقد بين ذلك قتادة في روايته لهذا الحديث عن ابي حسان ان عليا رضي الله عنه كان يأمر بالأمر فيقال : قد فعلنا فيقول : صدق الله ورسوله فقال له الاشتر : هذا الذى تقول أهو شيء عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون الناس فذكره بطوله .(٣)

والباحث المنصف اذا وقف على ما اشتملت عليه هذه الصحيفة عرف بطلان ما تزعمه الشيعة الامامية من الوصية لعلي رضي الله عنه وغيره وتخصيصه بعلوم واسرار لم تكن عند الناس فان غالب ما في هذه الصحيفة منقول

---

(١) ابن ماجه ج ٢ ص ٧٥

(٢) المسند ج ١ ص ١٠٠

(٣) فتح الباري ج ١ ص ٢٠٥

عن صحابة اخرين وغضب على رضي الله عنه على السائل مما يؤيد بطلان هذه الدعوى .

قال النووي في شرح مسلم عند شرح قول على رضي الله عنه (من زعم ان عندنا شيئا نقرأه الا كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب) هذا تصريح من على رضي الله عنه بابطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم ان عليا رضي الله عنه اوصى اليه النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كثيرة من اسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة وانه صلى الله عليه وسلم خص اهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم وهذه دعاوى باطلة واختراعات فاسدة لا أصل لها ويكفى في ابطالها قول على هذا . (١)

وقد غضب على رضي الله عنه حين قال الرجل ما كان رسول الله يسر اليك ؟ كما تقدم سياقه قريبا .

وهذا يبطل كل مزاعم القوم في على وأهل بيته الاطهار رضي الله عنهم .

قال الحافظ ابن حجر في شرح قوله (ما عندنا شيء) الخ قال : وفي الحديث رد لما تدعيه الشيعة بانه كان عند على وآل بيته من النبي صلى الله عليه وسلم امور كثيرة أعلمه بها سرا تشتمل على كثير من قواعد الدين وامور الامارة . (٢)

ثم الصحيفة لم تكن خاصة بعلى بن ابي طالب فقد كان همام بن منبه له صحيفة مروية عن ابى هريرة وفيها مجموعة من الاحاديث .

---

(١) النووي مع مسلم جـ ٩ ص ١٤٣ وجـ ١٣ ص ١٤١ — ١٤٢

(٢) فتح البارى جـ ٤ ص ٨٦

قال ابن حجر في الكلام على حديث (اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها) الحديث اخرجه البخاري[١] .

قال : وهذا الحديث من رواية همام بن منبه من نسخته المشهورة المروية باسناد واحد عن عبد الرزاق عن معمر عنه[١] .

وقال الشيخ عبد المحسن العباد في ترجمة همام بن منبه قال :
و همام بن منبه له صحيفة رواها عن ابي هريرة وهي باسناد واحد عن عبد الرزاق عن معمر عنه عن ابي هريرة وقد اتفق الشيخان على اخراج احاديث منها وانفرد كل منهما في احاديث .[٢]

---

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٠٠

(٢) عشرون حديثا من صحيح مسلم ص ١٧٦

الفصل الرابع

دور الدعوة السرى

الكاظم - الرضا - الجواد - الهادى - العسكرى - القائم

أولا - موسى الكاظم :

أ- حياته : والامام السابع في سلسلة الأئمة الاثنى عشر لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية هو موسى الكاظم وهو موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب الهاشمى القرشى .

يكنى ابا الحسن وابا ابراهيم وامه ام ولد تدعى حميدة (١) .

وكان مولده سنة ثمان او تسع وعشرين ومائة .

وتوفي في بغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة وقبره هناك مشهور .

وكان كثير العبادة والمروءة واذا بلغه عن انسان انه يؤذيه ارسل اليه الذهب وقابل اساءته بالاحسان .

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى من مروءته : أن عبدا اهدى له عصيدة فاشترى ذلك العبد واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار فاعتقه ووهب له المزرعة . (٢)

فكان كما قلنا يقابل الاساءة بالاحسان فاذا بلغه من انسان ما يكره بعث اليه صرة دنانير وكانت صراره ما بين الثلاثمائة والمأتين دينارا فكانت صرار موسى مثلا .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٩٩

(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٣

ومن ذلك ما ذكره ابو الفرج الاصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبين) حيث ذكر بسنده فقال حدثني احمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير الى ان قال رحمة الله تعالى : حدثني احمد بن سعيد قال حدثنا يحيى ان رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي طالب اذا رأى موسى بن جعفر ويؤذيه اذا لقيه فقال له بعض مواليه وشيعته دعنا نقتله فقال : لا ثم مضى راكبا حتى قصده في مزرعة له فتوطأها بحماره فصاح : لا تدس زرعنا فلم يصغ اليه حتى نزل عنده وجلس معه وجعل يضاحكه فقال له : كم غرمت على زرعك هذا؟ قال : مائة درهم قال فكم ترجو ان تربح ؟ قال : لا ادرى . قال : انما سألتك كم ترجو ؟ قال : مائة اخرى .

قال فاخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له فقام فقبل رأسه .

فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلم عليه وجعل يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته)[1] وكان بعد ذلك كلما دخل موسى وخرج يسلم عليه ويقوم له فقال موسى لمن قال له ذلك القول : ايا كان خيرا ما اردتم او ما اردت .[2]

وولد له من الاولاد اربعون ولدا بين الذكور والاناث وقد استدعاه المهدى الى بغداد فحبسه فيها فلما كان في بعض الليالي رأى المهدى علي ابن ابي طالب في المنام وهو يقول له :

يا محمد * فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم *[3]

---

(١) الانعام ٣ - ١٢٤

(٢) راجع مقاتل الطالبين ص ٤٩٩ - ٥٠٠

(٣) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) اية ٢٢

فاستيقظ مذعورا وأمر به فلخرج من السجن ليلا فلجلسه معه وعانقه واقبل عليه واخذ عليه العهد ان لا يخرج عليه ولا على احد من اولاده ٠

فقال : والله ليس هذا من شأني ولا حدثت فيه نفسي ٠ فقال : صدقت وامر له بثلاثة الاف دينار وامر به فرد الى المدينة ٠ فما اصبح الصباح الا وهو في الطريق فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فحج فلما دخل ليسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه موسى بن جعفر الكاظم فقال الرشيد : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم فقال موسى : السلام عليك يا ابت ٠ فقال الرشيد : هذا هو الفخر يا ابا الحسن ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه سنة تسع وستين ومائة فحبسه وأطال حبسه فكتب اليه موسى رسالة يقول فيها :

أما بعد يا أمير المؤمنين انه لم ينقض على يوم من البلاء الا انقضى عنك يوم من الرخاء حتى يفضي بنا ذلك الى يوم يخسر فيه المبطلون ٠ (١)

ولقب موسى بالكاظم لفرط صبره على الحبس الطويل والأذى المستمر ٠

اما عن عبادته فيقول الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد : كان موسى الكاظم يدعى بالعبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل ٠ (٢)

---

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٣

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧

٢ — صورته عند الشيعة الاثنى عشرية :

يعتبر موسى بن جعفر الصادق الامام السابع كما قلنا في سلسلة الائمة الاثنى عشر لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية وبه تميزت الاثنا عشرية عن الاسماعيلية وذلك مبني على اختلاف الشيعة الامامية في الامام بعد جعفر الصادق فالاسماعيلية نقلت الامامة في ولده اسماعيل بينما نقلت الاثنا عشرية الامامة في ولده الرابع موسى الكاظم وهم جمهرة الشيعة وهناك فرقة نقلت الامامة في ولده عبدالله الأفطح غير ان هذه الفرقة رجعت الى الائتمام بموسى الكاظم وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في التمهيد عن هذه الرسالة .

قال الدكتور سامي النشار : (١)

ولما انتقل جعفر الصادق الى الرفيق الأعلى بدأ الانقسام بين الشيعة الامامية الفاطمية الحسينية بل يبدو أن الانقسام قد حدث ايام جعفر اذ ان اناسا من اتباع جعفر نفسه توقفوا في موت اسماعيل فنشأ منهم فرقة الاسماعيلية فبدأت بسيطة اول الامر على يد المبارك الكوفي مولى جعفر الصادق ثم انتهت الى فلسفة غالية .

وفريق من الشيعة توقفوا في موت الصادق نفسه وهم اتباع عجلان بن ناوس فقد اعلن هؤلاء ان جعفر ابن محمد حي لم يمت حتى يظهر ويلي أمر الناس . ونقل هؤلاء عن الصادق انه قال فان رأيتم رأسي قد اهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فاني انا صاحبكم وانه قال : فان جاءكم من يخبركم عني انه مرضني وغسلني وكفنني فلا تصدقوه فاني صاحبكم صاحب السيف .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٢٢٦

ويكفي في رد هذه الروايات معارضتها لما نقلوه عن الصادق نفسه انه قال في ابنه موسى الكاظم هو صاحبكم وسيأتي .

وفرقة اخرى نقلت الامامة الى ابنه عبدالله الأفطح كما تقدم وسموا الافطحية وكان عبدالله هذا أسن اولاد الصادق فأيدت هذه الفرقة مذهبهم برواية نقلوها عن الصادق وهي قوله : (الامامة في اكبر أولاد الامام) وأنه قال : (الامام من يجلس مجلسي وهو الذى جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يواريه ولا ياخذ خاتمه الا الامام وهو الذى تولى ذلك كله .(١)

وقول الشيعة عبدالله وغير نفر يسير عرفوا الحق فامتحنوا عبدالله بمسائل في الحلال والحرام من الصلاة والزكاة وغير ذلك فلم يجدوا عنده علما فرجعوا عن امامته وكان فيهم وجوه اصحاب جعفر الصادق مثل هشام بن الحكم وعبدالله بن ابي يعفور وعمر بن يزيد السابري ومحمد بن النعمان ابي جعفر الاحول مؤمن الطاق وهشام ابن سالم وعبدالله بن زرارة وجميل بن دراج وأبان بن تغلب فهؤلاء هم وجوه الشيعة واهل العلم والنظر والفقه ثبتوا على امامة الابن الرابع لجعفر الصادق وهو الامام موسى الكاظم ولما توفي عبدالله الافطح عاد معظم اتباعه الى الائتمام بموسى الكاظم كما تقدم .

وهؤلاء الاثني عشرية نقلوا عن الامام الصادق اثارا واساطير في سوق الامامة الى امامهم فنقلوا عن الصادق انه قال لبعض اصحابه عد الايام فعدها من الاحد الى السبت فقال له كم عددت ؟ فقال : سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا واشار الى موسى .(٢)

وقال ايضا انه شبيه بعيسى .(٣)

---

(١) الشهرستاني جـ ٢ ص ١٦٧ (٢) الشهرستاني جـ ١ ص ١٦٨

(٣) الشهرستاني جـ ١ ص ١٦٨

والدكتور سامي النشار (١) وصف هذه الروايات والاثار بانها اساطير والها وضعت عن الامام السابع محاولة من الشيعة ا قدامه مقابلا للدعوة الاسماعيلية التي بدأت تنتشر في ذلك الوقت .

ثم قال الدكتور سامي النشار :

والسبب الحقيقي في ولاية شيعة جعفر الصادق لموسى الكاظم هو انه كان اكثر اولاد الامام جعفر علما ويبدو هذا تماما من اجتماع وجوه الشيعة ومتكلميهم وبخاصة هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق وغيرهم عليه .

وقد بدأت امامة موسى الكاظم من وفاة والده الصادق الى ان توفي عليه السلام فاستغرقت ربع قرن من الزمان من سنة ١٤٨هـ الى سنة ١٨٣هـ هكذا ذكر سامي النشار (٢) في مدة امامته انها ربع قرن من الزمان وكذلك قرر الدكتور الشيبي . (٣) غير ان كلا منهما يقول ان بداية امامته من سنة ١٤٨هـ الى سنة ١٨٣ هـ . وهذه المدة كما ترى تزيد على ربع قرن بعشر سنين .

وأما الشيخ الدلفي فلم يحدد مدة امامته بالاعوام لكنه ذكر الملوك الذين عاصروا امامته فقال : كانت امامة موسى الكاظم بقية ملك المنصور وملك ابنه محمد المهدي وملك موسى الهادي بن محمد المهدي وتوفي في ملك الرشيد بن المهدي . (٤)

---

(١) الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٢٧٧

(٢) المصدر السابق ج ٢ص ٢٧٨

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص٢١٦

(٤) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٤١

وبالرغم من ابتعاده عن الامامة السياسية فقد تعرض لأذى من جانب خلفاء بني العباس المعاصرين له•

لقد تنقل موسى الكاظم من سجن الى سجن وصب عليه المهدى والرشيد صنوفا من العذاب احتملها الامام بصبر عجيب حتى لقب بالكاظم •

ومن دعائه : عظم الذنب عندى فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة •

وفي هذا الدعاء رد على الامامية القائلين بعصمة الأئمة حيث يعترف بالذنب العظيم ويسأل الله المغفرة والعفو ولم يرد عن الامام موسى الكاظم رواية في الحديث لكن ينسب اليه الحديث بدون ذكر اسمه •

وقد قدمنا ان المهدى سجنه واطلقه من السجن اما هارون (١) الرشيد فقد حبسه وأطال حبسه حتى مات من سم دسوه عليه وأمر الرشيد بأن تعرض جثته على الجسر في بغداد وهي عارية ليعرف الناس ان امام الرفضة قد مات ولكن بالرغم من ذلك فقد توقف جماعة من اتباعه في موته وأعلنوا انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة مستندين على روايات عن ابيه جعفر الصادق انه قال : (هو القائم المهدى فان يدهده رأسه من جبل فلا تصدقوا فانه صاحبكم القائم) •

ولكن جمهرة الشيعة نقلت الامامة الى ابنه على المشهور بالرضا كما تقدم في التمهيد لهذه الرسالة •

وقبره عند اهل العراق مشهور يزار ومعروف عند عامة الشيعة هناك (بباب الحوائج) يلجأون اليه يلتمسون منه الشفاعة وقضاء حاجاتهم الدنيوية والاخروية • (٣)

---

(١) سامي النشار ج ٢ص ٢٧٨ (٢) المصدر السابق ج ٢ص ٢٨٩

(٣) سامي النشار ج ٢ص ٢٧٨ ونظرية الامامة ٣٨٥

وانت تعلم موقف اهل السنة من زيارة القبور انها مشروعة بتذكر الاخرة والدعاء للميت واما دعاء الميت فهو شرك فضلا عن ان يكون مشروعا وقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام به (بأن لا يجعل قبره وثنا يعبد).(١)

ونظرا الى قلة ما نقل عن موسى الكاظم من العلوم فقد اعتذر الشيعة عن ذلك بأن السبب في ذلك ما لقيه من الاضطهاد فقد كان اما مسجونا بسجن العباسيين واما بسجنه نفسه بعيدا عن الناس خوفا من بني العباس حتى ان الراوي لا يسند الحديث اليه بصريح اسمه اذا روى الحديث بل قلما نجد اسمه صريحا في الحديث لشدة التقية في ايامه في نظرهم .

وعلى اية حال فقد تابع منهاج آبائه في البعد عن السياسة او طلب الرئاسة .(٢)

---

(١) الموطأ تنوير الحوالك جـ ١ ص ١٣٥

(٢) نظرية الامامة ص ٣٨٥

٣ ـ صورة الكاظم عند أهل السنة :

وصورة موسى الكاظم عند اهل السنة مخالفة لصورته عند الامامية الاثنى عشرية القائلين بامامته كما تقدم بل هو كغيره من اهل العلم اضافة الى أنه من اهل البيت النبوى وقد عرف بالعبادة والكرم والسخاء كما تقدم .

يقول الخطيب البغدادى : روى اصحابنا انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في اول الليل وسمع يقول في سجوده عظم الذنب عندى فليحسن العفو عندك يا اهل التقوى ويا اهل المغفرة وجعل يرددها حتى اصبح وكان لفرط صبره يسمى بالكاظم كما كان يدعى بالعبد الصالح (١) كما قلنا من قبل .

وقال فيه ابن حجر :

صدوق عابد من الطبقة السابعة و رمز له بالتاء و القاف اشارة الى ان حديثه في جامع الترمذى وفى سنن ابن ماجه . (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

واما بعد جعفر فموسى بن جعفر قال فيه ابو حاتم الرازى ثقة وفيه صدق من أئمة المسلمين .

وقال ابن سعد ليس له كثير رواية يروى عن ابيه جعفر ويروى عنه اخوه على روى له الترمذى وابن ماجه وقد تقدم نقل ذلك عن ابن حجر في التقريب .

---

(١) تاريخ بغداد جـ١٣ ص٢٧

(٢) تقريب التقريب جـ ٢ص ٢٨٢

والحكاية التي ذكرها ابن المطهر من ان شقيقا البلخي رأى موسى الكاظم بالقادسية سنة تسع واربعين ومائة وانه رأى منه عجائب فتلك حكاية لا أصل لها . (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية بعد نقله هذه الحكاية من منهاج الكرامة لا بن المطهر يقول ما نصه :

اما الحكاية المشهورة عن شقيق البلخي فكذب فان هذه الحكاية تخالف ما عرف من رجال موسى بن جعفر وموسى كان مقيما بالمدينة بعد موت ابيه جعفر . وجعفر مات سنة ثمان واربعين بعد المائة ولم يكن قد جاء آنذاك الى العراق حتى يكون بالقادسية ولم يكن ايضا ممن ينزل منفردا على هذه الحالة المنسوبة اليه في هذه الحكاية .

وكثرة من يغشاه واجلال الناس له امر معروف . وهو متهم ايضا بطلب الملك ولذلك أخذه المهدى ثم الرشيد الى بغداد .

وكذا قول الامامية ان بشرا الحافي تاب على يده فمن اكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر فان موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد الى العراق حبسه فلم يكن من يجتاز على دار بشر وامثاله من العامة . (٢)

---

(١) منهاج السنة ج ٢ص ١٢٤

(٢) منهاج السنة النبوية ج ٢ص ٢٢٤ـ ٢٢٥

ثانيا — علي الرضا :

١ — حياته :

الامام الثامن في سلسلة الأئمة الاثنى عشر هو علي الرضا وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد الهاشمي العلوي المشهور بالرضا قال ابن حجر في التقريب : الرضا بكسر الراء وفتح المعجمة صدوق والخلل ممن روى عنه من كبار الطبقة العاشرة ورمز له بالقاف اشارة الى ان حديثه في سنن ابن ماجه . (١)

وقال الذهبي :

ابو الحسن روى عن ابيه وعن جده قال ابن طاهر يأتي عن أبيه بعجائب ، قال الذهبي تعليقا على قول ابن طاهر هذا قلت : انما الشأن في ثبوت السند اليه والا فالرجل قد كذب عليه ووضع عنه نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق .

فروى عنه ابو الصلت الهروى وهو احد المتهمين وروى القاضي عنه نسخة ولأبي احمد عامر بن سليمان الطائي عنه نسخة كبيرة .

ولداود بن سليمان القزويني عنه نسخة .

قال ابو الحسن الدارقطني اخبرنا ابن حبان في كتابه ، قال : علي بن موسى الرضا روى عنه عجائب يهم ويخطىء . (٢)

وقال الذهبي ايضا في المغني على الضعفاء : كذب عليه وعلى جده . (٣)

ولد الرضا في اليوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ثمان واربعين ومائة وهي السنة التي توفي فيها جده جعفر الصادق .

---

(١) التقريب ج ٢ ص ٤٤

(٢) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٥٨

(٣) المغني على الضعفاء ج ٢ ص ٤٥٦

وقبض في اليوم السابع عشر من شهر صفر سنة اثنتين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وكان مولده يوم الجمعة بالمدينة النبوية كما كانت وفاته يوم الاثنين بطوس من أرض خراسان في قرية يقال لها سنا آباد وفي تحديد سنة ولادته ووفاته اختلاف واقوال كثيرة ٠ (١)

قال ابن حجر قال الحاكم في تاريخ نيسابور : أشخصه المأمون من المدينة الى البصرة ثم الى الأهواز ثم الى فارس ثم الى نيسابور الى أن اخرجه الى مرو وكان ما كان يعني من استخلافه ٠ (٢)

وكان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة ٠

روى عنه من أئمة الحديث آدم بن اياس ونصر بن علي الجهضمي ومحمد بن رافع القشيري وغيرهم ٠ (٣)

استشهد علي بن موسى بسند آباد من طوس في رمضان سنة ٢٠٣ وهو ابن تسع واربعين ٠ هذا ما ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤) وقد تقدم ما نقله صاحب كتاب (الرسول الأعظم واهل بيته الاطهار) (٥) من انه توفي سنة ٢٠٢ وله خمس وخمسون سنة ٠

وقيل كانت وفاته سنة ثمان ومائتين ٠ (٦)

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢٦٢

(٢) يشير بن حجر بذلك الى ما سيأتي الحديث عنه من استخلاف المأمون للرضا على ولاية العهد من بعده

(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧ — ٣٨٩

(٤) المصدر السابق ج ٧ ص ٣٨٧ — ٣٨٩

(٥) الرسول الاعظم ص ٢٦٢

(٦) تاريخ العلويين ص ١٧٢

٢ — صورة الرضا عند الامامية الاثنى عشرية :

يعتبر الاما م على الرضا الامام الثامن في سلسلة الأئمة الاثنى عشر كما كما تقدم • يقول الشيخ محمد رضا المظفر في عقائد الامامية : وعقيدتنا في عدد الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة وهم اثنا عشر اماما فذكر أن الثامن هو ابو الحسن على بن موسى الرضا • (١) ومدة امامة الرضا عشرون سنة من وفاة ابيه الى أن توفي وعمر الرضا عند وفاة ابيه خمس وثلاثون سنة وعاش بعد ابيه عشرين سنة ومدة امامته استغرقت بقية ملك الرشيد وملك محمد الأمين وتوفي في عهد المأمون •

ومما يدل على امامته عند الامامية الاثنى عشرية بالنص على امامته من ابيه موسى الكاظم • (٢)

قال المفيد في الارشاد كان الامام بعد ابى الحسن موسى ابن جعفر ابنه ابا الحسن على بن موسى لفضله على جماعة اخوته واهل بيته وظهور علمه وحلمه وورعه واجتماع الخاصة والعامة على ذلك فيه ومعرفتهم به منه ونص ابيه على امامته من بعده واشارته اليه بذلك دون اخوته واهل بيته فممن روى النص على الرضا بالامامة عن ابيه والاشارة اليه منه بذلك من خاصته واهل الورع والعلم والفقه من شيعته داود بن كثير الرقي ومحمد بن اسحاق بن عمار وعلى بن يقطين ونعيم القابوس والحسين بن المختار وزياد بن مروان والمخزومي وداود بن سليمان ونصر بن قابوس ويزيد بن سليط ومحمد بن سنان ثم ذكر المفيد رواية كل واحد منهم باسانيدهم عن الكليني صاحب الكافي •

قال داود الرقي قلت لابي ابراهيم عليه السلام جعلت فداك اني قد كبر سني فخذ بيدى فانقذني من النار من صاحبنا بعدك فأشار الى ابنه

---

(١) عقائد الامامية ٦٢-٦٣

(٢) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٦٦

ابى الحسن فقال هذا صاحبكم من بعدى .

وقال محمد بن اسحاق بن عمار قلت لا بي الحسن الاول ألا تدلني على من آخذ عليه دينى فقال هذا ابنى على .

وقال على بن يقطين كنت عند العبد الصالح عليه السلام فقال يا على بن يقطين هذا على سيد ولدى اما انى قد نحلته كنيتى .

وقال نعيم القابوس قال ابو الحسن موسى عليه السلام ان ابنى على اكبر ولدى وآثرهم عندى واحبهم الى وهو ينظر معى في الجفر ولم ينظر فيه الا نبى او وصى نبى .

وقال الحسين بن المختار خرجت الينا الواح من ابى الحسن موسى وهو في الحبس عهدى الى اكبر ولدى أن يفعل كذا وان يفعل كذا .

الى غير ذلك من الاقوال المنسوبة الى موسى في النص على امامة ابنه على وقد نقل حسون ملا رجى الدلفى في كتابه (الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار) نصوصا كثيرة عن الامام موسى في ابنه على فاقتصرنا على نقل هذا خشية الاطالة . (١)

والشيعة يعترفون بان الرضا لقى من المأمون ما لم يحظ به ابوه من الرشيد كما رأيت .

ان جمع المأمون اولاد العباس الرجال منهم والنساء بمدينة مرو واستدعي عليا الرضا فانزله احسن منزل واخبرهم انه نظر في اولاد العباس واولاد على بن ابى طالب فلم يجد احدا افضل واحق بالأمر من على الرضا فبايع له وامر بانزال السواد شعار العباسيين ورفع الرايات الخضر ولبس الاخضر وهو شعار العلويين وزوج الرضا من اخته ام حبيب وكان المأمون متأثرا في ذلك بوزيره الفضل بن سهل الذى مكن له في خراسان ونصره على أخيه الأمين

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٦٦ — ٢٦٧

وكان الفضل معروفا بميله للشيعة وكان المأمون يقول في تودده للرضا (هذه ارحام قطعت من مائتى عام) .

غير ان هذا كله لم يكن له جدوى في نظر الشيعة للمأمون ولم يرفع ذلك من قدره لديهم فهو في نظر الشيعة مكره على هذا التصرف حيث اراد بذلك امالة الشيعة اليه بعد ان كثر الخارجون عليه من العلويين مثل محمد بن ابراهيم من اولاد الحسن بالكوفة وابراهيم بن موسى بن جعفر باليمن والحسن بن الحسن بمكة هذا ما ذكره الدكتور صبحي (١) .

اما الدكتور الشيبي فيقول ان المأمون نصب الرضا وليا لعهده في السنوات الاربع الاخيرة من عمره نكاية من المأمون في عمومته العباسيين الذين شجعوا الامين على خلع المأمون وضرب للثائرين العلويين من اخوة علي بن موسى باخيهم . (٢)

قال الدكتور صبحي :

ويبدو ان الحز الذى حز رأس الحسين قد قطع كل امل في اصلاح الصلة بين الأئمة والخلفاء في نظر الشيعة فلم يعد تودد بعض الخلفاء الى ذرية النبي صلى الله عليه وسلم موجبا لحسن الظن بهم وهكذا . فلم تكن مبايعة الرضا بولاية العهد لتغنى عن عقيدتهم في الامامة شيئا .

وما ذلك في نظر الشيعة الا ابتلاء له لا يقل عن ابتلاء موسى الكاظم ومحنته واضطهاد الرشيد وظلمه اياه .

فقد اصبح في عقيدة الشيعة واجبا على الأئمة ان يبتلوا بالخلفاء وأن يمتحنوا بسبب انتمائهم للرسول عليه الصلاة والسلام . (٣)

---

(١) راجع نظرية الامامة ص٢٨٦

(٢) راجع الصلة بين التصوف والتشيع ص١٩ ٢

(٣) راجع نظرية الامامة ص ٢٨٦ — ٢٨٧

ثم ان يموتوا الميتة اللائقة بالأئمة من قتل او موت بالسم حتى ينالوا تقديس الأتباع لهم •

وليس هناك تناقض في نظر الشيعة بين كل ما ناله الرضا من حفاوة لدى المأمون من مبايعته له بولاية العهد وبين ان يدس له السم في العنب ثم يصلي عليه ويدفنه بجوار قبر ابيه الرشيد في مشهده بطوس فقد اصبح مقدرا على الأئمة منذ الحسن ان يكون قاتلوهم هم الخلفاء او بايعاز منهم • (١)

وعلى الرضا من اهم أئمة الشيعة لما اضافه الى عقيدة الشيعة الاثنى عشرية فانه ينسب اليه صحيفة تحتوى على مجموعة من الاحاديث كما ان له رسالة في اصول الدين وفروعه •

ومما تحويه تلك الصحيفة المنسوبة الى الرضا مجمل عقائد الشيعة الاثنى عشرية في الامامة من حيث وجوبها على الله لطفا منه ومقام الأئمة وعلمهم الموروث ونقد نظام الحكم بالبيعة والاختيار •

كل ذلك في عبارات رصينة وسجع متصل يأخذ سبيله الى قلوب الاتباع قبل ان يصل الى العقول لتقتنع •

فالامامة منزلة الأنبياء وإرث الاوصياء والامامة زمام الدين ونظام المسلمين فالامام الماء العذب على الظمأ والدال على الهدى والمنجى من الردى والامام مطهر من الذنوب مبرأ من العيوب مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذى يمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وحارت الالباب لقد راموا صعبا وقالوا افكا اذ تركوا اهل بيت نبيه عن بصيرة ورغبوا عن اختيار الله ورسوله

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٨٧

والقرآن ينادى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ (١)

هذا من جملة ما تضمنته الصحيفة المنسوبة الى الرضا . وهذا ان دل على شيء فانه يدل على أنه اذا كان في عصر الصادق قد اكتمل التشيع مذهبا وعقيدة فانه في عصر الرضا اكتمل صيا غته في عبارات ونصوص تجد سبيلها السريع الى الحفظ والتصديق وسرعة الايمان حتى يجتمع عليها المعتنقون فينشأ على حفظها الصغار ويورد نصوصها الكبار فهي جوهر المذهب ولب العقيدة . (٢)

نسب الدكتور سامى النشار هذا الرأى الى الاستاذ احمد صبحى كما نقلناه عنه ثم عقب عليه بقوله : ولكن ينبغى ان نلاحظ ان رجال المذهب من امثال هشام بن الحكم وزرارة بن أعين ومؤ من الطاق كانوا قد صاغوا المذهب وفتقوا الكلام فيه بحيث اصبح في صورته النهائية ولكن رسائل وصحف الأئمة مقدسة وهذا ما جعل لصحيفة الرضا ورسائله كل هذه القيمة . (٣)

كما يرى الشيعة ان المأمون بعث الى الرضا يطلب منه ان يجمع له في كتاب اصول الدين جميعا من التوحيد والحلال والحرام والفرائض والسنن فكتب الى المأمون كتابا حدد فيه الفرائض والسنن كما هي معروفة في الاسلام ثم عرج على وجوب الايمان بالأئمة من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : وان الدليل من بعده (اى النبي) والحجة على الناس والقائم بأمور المسلمين والناطق بالقرآن والعالم باحكامه اخوه وخليفته ووصيه ووليه

---

(١) سورة القصص اية ٦٨

(٢) نظرية الامامة ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨

(٣) سامى النشار جـ ٢ ص ٢٧٩

الذى كان معه بمنزلة هارون من موسى على بن ابي طالب وبعده الحسن والحسين ثم ذكر الائمة واحدا بعد واحد ووصفهم بانهم عترة الرسول عليه الصلاة والسلام واعلمهم بالكتاب والسنة واعد لهم في القضية واولاهم بالامامة وهم العروة الوثقى والائمة الهدى والحجة على اهل الدنيا وكل من خالفهم ضال وتارك للهدى والحق ثم يذكر عقائد الشيعة كالتقية فيقول لا حنث على من حلف تقية يدفع به ظلما عن نفسه وكذلك وجوب البراءة من اعداء الائمة وموالاة اوليائهم الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ويحوى الكتاب سائر عقائد الشيعة .

وهكذا تشير هذه الرسالة الى ان عقائد المذهب قد اكتملت واستقرت وانتقلت من دور صياغتها على يد المتكلمين والفقهاء من تلامذة الصادق كهشام بن الحكم وزرارة بن أعين ومؤمن الطاق الى دور انتشارها وذيوعها واستقرارها في نفوس المتشيعين .

وقد سبق في التمهيد عن هذه الرسالة مدى ما وصلت اليه العقيدة الشيعية على يد تلامذة الصادق وهذه الرسالة التي كتبها الرضا للمأمون استجابة لطلبه تؤكد في نظر الشيعة الامامية صفة الامامة الروحية للائمة فهم مشرعو الدين مبينوا الفرائض والسنن مميزوا الحلال عن الحرام والخلفاء تابعون للائمة وطاعتهم لهم مفروضة .

فالرسالة اذن تهدف الى ابعاد كل صفة روحية عن الخلفاء فتنفي كل سلطة دينية عنهم فهم ليسوا اذن الا حكاما زمنيين ليس لهم من سلطان الدين من شيء .

والخضوع لهم من جانب الشيعة انما هو بمقتضى الامر الواقع دون الاقرار بشرعية سلطانهم .

وهكذا شابهت نظرية الشيعة هذه نظرية بعض الدول في العصر الحديث حين فصلت تماما بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية وبعبارة اخرى فصلت بين الدين والدولة فاهل الدين لهم مجالهم الروحي كالطقوس اما الدولة فهي التي لها المجال التشريعي والتنفيذي الى غير ذلك وهي النظرية العلمانية السائدة في العالم الان لا سيما في الدول الغربية وقد أيدت المسيحية المعاصرة ذلك مدعية ان دعوة المسيح كانت كذلك وانه قال " لله ما لله ولقيصر ما لقيصر " •

وهذه نظرية خاطئة حيث تؤدى الى تعطيل الشريعة من جذورها وفيها ضياع لحق الفرد والمجتمع والاسلام لا يعرف هذا بل القائم بالسيف هو القائم بالدين والسلف كما وصفوا اسود بالنهار رهبان في الليل •

وقبر الرضا كما قلنا بطوس في مشهد يعد من اكبر مزارات الشيعة الى اليوم وبجوار الرضا مدفن الرشيد لكن الرشيد مع شهرته اندرس قبره واهمل شأنه بينما ظهر قبر الرضا يقصده زوار الشيعة من اطراف البلاد وشاسع الأمصار •

وهكذا يعلو شأن الأئمة الروحيين بعد مماتهم بينما لا يكون لسلاطين الارض ادنى اهتمام بعد اللحظة التي يوارى اجسادهم التراب • (١)

غير أن احياء القبور وقصدها لطلب قضاء الحوائج والسفر اليها امر مخالف للدين وسيأتي الحديث في هذا الموضوع في عقيدة الامامية في القبور ان شاء الله •

واما الصحيفة التي نسبها الشيعة الى الرضا فنسبتها غير صحيحة •

---

(١) نظرية الامامة ص٣٨٨ — ٣٨٩

قال ابن حجر في ترجمة علي الرضا قال ابن السمعاني : والخلل في روايته عن رواته فانه ما روى عنه الا متروك .

والمشهور من روايته الصحيفة وراويها عنه مطعون فيه. (١)

وقال الذهبي :

انما الشأن في ثبوت السند اليه والا فالرجل قد كذب عليه ووضع عنه نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق فروى عنه ابو الصلت الهروى وهو احد المتهمين .

ولعلي بن مهدى القاضي عنه نسخة ولابي احمد عامر بن سليمان الطائي عنه نسخة كبيرة ولداود بن سليمان القزويني عنه نسخة . (٢)

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧ — ٣٨٩

(٢) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٥٨

٣ — صورة الرضا عند اهل السنة :

تقدم في ترجمته طرف من اقوال اهل السنة فيه قال ابن حجر في التهذيب :

وكان الرضا من اهل العلم والفضل مع شرف النسب . (١)

وقال في التقريب : على الرضا بكسر الراء : صدوق من كبار الطبقة العاشرة وقد اخرج له ابن ماجه ولذا رمز له ابن حجر بالقاف .

كان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وهو ابن نيف وعشرين سنة . (٢)

وقد نقلت عنه اجوبة حسنة في القدرة والاستطاعة قال ابن حجر :
قال المبرد عن ابي عثمان المازني : سئل على بن موسى الرضا : يكلف الله العباد ما لا يطيقون قال هو أعدل من ذلك : قال : يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون قال هم اعجز من ذلك .

روى عنه من أئمة الحديث آدم بن اياس ونصر بن على الجهضمي .

قال ابن حجر : قلت وأورد له ابن حبان بسنده عن آبائه مرفوعا (السبت لنا والأحد لشيعتنا والاثنين لبني امية والثلاثاء لشيعتهم والاربعاء لبني العباس والخميس لشيعتهم والجمعة للناس جميعا) .

وبه لما أسرى بي الى السماء فسقط من عرقي فنبت منه الورد فمن احب أن يشم رائحتي فليشم الورد) .

وبه ادهنوا بالبنفسج فانه بارد في الصيف .

وبه من اكل رمانة بقشرها حتى يستتمها أنار الله قلبه اربعين يوما .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٩

(٢) تقريب التهذيب ج ٢ ص ٤٤ — ٤٥

وبه الحناء بعد النورة امان من الجزام .

وبه كان صلى الله عليه وسلم اذا عطس قال له علي يرفع الله ذكرك واذا عطس علي قال له أعلى الله كعبك .

وفيه من أدى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة .

قال النباتي في ذيل (الكامل) : لم يذكر ابن حبان هل هذه الاحاديث من رواية ابي الصلت عن علي ام لا ، قال ابن حجر : قلت وهي من رواية ابي الصلت هي وغيرها في نسخة مفردة .

قال النسائي : حديث الأيام منكر وحديث الورد أنكر وحديث البنفسج منكر وحديث الرمانة أنكر وحديث الحناء اوهى وأطم . وحق لمن يروى مثل هذا ان يترك ويحذر . (١)

وقال شيخ الاسلام في صدد الرد على ابن المطهر : الذى نسب الى علي الرضا ما لا يعد من الفضائل بل لا حجة على ثبوته ومن ذلك دعواه ان عليا الرضا ازهد أهل زمانه وان فقهاء الجمهور أخذوا عنه كثيرا (٢) فقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله فيه :

فان علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والمادح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها اهل المعرفة اما هذا الرافضي فلم يذكر له فضيلة واحدة بحجة .

اما قوله كان ازهد الناس فدعوى مجردة بلا دليل فكل من غلا في شخص امكنه أن يدعي له هذه الدعوى كيف والناس يعلمون انه كان في زمانه من هو أعلم منه وازهد منه كالشافعي واسحاق بن راهويه واحمد بن حنبل واشهب بن عبد العزيز وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي وامثال هؤلاء

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧ — ٣٨٨ — ٣٨٩

(٢) منهاج الكرامة ص ١٠٢ — ١٠٣

هذا ولم يأخذ منه احد من اهل العلم بالحديث شيئا ولا روى له حديث في كتب السنة •

وانما يروى له ابو الصلت الهروى وامثاله نسخا عن ابائه فيها من الاكاذيب ما نزه الله الصادقين منهم •

واما قوله انه اخذ عنه الفقهاء كثيرا فهذا من اظهر الكذب هؤلاء فقهاء الجمهور المشهورون لم يأخذوا عنه ما هو معروف وان اخذوا عنه بعض من لا يعرف من فقهاء الجمهور فهذا لا ينكر فان طلبة الفقهاء قد يأخذون عن المتوسطين في العلم ومن هم دون المتوسطين •

وما يذكره بعض الناس من ان معروفا الكرخي كان خادما له وانه اسلم على يديه او ان الخرقة متصلة منه اليه فكله كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن •

وهذا الحديث الذى نسبوه اليه عن فاطمة انها (احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها من النار) وهذا ايضا من اكاذيب الشيعة على أهل البيت فان كل عاقل يدرك ان كثيرا من النساء أحصن فروجهن ومع ذلك لم يكن ذلك موجبا لتحريم النار لذريتهم كما ان منزلة فاطمة ليست بسبب احصانها لفرجها لان ذلك وصف مشترك بينها وبين غيرها من نساء المؤمنين وانما المنزلة تدرك بالطاعة ولكن الشيعة لا يحسنون الاحتجاج • (١)

واما ما ذكره (الحلى) (٢) من تولية المأمون له فهذا صحيح لكن ذلك لم يتم بل استمر ذلك الى ان مات على بن موسى ولم يخلعه من عهده وهم يزعمون انه قتل بالسم • (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ص ١٢٥ــ١٢٦

(٢) منهاج الكرامة ص ١٠٢ ــ ١٠٣

(٣) منهاج السنة ج ٢ص ١٢٥

وما ذكره ابن تيمية من ان علبا الرضا لم تكن له روايــة في الكتــب الامهات من الحديث وذلك حيث قال واما من بعدهم يعنى بعد الباقـــر والصادق والكاظـم — فليس له رواية في الكتب الامهات من الحديث ولا فتاوى في الكتب المعروفـة (١) الخ ففي هذا نظر حيث ذكـر الحافظ ابن حجر : ان حديثه في سنن ابن ماجـه حيث رمز له بعد ذكر ترجمته بالقاف اشارة الى ان حديثـه في ابن ماجـه القزوينى كما تقدم قريـبا . (٢)

---

(١) منهاج السنة ج ٢ص ١٢٤

(٢) راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧ وتقريب التهذيب ج ٢ص ٤٥

ثالثا ـ محمد الجـواد :

١ ـ حياتـه :

ومحمد الجواد هو الامام التاسع في سلسلة الأئمة الاثنى عشر وهو محمد بن على بن موسى بن جعفر الصادق الهاشمي القرشي ولد بالمدينة ليلـة الجمعـة او يومها في اليوم العاشر من رجب سنة خمس وتسعين ومائة . (١)

قال الخطيب البغدادى في تاريخـه :

محمد بن على بن موسى بن جعفر ابو جعفر قدم من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بغداد وافدا على ابى اسحاق المعتصم ومعه امرأتـه ام الفضل بنت المأمون فتوفي في بغداد ودفن في مقابر قريش عـند جـده موسى ابن جعفر فحملت امرأته ام الفضل بنت المأمون الى قصر المعتصـم فجعلت مع الحريم . (٢)

وفي تاريخ العلويين ان وفاته كانت سنة مائتين واثنيـن وعشرين . (٣)

ويذهب الدلفى : الى ان وفاته سنة عشرين ومائتين . (٤)

ويلقب بالجواد وبالتقى والاشهر اللقب الاول ويكـنى ابا جعفـر الثاني لأن جـده محمد الباقر يكـنى ايضا بابى جعفر الأول . (٤)

وامـه ام ولد قيل نوبيـة وقيل قبطيـة وفى تعيين اسمها اقوال قيل اسمها سبيكـة وقيل مورسـية وقيل درة وقيل ان الرضـا سماهـا خيزران

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢٨٤

(٢) تاريخ بغداد جـ ٣ ص ٥٤

(٣) تاريخ العلويين ص ١٧٤

(٤) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥
وراجع دائرة المعارف الشيعية جـ ٢ ص ٩١ ـ ٩٢

وقيل اسمها ريحانة وتكنى ام الحسن ٠

يقول الدلفي بعد ذكر هذه الاقوال المختلفة في تعيين اسم ام الجواد ، قال :

والظاهر انها سميت بجميع تلك الأسماء كما هي العادة في الجوارى ٠

وله من الأولاد اربعة : على الهادى وموسى وفاطمة وامامة ٠ (١)

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٨٤ — ٢٨٥

٢ ـ صورة محمد الجواد عند الهيئة الامامية :

ومحمد الجواد هو الامام التاسع من أئمتهم الاثنى عشر قال الشيخ محمد رضا المظفر في عقيدة الامامية في عدد الأئمة : ونعتقد ان الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة اثنا عشر ثم بدأ بذكرهم واحدا واحدا على الترتيب الى ان قال : والتاسع ابو جعفر محمد بن على بن موسى الجواد ٠ (١)

ويقول (الحلى) : وكان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهج أبيه في العلم والتقى والجود ٠ (٢)

وكانت مدة امامة الجواد سبع عشرة سنة بدأت بوفاة أبيه الرضا الى وفاته سنة ٢٢٢ كما تقدم في ترجمته ٠

وان المعتصم القى له السم في طعامه فمات نتيجة لذلك السم ٠ (٣)

هذا ما ذكره محمد امين غالب الطويل في مدة امامة الجواد ٠

اما الدلفى فيذكر ان مدة امامة الجواد ثماني عشرة سنة وهي بقية ملك المأمون وشيء من ملك المعتصم وعمره عند وفاة أبيه سبع سنين وأربعة اشهر ويومان اوتسع سنين وشهرا وعاش بعد ابيه ثماني عشرة سنة وهي مدة امامته وخلافته كما قلنا ٠ (٤)

والدليل على امامته عند الشيعة اعتبار القطع على العصمة ووجوب كونه اعلم الخلق بالشريعة واعتبار القول بامامة الاثنى عشر وتوافر الشيعة ٠

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) منهاج الكرامة ص١٠٣

(٣) تاريخ العلويين ص١٧٤ الرسول السابق واهل بيته الاطهار ص ٢٨٤

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٤ وراجع دائرة المعارف الشيعية ج ٢ ص ٩١

واما قول الكيسانية والفطحية وغيرهم فكلهم قد انقرضوا ولو كانوا محقين لما جاز انقراضهم لان الحق لا يجوز ان يخرج عن امة محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

غير ان اعتقاد الامامية امامة الجواد في السن المذكور اثار انكار المسلمين على الشيعة ولاية الأئمة والأخذ عنهم وهم في سن الصبا ومن هنا كانت امامته ولم يبلغ سن الرشد أخطر مشكلة واجهت الشيعة بالنسبة الى امامة الجواد ومن بعده . وعبر النوبختي عن تشكك الناس في امامة الجواد بقولهم لا يجوز ان يكون الامام الا بالغا ولو جاز ان يأمر الله بطاعة غير البالغ لجاز ان يكلف الله غير بالغ فكما لا يعقل ان يحتمل التكليف غير البالغ فكذلك لا يفهم ان يتولى القضاء بين الناس والفصل في دقائق الأمور وغوامض الاحكام وشرائع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم بما تحتاج اليه الأمة الى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها فلا يعقل ان يتولى هذا طفل غير بالغ فهذا غير مفهوم وغير معقول ولا متعارف عليه .

وقد قيل للجواد ان الناس ينكرون عليك حداثة سنك فقال وما ينكرون من ذلك وقد قال الله لنبيه * قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني * والله ما اتبعه حينئذ الا علي وله تسع سنين وانا ابن تسع سنين .(٢)

يقول الدكتور صبحي تعقيبا على الشيعة في هذه الدعوى :

ولا يصعب على الشيعة ان يلتمسوا اكثر من آية يستشهدون بها على امامة الصبية . من ذلك قول الله في حق يحيى * وآتيناه الحكم صبيا *(٣)

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٨٥ ـ ٢٨٦

(٢) نظرية الامامة ص٣٩٠ ، الاية ١٠٨ في سورة يوسف

(٣) مريم آية ١٢

ثم معجزة المسيح حين نطق في المهد قائلا * اني عبدالله اتاني الكتاب وجعلني نبيا *(١)

ولما كانت الامامة تجري مجرى النبوة فليس منكرا اذن ان تكون امامة الجواد قبل ان يبلغ الرشد اذ يجوز للامام ان يؤتى الحكم صبيا ويؤتاه وهو ابن اربعين لقول الله * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما *(٢)

ويؤيد الشيعة استدلالهم على امامته من مناظرات ينسبون وقوعها في حضرة المأمون بين الجواد والعلماء الذين تشككوا في امامته وآل بني العباس الذين انكروا على المأمون تزويجه ابنته ام الفضل وكيف افحم الجواد جميع الحاضرين باجابته المسكتة في الفقه وشتى علوم الدين .(٣)

ومع ذلك فان الشيعة الاثنى عشرية وهم الذين لا يرون حرجا في امامة الجواد كما قلنا قد اختلفوا في الالتزامات عليه بمقتضى القول بامامته ففريق يقول بوجوب طاعته والائتمام به كسائر الأئمة من قبله منذ توفى أبوه .

وفريق آخر يقول انه امام بمعنى ان الأمر فيه وله دون الناس الا انه لم يجتمع فيه ما اجتمع في غيره من الأئمة المتقدمين عليه .

فلا يجوز له ان يؤم في الصلاة بل يتولى الصلاة وينفذ الاحكام غيره من اهل الفقه والدين والصلاح حتى يبلغ المبلغ الذى يصلح هذا فيه واختلفت الشيعة ايضا في مصدر علمه فقالت طائفة ان الله علمه العلوم عند البلوغ وذلك بجهات علم الامام وهي الالهام والنكت في القلب والنقر في الأذن والرؤيا الصادقة في المنام والملك المحدث له .

---

(١) التحريم اية ٣٠ (٢) يوسف اية ٢٢

(٣) نظرية الامامة ص٣٩٠ ـ ٣٩١ وراجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٢٨٧ ـ ٢٨٩ .

وانكرت طائفة أخرى هذه المصادر للمعرفة اذ الوحي قد انقطع بعد النبي صلى الله عليه وسلم والالهام انما يلحقك عند الخاطر والفكر معرفة شيء قد تقدمت لك معرفته في الأمور النافعة فتذكره والاحكام الشرعية على كثرة اختلافها وعللها لا تعرف بالفكر .

ذلك ان اصح الناس فكرا واوضحهم خاطرا وعقلا واحضرهم ذهنا لو فكر وهو لم يسمع ان الظهر اربع ركعات والمغرب ثلاث ما استخرج ذلك بفكره ولا عرفه بنظره ولا استدل عليه بكمال عقله ولا ادرك ذلك بحضور ذهنه اذ لا يعقل ان يعرف ذلك الا بالتعليم اذن وجوه علم الجواد من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها وما رسم له فيها من الأصول والفروع . (١)

وهذه الفرقة هي التي تقول ان الجواد امام قبل البلوغ بمعنى أن الأمر له دون غيره الى وقت البلوغ فاذا بلغ علم من كتب ابيه وما ورثه من العلم فيها وما يجده فيها من الأصول والفروع وقد ذهبت هذه الطائفة الى القول باجازة القياس للامام خاصة على الأصول التي في يديه ولكونه معصوما من الخطأ والزلل فلا يخطىء في القياس أبدا ومن هنا احتضنت هذه الفرقة فكرة القول بالقياس وان كنا نعلم ان الفرقة الاثني عشرية لا تجيز القياس في الاحكام اطلاقا . (٢)

اما الفرقة الاخرى التي اختلفت في علم الامام فقد اعطته القداسة العظمى التي تشيع في فكرة الامامية عامة وهو ان الامام امام بالغا او غير بالغ لأنه حجة الله على الأرض وقد يجوز ان يعلم وان كان صبيا ويجوز عليه الالهام والنكت والرؤيا والملك المحدث فكل ذلك يجوز عليه كما جاز على سلفه السابقين له الذين هم حجج الله على أرضه وقد وقع مثل ذلك ليحي

---

(١) نظرية الامامة ص٣٩١ — ٣٩٢ وسامي النشار ج ٢ص ٢٨٠

(٢) سامي النشار ج ٢ص ٢٨١

ابن زكريا من قبل من ايتاء الله له الحكم صبيا وعيسى بن مريم وغيرهما من الحجج • (١) نقله الدكتور سامي النشار عن المسعودي من كتابه المروج ج ٢ ص ٣٧٤ •

ويقول الشيبي :

خلف الرضا في الامامة ابنه محمد الجواد وكان له سبع سنين كما روينا وقد حالت حداثة سنه ووفاته وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره دون الاستفادة من علمه • (٢)

وأخيرا مات الجواد مسموما بسم سمه به المعتصم في نظر الشيعة •

يقول حسن الأمين في (روضة الواعظين) :

مات ببغداد قتيلا مسموما ، وقال ابن بابويه : سمه المعتصم وقال : ابن شهراشوب مات مسموما • وقال المفيد : قيل انه مضى مسموما • ثم قال الاستاذ حسن الامين : ولم يثبت عندي بذلك خبر فأشهد به • (٣)

---

(١) الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٢٨١

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٧٦

(٣) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ٢ ص ٩٢

٣ — صورة الجواد عند اهل السنة :

وقد ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه كما تقدم في ترجمته وذكر الخطيب بسنده الى جعفر بن يزيد انه قال كنت ببغداد فقال لي محمد بن منذر هل لك ان ادخلك على ابن الرضا ؟ قلت : نعم ، قال : فادخلني فسلمنا عليه وجلسنا فقال له حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار قال خاص بالحسن والحسين . (١)

وقد علمت بطلان هذا الحديث في كلام ابن تيمية في الحديث على ابيه على الرضا حيث نسب الحديث اليه ايضا .

وقال فيه ابن تيمية :

محمد بن على الجواد كان من اعيان بني هاشم وهو معروف بالسخاء والسؤدد ولهذا سمي بالجواد وقد مات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة وكان المأمون قد زوجه ابنته كما قلنا فكان يرسل اليه كل سنة الف الف درهم .

واما الحكاية التي نقلها الشيعة من ان يحيى بن اكثم اراد اعجاز الجواد بمسألة المحرم يقتل صيد او ان الجواد اظهر فقهها في هذه المسألة . (٢)

فهذه الحكاية من نمط اكاذيب الشيعة كالذي سبقه فان الرافضة ليس لهم عقل صريح ونقل صحيح ولا يقيمون حقا ولا يهدمون باطلا بحجة ولا بيان ولا بيد ولا سنان .

فانه ليس لهم فيما ذكروه ثبوت فضيلة لمحمد بن علي فضلا عن ثبوت

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٥٤

(٢) منهاج الكرامة ص١٠٤

امامته فان هذه الحكاية التى حكوها عن يحى بن اكثم من الاكاذيب التى لا يفرح بها الا الجاهل و يحى بن اكثم افقه واعلم وافضل من ان يطلب تجويز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيدا فان صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة فليست من دقائق العلم ولا مما يختص به المبرزو ن في العلم • (١)

وخلاصة القول فيه انه غير مذكور في كتب الامهات من الحديث ولا له فتاوى في الكتب المعروفة التي نقل فيها فتاوى السلف ولا له اقوال معروفة ولكن له من الفضل والمحاسن ما هو له اهل رضى الله عنه • (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ص ١٢٧

(٢) المصدر السابق ج ٢ص ١٢٤ ــ ١٢٥

رابعا — على الهادى :

١ — حياته :

وعلى بن محمد الهادى هو الامام العاشر من أئمة الاثنى عشر ولد على بن محمد سنة ٢١٤ في المدينة النبوية .

ويلقب بالتقى والزكى وأمه ام ولد يقال لها سمانة المغربية وكنيته ابو الحسن ويقال له ابو الحسن الثالث كما يلقب بالعسكرى كلقب ابنه الحسن الذى يأتى الكلام عنه فيما بعد باذن الله تعالى لأن المحلة التي سكناها بسامراء تسمى عسكرا لأن عسكر المعتصم نزلها ومن هنا سميت عسكرا وكان المتوكل أشخصه الى عسكر . (١)

قال محمد امين غالب الطويل في سبب اخراج المتوكل للامام على الهادى : ولما كان الامام في المدينة قد ظهرت عنه الاقاويل المختلفة استدعاه الخليفة العباسى المتوكل من المدينة سنة ٢٤٣ الى سامراء فأقام بها حتى القى السم في طعامه فتوفى وكان حسن الخلق . (٢)

وله من الاولاد اربعة ذكور وبنت واحدة وهم :

ابو محمد الامام بعده والحسين ومحمد توفي في حياة أبيه وجعفر وهو الذى ادعى الامامة بعد اخيه الحسن العسكرى وعرف بجعفر الكذاب وعائشة . (٣)

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٠٦ — ٣٠٧

(٢) تاريخ العلويين ص١٧٤

(٣) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٠٧

ودائرة المعارف الشيعية ج ٤ ص ٩٣

٢ ـ صورة الهادى عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

يعتبر الهادى الامام العاشر في دور الأئمة الاثنى عشر كما تقدم قال محمد رضا المظفر عند ذكر عدد الأئمة عندهم : والعاشر ابو الحسن علي بن محمد الهادى .(١)

ومدة امامته اربع وثلاثون سنة ولامامته كانت في بقية ملك المعتصم ثم ملك الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز وتوفي في آخر ملك المعتمد .

فكانت مدة اقامته بسر من رأى عشرين سنة وأشهر .

والدليل على امامته اجماع الامامية على ذلك وانه منصوص على امامته من ابائه المعصومين ونص النبي عليه الصلاة والسلام على امامة الاثنى عشر .

وقد تقدم سوق الفاظ هذا الحديث وسوق كلام ابن تيمية وغيره عليه مما يدل على أن الحديث ليس حجة على دعوى الاثنى عشرية في أئمتهم .

وصفه محمد امين غالب بانه حسن الخلق حتى لم يشك احد في عصمته .(٢)

تولى الامام علي الهادى الامامة بعد وفاة ابيه كما قلنا وهو العاشر في دور الأئمة وكانت سنه حين توفي ابوه الامام محمد الجواد ثمانية اعوام او ستة اعوام على خلاف في ذلك وقد عاصر الامام علي الهادى حكم المتوكل وكان المتوكل ناصبيا وهو من اشد العباسيين عداء للعلويين وكان يكره علي بن

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) تاريخ العلويين ص ١٧٤

ابى طالب واولاده اشد الكراهية وقد نسب الشيعة الى المتوكل انه من عدائه لاهل البيت انه هدم قبر الحسين وسواه بالتراب ثم أمر بحرث الأرض وزرعها لتضيع معالمه فلا يزوره الشيعة فلقد اتخذ المتوكل مع الامام على الهادى موقف ابي جعفر المنصور مع الامام جعفر الصادق فكان يستدعيه من المدينة لسؤاله واحراجه فأحضر الامام اليه مرارا. (١)

قال الدكتور سامى النشار :

ويذكر المسعودى انه سعى به مرة عند المتوكل فقيل له ان في منزله سلاحا وكتبا وانه يطلب الأمر لنفسه فأرسل اليه ليلا جماعة من حراسه الاتراك وهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه وحده في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن بالوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط الا الرمل والحصى فأخذ على الصورة التي وجد عليها وحمل الى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس فناوله الكأس التي في يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمي قط فاعفني فاعفاه (٢) فطلب منه المتوكل ان ينشده شعرا فقال له انا قليل الرواية للشعر فقال المتوكل لا بد ان تنشدني شعرا .

فانشده الهادى ابياتا لما سمعها المتوكل بكى بكاء شديدا حتى بللت الدموع لحيته وبكى من حضر معه ثم أمر برفع الشراب ورد الهادى مكرما بعد ان قضى دينه .

غير ان الوشاة اكثروا في حقه لدى المتوكل فأحضره المتوكل

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٩٢ وسامى النشار ج ٢ص ٢٨١

(٢) سامى النشار ج ٢ص ٢٨١ ــ ٢٨٢

فحبسه بسر من رأى (١) وكان المتوكل قد جعل الهادى — وهو غلام — عند معلم قد عرف بالنصب والعداوة لآل البيت لينشئه بعيدا عن معتقدات الشيعة كما امر بابعاد الشيعة عنه ولكن المعلم تصيبه الدهشة والعجب لهذا الغلام الذى مات ابوه وهو ابن ست سنين ونشأ بين الجوارى السود ثم يظهر فيه من العلم والفقه ما يجعل المعلم نفسه يتأدب عليه ثم يتشيع. (٢)

ويفسر الشيعة ذلك بالعلم الحضورى والنور الجلى والسر الخفى من لدن رب العالمين .

ومن اقواله :

من اطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين ومن اسخط الخالق فاحرى ان يحل عليه سخط المخلوقين كما نقل عنه اقوال في الصفات حيث قال (ان الله تعالى لا يوصف الا بما وصف به نفسه)

فأنى ان يوصف من تعجز الحواس ان تدركه والا وهام ان تناله والخطرات ان تحده والابصار ان تحيط به (٣)

وقد نسب الشيعة الى الامام على الهادى المعجزات من ذلك ان السحاب تظلله والمطر طوع له الى آخر تلك المعجزات التي تعود الشيعة نسبتها الى أئمتهم . (٤)

وينقل المسعودى انه كان عند على الهادى صحيفة بخط على بن ابى طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تداولتها الأئمة كابرا

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٩٣ وسامى النشار جـ ٢ ص ٢٨٢

(٢) نظرية الامامة ص ٣٩٣

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٣

(٤) سامى النشار جـ ٢ ص ٣٨٣

عن كابر (١) . كما نسبت الشيعة أيضا الى علي الهادى خبره مع زينب الكذابة وهي التي ادعت انها ابنة الحسين وان الله اطال عمرها الى ذلك الوقت وقد ارسل المتوكل اليه الامام علي لكى يحاجها وقد فعل وتحداها ان تنزل بركة السباع فأبت فنزل هو فذللت له السباع ورجعت زينب الكذابة عن دعواها . (٢)

هذا هو الهادى ابو الحسن الثالث الذى قام بالامامة في نظر الشيعة الاثنى عشرية خمسا وثلاثين سنة الى ان مات في خلافة المعتز سنة اربع وخمسين ومائتين كما تقدم وهذه صورته لدى الشيعة الاثنى عشرية والله اعلم .

---

(١) راجع سامى النشار ج ٢ص ٢٨٣

(٢) المصدر السابق ج ٢ص ٣٨٣

٣ ـ صورة الهادى عند اهل السنة :

ومحمد بن على الهادى ذكر ترجمته الخطيب البغدادى وقال عنه محمد بن على العسكرى ابو الحسن الهاشمي اشخطه المتوكل من المدينة الى بغداد ثم الى سر من رأى . وقد اقام بسر من رأى عشرين سنة وتسعة أشهر وهو احد من تعتقد الشيعة الامامية فيه ويعرف بأبي الحسن العسكرى . (١)

وفي اللباب في تهذيب الانساب : ان من جملة من ينسب الى العسكرى ابو الحسن على بن محمد وهو احد من تعتقد الامامية امامته وتوفي في سر من رأى ودفن في داره . (٢)

كما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة ابنه الحسن. (٣)

اما ابن تيمية فذكر انه غير مذكور في الكتب المعتمدة في الحديث ولا له فتاوى في الكتب المعروفة التي نقل فيها فتاوى السلف ولا له اقوال معروفة ولكن له من الفضل والمحاسن ما هو له اهل رضى الله عنه .

واما الحكاية التي ذكرها ابن المطهر الامامي لاثبات امامته هي : ان المتوكل نذر ان عوفي ليتصدقن بدراهم كثيرة وانه لما اراد الوفاء بالنذر طلب من اهل العلم من يفتيه فيما يوفي نذره من الدراهم فلم يجد في علماء زمانه جوابا الا من على بن محمد الهادى فانه افتاه بأن يتصدق بثلاثة وثمانين درهما وعندما طلب منه ان يبين له من اين له هذا الجواب قال لأن الله يقول :

﴿ ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴾ (٤) ومواطن الرسول من الغزوات والسرايا والبعوث

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٦

(٢) اللباب في تهذيب الانساب) ج ٢ ص ١٣٧

(٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٩٤ ـ ٩٥ (٤) التوبة اية ٢٥

ثلاثة وثمانون موطنا الغزوات سبع وعشرون والسرايا ست وخمسون سرية . (١)

فهذه الحكاية من اكاذيب الشيعة وقد اجاب ابن تيمية عن هذه القصة بوجوه خمسة اهمها ان عدد غزوات الرسول وسراياه اقل من هذا العدد وذلك معروف عند اهل السير والتواريخ .

وان هذه الاية نزلت في حنين والله قد اخبر بما وقع من النصر قبل ذلك ومن المعلوم ان غزوة الطائف وتبوك كانت بعد حنين وان النصر لم يحصل لهم في جميع المواطن فقد تولوا يوم أحد ابتلاء تمحيصا لهم وكذا في مؤتة . (٢)

ويقول ابن حزم ولا سبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول على بن محمد ولا انه قول الحسن بن على واما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية . (٣)

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٠٥

(٢) منهاج السنة ج ٢ ص ١٣٠

(٣) الفصل ج ٣ ص ١٠٣

خامسا - الحسن العسكرى :

١ - حياته :

والحسن العسكرى هو الامام الحادى عشر في سلسلة الأئمة الاثني عشر.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان :

ابو محمد العسكرى الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى احد الأئمة الاثنى عشر على اعتقاد الامامية وهو والد المنتظر صاحب السرداب و يعرف بالعسكرى وأبوه على ايضا يعرف بهذه النسبة وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في ترجمته .

ولد الحسن سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل سنة اثنين وثلاثين ومائتين .

والعسكرى بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وكسر الراء وبعدها ياء هذه نسبة سر من رأى لما بناها المعتصم وانتقل اليها عسكره قيل لها عسكر . وانما نسب الحسن اليها لأن المتوكل أشخص اباه اليها عليا واقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب اليها هو وابوه كما تقدم .

توفي الحسن في جمادى الاولى سنة ستين ومائتين بسر من رأى ودفن بجنب قبر أبيه . (١)

وفي اللباب في تهذيب الأنساب :

انه ينسب الى عسكر كثير منهم والد الحسن وابنه ابو محمد الحسن بن علي بن محمد العسكرى وكان من الأئمة الاثني عشر عند الامامية وذكر في سنة ولادته ووفاته كما تقدم عن ابن خلكان الا انه خالفه في تعيين الشهر الذى توفي فيه حيث ذكر ان الوفاة كانت في ربيع الاول من سنة ستين ومائتين

---

(١) وفيات الاعيان جز ٢ ص ٩٤ - ٩٥

كما اقتصر على أن ولادته كانت سنة احدى وثلاثين ومائتين .

اما مكان الوفاة فلم يقع اختلاف فيه بين المصدرين المذكورين .(١)

وفي دائرة المعارف الشيعية انه مرض في اول ربيع الاول وتوفي في اليوم الثامن منه .

وان ولادته كانت بالمدينة وقيل بسر من رأى الا ان صاحب دائرة المعارف الشيعية رجح الاول وقال : انه ولد يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الآخر وقيل يوم الاثنين رابعه وقيل في العاشر منه في السنة التي تقدم ذكرها .(٢)

وأمه ام ولد اختلف في اسمها فقيل سوسن وقيل حديثة وقيل سليل ولعلها سميت بجميع ذلك على التعاقب كما هي العادة في الجوارى .(٣)

واشهر القابه العسكرى كما تقدم وله القاب أخرى كالتقي والزكي والخالص والسراج الأخير .

وكان هو وأبوه وجده يعرف كل واحد بابن الرضا (٤) . وله من الاولاد محمد وليس له ولد غيره .(٥) وهو الامام الثاني عشر في اعتقاد الامامية وسيأتي الحديث عنه قريبا ان شاء الله تعالى .

---

(١) اللباب في تهذيب الانساب ج ٢ص ١٣٧

(٢) دائرة المعارف الشيعية ج ٢ص ٩٤

(٣) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٢٨ وتاريخ العلويين ص ١٧٥

(٤) دائرة المعارف ج ٢ص ٩٤ والرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٢٩

(٥) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٢٩

٢ ـ صورته لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

لا شك ان الحسن العسكرى هو الامام الحادى عشر في سلسلة الأئمة المعصومين في نظر الشيعة .

قال الاستاذ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الامامية في باب عقيدة الشيعة في عدد الأئمة ، قال :

والحادى عشر ابو محمد الحسن بن على العسكرى (١) ويقول حسن الامين : قال المسعودى فى (اثبات الوصية) وشخص الى العراق بشخوص والده اليها وله اربع سنين وشهورا وتوفي وعمره تسع وعشرون او ثمان وعشرون سنة اقام منها مع ابيه ثلاثا وعشرين وأشهرا وبعد ابيه خمس سنين وشهورا في قبل ثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما وقبل ست سنين وهي مدة امامته وهي بقية ملك المعتز اشهرا ثم ملك المهتدى احد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما وتوفي بعد مضى خمس سنين من ملك المعتمد . (٢)

وبوابه عثمان بن سعيد العمرى وابنه محمد بن سعيد والحسين بن روح النوبختى وشاعره ابن الرومى وله من الاولاد ولده المسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم المكنى بكنيته ليس له ولد غيره وقد سبق لنا القول في ذلك في الحديث على حياته قريبا .

ويستدل على امامته بطريقة العصمة والنصوص وبما استدل به على امامة امير المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وسلم بلا فصل وكل من قطع بذلك قطع على ان الامام بعد على بن محمد النقى هو الحسن العسكرى .

وقد صحت امامته بذلك وبطريق النص من ابائه ورواة النص عن ابيه هم يحيى بن بشار القنبرى وعلى بن عمرو النوفلى وعبدالله بن

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٢

(٢) دائرة المعارف الشيعية ج ٢ ص ٩٤

محمد الاصفهاني وعلى بن جعفر ومروان الانبارى وعلى بن مهزيار وعلى بن عمرو العطار ومحمد بن يحيى وابو هاشم الجعفرى وداود بن القاسم الجعفرى وغيرهم • (١)

ومن وكلائه محمد بن احمد بن جعفر وجعفر بن سهيل العقيل وقد ادركا اباه وابنه •

ومن اصحابه محمد بن الحسن الصفار وعبدوس العطار وسرى بن سلامة وابو طالب الحسن بن جعفر وغيرهم• (٢)

غير ان دور الحسن في الامامة ليس كدور اسلافه من الأئمة السابقين له •

فلم يرو من اقواله سواء ما يعود الى الدين اوالى المذهب الشيعى الا النذر اليسير • ولعل ذلك راجع الى قصر مدة امامته اوانه قضى معظم ايامه محبوسا في سر مراء وقد ضيق العباسيون عليه الخناق حتى تعذر على الشيعة الاتصال به ولكن دوره الرئيسي في الامامة لم يكن في تلقي العلم عنه والائتمام به ذلك ان التشيع كان يمر في دور التمهيد لظهور عقيدة المهدى فكان دور الحسن العسكرى التمهيد لولادة القائم اوصاحب الزمان • (٣)

يقول النشار : ان عليا الهادى زوج ابنه الحسن جارية رومية وهي مليكة بنت يشوع بن قيصر ملك الروم وقد ذكرت كتب الشيعة الامامية ان ام مليكة من نسل شمعون وصى المسيح •

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٣٠ ـ ٣٣١

(٢) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٣١

(٣) نظرية الامامة ص ٣٩٤

وهنا ايضا صورة اخرى كما تقدم من زواج الحسين بن على بابنة كسرى .

وقد ذكرت كتب الشيعة الامامية قصة اتصال الحسن العسكرى بها في اسلوب قصصي جميل على حد تعبير الدكتور سامى النشار والغرض من هذا كله عند الشيعة الامامية هو اعداد الانسانية جميعا لتلقى الدور التام من الأئمة في قصة من اروع القصص الانسانية والمزج بين مهدى الاسلام ومهدى المسيحية .

او ان نزول عيسى في اخر الزمان مؤتما بمهدى الاسلام .(١)

ولقد نسج الشيعة الامامية حول هذه الجارية الرومية اساطير من ذلك ما ذكروا من ان جدها قيصر اراد ان يزوجها من ابن اخيه فجمع القسيس والرهبان وأمراء الأجناد وقواد العساكر وملوك العشائر ولكن الصلبان تساقطت حين قام الاساقفة ليتموا مراسيم الزواج فتطير الحاضرون .

ولكنها ترى في منامها تلك الليلة المسيح وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدها وقد دخل عليهم محمد في اهل بيته ليخطب من المسيح سليلة وصية شمعون الى ابنه ابي محمد فخشيت الفتاة ان تقص رؤياها على جدها وكانت ترى في نومها كل ليلة ابا محمد الحسن العسكرى .

ثم انقطعت رؤيته حتى مرضت فرأت في نومها فاطمة الزهراء تخطبها من مريم بنت عمران الى ابنها ابي محمد على ان تبرأ من النصرانية لتبرأ من مرضها ثم كانت موقعة حربية بين الروم والمسلمين فكانت مع الجيوش فوقعت في الأسر فبيعت حتى خلصت الى الحسن العسكرى فلما صارت اليه بشرها بمولود يملك الدنيا شرقا وغربا ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

قال الدكتور محمد احمد صبحي فيما بعد نقل هذه الاسطورة .

---

(١) سامى النشار جـ ٢ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤

ولا شك ان ما نسج حول هذه الجارية الرومية من رواية غيبية يشير الى عدة أمور لها اهميتها في العقائد الشيعية •

فاذا كان زين العابدين قد ورث دم الاكاسرة الى جانب نور النبوة •

فان المهدى المنتظر قد ورث عظمة القياصرة الى نور النبوة •

ثم هو قد ورث الى جانب ذلك تلك القداسة المستمدة من وصى المسيح •

ولا يخفى اهمية دور المسيح في اتمام هذا الزواج الذى تكون ثمرته ولادة المهدى المنتظر وفضلا عن الدور الذى سيقوم به فيما بعد فان المسيح يكون له دور آخر حين يعود ليمهد لقيام المهدى في العقيدة المهدية كما مهد لولادته حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم منه سليلة وصيه •

وهكذا كانت امهات الائمة في مكان عال من الشرف واصالة النسب فان هذه الجارية قد نسب اليها من طهارة الاصل وأصالة العرق ما لا يدانيها فيه أعرق القرشيات عدا بنات النبي صلى الله عليه وسلم •

وذلك بانتسابها أبا الى قيصر الروم وأما الى وصى المسيح •

لتلد حجة الله في ارضه والقائم بأمره من تعلق الناس بقيامه وانتظروا ظهوره ليملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ذلك هو المهدى المنتظر محمد بن الحسن العسكرى (١) والذى يأتي الحديث عنه في آخر هذا الفصل ان شاء الله تعالى •

وقد اشتد في زمن هذا الامام خوف العباسيين على العلويين فازدادوا في اضهادهم وكان يقول في حياته ان الامام بعده هو ابنه الصغير محمد وهو محمد المهدى المنتظر (٢) •

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٩٤-٣٩٥

(٢) تاريخ العلويين ص ١٧٩

٣ ـ صورة الحسن العسكري عند اهل السنة :

والحسن العسكري غير مشهور بالعلم وقد ترجم له ابن خلكان في وفيات الاعيان وصاحب اللباب في تهذيب الانساب كما تقدم .

وقال ابن تيمية فيه ما معناه انه غير مذكور في كتب السنة الامهات ولا في الكتب التي تنقل فتاوى السلف ولكن له من الفضل والمحاسن ما تقوله اهل رضي الله عنه (١) كما ان ابن حزم ذكره في ضمن أئمة الشيعة في صدد تفنيد دعوى الامامية في امامة هذا العدد فذكر انه لا سبيل لأحد من الشيعة في ان يقيم سندا متصلا يضطر الخصم الى قبوله بأن هذا القول قاله الحسن العسكري . (٢)

---

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥

(٢) الفصل ج ٣ ص ١٠٣

سادسا — محمد القائم (المهدى المنتظر) :

١ — حياته :

وهو محمد بن الحسن العسكرى .

ولد سنة ٢٥٥ هجرية قبل وفاة ابيه بخمس سنين .

وكان مولده ليلة النصف من شعبان في ايام خلافة المعتمد ولم يخلف ابوه ولدا ظاهرا ولا باطنا غيره في نظر الامامية الاثنى عشرية .

وكان مولده بسر من رأى اما امه فقد تقدم الكلام عنها في الحديث على صورة ابيه عند الشيعة الامامية من هذا الفصل .

و يكنى بكنية رسول الله ويلقب بالقاب كثيرة منها : الحجة ،والمهدى والخلف الصالح ، والقائم المنتظر ، وصاحب الزمان وأشهر تلك الألقاب المهدى. (١)

و ذكر ابن طولون في تحديد سنة ولادته ثلاثة أقوال :

القول الأول : انه ولد سنة خمس وخمسين ومائتين .

القول الثاني : انه ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين .

القول الثالث : انه ولد سنة ست وخمسين ومائتين واختار الاخير. (٢)

وقد اقتصر الاستاذ حسن الأمين على القول الاول ولم يحك غيره. (٣)

كما اقتصر الاستاذ محمد الرضا المظفر على الأخير . (٤)

---

(١) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٤٩

(٢) راجع الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشرية ص١١٧

(٣) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٣١٨

(٤) راجع عقائد الامامية ص٦٣

٢ — صورة محمد القائم عند الامامية الاثني عشرية :

يعتبر محمد القائم (المهدى المنتظر) هو الامام الثاني عشر في سلسلة الأئمة عندهم كما قلنا ·

يقول الشيخ محمد رضا المظفر في عدد الأئمة لدى الاثنى عشرية ما نصه :

والثاني عشر ابو القاسم محمد بن الحسن المهدى المولود سنة ٢٥٦ وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر عجل الله فرجه وسهل خروجه ليملأ الأرض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا · (١)

ويقول الشيخ محمد غالب الطويل :

كان الامام الثاني عشر شديد الذكاء ، قد احاط في صغره بشتى العلوم وكان ابوه يبشر بانه هو المهدى المنتظر وكان الشيعة الاثنى عشرية يسمونه بالحجة والمهدى والمنتظر وصاحب الزمان كما اسلفنا ·

وهو خاتم الأئمة والأوصياء ·

دخل السرداب في سرمن رأى وامه تنظر اليه ثم احتجب عن الأعين ويعتقد الاثنا عشرية بقاءه حيا وانه هو المهدى المنتظر صاحب الزمان الذى اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيظهر (٢) ·

وقال البغدادى :

في صدد الحديث عن هذا الثاني عشر لدى الامامية قال ما نصه :

واختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته فمنهم من قال كان ابن اربع سنين ومنهم من قال كان ابن ثماني سنين ·

---

(١) عقائد الامامية ص٦٣

(٢) تاريخ العلويين ص١٨٠ والشذرات الذهبية ص١١٧

واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت فمنهم من زعم انه في ذلك الوقت كان اماما عالما بجميع ما يجب ان يعلمه الامام وكان مفروض الطاعة على الناس • ومنهم من قال كان في ذلك الوقت اماما على معنى ان الامام لا يكون غيره وكانت الأحكام يومئذ الى العلماء من اهل مذهبه الى أوان بلوغه فلما بلغ تحققت امامته ووجبت طاعته وهو الان الامام الواجب طاعته وان كان غائبا • (١)

على ان بعض فرق الشيعة انكرت ان يكون للحسن ولد •

ويقول الشبيبى نقلا عن النوبختي ه انه قال :

ان الشيعة افترقوا اربع عشرة فرقة لم يعترف بالمهدى منها الا ثلاث فقط فأنكرت العشر الباقيات ان يكون للحسن ولد أصلا •

وقالت احدى الثلاث ان للحسن بن على ولدا سماه محمدا ودل عليه وولد قبل وفاته بسنين •

وقالت الثانية بل ولد للحسن ولد بعد ثمانية اشهر من وفاة والده وان الذين ادعوا له ولدا في حياته كاذبون مبطلون •

وقالت الثالثة وهي فرقة الاثنا عشرية التي انضمت اليها سائر الفرق الامامية الأخرى بعدئذ بهذين القولين وغلبت الرأى الأول • (٢)

ويقول ابن حزم :

فافترقوا يعنى ـ الشيعة الامامية ـ فرقا فثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن على ولد فأخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له يقال لها صقيل وهو الأشهر •

وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس •

وقال بعضهم بل من جارية له يقال لها سوسن

---

(١) راجع البغدادى ص ٦٤ـ٦٥ (٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٨

والاظهر ان أسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين • ولازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي •

وتعصب لها جماعة من أرباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر بن علي أخو الحسن • (١)

ويقول الشيبي :

والغريب في الأمر ان فرقة من فرق الشيعة حين سئلت عن المهدى قالت لا ندرى ما نقول في ذلك الامام أهو من ولد الحسن أم من اخوته فقد اشتبه علينا الأمر وانا نقول ان الحسن بن علي كان اماما وقد توفي وان الأرض لا تخلو من حجة ونتوقف ولا نتقدم على شيء حتى يصح لنا الأمر ويتميز • (٢)

غير ان جمهور الشيعة الامامية ثبتوا على ان للحسن العسكرى ولدا وانه هو الامام الثاني عشر وأن الامامة آلت اليه بعد وفاة ابيه وعمره عندئذ خمس سنين وصغر السن ليس بالأمر الغريب في أئمة الامامية المتأخرين فقد مر بنا في الحديث عن جد أبيه محمد الجواد بانه صار اماما وهو ابن سبع سنين وأن جده عليا الهادى صار اماما وله ست سنين كما تقدم في مقارنة الجواد بيحيى والمسيح عليهما السلام وهكذا قالوا في المهدى انه اوتي الحكمة وهو صبي كما اوتيها يحيى صبيا ، يقول الدكتور الشيبي في التعليق على ذلك :

---

(١) الفصل ج ٤ ص ٩٣

(٢) راجع الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٧ — ٢٢٨

والغريب ان محمد بن الحسن لم يتسلم الامامة لكنى يمكسها على الناس بنفسه وانما تسلمها وغاب عنهم وقد رأينا المهديين السابقين يصبغ عليهم هذا الوصف بعد موتهم مثل الائمة السابقين او يعتبرون مهديين في حياتهم ويراد منهم القوة وتبديل الظلم والجور بالقسط والعدل كما تطالب الناس من محمد بن الحنفية وكما فعل محمد بن عبدالله بن الحسن (المعروف بالنفس الزكية) .

اما مهدى الامامية الذين صاروا الان الاثنا عشرية بعد ختام أئمتهم بالمهدى فقد اختفى مهديهم وهو صغير حال امامته لهم .

وبعد ان كانت المهدية عامل قوة للشيعة صارت عامل ضعف كما يبدو ذلك من تصريح الشيعة بان غيبة المهدى انما كانت خوفا عليه من الطالب .(١)

---

(١) راجع الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٧

الفصل الخامس

دور الغيبة وعهد السفراء

١ ـ الغيبة الصغرى :

يرى الشيعة الامامية الاثنا عشرية انه باختفاء الامام الثاني عشر انتهى دور الأئمة من الشيعة وبدأ دور جديد قام على ايدى الوكلاء[1] وهذا الدور امتد الى نهاية الغيبة الصغرى ٠

وهذه الغيبة في نظر الشيعة الاثنى عشرية بدأت بعد وفاة الحسن العسكرى ٠

ويذكر الشيخ الدلفى ان بداية هذه الغيبة كانت من ولادة المهدى وامتدت الى نهاية السفارة بينه وبين شيعته وذلك بوفاة اخر السفراء ومدة هذه الغيبة اربعة وسبعون عاما وفي هذه المدة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم ويصلون الى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه الى شيعته في أجوبة امور شتى وقد ذكر الدلفى والطبرسى نموذجا من هذه التوقيعات الصادرة من القائم في هذه الغيبة حيث يجيب عن الأسئلة التي توجه اليه فيرد اجوبتها[2] وتمكن مراسلته في هذه الغيبة بأن يكتب الزائر صيغة معينة الى صاحب الزمان فتوضع عند قبر أحد الأئمة اوتطوى وتختم فتجعل في طين نظيفة ثم تلقى في البحر اوبئر عميقه فتصل الامام الغائب لينظر فيها فقد جعل الله ذلك في غيبته الصغرى سنة من يوسف اذ ظن اخوته انه هلك ولكن اباه لا ييأس من روح الله ولقد عرفهم يوسف وهم له منكرون وكذلك أمر الحجة حين غاب يرى

---

(١) الفكر الشيعي ص ٣٧

(٢) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٦٦ و الاحتجاج للطبرسي ج٢ص٢٨٠

الناس ولا يرونه .

وهكذا يجد الشيعة في حياة الانبياء ما يستدلون به على صدق عقيدتهم في المهدى مهما اسرفوا فيه .

فقد نسب الى الصادق قوله انه سئل عما يعرفه عن أمر المهدى فقال ان الله جعل في القائم منا ستا من سنن انبيائه سنة من نوح طول العمر وسنة من ابراهيم خفاء الولادة واعتزال الناس وسنة من موسى الخوف والغيبة وسنة من عيسى اختلاف الناس فيه يقولون مات ولم يمت وقتل ولم يقتل وسنة من ايوب الفرج بعد البلاء وسنة من محمد الخروج بالسيف يقتدى بهداه ويسير المسلمون بسيرته .

فالشيعة يحاولون قصارى جهدهم الاجابة عن عما يعترض عليهم به فيقولون ليس غريبا اختفاء المهدى عن عيون الناس خوفا من الظالمين فقد استخفى اصحاب الكهف عن قومهم لما خافوهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وكذلك ما كان من أمر الذى مر على قرية وهي خاوية فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه لينظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه .

وفي ذلك دليل على قدرة القدير وكالخضر فانه حي وغائب عن الأنظار فما يعجز الله ان يغيب حجته عن الأرض الاف السنين حيا قائما الى ان يأذن الله له بالخروج . (١)

فالغيبة غيبتان صغرى وكبرى روى الكليني عن ابي عبدالله انه قال : للقائم غيبتان : يشهد في الأولى المواسم ويرى الناس ولا يرونه .

---

(١) نظرية الامامة ص ٤١١ — ٤١٢

وراجع في ظلال الوحي ص ٦٦

وعنه ايضا انه قال : للقائم غيبتان : قصيرة وطويلة ، غيبة لا يعلم مكانه فيها الا خاصة شيعته واخرى لا يعلم مكانه فيها الا خاصة مواليه : احداهما يرجع فيها الى اهله والاخرى يقال هلك وفي أي واد سلك . (١)

وفي تحديد هذه الغيبة اختلاف لعله يرجع الى الاختلاف في السنة التي بدأت فيها الغيبة حيث يعتبر بعض الشيعة بدايتها في السنة التي ولد فيها وقيل بعد وفاة ابيه بقليل وقيل ان دخوله السرداب سنة ٢٦٥ وله تسع سنين وقيل دخله سنة ٢٧٥ . (٢) وقيل سنة ٢٥٥ وقيل سنة ٢٦٠ سنة وفاة ابيه وهو الأشهر . (٣)

ومن هنا اختلفوا في مقدار مدة هذه الغيبة وقد وقفنا في بحثنا هذا على ثلاثة آراء :

الرأي الأول : انها استغرقت اربعا وسبعين سنة كما تقدم عن الدلفي . (٤)

الرأي الثاني : انها استغرقت احدى وسبعين سنة . (٥)

الرأي الثالث : انها استغرقت احدى واربعون سنة فقط . (٦)

وهذه الاراء كلها فيها نظر وذلك اذا نظرنا الى تاريخ غيبته سواء قلنا عند ولادته او عند وفاة ابيه ثم نظر الى تاريخ وفاة اخر السفراء فان المدة اما ان تكون اقل او اكثر من بداية الغيبة الصغرى الى نهاية عهد السفارة والسفراء . (٧)

---

(١) اصول الكافي ج ٤ ص ٣٩٤ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠٣

(٢) الشذرات الذهبية في تراجيم الأئمة الاثنى عشر ص ١١٧ ـ ١١٨

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٦

(٤) الرسول والاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٦٦ (٥) سامي النشار ج ٢ ص ٢٨٤

(٦) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٧ (٧) المصدر السابق ص ٢٢٧

٢ ـ السفراء :

ان السفراء الذين كانوا يديرون شئون الامامية الاثنى عشرية اثناء الغيبة الاولى هم اربعة :

الأول : ابوعمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمرى ويقال له السمان لأنه كان يتجر بالسمن وكان على الهادى قد نصبه وكيلا ثم ابنه الحسن العسكرى ثم كان سفيرا للمهدى وكان موضع الثقة عند الأئمة وهو الذى حضر غسل الامام العسكرى وتكفينه وتولى جميع امره وكان مامورا بذلك .

وكانت توقيعات صاحب الأمر تخرج من يده ويد ابنه محمد الى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهى واجوبة المسائل بالخط الذى كان يخرج في حياة الحسن العسكرى .

ولم تزل الشيعة مقيمة على عدالته حتى توفي وغسله ابنه محمد ودفن بالجانب الغربي من مدينة السلام وقبره مشهور يزار . (١)

الثاني : ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمرى . لما مضى ابو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص من ابى محمد الحسن العسكرى وبنص ابيه عثمان عليه بأمر القائم .

وكانت لابي جعفر كتب في الفقه مما سمعه من الحسن العسكرى ومن القائم كما كان يروى عن ابيه عثمان .

روى عنه انه قال : والله ان صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه وقيل له رأيت صاحب هذا الأمر قال : نعم اخر عهدى به عند بيت الله الحرام وهو يقول

---

(١) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص٣٦٦ ــ ٣٦٧ وراجع الاحتجاج ج٢ص ٢٩٢

اللهم انجز لي ما وعدتني ٠

وقال رأيته متعلقا باستار الكعبة وهو يقول : اللهم انتقم بي من اعدائك ٠

وتوفي هذا السفير سنة خمس وثلاثمائة او سنة اربع وثلاثمائة وتولى هذا الأمر نحوا من خمسين سنة ودفن في بغداد وقبره معروف يزار ٠ (١)

الثالث : ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي ٠ اقامه ابو جعفر محمد بن عثمان مقامه قبل وفاته بسنتين او ثلاث سنين حيث جمع وجوه الشيعة وشيوخها وقال لهم ان حدث علي حدث الموت فالأمر الى ابي القاسم الحسين بن روح وقد أمرت ان اجعله في موضعي بعدي فارجعوا اليه وعولوا في اموركم عليه فهو القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل فبذلك امرت وقد بلغت ٠

توفي ابو القاسم بن روح في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة ٠ ودفن في النوبختية ٠ (٢)

الرابع : ابو الحسن علي بن محمد السمري اوصى اليه الحسين بن روح وهو آخر السفراء وبوفاته/ انقرض عهد السفارة وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة ثماني وعشرين وثلاثمائة ٠ (٣)

يقول الطبرسي ؛ (٤) في بيان هؤلاء السفرا ما نصه :

---

(١) راجع الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٣٦٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٩

(٣) راجع نفس المصدر ص ٣٧٠

(٤) الاحتجاج ج ٢ص ٢٩٢

ان الابواب المرضيين والسفراء الممدوحين في زمان الغيبة اولهم الشيخ الموثوق به ابو عمرو عثمان بن سعيد نصبه اولا ابو الحسن علي بن محمد العسكري ثم ابنه ابو محمد الحسن العسكري فتولى القيام باموره‍ما حال حياتهما ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان .

وكانت توقيعاته واجوبة المسائل تخرج من يديه فلما مضى لسبيله قام ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب عنه في جميع ذلك .

فلما مضى هو قام بذلك ابو القاسم الحسين بن روح من بني توبخت .

فلما مضى هو قام مقامه ابو الحسن علي بن محمد السمري ولم يقم احد منهم بذلك الا بنص عليه من قبل صاحب الأمر ونصب صاحبه الذى تقدم عليه .

ولم يقبل الشيعة قولهم الا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدقه .

فلما حان سفر ابي الحسن السمري من الدنيا وقرب أجله قيل له الى من توصي فاخرج اليهم توقيعا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر اخوانك فيك فانك ميت ما بينك وبين ستة ايام فاجمع امرك ولا توصي الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد اذن الله وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا . وسياتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فنسخوا هذا التوقيع وخرجوا فلما كان اليوم السادس عادوا اليه وهو يجود بنفسه .

فقال له بعض الناس من وصيك من بعدك فقال لله أمر هو بالغه فهذا آخر كلام سمع منه . (١)

---

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٩٧

٢ — الغيبة الكبرى :

وبوفاة السفير الاخير انتهى دور السفارة والسفراء وهو نهاية الغيبة الصغرى او القصرى والتي استغرقت اربعا وسبعين سنة او احدى وسبعين سنة على قول او احدى واربعين كما مر تقريبا • وبذلك تبدأ الغيبة الكبرى او الطولى او التامة والتي يقول فيها صاحب الزمان : فمن ادعى المشاهدة قبل السفياني او الصيحة فهو كذاب ومفتر •

وقد احتجب عن الأعين وغاب عن الناس خوفا من الظلمة ولكن لم ينقطع سلطانه على الناس فهو حي في خلوه دائم حتى يوم رجعته في آخر الزمان •

وتمكن مواصلته في هذه الغيبة في نظر الشيعة •

يقول السيد محمد رشيد رضا :

والعجب من الروافض انهم سموا صاحب الرقاع بالصدوق وهو الكذوب •

كان يزعم انه يكتب مسألة في رقعة فيضعها في ثقب شجرة ليلا فيكتب الجواب عنها المهدى صاحب الزمان بزعمهم فهذه الرقاع عند الشيعة من أقوى دلائلهم واوثق حججهم • (١)

وهناك جماعة اشتهروا بالرقاع وزعموا انهم يكاتبون القائم فيرد الجواب اليهم • (٢)

ونقل الشيعة عن القائم انه قال : أما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيبها عن الابصار السحاب وأني لأمان لأهل الأرض

---

(١) السنة والشيعة ص ٥٨

(٢) راجع السنة والشيعة لمحمد رضا ص ٥٩ — ٦٠ — ٦١

كما ان النجوم آمان لأهل السماء فأغلقوا السؤال عما لا يعنيكم ولا تتكلفوا علم ما كفيتم واكثروا الدعاء بتعجيل الفرج . (١)

ومن هنا نشأت عقيدة الغيبة والرجعة في صورتها النهائية عند غلاة الشيعة الامامية او الاثني عشرية .

وهي حجب الله الامام واختفاؤه عن أعين البشر وهو حي يلهم العبادة والتسبيح ويطلع على خفايا البشر .

وسيعيده الله فيحقق للناس كمالا من ناحية تحققه بالصفات التي تظهر من امام العصر يحارب الشيطان حتى يقضي عليه . (٢)

وهكذا يرى الباحث اثر الكيسانية قد دخل في عقائد الاثني عشرية او بمعنى آخر ان الاسطورة التي نشرها الكيسانية عن غيبة محمد بن الحنفية في جبل رضوى وانه حي يلهم العبادة والتسبيح تعود في صورة غالبة في عقائد الاثني عشرية . (٣)

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية ان المهدي اختفى في سامراء في السرداب او الحلة ولذلك يذهبون كل ليلة الى باب السرداب في مسجد سامراء وعليهم السلاح كما ذكرنا من قبل وقد اعدوا مركبا .

ويقرؤنه السلام ويدعونه للخروج باسم الله يا صاحب الزمان اخرج قد ظهر الفساد وكبر الظلم وقد آن اوان خروجك ويسلمون عليه منادين يا خليفة الله ووصي الأوصياء الماضين ثم يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه . (٤)

---

(١) راجع الاحتجاج ج ٢ص ٢٨٤

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٢٨٤ـ٢٨٥

(٣) المصدر السابق ج ٢ص ٢٨٥

(٤) سامي النشار ج ٢ص ٢٨٥ وراجع الشذرات الذهبية ص ١١٧ و المنار المنيف ص ١٥٢

وهذه الغيبة لم يحدد نهايتها الشيعة بل قطعوا الطريق نحو تحديد وقتها ، يقول الشيبي :

فالغيبة رهن بالوعد الذى حدد لها والظهور يتوقف على زوال الخوف وهذا هو توقيت الظهور في بساطة ولكن الزمن مضى دون ان يظهر المهدى (١) .

وقد قطع الشيعة الطريق على كل محاولة للتوقيت كما قلنا .

والفكرة الاساسية هى ما يعرضه الطوسى من ان الله اعلمه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم واوقفه عليه من جهة زمان غيبته وزمان زوال الخوف عنه وانما اخفى ذلك عنا لما فيه من المصلحة واما الامام فهو عالم به لا يرجع الى الظن ومن هنا نشأت فكرة متى يظهر المهدى بعد ان طال الزمن على غيبته .

غير ان الشيعة ذكروا علامات لظهوره وهذه العلامات تعنى تفسخ العالم خلقيا واجتماعيا وسياسيا ولذلك اختلطت علامات ظهوره بأشراط الساعة . (٢)

يقول الاستاذ حسن الأمين : اما موعد ظهوره فانهم مجمعون على انه من الغيب الذى لا يعلمه غير الله وأن لظهوره علائم منها ما هو حتمىّ الوقوع ومنها ما هو غير حتمى . (٣)

والحاصل ان الشيعة يولون اهتماما كبيرا بالمهدى فهو محط انظارهم وغاية آمالهم حيث يعتبر في نظرهم محررا لهم من الظلم الذى

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع /ص٣٢٣

(٢) المصدر السابق ص٣٢٣

(٣) راجع دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٣١٨

طالما كانوا فيه ولذا يحتجون بخروجه بالحاجة الماسة الى المنقذ المحرر للبشرية من الظلم وبسط العدل .

واعتقاد ظهور منقذ للبشرية ومخلص لها ليس خاصا بالشيعة فقط بل ان اهل الديانات الاخرى يشاركونهم في مثل هذه العقائد ـ فالمسيحيون ينتظرون المسيح لينقذهم من الخطيئة ومن يستمع لاذاعات الدول المسيحية يسمع نداءاتهم للمسيح بعبارة المحرر والمنقذ . واليهود يعتقدون ان الياس دعا الناس الى التوراة ثم غاب خمسمائة عام ثم ظهر ودعا اليها ثم غاب ولا يزال حيا وقد تجاوز عمره ثلاثة الاف سنة ويعتقد البراهمة حياة براهما والبوذيون خلود بوذا ولا تكاد تخلو عقيدة من اعتقاد في شخص انه لم يمت وسيظهر ليملأ الأرض عدلا . (١)

ويذكر الدكتور صبحي ان متكلمي الشيعة لم يتعرضوا للصورة التي غاب عليها هل حملته روح القدس كما كانت تحمله حينما كان يختفي عن الانظار في حياة أبيه .

وهل دخل سردابا في سر من رأى ام هل دخل مع امه الدار التي سكنها اهله بالحلة وسيظهر منها آخر الزمان . ثم قال : ولكن عقائد الشيعة تركز عند سرداب سامراء حيث يجتمع جمعهم ويرتفع دعاؤهم بالشهادة للمهدي أنه الحجة على من مضى ومن بقي وان وعد الله فيه حق لا ينزعه طول الغيبة وبعد الأمد وان ولايته تزكي الافعال وتضاعف الحسنات وتمحي السيئات ويطلبون منه الشفاعة لمحو الذنوب وستر العيوب ويتضرعون الى الله ان يجعل لهم ان ماتوا كرة في زمن ظهوره ورجعة في ايامه ليكونوا من انصاره واعوانه ثم يتضرعون الى الله ان يعجل ظهوره وان يكشف عن الأمة

---

(١) نظرية الامامة ص٤١٢

هذه القصة بحضوره . (١)

وقد مر بنا في الحديث على صورته عند الامامية انه دخل سرداب سامراء وأنه تنتظر اليه ولم يعد يخرج اليها . (٢)

وقد أنكر الاستاذ حسن الأمين ان يكون الشيعة يعتقدون وجود المهدى في هذا السرداب حيث يقول ما نصه :

اما سرداب الغيبة الذى قيل عنه في الحلة اوفي سامراء فليس من شيعى يعتقد بغيبة المهدى فيه او وجوده فيه اوبخروجه منه وما قيل غير هذا فهو من الافتراء .

والسرداب الموجود في سامراء كان سردابا لدار الامامين على الهادى والحسن العسكرى . (٣)

غير أن الواقع يؤيد ما تقدم ولعل انكاره لهذه العقيدة المشهورة من باب التقية المعروفة في مذهبهم .

يقول ابن طولون : والشيعة يقولون انه دخل سرداب أبيه وأمه تنظر اليه ولم يعد يخرج اليها . (٤)

وكذا واقعهم القديم والحديث حول هذا السرداب مما يؤيد هذه العقيدة وقد مر بنا قريبا انهم يهيئون كل ليلة مركبا ويأتون الى باب السرداب وينادونه بالخروج اليهم .

يقول ابن القيم : والامامية يقولون ان المهدى دخل سرداب بسامراء طفلا وهم — يعنى الامامية — ينتظرونه كل يوم ويقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به ان يخرج اليهم . اخرج يا مولانا اخرج يا مولانا ثم يرجعون

---

(١) نظرية الامامة ص ٤١٠ (٢) الشذرات الذهبية ص ١١٧

(٣) دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٣١٨

(٤) المصدر السابق ص ١١٧

بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه . (١)

ويقول ابن تيمية :

والامامية يدعون ان الغائب المنتظر محمد بن الحسن الذى دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين اونحوها ولم يعد . (٢)

وسيأتى مزيد ايضاح لهذه العقيدة في الحديث على موقف اهل السنة من مهدى الاثنى عشرية في هذا الفصل ان شاء الله .

وبمحمد بن الحسن العسكرى ينتهى الأئمة الاثنى عشر عند الامامية وقد نظمهم الامام ابو الفضل يحيى بن سلامة فقال :

حيدرة والحسنان بعده ... ثم على وابنه محمد

وجعفر الصادق وابن جعفر ... موسى يتلوه على السيد

اعنى الرضا ثم ابنه محمد ... ثم على وابنه المسدد

الحسن التالى ويتلوه ... محمد بن الحسن المعتقد (٣)

وهكذا تنتهى سلسلة الأئمة بهذا الشخص الذى لم تعرف عينه ولا صفته وهذا ما جعل العقيدة الشيعية تصبح اسطورة حيث خالفت العقل والنقل يقول الاستاذ سامى النشار في ختام كلامه على الأئمة الاثنى عشر وفي صدد صورة المهدى عندهم :

عجبا ان تنتهى قصة الأئمة الاثنى عشرية الى هذا الحد الاسطورى . (٤)

---

(١) راجع المنار المنيف ص ١٥٢

(٢) راجع منهاج السنة جـ ١ ص ٣٤

(٣) راجع الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشر ص ٤١

(٤) سامى النشار جـ ٢ ص ٢٨٦

٤ — موقف اهل السنة من مهدى الاثنى عشرية :

لعلك فيما تقدم قد عرفت مهدى الامامية المنتظر عندهم وما يولونه من اهتمام بالغ وانه حي في سرداب سامراء وانما هو غائب عن الأعين وان سلطته باقية وان اختفاءه كان خوفا ومحاولتهم الاجابة عن كل اعتراض سوف يوجه اليهم ولكن ذلك كله باء بالفشل وذهب دون جدوى فالمعقول لا تتقبله والنقول لا تقره .

ومن هنا كان موقف اهل السنة من هذا المهدى الانكار الشديد ذلك ان الادلة الواردة في المهدى الذى يأتي ويقربه اهل السنة مخالف لمهدى الامامية الاثنى عشرية تمام المخالفة .

يقول ابن كثير في النهاية :

المهدى الذى يكون في آخر الزمان هو احد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وليس هو بالمنتظر الذى تزعمه الرافضة وترتجى ظهوره من سرداب سامراء فان ذلك ما لا حقيقة له ولا عين ولا اثر ويزعمون انه محمد ابن الحسن العسكرى وانه دخل السرداب وعمره خمس سنين .(١)

فالاحاديث المروية في المهدى تدل على انه من اهل البيت ومن ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هو من ولد الحسن لا من ولد الحسين ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعم جهلة الرافضة من انه موجود فيه الان وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان فان هذا نوع من الهذيان وقسط كبير من الخذلان اذ لا دليل على ذلك ولا برهان لا من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان ثم قال ابن كثير بعد ان نقل الأدلة في اثبات مهدى الاسلام الذى وعد الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) النهاية جـ١ ص ٢٧ — ٣٠ — ٣١

بظهوره في آخر الزمان فذكر صفاته وكم سنة يمتد ملكه وبطلان مهدى الامامية الاثنى عشرية ثم قال :

والمقصود ان المهدى الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون اصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك بعض الاحاديث وأظن ان ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت على ذلك الاحاديث . (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

والامامية يدعون ان الغائب المنتظر محمد بن الحسن الذى دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين اونحوها ولم يعد بل كان عمره اما سنتين واما ثلاثا واما خمسا اونحو ذلك وله الان على قولهم اكثر من اربعمائة سنة (٢) ولم يرله عين ولا أثر ولا سمع له حس ولا خبر .

فليس فيهم احد يعرفه لا بعينه ولا بصفته لكن يقولون ان هذا الشخص الذى لم يره احد ولم يسمع له خبر هو امام زمانهم ومعلوم ان هذا ليس هو معرفة الامام حيث ان هذا المنتظر لا يعرف له حال ينتفع به في الامامة فان معرفة الامامة التي تخرج الانسان من الجاهلية هي المعرفة التى يحصل بها طاعة وجماعة خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية فانهم لم يكن لهم امام يجمعهم ولا جماعة تعصمهم .

والله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وهداهم به الى الطاعة والجماعة .

وهذا المنتظر لا يحصل بمعرفته طاعة ولا جماعة

---

(١) النهاية جـ ٠ ص ٢٧ ـ ٣١

(٢) يعني في عصر ابن تيمية اما الان فله اكثر من الف سنة .

فلم يعرف معرفة تخرج الانسان من الجاهلية بل المنتسبون اليه اعظم الطوائف جاهلية واشبههم بالجاهلية . (١)

ويقول ابن تيمية ايضا ما نصه :

وأهل العلم بانساب اهل البيت يقولون ان الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب ولا ريب ان العقلاء يردون مثل هذا القول .

واعتقاد الامامية العصمة في مثل هذا مما لا يرضاه لنفسه الا من هو أسفه الناس .

والمقصود ان هذا المنتظر يزعمون انه عند موت ابيه له سنتان اوثلاث اوخمس على خلاف بينهم في ذلك .

وقد علم بنص القرآن والسنة المتواترة واجماع الامة ان مثل هذا يجب ان يكون تحت ولاية غيره في نفسه وماله فتكون نفسه محضونة ومكفولة لمن يستحق كفالته الشرعية .

وهو قبل السبع لا يؤمر بالصلاة فاذا بلغ السبع امر بها فاذا بلغ العشر ولم يصلي أدب على فعلها .

فكيف يكون مثل هذا اماما معصوما يعلم جميع الدين ولا يدخل الجنة الا من كان مؤمنا به . (٢)

وذكر ابن حزم ان جارية الحسن العسكري ادعت الحمل بعده فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ثم بطل ذلك الحمل واخذ الميراث جعفر اخو الحسن . (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣٤ ــ ٣٥

(٢) راجع رأس الحسين ص٤ ــ ٥ ــ ٦

(٣) راجع الفصل ج ٤ ص٩٣

وذكر الاستاذ عبد القادر شيبة الى ان محمد بن نصير كان من المساهمين في نسبة هذا الولد الى العسكري وكان العسكري قد توفي سنة ٢٦٠ ولم يكن له عقب ولكن ابن نصير اراد ان يتقرب الى الامامية باثبات هذا الابن وانه هو الباب يعني نفسه فقبلت الامامية نسبة الولد الى العسكري دون دعواه البابية للقائم. (١)

ويقول ابن القيم :

ان الامامية يقولون ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر الحاضر في الامصار الغائب عن الابصار دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من اكثر من خمسمائة (٢) سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر.

ولقد اصبح هؤلاء عارا على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل. (٣)

ولقد أحسن من قال :

ما آن للسرداب ان يلد الذى
كلمتموه بجهلكم ما آنـــا
فعلى عقولكم العفاء فانكم
ثلثتم العنقاء والغيلانـــا (٤)

---

(١) راجع الاديان والفرق ص ٨٦

(٢) هذا بالنسبة لعصر المؤلف والا فله الان اكثر من الف سنة

(٣) المنار المنيف ص ١٥٢ ـ ١٥٣

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢

٥ - عقيدة اهل السنة في ظهور المهدى :

اختلف اهل السنة في المهدى على ثلاثة أقوال :

١ - القول الأول :-

انه المسيح بن مريم وهو المهدى على الحقيقة واحتج اصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندى وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا مهدى بعدى الا المسيح بن مريم) (١) وهو ضعيف لا يصح ولو صح لم يكن فيه حجة لان عيسى اعظم مهدى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الساعة .

وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق وحكمه بكتاب الله وقتله اليهود والنصارى ووضعه الجزية واهلاك اهل الملل في زمانه فيصح ان يقال لا مهدى في الحقيقة سواه وان كان غيره مهديا كما يقال لا علم الا ما نفع ولا مال الا ما وقى وجه صاحبه وكما يصح ان يقال انما المهدى عيسى بن مريم : يعنى المهدى الكامل المعصوم . (٢)

٢ - القول الثاني :-

انه المهدى الذى ولى بنى العباس وقد انتهى زمانه واحتج اصحاب هذا القول بما رواه احمد في مسنده حدثنا وكيع عن شريك عن على بن زيد عن قلابة عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٤٠

(٢) المنار المنيف ص ١٤٨

(اذا رأيتم الرايات السود قد اقبلت من خراسان فاتوها ولو حبوا على الثلج فان فيها خليفة الله المهدى) (١)

وعلى بن زيد قد روى له مسلم متابعة ولكن هو ضعيف وله مناكير تفرد بها فلا يحتج بما يتفرد به .

وروى ابن ماجه من حديث الثوري عن خالد عن قلابة عن ابى اسماء عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه (٢) وتابعه عبد العزيز ابن المختار عن خالد وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ اقبل فتية من بنى هاشم ولما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه قال إنا اهل بيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من اهل المشرق معهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملأها قسطا كما ملئت جورا فمن ادرك ذلك فليأتهم ولو حبوا على الثلج) (٣) وفي اسناده يزيد بن ابي زياد وهو سيء الحفظ اختلط في اخر عمره وكان يقلد القلوس . وهذا والذى قبله لو صح لم يكن فيه دليل على ان المهدى الذى تولى من بنى العباس هو المهدى الذى يخرج في اخر الزمان بل هو مهدى من جملة المهديين .

وعمر بن عبد العزيز كان مهديا بل هو اولى باسم المهدى منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة

---

(١) راجع المسند ج ٢٤ ص ١٥ ترتيب الساعاتي

(٢) راجع ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٦٧

(٣) ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٦٦

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) (١)

وقد ذهب الامام احمد في احدى الروايتين عنه وغيره الى ان عمر بن عبد العزيز منهم ولا ريب انه كان راشدا مهديا ولكن ليس بالمهدى الذى يخرج في آخر الزمان فالمهدى في جانب الخير والرشد كالدجال في جانب الشر والضلال وكما ان بين يدى الدجال الاكبر صاحب الخوارق دجالين كذابين فكذلك بين يدى المهدى الاكبر مهديون راشدون. (٢)

٣ — القول الثالث :—

انه رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن بن على يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلا واكثر الاحاديث على هذا تدل. (٣)

قال ابن تيمية :

ان الاحاديث التي يحتج بها على خروج المهدى احاديث صحيحة رواها ابو داود والترمذى واحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه ابن مسعود (لو لم يبق من الدنيا الا يوما لطاول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل منى او من اهل بيتى اسمه اسمى

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ج ٧ ص ٤٣٨ — ٤٣٩ — ٤٤٠ ، ورواه الامام احمد ج ٤ ص ١٢٦ — ١٢٧ ورواه ابو داود ج ٤ ص ٢٨١ ورواه ابن ماجه ج ١ ص ١٥ — ١٦

(٢) راجع المنار المنيف ص ١٤٩ — ١٥٠

(٣) راجع الترمذى مع تحفة الاحوذى ج ٦ ص ٤٨٥ — ٤٨٦ وابو داود ج ٤ ص ٤٧٧ وابن ماجه ج ٢ ص ١٣٦٧ وراجع المنار المنيف ص ١٥١

واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) ورواه الترمذي وابو داود من رواية ام سلمة وايضا فيه (المهدي من عترتي ولد فاطمة) ورواه ابو داود من طريق ابي سعيد وفيه يملك الارض سبع سنين) (١)

ورواه عن علي رضي الله عنه انه نظر الى الحسن فقال (ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق) يملأ الارض قسطا) (٢)

وهذه الاحاديث غلط فيها طوائف طائفة انكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا مهدي الا عيسى بن مريم) (٣) وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد ابو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي والشافعي رواه عن رجل من اهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي وهو ممن لا يحتج به وليس هذا في مسند الشافعي وقد قيل ان الشافعي لم يسمعه من الجندي وان يونس لم يسمعه من الشافعي .

الثاني . ان الاثنى عشرية الذين ادعوا ان هذا هو مهديهم اسمه محمد بن الحسن والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد ابن عبدالله ولهذا حذفت طائفة لفظ الأب حتى لا يناقض ما كذبت .

وطائفة حرفته فقالت جده الحسين وكنيته ابو عبدالله فمعناه محمد بن ابي عبد الله وجعلت الكنية اسما وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سماه (غاية السول في مناقب الرسول) ومن له ادنى نظر يعرف ان هذا تحريف صريح وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يفهم احد من قوله (يواطئ

---

(١) رواه ابو داود جـ ٤ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ والترمذي جـ ٦ ص ٤٨٤

(٢) رواه ابو داود جـ ٤ ص ٤٧٧

(٣) رواه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٣٤٠

اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي الا ان اسم ابيه عبدالله وهل يدل هذا اللفظ على ان جده كنيته ابو عبدالله ثم اى تمييز يحصل له بهذا نكم من ولد الحسين من اسمه محمد وكل هؤلاء يقال في اجدادهم محمد بن ابي عبدالله كما قيل في هذا وكيف يعدل من يريد البيان الى من اسمه محمد بن الحسن فيقول اسمه محمد بن عبدالله ويعني بذلك ان جده ابو عبدالله وهذا كان تعريفه بانه محمد بن الحسن او ابن ابي الحسن لان جده على كنيته ابو الحسن احسن من هذا وابين لمن يريد الهدى والبيان •

واضافة المهدى المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين كما تقدم لفظ حديث علي رضي الله عنه •

الثالث : ان طوائف ادعى كل منهم ان المهدى المبشر به مثل مهدى القرامطة الباطنية الذى اقام دعوتهم بالمغرب وهم من ولد ميمون القداح وادعوا ان ميمونا هذا من ولد محمد بن اسماعيل والى ذلك انتسب الاسماعيلية وهم ملاحدة في الباطن خارجون عن جميع الملل وممن ادعى انه المهدى ابن تومرت الذى خرج ايضا بالمغرب وسمى اصحابه الموحدين وكان يقال له في خطبهم الامام المعصوم والمهدى المعلوم الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وهذا أدعى انه من ولد الحسن دون الحسين فانه لم يكن رافضيا وكان له من الخبرة بالحديث ما ادعى به دعوى تطابق الحديث وقد علم بالاضطرار انه ليس هو الذى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ومثل عدة آخرين ادعوا ذلك منهم من قبل ومنهم من ادعى ذلك فيه اصحابه وهؤلاء كثرون لا يحصى عددهم الا الله وربما حصل باحدهم لقوم وان حصل به ضرر لآخرين كما حصل بمهدى المغرب انتفع به طوائف وانضر به طوائف وكان فيه ما يحمد وكان فيه ما يذم وبكل حال فهو وامثاله خير من مهدى الرافضة الذى ليس له عين ولا أثر ولا يعرف له حس ولا خبر ولا ينتفع به احد لا في الدنيا ولا في الدين بل حصل

باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يحصيه الا رب العباد . (١)

ومن هنا يتبين ان المهدى المنعوت هو من ولد الحسن لا من ولد الحسين وانه غير موجود وسيوجد في اخر الزمان وفي كونه من ولد الحسن لا من ولد الحسين سر لطيف وهو ان الحسن رضى الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذى يملأ الأرض .

وهذه سنة الله في عباده انه من ترك لأجله شيئا اعطاه الله أو اعطى ذريته افضل منه .

وهذا بخلاف الحسين رضى الله عنه فانه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها . (٢)

ويقول الدكتور سامى النشار :

وفي هذه العصور نرى كثيرا ممن يدعى المهدية فقاموا بمحاربة الفساد وازالة الاستعمار . مثل مهدى السودان ومهدى برقة السنوسى ومهدى القوقاز .

ومهدى الاكراد (حسن بن عدى) وما زال المسلمون في القوقاز يأملون في عودته ليخلصهم من حكم الروس كما ان الاكراد يأملون في ظهور حسن بن عدى . (٣)

---

(١) راجع منهاج السنة النبوية جـ ٤ ص ٢١١ — ٢١٢ والمنار المنيف ص١٥٣ — ١٥٤

(٢) راجع المنار المنيف ص١٥١

(٣) الفكر الفلسفى في الاسلام جـ ٢ص ٣٠٢

ويقول السيد محمد صديق حسن :

وظهر بجبال شهرون بقرية ازمك رجل يسمى محمدا وادعى أنه المهدى .

وظهر رجل اخر بجبال كفر اوالعمادية يسمى عبدالله وادعى المهدية .

وادعى جماعة من المشايخ والصوفية انهم مهديون ثم تابوا عن هذه الدعوى المنكرة . (١)

---

(١) الاذاعة في اشراط الساعة ص ١٤٩ ـ ١٥٠

الباب الثاني

الإمامة عند الإمامية الإثني عشرية

الباب الثاني

الامامة عند الامامية الاثنى عشرية

الفصل الاول

الامامة عند اهل السنة

١- الامامة لغة وشرعا :

الامام في اللغة من يقتدى به وجمعه أئمة واصله آيمة على فاعلة مثل اناء وآنية واله وآلهة فادغمت الميم ونقلت حركتها الى ما قبلها فلما حركوها بالكسر قلبوها ياء وقرئ ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر﴾ (١) قال الاخفش : جعلت الهمزة ياء لانها في موضع كسر وما قبلها مفتوح فلم يهمز لامتناع الهمزتين .

قال : ومن كان في رأيه جمع الهمزتين همزه (٢) . فالامام كل من اقتدى به وقدم في الأمور والنبي صلى الله عليه وسلم امام الأئمة والخليفة امام الرعية والقرآن امام المسلمين . (٣)

ويطلق الامام ايضا على المتولي للصلاة في مسجد قوم وعلى العالم الفقيه . ولكن استعمال الامام على وجه الاطلاق انما يصرف على المتولي لأمور اهل الاسلام وما عداه فيستعمل له لفظ الامامة او الامام على وجه الاضافة فيقال : فلان امام بنى فلان وفلان امام في الحديث او في الفقه فلا يطلق على احدهم اسم الامام دون اضافة وكذلك اسم الخليفة لا يطلق الا على من هذه صفته . (٤)

---

(١) سورة التوبة آية ١٢

(٢) راجع الجوهرى مادة أمم ج ٥ ص ١٨٦٦

(٣) راجع مقاييس اللغة مادة أم ج ١ ص ٢٨

(٤) راجع الفصل ج ٤ ص ٩٠

٢ ـ حكم الامامة عند اهل السنة :

ومذهب اهل السنة والجماعة في الامامة انها لازمة وفرض على الأمة اقامة امام عليهم اذ لا يصلح الناس بدون امام ينفذ الاحكام ويقيم الحدود وينصف المظلوم من الظالم .

وجوب الامامة لا خلاف فيه بين اهل الاسلام الا خلاف غير معتبر وهو ان النجدات من الخوارج قالوا بعدم وجوب الامامة اذا تناصف الناس وان الاصم المعتزلي يذهب الى نفس مذهب النجدات وهذا لا يلتفت اليه ولقد احسن من قال :

وليس كل خلاف جاء معتبرا

الا خلاف له حظ من النظر

يقول ابن حزم في صدد الكلام على وجوب الامامة :

اتفق جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التي اتى بها رسول الله .

حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما ترى انه بقى منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة وقول النجدات المذكور في الامامة ساقط .

ويكفي في رده وابطاله اجماع من تقدم ذكرهم .

والقرآن والسنة دلا على ايجاب الامامة .(١)

قال تعالى ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم ﴾(٢)

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ٨٧ (٢) سورة النساء اية ٥٩

والاحاديث الثابتة في السنة النبوية في ايجاب طاعة الائمة كثيرة جدا .

ففي مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد اطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) (١)

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال (ان خليلي اوصاني ان اسمع واطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف) (٢) وفي رواية للبخاري ولو لحبشي كان رأسه زبيبة .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (٤).

وعن حذيفة بن اليمان قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني .

فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ فقال : نعم وفيه دخن .

قال : قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي فتعرف منهم وتنكر . قلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها .

---

(١) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢٣ (٢) البخاري مع الفتح ج ١٣ ص ١٢١

(٣) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢٥

(٤) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢٦ والبخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٢١

فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : نعم ، قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا فقلت : يا رسول الله فما تأمرني ان ادركني ذلك قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم فقلت فاذا لم يكن لهم امام ولا جماعة قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك. (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية وفي رواية فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه) (٢)

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما. (٣)

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خيار أئمتكم الذين تحبونهم و يحبونكم وتصلون عليهم و يصلون عليكم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم وتلعنونهم و يلعنونكم) فقلنا يا رسول الله : افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك قال : لا ما اقاموا فيكم الصلاة الا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة. (٤)

فهذه الادلة فيها دليل على وجوب طاعة الامام . وطاعة الامام لا تكون الا بعد نصب الامام وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب كما هو مقرر في علم الأصول .

---

(١) البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣٥ ومسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٣٦

(٢) البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٢١ ومسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٤٠

(٣) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٤٢ (٤) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٤٤

ولهذا فالأمة الاسلامية قد اجمعت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب اقامة امام وتابعهم على ذلك من بعدهم من المسلمين ولم يشذ عن هذا الاجماع احد اللهم الا بعضا من الخوارج والاصم من المعتزلة وضرار و هشام القرطبي فهؤلاء قالوا بالاستغناء عنه اذا صلحت الأمة بأن اتبعت الدين القويم فعملت بالكتاب والسنة ٠ ٠

ومن هنا يتبين القول بان نصب الامام ضروري للمسلمين فيجب عليهم كما قلنا نصب امام تجتمع به الكلمة وتنفذ به احكام الله في ارضه ولم يخالف في ذلك الا من لا يعتد به كما ذكرنا ٠

فالصحابة قد اجمعت على تقديم ابي بكر الصديق بعد الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الانصار منا امير ومنكم امير فردهم ابو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك بقولهم (ان العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش) ورووا لهم الخبر فرجعوا واطاعوا كما قلنا من قبل فلوكان فرض الامامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت تلك المناظرة والمحاورة عليها ولقال قائل انها غير واجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب ٠

ثم ان الصديق لما حضرته الوفاة عهد الى عمر بن الخطاب في الامامة ولم يقل له احد هذا امر غير واجب علينا ولا عليك فدل على وجوبها وانها من واجبات الأمة الذي به قوام المسلمين(١) ٠ على ان وجوب الامامة الكبرى بطريق الشرع لا بالعقل كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة وبقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٢) ولأن

---

(١) اضواء البيان ج ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ والقرطبي ج ١ ص ٢٦٤

(٢) البقرة اية ٣٠

الله قد يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن .

ولان قولته تعالى ﴿ وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ (١) بعد قوله تعالى ﴿ وارسلنا رسلنا بالبينات ﴾ فيه اشارة الى اعمال السيف عند الاباء بعد اقامة الحجة . (٢)

والامامية تقول بوجوب الامامة بالعقل لا بالسمع والجاحظ والبلخى والحسن البصرى على انها تجب بالعقل والشرع معا وكلا القولين باطل (٣) وسيأتى تفصيل مذهب الامامية في الفصل التالي باذن الله .

٣ — فيمن تكون الامامة :

وقد وقع الخلاف بين الصحابة فيمن تكون الامامة فيهم وذلك اثر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول خلاف وقع بعد وفاته .

وكان هذا الخلاف ممثلا في ثلاثة مذاهب . (٤)

المذهب الأول :

رأى الانصار حيث رأوا انهم اولى بالامامة لما لهم من فضيلة الايواء والنصرة فهم حماة الاسلام وانصار الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يروا ان النبي صلى الله عليه وسلم خصها ببطن من بطون العرب ولا بقبيلة من قبائلهم .

---

(١) الحديد اية ٢٥

(٢) راجع اضواء البيان ج ١ ص ٥٨ ــ ٥٩ والقرطبي ج ١ ص ٢٦٤

(٣) اضواء البيان ج ١ ص ٥٩

(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١٢

والمذهب الثاني :

رأى المهاجرين وعلى رأسهم ابوبكر وعمر ان الامامة في قريش ولان العرب لا تدين الا لهم ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (الناس تبع لقريش في الخير والشر)(١) وفي حديث آخر (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان)(٢)

والمذهب الثالث :

يرى ان الخلافة في بني هاشم لانهم اسرة النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء نادوا بعلي لامتيازه على كل بني هاشم .

ولم يدم الخلاف طويلا . فان فريق ابي بكر رضي الله عنه هو الذى انتصر رأيه في اجتماع سقيفة بني ساعدة وبويع ابوبكر رضي الله عنه وتمت بيعته بالاجماع اذا استثنينا رجلا من الانصار وهو سعد بن عبادة . وذهب الرأى الاول بين ادراج التاريخ ولم يدع اليه احد بعد اما المذهب الثالث فقد سكن حتى اخر عصر الخليفة الثالث .(٣)

ثم اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة فيمن يكون احق بها ايكون من قريش جميعا او يكون من اولاد علي رضي الله عنه خاصة ام يكون من المسلمين جميعا لا فرق بين قبيل وقبيل وبيت وبيت فالجميع امام الله سواء قال تعالى ﴿ ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾(٤) وفي الحديث (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) .(٥)

---

(١) مسلم ج ١٢ ص ٢٠٠

(٢) البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٥٣٣ ومسلم مع النووى ج ١٢ ص ٢٠١

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ج ١ ص ٢٥

(٤) سورة الحجرات اية ١٤

(٥) رواه احمد والحارث وابوحاتم قاله الحافظ ابن حجر في فتح البارى ج ٦ ص ٥٢٧

ومن هنا انقسم المسلمون الى خوارج وشيعة وجماعات اخر .(١)

وكان لهذا الخلاف اثره السيء في حياة الامة الاسلامية فقد توالت على العالم الاسلامي بسبب هذا الخلاف المصائب والنكبات وهكذا الى يومنا هذا وان كان يشتد احيانا ويخف احيانا .

وسنتناول في الفصل التالى خلاف الشيعة مع اهل السنة في موضوع الامامة .

٤ — طرق نصب الامام عند اهل السنة :

واذا تقرر ان مذهب اهل السنة في الامامة الوجوب وان ذلك واجب على الأمة الاسلامية وليس واجبا على الله كما تدعيه الامامية وان القول بتعيين على رضى الله عنه باطل وهو مذهب الامامية ايضا وسيأتى تفصيل ذلك باذن الله تعالى اذا تقرر ذلك وجب ان نستعرض طرق نصب الامام عند اهل السنة وهي كالتالى :

الطريق الأول : الشورى :

قال تعالى مخاطبا نبيه ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾(٢) وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو لعموم امته فكانت الشورى بذلك اساسا للاعمال العظيمة التي يعملها المسلمون ومن أجلها نصب الامام . فلا تنعقد الا بشورى المسلمين ورضاهم .

والمعتبر في ذلك اهل الحل والعقد منهم وهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة فامتازت بصائرهم وقد عرفوا من يصلح للأمة وقد وقع هذا في العصر الاول وينزل منزلتهم فيمن بعدهم من

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١٢ وراجع اتمام الوفاء ص ٧ — ٨

(٢) سورة آل عمران اية ١٥٩

العصور من له سابقة خير في الاسلام •

و لا يلزم اجماع اهل الحل والعقد على المنتخب بل المعتبر الاغلبية وهي ما زاد على نصف المجتمعين •

وقد عمل عمر رضى الله عنه بهذا المبدأ حيث جعل الخلافة شورى بين ستة من الصحابة انتهى اجتماع الشورى بانتخاب احد الستة وهو عثمان بن عفان رضى الله عنه •

قال بعض العلماء ومن هذا القبيل امامة ابي بكر رضى الله عنه لانها كانت باتفاق اهل الحل والعقد بعد الخلاف ولا عبرة بعدم رضى بعضهم كما وقع من سعد بن عبادة رضى الله عنه من عدم قبوله بيعة ابي بكر رضى الله عنه • (١)

الطريق الثاني : العهد :

وذلك بان يعهد الامام السابق لمن بعده وهذا ما فعله ابو بكر رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه فاجازه المسلمون • ومن هذا القبيل لو عهد الى اكثر من واحد على وجه التعيين كما فعل عمر رضى الله عنه حيث عهد الى ستة من الصحابة وجعل الأمر شورى بينهم وفوض التعيين اليهم •

فاذا عين الامام الى جماعة للشورى فان هذا طريق لنصب الامام بشرط ان يكون هؤلاء المعينون من اهل الحل والعقد ولا عبرة بالعامة الذين لا بصيرة لهم في الدين ولا في الدنيا ومن العلماء من جعل هذا قسما مستقلا من طرق نصب الامام •

الطريق الثالث : التغلب :

وتكون حينما لا يكون للمسلمين امام واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا بواحد

---

(١) اضواء البيان جـ ١ ص ٦٠ واتمام الوفاء ص ١١ — ١٢

فيجوز والحالة هذه لمن يعترف بنفسه المقدرة على سياسة الأمة بدرايته وعصبيته ان يطلب هذا الامر فيدخل الناس في طاعته اما طوعا واما كرها ومتى هدأت الاحوال واجيب نداؤه صارت امامته معمولا بها وصار واجب الطاعة (١) .

يقول القرطبي :: فان تغلب من له اهلية للامامة واخذها بالقهر والغلبة فقد قيل ان ذلك يكون طريقا آخر للامامية .

وقد سئل سهل بن عبدالله التستري ما يجب علينا لمن غلب بلادنا وهو امام فقال تجيبه وتؤدى اليه ما يطالبك من حقه ولا تنكر فعاله ولا تفر منه .

واذا ائتمنك على سر من امر الدين لم تفشه وقال ابن خوزمنداد : ولو وثب على الأمر من يصلح له من غير مشورة ولا اختيار وبايع له الناس تمت له البيعة . (٢)

ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبدالله بن الزبير وقتله اياه في مكة على يد عامله الحجاج بن يوسف الثقفي فاستتب الأمر له . (٣)

وقال بعض العلماء ان الامامة تنعقد ببيعة واحد وقيل باربعة وقيل غير ذلك ومن ذلك مبايعة عمر لابي بكر في سقيفة بني ساعدة .

والواقع ان الامامة انما تنعقد بمبايعة من تقوى به شوكته وبقدرته على تنفيذ احكام الامامة لأن من لا قدرة له على ذلك كآحاد الناس فلا عبرة به كما تقدم من قبل . (٤)

---

(١) اتمام الوفاء ص١١ - ١٢ واضواء البيان جـ١ ص٦٠

(٢) القرطبي جـ١ ص ٢٦٩ (٣) اضواء البيان جـ١ ص٦٠

(٤) اضواء البيان جـ١ ص ٦٠ - ٦١

الطريق الرابع : النص :

وذلك ما لو نص الرسول صلى الله عليه وسلم بان فلانا هو الامام فانها تنعقد له بذلك قال بعض العلماء ان امامة ابي بكر رضي الله عنه من هذا القبيل لان تقديم النبي صلى الله عليه وسلم له على امامة الصلاة وهي اهم شيء فيه الاشارة الى التقديم له في الامامة الكبرى . يقول القرطبي رحمه الله تعالى :

وبهذا الطريق يقول الحنابلة وجماعة من اصحاب الحديث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على ابي بكر بالاشارة وابو بكر على عمر فاذا نص المستخلف على واحد معين كما فعل الصديق او على جماعة كما فعل عمر فيكون التخيير لهم في تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في تعيين عثمان بن عفان رضي الله عنه والقول بالنص على ابي بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لبعض اهل العلم مستدلين باستخلافه في امامة الصلاة كما تقدم وقد قال الصحابة رضوان الله عليهم (رضيه لدينا افلا نرضاه لدنيانا) فقاسوا الامامة الكبرى على الامامة الصغرى .(١)

كما استدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام للمرأة التى جاءته اذا رجعت ولم تجدينى فأتِ ابا بكر) .(٢)

ولانه صاحبه في الغار وفي الهجرة الى غير ذلك من الفضائل التي لاتحصى لهذا الامام العظيم وابن حزم رحمه الله تعالى يميل الى أن ابى بكر كانت بنص جلي وحديث عائشة يؤيد هذا الرأى (ادعي لي اخاك واباك لاكتب لهما كتابا لا يختلفون بعده ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر) .(٣)

---

(١) القرطبي ج ١ ص ٢٦٨ وفتح الباري ج ١٣ ص ٢٠٣ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٧٩

(٢) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ١٧ ومسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٥٤

(٣) مسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٥٥

غير ان مذهب جمهور اهل السنة على ان امامة ابي بكر لم تكن بنص

قال السيوطي وجمهور اهل السنة على ان امامة ابي بكر لم تكن بنص وان حصلت اشارات عليه بل كانت امامته بالاجماع كما قلنا وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ولم ينص على احد واستدلوا على ذلك بأدلة :

(١) — منها ما اخرجه الشيخان عن عمر انه قال : حين طعن ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابا بكر وان اترككم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١)

(٢) — ومنها ما اخرجه احمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال لما ظهر علي يوم الجمل قال (ايها الناس ان رسول الله لم يعهد الينا في هذه الامارة شيئا حتى رأينا من الرأى ان نستخلف ابا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان ابا بكر رأى من الرأى ان يستخلف عمر فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجيرانه ثم ان اقواما طلبوا الدنيا فكانت امور يقضي الله فيها) (٢)

(٣) — ومنها ما اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن ابي وائل قال قيل لعلي رضي الله عنه (الا تستخلف علينا؟ قال : ما استخلف رسول الله فاستخلف ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم) (٣)

(٤) — ومنها ما اخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال علي رضي الله عنه لما قبض رسول الله نظرنا في امرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ والبخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٠٥

(٢) المسند ج ١ ص ١١٤

(٣) المستدرك ج ٣ ص ١٤٥

قد قدم ابا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا عمن رضيه رسول الله لديننا فقدمنا ابا بكر رضي الله عنه . (١)

٥ - شروط الامام عند اهل السنة :

اذا عرفت طرق نصب الامام عند اهل السنة ، فاعلم ان للامام عندهم شروطا :

الأول :- ان يكون عالما .

لانه منفذ لاحكام الله ومن كان جاهلا بالاحكام لا يمكنه تنفيذها ومجتهدا يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث .

الثاني :- العدالة :

لأن الامامة منصب ديني يجب على القائم به ان ينظر في سائر الاحكام التي تشترط فيها العدالة فكانت اولى ان تشترط فيه .

الثالث :- الكفاية :

بأن يكون شجاعا وجريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها خبيرا باحوال الدهاء قويا في شئون السياسة وبذلك يستطيع القيام بما اسند اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح وضبط الامور الدينية والدنيوية ذا خبرة ورأى حصيف في حماية بيضة المسلمين وسد الثغور والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم . كما قال لقيط : (٢)

وقلدوا امركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا (٢)

---

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٨٣ راجع تاريخ الخلفاء ص ٨ - ٩ وراجع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٠٨ .

(٢) راجع اضواء البيان ج ١ ص ٦٧

الرابــع :ــ
ان يكون سليم الحواس والاعضاء

مما يؤثر فقدانـه في الرأى واستيفاء النظر ومن ذلك عجزه عـن التصرف لصغر سـن وان يكون غـير زمـن • ويدل الاشتراط العلم والجسم قوله تعالى ﴿ ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ (١) يعني في طالوت • (٢)

الخامـس :ــ
ان يكون من صـميم قريش •

قال القرطبي : وقد اختلف في هذا (٣) : وقد تعقبـه صاحب (اضواء البيان) بقوله : (الاختلاف الذي ذكره القرطبي في اشتراط كـون الامام الاعظـم قرشيا : ضعيف وقد دلت الاحاديث الصحيحة على تقديم قريش في الامامـة على غيرهـم واطبـق عليه جماهير العلماء من المسلمين وحكـى غـير واحـد عليه الاجماع : ودعوى الاجماع يحتاج الى تأويل ما اخرجـه الامام احمد عن عمر بسند رجـاله ثقاة انه قال (ان ادركـني أجلـى وابو عبيدة حـي استخلفته) فذكر الحديث وفيه : فان ادركـني وقد مات ابو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل) ومعلوم ان معاذا غـير قرشـي وتأويله بدعـوى انعقاد الاجماع بعد عمر أو تغيـر رأيه الى موافقة الجمهور •

فاشتراط كونه قرشـيا هو الحـق •

ولكن النصوص الشرعية دلت على ان ذلك التقديم الواجب لهم فـي الامامة مشروط باقامتهم الدين واطاعتهم لله ورسوله فان خالفوا امر الله فغيرهم من يطيع الله تعالى وينفذ اوامره اولى منهم • (٤)

---

(١) البقرة : ٢٤٧

(٢) اضواء البيان ج ١ ص ٦٧ والقرطبي ج ١ ص ٢٧٠

(٣) القرطبي ج ١ ص ٢٧٠ (٤) اضواء البيان ج ١ ص ٦١ / ٦٢

فمن الادلة الدالة على ذلك ما رواه البخارى في صحيحه عن معاوية رضى الله عنه حيث قال : باب الامراء من قريش حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهرى قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث انه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش ان عبدالله بن عمرو يحدث انه سيكون ملك قحطان فغضب فقام فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال (اما بعد فانه قد بلغني ان رجالا منكم يحدثون احاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واولئك جهالكم فاياكم والاماني التي تضل اهلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان هذا الأمر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين) (١)

ومحل الشاهد منه قوله عليه الصلاة والسلام (ما اقاموا الدين) لان لفظة ما فيه مصدرية ظرفية مقيدة لقوله (ان هذا الأمر في قريش)

وتقرير المعنى : ان هذا الأمر في قريش مدة اقامتهم الدين ومفهومه انهم ان لم يقيموه لم يكن فيهم وهذا هو التحقيق الذى لا شك فيه في معنى الحديث . (٢)

قال ابن حجر في الكلام على حديث معاوية هذا ما نصه :

وقد ورد في حديث ابي بكر الصديق نظير ما وقع في حديث معاوية ذكره محمد بن اسحاق في الكتاب الكبير فذكر قصة سقيفة بني ساعدة وبيعة ابي بكر وفيها فقال ابو بكر (ان هذا الأمر في قريش ما اطاعوا الله واستقاموا على أمره وقد جاءت الاحاديث التى اشرت اليها على ثلاثة انحاء :

---

(١) البخارى مع الفتح جـ ١٣ ص ١١٣ باب الامراء من قريش رقم الحديث ٧١٣٩

(٢) اضواء البيان جـ ١ ص ٦٢

الاول : وعيدهم باللعن اذا لم يحافظوا على المأمور به كما في الاحاديث التي ذكرتها في الباب الذي قبله المتقدمة حيث قال الامراء من قريش ما فعلوا ثلاثا ما حكموا فعدلوا الحديث وفيه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله .(١)

وليس في هذا ما يقتضي خروج الأمر عنهم .

الثاني : وعيدهم بان يسلط عليهم من يبالغ في اذيتهم فعند احمد وابي يعلى من حديث ابن مسعود رفعه (يا معشر قريش انكم اهل هذا الأمر ما لم تحدثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب) ورجاله ثقات الا انه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم ابيه عبد الله بن مسعود ولم يدركه . هذه رواية صالح بن كيسان عن عبيد الله وخالفه حبيب بن ابي ثابت فرواه عن القاسم بن محمد بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابي مسعود الانصاري .

ولفظه (لا يزال هذا الأمر فيكم وانتم ولاته) الحديث اخرجه احمد (٢) وفي سماع عبيد الله من ابي مسعود نظر مبنى على الخلاف في سنة وفاته وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار اخرجه الشافعي والبيهقي من طريقه بسند صحيح الى عطاء ولفظه قال لقريش (انتم اولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق الا ان تعدلوا عنه فتلحون كما تلحى هذه الجريدة) (٣)

وليس في هذا ايضا تصريح بخروج الأمر عنهم وان كان فيه اشعار به .

الثالث : الاذن في القيام عليهم وقتالهم والايذان بخروج الأمر عنهم كما اخرجه الطيالسي والطبراني من حديث ثوبان رفعه (استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فابيدوا خضراءهم فان لم تفعلوا فكونوا زراعين اشقياء) ورجاله ثقات الا ان فيه انقطاعا لأن رواية سالم بن ابي الجعد لم يسمع من ثوبان وله شاهد في الطبراني من حديث النعمان بن بشير بمعناه .

---

(١) البيهقي جـ ٨ ص ١٤٤

(٢) ولفظ الامام احمد في مسنده من مسند ابي مسعود الانصاري عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر لا يزال فيكم وانتم ولاته حتى تحدثوا اعمالا فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب جـ ٥ ص ٢٤٧

(٣) البيهقي جـ ٨ ص ١٤٤

واخرج احمد من حديث ذى مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة بعدهما راء وهو ابن أخى النجاشى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كان هذا الامر في حمير فنزعه الله منهم وصيره في قريش وسيعود اليهم) وسنده جيد وهو شاهد قوى لحديث القحطانى فان حميرا يرجع نسبها الى قحطان وبه يقوى ان مفهوم حديث معاوية (ما اقاموا الدين) انهم اذا لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم .(١)

٦- سادسا :
ان يكون ذكرا :

ولا خلاف في اشتراط الذكورية في الامامة العظمى بين اهل العلم لما اخرجه البخارى وغيره من حديث ابى بكر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه (ان فارس ملكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة)(٢)

قال القرطبي واجمعوا على ان المرأة لا يجوز ان تكون اماما وان اختلفوا في جواز كونها قاضية فيما تجوز شهادتها فيه .(٣)

سابعا :
من شروط الامام الاعظم ان يكون حرا :

فلا يجوز ان يكون عبدا بلا خلاف بين العلماء .

قال الشيخ محمد الامين الشنقيطي فان قيل قد ورد في الصحيح ما يدل على جواز امامة العبد فقد اخرج البخارى في صحيحه من حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله اسمعوا واطيعوا وان استعمل

---

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ١١٦- ١١٧

(٢) البخارى مع فتح البارى ج ٨ ص ١٢٦ والترمذى ج ٤ ص ٥٢٧

(٣) القرطبي في تفسيره ج ١ ص ١٧٠

عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) (١)

ولمسلم من حديث ام الحصين (اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله) (٢)

ولمسلم ايضا من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال (اوصاني خليلي ان اطيع واسمع وان كان عبدا حبشيا مجدوع الأطراف) (٣)

فالجواب من أوجه :

(١) الوجه الأول : انه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود فاطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة وان كان لا يتصور شرعا ان يلي ذلك . ذكر ابن حجر هذا الجواب عن الخطابي .

ويشبه هذا الوجه قوله تعالى ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين ﴾ (٤) على احد التفسيرات .

(٢) الوجه الثاني : ان المراد باستعمال العبد الحبشي ان يكون مؤمرا من جهة الامام الاعظم على بعض البلاد . وهو اظهرها فليس هو الامام الاعظم .

(٣) الوجه الثالث : ان يكون اطلق عليه اسم العبد نظرا لاتصافه بذلك سابقا مع انه وقت التولية حر ونظيره اطلاق اليتم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقا في قوله تعالى :

﴿ وآتوا اليتامى اموالهم ﴾ (٥) الاية وهذا كله فيما يكون بطريق الاختيار .

---

(١) البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٢١

(٢) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢١

(٣) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢٥

(٤) الزخرف : ٨١ (٥) النساء : ٢

اما لو تغلب عبد حقيقة بالقوة فان طاعته تجب اخمادا للفتنة وصونا للدماء ما لم يأمر بمعصية والمراد بالزبيبة في هذا الحديث واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب اذا جف والمقصود من التشبيه التحقير وتقبيح الصورة لأن السمع والطاعة اذا وجبا لمن كان كذلك دل ذلك على الوجوب على كل حال الا في المعصية • (١)

الثامن : ان يكون بالغا :

فلا تجوز امامة الصبي اجماعا لعدم قدرته على القيام باعباء الخلافة • قال القرطبي (ولا خلاف في هذا الشرط) (٢)

وهذا مبني على عدم اعتبار مخالفة الشيعة الاثنى عشرية القائلين بصحة امامة بعض أئمتهم في حال الطفولة فقد قالوا بامامة الجواد والهادى في حال الطفولة حيث تولى الامامة الاول اى محمد الجواد وهو ابن سبع سنين واربعة اشهر ويومان في قول وقيل وهو ابن تسع سنين وشهرا • وتولى الثاني وهو على الهادى الامامة في نظر الشيعة الامامية الاثنى عشرية وهو ابن ست او ثماني سنين (٣) وقد تقدم القول في ذلك في الكلام على الأئمة الاثنى عشر من هذه الرسالة •

---

(١) اضواء البيان جـ ١ ص ٦٥ — ٦٦ والقرطبي جـ ١ ص ٢٧٠

(٢) القرطبي جـ ١ ص ٢٧٠ واضواء البيان جـ ١ ص ٦٦

(٣) الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار ص ٢٨٤

ونظرية الامامة ص ٣٦٢

٦ — السر في تخصيص قريش بالامامة :

ان السر في تخصيص قريش بالامامة هو وجود العصبية والكفاية فيهم وهذه العصبية بها تكون الحماية ويرتفع الخلاف فتسكن النفس الى القرشي اكثر من غيره وبذلك ينتظم حبل الالفة بين الناس ولا شك ان قريشا كان لهم العز والشرف على سائر مضر يعترف لهم بذلك سائر العرب فلو جعل الأمر في غيرهم لكان ذلك مظنة افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم فتتفرق الكلمة وتختلف الجماعة وهذا ما حذره الشارع الحكيم فاذا جعل فيهم الأمر لم يقع شيء من ذلك لانهم في مقدرة على سوق الناس بالغلب لما يراد منهم فلا يخشى من احد اختلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون بدفعها ومنع الناس ويشهد لذلك ان العرب لما سمعوا ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته الناس للدين القويم فكان العرب ينتظرون ماذا عسى قريش ان تفعل فلما دخلت قريش في الاسلام وفتحت مكة تتابع العرب في الدخول في الاسلام افواجا افواجا ومن هنا جاء في الحديث الثابت (الناس تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم)(١)

فكان لقريش في الجاهلية مكانة عالية من بين قبائل العرب وهم سكان الحرم فكان العرب ينظرون الى قريش نظرة اجلال واكبار .

غير ان بعض اهل العلم رأى ان كل من وجدت فيه هذه العصبية والحماية جازت امامته لأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما . يقول الشيخ محمد الخضري بك : قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه(٢) :

واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من

---

(١) البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٣٦ ومسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٠٠

(٢) اتمام الوفاء ص ٩

العصبية والغلب .

وتأملنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا أمة علمنا ان ذلك من الكفاية وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبية قوية غالبة ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وانما يخص بهذا العهد كل قطر بمن تكون فيه العصبية الغالبة .(١)

وهذا القول هو الذي تميل اليه النفس لا سيما اذا لم يوجد في قريش من له المقدرة والكفاية التامة لحماية الدين في عصر ما ووجد في غيرهم .

فاذا وجدت العصبية والكفاية التامة في غير القرشي صحت امامته لأن المقصود من الامامة حراسة الدين وحماية الاسلام وتنفيذ الاحكام .

غير ان هذه العصبية اذا وجدت في قرشي مع غيره كان القرشي اولى بالامامة من غيره .

على ان الشيخ ابازهرة يميل الى ان اشتراط القرشية في الامامة ليس شرط صحة وانما هو شرط كمال ويقول (٢) : ان حديث (الأمر في قريش) (٣) يجوز ان يكون من قبيل الاخبار بالغيب بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا) (٤)

---

(١) اتمام الوفاء ص١٠ (٢) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٩١

(٣) مسلم مع النووى جـ ١٢ ص ٢٠١

(٤) قال ابن حجر في الفتح جـ ٦ ص ٥٢٧ رواه احمد والحارث وابو حاتم ورواه ابو داود جـ ٤ ص ٢٨٣

٧ - امامة المفضول مع وجود الأفضل :

يجوز امامة المفضول مع وجود الأفضل عند اهل السنة ويوافقهم على ذلك الزيدية خلافا للامامية الاثني عشرية وذلك اذا خيفت الفتنة وعدم استقامة امر الأمة الا بذلك وبيان هذا ان الامام انما ينصب لدفع العدو وحماية بيضة الاسلام وسد الثغور واستخراج الحقوق واقامة الحدود وحفظ اموال الايتام والمجانين والنظر في امورهم وجباية الاموال لبيت المال وقسمتها على اهلها الى غير ذلك.

فان خيف باقامة الافضل الهرج والفساد وتعطيل الامور التي لاجلها ينصب الامام كان ذلك عذرا ظاهرا في العدول عن الفاضل الى المفضول ويدل على ذلك ايضا علم عمر وسائر الأمة وقت الشورى بأن الستة فيهم فاضل ومفضول وقد اجاز العقد لكل واحد منهم اذا أدت المصلحة الى ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير انكار أحد عليهم.(١)

ومن الشواهد على جواز امامة المفضول مع وجود الافضل ان ابا بكر رضي الله عنه قال يوم السقيفة قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني ابا عبيدة وعمر(٢) وابو بكر رضي الله عنه افضل منهما فما قال احد من المسلمين انه قال ما لا يحل في الدين.

ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفي المسلمين عدد كبير ممن كان افضل منه.

وسلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر لمعاوية رضي الله عنه مع وجود بقايا الصحابة ممن هو افضل منه بلا خلاف وبايعوه على الامامة.

---

(١) القرطبي جـ ١ ص ٢٧١

(٢) البخاري جـ ٧ ص ٣٠ مع فتح الباري

قال ابن حزم : وبرهان صحة من قال : لن الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان قول من خالف ذلك • انه لا سبيل الى ان يعرف الأفضل الا بنص او اجماع او معجزة • فالمعجزة ممتنعة ها هنا بلا خلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص •

وبرهان اخر وهو ان الذى كانوا بـه من معرفة الافضل ممتنع محال لان قريشا متفرقون في البلاد من أقصى السند الى أقصى الأندلس فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف بمعرفة احوالهم / فكيف وبمعرفة افضلهم •

وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندرى انه لا يدرى احد فضل انسان على غيره ممن بعد الصحابة الا / بالظن والحكم بالظن باطل •

ثم ان رسول الله قد قلد أقواما على النواحي وصرف تنفيذ جميع الاحكام التي ينفذها الأئمة وكان غيرهم ممن لم يستعمله افضل منهم •

فقد استعمل ابا سفيان على نجران وعمرو بن العاص على عمان وعتاب بن اسيد على مكة وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص ولا خلاف في ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار بن ياسر واباذر افضل ممن ذكرنا • ثم الصفات التي يستحق بها الامامة ليس منها التقدم في الفضل • [1] انتهى الغرض منه بتصرف •

٨ ــ عدم جواز تعدد الأئمة :

ان الامام في نظر جمهور اهل السنة لا يجوز تعددهم بل يجب ان يكون واحدا لما في تعددهم من المفاسد ومن هنا لا يصح ان يكون في عصر واحد خليفتان او امامان لما يجره ذلك كما قلنا من التنافس والتباغض اللذين فيهما الويل والخسران للعالم الاسلامي والتجربة اكبر برهان فالعالم الاسلامي منذ انتهت الخلافة الاسلامية يشاهد تفرقا وتمزقا في جميع المجالات وكان هذا

(١) الفصل : جـ ٤ ص ١٦٥

التفرق قد بدأ حين ضعفت الدولة العباسية فاستقلت الاندلس بسلطانها فوجد العدو فرصة سانحة للدخول بين المسلمين فكان ملوك الروم يتقربون الى ملوك الاندلس ليكونوا لهم ردءا مانعا من تعدى العباسيين عليهم وصارت الحال من سيء الى اسوأ حتى يومنا كل ذلك من اثر تعدد الأئمة فاستطنعت الحدود والفروق بين المسلمين فتفرقت الكلمة وتمكن العدو فانا لله وانا اليه راجعون. (١)

هذا هو القول الاول في مسألة تعدد الأئمة في العصر الواحد واستدل لهذا القول بما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما) (٢)

ولمسلم ايضا من حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه ، وفي رواية (فاضربوه بالسيف كائنا من كان) (٣)

ولمسلم ايضا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : من بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر ثم قال سمعته اذناى من رسول الله ووعاه قلبي) (٤)

القول الثاني : قول الكرامية فهم يقولون بجواز تعدده محتجين بان عليا ومعاوية كانا امامين واجبي الطاعة كلاهما على من معه وبان ذلك يؤدى الى

---

(١) اتمام الوفاء ص٧ وراجع السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص١٤٤–١٤٥ باب لا يصلح امامان في عصر واحد .

(٢) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٤٢ (٣) مسلم مع النووى ج ١٢ ص ٢٤١

(٤) المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٣٣

كون كل واحد منهما اقوم بما لديه واضبط لما يليه وبجواز بعث نبيين في عصر وهذا باطل لان معاوية ايام نزاعه مع علي لم يدع الامامة لنفسه وانما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الأئمة ويدل لذلك اجماع الأمة في عصرهما على ان الامام احدهما فقط لا كل منهما ولا قال احدهما اني امام ومخالفي امام والاستدلال يكون كل واحد يكون اقوم بما لديه واضبط لما يليه . يرده قوله عليه الصلاة والسلام (فاقتلوا الاخر منهما) (١) ولأن نصب خليفتين يؤدى الى الشقاق والى حدوث الفتن (٢) .

القول الثالث : التفصيل في الموضوع فيمنع نصب امامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة و يجوز في البلاد المتباعدة كالاندلس وخراسان .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٣) الاية . بعد نقله للقول الاول وذكر ادلته/ قال ولكن اذا تباعدت الاقطار وتباينت كالاندلس وخراسان جاز ذلك وذكر ان الاستاذ ابا اسحاق كان يجيز ذلك في اقليمين متباعدين غاية التباعد لئلا تتعطل حقوق الناس واحكامهم . (٤)

قال ابن كثير : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والاموبين بالمغرب (٥) .

---

(١) مسلم ج ١٢ ص ٢٤٢

(٢) اضواء البيان ج ١ ص ٦٩ ـ ٧٠

(٣) سورة البقرة آية ٣٠

(٤) القرطبي ج ١ ص ٢٧٣

(٥) ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ١٣١

والباحث يجد نفسه تميل الى هذا التفصيل لانه يترتب على القول بعدمه تعطيل المصالح والاحكام وعدم جواز نفوذها منذ سقطت الخلافة الاسلامية وهو باطل لان الاحكام ما زالت تنفذ في بعض الاقطار الى يومنا هذا ومن هنا رأينا ترجيح هذا القول اذا كانت البلاد متباعدة ومتباينة ولم يمكن نصب امام واحد فيها والله أعلم •

٩ - وظيفة الامام واستمداده للاحكام الشرعية :

قلنا من قبل ان وظيفة الامام هي حراسة الدين وحماية الأمة ونشر العدالة الاجتماعية •

فالواجب عليه ان يكون الشرع قائده ولا ينحرف عنه لا يمنة ولا يسرة فامامه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويتقيد بالسنة العادلة الصحيحة واجماع أئمة المسلمين خلافا للامام عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية فالامام عندهم هو المشرع بل له السلطة الكاملة فلا يخطىء في الاحكام وانه يعلم الغيب كما سيأتي في الكلام على خصائص الامام عندهم ان شاء الله تعالى •

وغرضنا هنا ان نقرر ان الامام عند اهل السنة ليس له علم خارج عن الكتاب والسنة والاجماع والقياس ومن هنا كان على الامام ان يختار نخبة من اهل العلم يستعين بهم في معرفة الاحكام لا سيما في المسائل التي لا نص فيها صراحة فمصدر علم الامام عند اهل السنة كما قلنا الكتاب والسنة فليس له الاستقلال في الاحكام كالحال لدى الشيعة الاثنى عشرية الذين اعطوا الامام صفة العصمة • فالامام عند اهل السنة يجوز عليه الخطأ فليس بمعصوم لقوله عليه الصلاة والسلام (اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر واحد) (١)

---

(١) البخارى مع فتح البارى ج ١٢ ص ٣١٨ ومسلم مع النووى ج ١٢ ص ١٣

وقد تمثل ذلك في خطبة أبي بكر رضي الله عنه لما تمت له البيعة فاستهل خلافته بخطبة تعتبر نموذجا لسيرته الحسنة حيث قال :

(أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان صدفت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم) (١)

---

(١) اتمام الوفاء ص ١٦

١٠ — حكم مخالفة الامام والخروج عليه :

اعلم انه لا تجوز مخالفة الامام ما دام يطابق قواعد الدين وما دام لم يخالف نصا صريحا من القرآن او السنة الظاهرة المكشوفة فامره ما دام على هذه الصفة مطاع واجب التنفيذ وكذلك اذا كان امره باجتهاد مستند الى الكتاب والسنة غير مبنى على هوى فانه يطاع والحالة هذه غير انه مما ينبغي التنبيه عليه ان طاعة الامام او الخليفة في نظر اهل السنة غير مطلقة كطاعة الله ورسوله بل هي محدودة بما ذكرنا فاذا خرج عن ذلك فأمر بما بما خالف صريح القرآن او السنة فلا طاعة له حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١) ولقوله عليه الصلاة والسلام (فاذا امرت بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (٢) كما اذا أمر بشرب الخمر او ترك الصلاة مثلا فلا يجوز طاعته في مثل هذا .

فطاعة الامام محدودة وغير مطلقة كما قلنا ولذا لم تطلق في الاية مع اطلاقها في طاعة الله وطاعة رسوله قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم ﴾ (٣) فطاعة الامام تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله .

ومن الشواهد على ذلك قصة الصحابي الذى أمر اصحابه بدخول النار وكان اميرا عليهم فامتنعوا . فلما اخبر الرسول قال (لو دخلوها ما خرجوا منها انما الطاعة في المعروف) (٤)

---

(١) مسلم مع النووى ج ١٢ ص ٢٢٧

(٢) مسلم مع النووى ج ١٢ ص ٢٢٦

(٣) سورة النساء اية ٥٩

(٤) مسلم مع النووى ج ١٢ ص ٢٢٧

واما الخروج على الامام فلا يجوز للامة لما في ذلك من المفاسد فاذا خرج عن حد الشرع في اعماله الشخصية كشرب الخمر وترك الصلاة مثلا فالواجب على الرعية في مثل هذه الظروف القيام عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا يخافوا في ذلك لومة لائم عملا بحديث عبادة بن الصامت (وعلى ان نقول الحق اينما كان ولا نخاف في الله لومة لائم) [(١)] ولكن بشرط ان لا يؤثر ذلك في طاعته .

فلا يجوز الخروج عليه واشهار السلاح في وجهه ابدا مهما استأثر اوفعل الا ان يأتي بكفر بواح ومعنى البواح الظاهر المكشوف الذى لا تأويل فيه [(٢)] لانه كما في حديث عبادة (وان لا ننازع الأمر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) [(٣)]

يقول الاستاذ محمد الخضرى بك : وهنا لا امامة له ولا طاعة بل يجب على كل مسلم القيام عليه حتى يبوء بالخزى والنكال عقوبة له وغيره على محارم الله . [(٤)]

وهذا هو الذى سلكه الصحابة في امر يزيد بن معاوية فقد اشتهر عنه ارتكاب المعاصي ومع ذلك فلم ير الصحابة الخروج عليه واشهار السيف في وجهه ما عدا الحسين رضى الله عنه الذى رأى الخروج على يزيد وانه ليس أهلا لولاية المسلمين مع نصيحة بعض الصحابة له بعدم الخروج عليه [(٥)] وقد تقدم القول في ذلك في الفصل الثاني من الباب الاول من هذه الرسالة عند الحديث على خروج الحسين رضى الله عنه .

---

(١) البخارى مع فتح البارى ج ١٣ ص ١٩٢

(٢) اتمام الوفاء ص ١٣ ـ ١٤

(٣) البخارى مع فتح البارى ج ١٣ ص ٥

(٤) اتمام الوفاء ص ١٤ (٥) المصدر السابق ص ١٤

والواقع انه لا يجوز الخروج على الامام وانه لا تجوز منابذته لما يجره ذلك من المفاسد واثارة الفتنة .

يقول القرطبي :

ولو خرج خارجي على امام معروف العدالة وجب على الناس جهاده فان كان الامام فاسقا والخارجي مظهر العدل لم ينبغ للناس ان يسرعوا الى نصرة الخارجي حتى يتبين امره فيما يظهر من العدل او تتفق كلمة الجماعة على خلع الاول وذلك ان كل من طلب مثل هذا الأمر اظهر من نفسه الصلاح حتى اذا تمكن رجع الى عادته من خلاف ما أظهر . (١)

---

(١) القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٧٣

الفصل الثانــي

وجوب الامامــة وصاية وتعيينا عند الاثنى عشرية

١ ـ الامامة ركن اعتقادي وابطال اهل السنة لذلك :

ان الامامة في نظر الشيعة الامامية تعتبر ركنا من اركان الاسلام واصلا من اصوله فلا يتم الايمان بدون الاعتقاد بها ٠

يقول الكليني : ان الامامة عهد معهود من الله تعالى ٠ (١)

ويقول الحلى : في " منهاج الكرامة " إن مسألة الامامة هي التي يحصل بادراكها درجة الكرامة وهى احد أركان الايمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن وانها اهم المطالب في احكام الدين واشرف مسائل المسلمين ٠ (٢)

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر في بيان عقائد الامامية ما نصه :

ونعتقد ان الامامة اصل من اصول الدين لا يتم الايمان الا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الاباء والاهل والمربين بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة ٠

كما نعتقد انها كالنبوة لطفا من الله تعالى فلا بد ان يكون في كل عصر امام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر ٠ وعلى هذا فالامامة استمرار للنبوة والدليل الذى يوجب ارسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب ايضا نصب الامام بعد الرسول فلذلك نقول :

ان الامامة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان النبي صلى الله

---

(١) اصول الكافي ج ٢ص ٢٧٧

(٢) منهاج الكرامة ص٧٧

عليه وسلم اولسان الامام الذى قبله وليست هى بالاختيار والانتخاب من الناس كما نعتقد انه لا يخلو زمان من امام (١) الخ ..

ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء :

بعد ان ذكر اركان الاسلام عند الامامية وهي : التوحيد والنبوة والمعاد والعمل بالدعائم التي بني الاسلام عليها وهي خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد (٢) ثم قال : لكن الشيعة الامامية زادوا ركنا خامسا وهو الاعتقاد بالامامة بمعنى ان الامامة منصب الهي كالنبوة فكما ان الله تعالى اختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه .

فكذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه ان ينص عليه وان ينصبه اماما للناس بعده . (٣)

اما الشيخ حسن الامين فيصور نظرية الشيعة في الامامة بانها شىء بسيط فطرى لا تعقيد فيه ولا انحراف حسب تعبيره وان التشيع في جوهره وحقيقته مبنى على الاخذ بنظرية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم وأجل واعقل من ان يترك امر المسلمين من بعده فوضى فيقعوا فريسة للتذابح على من يتولى السلطة للدولة التي انشأها مع الدين جنبا الى جنب وان اى انسان ولو لم تكن له رسالة النبي الالهية ورحمته الانسانية لا يمكن ان ينسب اليه هذا الاجمال .

فكيف بمن هو رسول الله و يتمتع في نفس الوقت بعبقرية شخصيته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) عقائد الامامية ص٤٩ ـ ٥٠

(٢) اصل الشيعة واصولها ص ٩٤ (٣) المصدر السابق ص٩٨

ان هذا في رأى الشيعة لا يمكن ان يقع وان الشيعة يرون ان هذه الاقوال الثابتة عند جميع المسلمين ان النبي قالها هي نص او على الاقل اشارة الى ان الذى يتولى الامر بعده هو على بن ابي طالب. (١)

والقارئ اذا وقف على هذه النصوص التي سقناها من كتب الشيعة عرف نظرية القوم في وجوب الامامة ومكانتها في الدين عندهم وانها ركن من اركان الاسلام وجزءًا من الايمان وان الامامة قرينة النبوة وان نصب الامام راجع الى الله لا الى الأمة .

كما هو مذهب اهل السنة كما تقدم وانه لا يخلو زمان من امام .

وهذا كله مخالف لما عليه اهل السنة والجماعة في امر الامامة وقد انتقد علماء السلف هذه النظرية .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

واما كون الامامة اهم مطالب الدين فكذب بالاجماع اذ الايمان اهم مطالب الدين ، فمن المعلوم بالضرورة ان الكفار على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا اسلموا اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يذكر لهم الامامة بحال فكيف تكون اهم المطالب ام كيف يكون الايمان بامامة محمد بن الحسن المنتظر من اربعمائة ونيف وستين سنة (٢) ليخرج من سرداب سامراء اهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه . (٣)

وقولهم ان الامامة ركن من اركان الايمان جهل وبهتان فان النبي صلى

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ج ١ ص ١٠

(٢) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية واما الان فله اكثر من الف سنة

(٣) المنتقى ص ٢٥ وراجع منهاج السنة ج ١ ص ١٦ — ١٧

الله عليه وسلم فسر الايمان وشعبه كما في حديث جبريل الطويل ولم يذكر الامامة في اركانه ولا ورد ذلك في القرآن بل قال تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ الاية (٣)

الى غير ذلك من الايات ولم يذكر الامامة ولا انها من اركان الاسلام. (٤)

واما حديث (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) فهذا الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولا قاله النبي صلى الله عليه وسلم هكذا.

والمعروف ما روى مسلم ان ابن عمر جاء الى عبد الله بن مطيع حسين كان من امر الحرة ما كان فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال : اني لم آتك لأجلس أتيتك لاحدثك حديثا سمعت رسول الله يقول (من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (٥) وهذا حديث حدث به ابن عمر لما خلعوا أمير وقتهم يزيد مع ما كان منه من الظلم.

فدل الحديث على ان من لم يكن مطيعا لولاة الامر او خرج عليهم بالسيف مات ميتة جاهلية وهذا ضد حال الرافضة فانهم ابعد الناس عن طاعة الامراء الا كرها.

---

(١) الانفال اية : ٢ (٢) الحجرات اية : ١٥

(٣) البقرة اية ١٧٧

(٤) المنتقى، ص٢٨ وراجع منهاج السنة ج ١ ص ٢٥

(٥) مسلم ج ١٢ ص ٢٤٠

وهذا الحديث يتناول من قاتل في العصبية والرافضة رؤوس هؤلاء ولكن لا يكفر المسلم بالاقتتال في العصبية فان خرج عن الطاعة ثم مات ميتة جاهلية لم يكن كافرا وفي صحيح مسلم عن جندب البجلي مرفوعا (من قتل تحت راية عمية يدعو الى عصبية او ينصر عصبية فقتلته جاهلية) (١)

وفي مسلم عن ابي هريرة (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية) (٢)

فطالما خرجت الرافضة عن الطاعة وفارقت الجماعة وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فان من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية) (٣)

ثم لو صح هذا الحديث لكان حجة عليهم اذ ليس فيهم من يعرف امام زمانه او رأى من رآه اوحفظ عنه مسألة بل يدعون الى صبي ابن ثلاث او خمس سنين دخل سردابا منذ سنة ٢٦٠ ولم تره عين ولا اثر ولا سمع له حس ولا خبر .

وانما امرنا بطاعة أئمة موجودين معلومين لهم سلطان وان نطيعهم في المعروف دون المنكر . (٤)

فليس منصب الامام مقارنا للنبوة كما تقول الاثنا عشرية فالنبي ينصبه الباري عز وجل والامام تنصبه الامة وانما بين الشارع صفاته كما بين صفات

---

(١) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٣٨

(٢) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٣٨

(٣) مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٤٠ والبخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٢١

(٤) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧ ـ ٢٨ والمنتقى ص ٢٩ ـ ٣٠

المفتي والقاضي والشاهد والواجب على الامام من تنفيذ الاحكام والقيام بالجهاد بالنفس والمال يمكن ان تقوم به الأمة وانما وجب على الأمة الاسلامية اختيار امام يقوم بذلك ليكون الامر منظما وهذه هي الحكمة في اختيار الامام .

يقول صاحب التحفة :

اعلم ان اول ما اختلف فيه من مسائل الامامة كون نصب الامام واجبا على العباد او على الله تعالى .

فاهل السنة على الاول والشيعة على الثاني .

والفطرة شاهدة للاول اذ كل فرقة تقرر لانفسهم رئيسا / بينهم وكذا الشرع ايضا اذ الشارع قد وضع شرائط الامام واوصافه ولوازمه بوجه كلي كما هو شأنه في الامور المطلبة كالنكاح ولوازمه مثلا .

وأيضا لا معنى للوجوب عليه تعالى .

بل هو مناف للألوهية والربوبية وايضا كل ما يتعلق بوجود الرئيس العام من امور المكلفين من اقامة الحدود والجهاد وتجهيز الجيوش الى غير ذلك واجب عليهم فلا بد ان يكون نصب الامام واجبا عليهم .

ألا ترى ان الوضوء وتطهير الثوب وستر العورة واجب على المصلي كالصلاة لا عليه تعالى وهذا ظاهر .

وايضا ان تأملنا ان نصب الامام من قبل الباري يتضمن مفاسد كثيرة لأن اراء العالم مختلفة واهواء نفوسهم متباينة . ففي تعيين رجل ليأتم به العالم في جميع الأزمنة الى منتهى بقاء الدنيا ايجاب لتهييج الفتن وجر لأمر الامامة على التعطيل ودوام الخوف كما وقع للجماعة الذين تعتقد الشيعة امامتهم .(١)

---

(١) التحفة الاثنى عشرية ص١١٦

٢ — وجوب الامامة عقلا وابطال اهل السنة له :

ولقد احتضنت الامامية فكرة القول بالوجوب على الله وطبقوا الفكرة على وجوب الامامة على الله عقلا فقالوا كيف يمكن تصور حال الأمة بدون امام ·

انه وضع لا يمكن تصوره ما دام الانسان مزودا بقوى شهوانية ومن شأن ذلك ان تبعث فيه الفساد وحب التسلط على الغير فيشيع الهرج والمرج بين الناس فلا يستقر لهم حال ·

ومن القضايا المسلمة ان الناس يختلفون في الاراء والاهواء وقد طبع فيهم الشحناء والبغض فيما بينهم وقلما يتقاد بعضهم لبعض وفي النهاية يفضى الامر الى التنازع والاختلاف فتتعطل المعائش ويصير كل فرد مشغولا بحفظ ماله ونفسه تحت سيفه فيقع الضرر والاضرار ويهلك الناس ·

فالامامة اذن واجبة لحفظ الشريعة من الضياع ودفع الفساد واقامة الحدود ونشر الاحكام وانصاف المظلوم من الظالم ولا يكفى في ذلك نصب الانبياء لانه بانتقالهم الى الدار الاخرة يبقى الناس وما فرطوا فيه من شهوة وغضب فلا يرتفع الفساد ولا يصلح النظام ·

كما لا يكفي لدفع الفساد وجود كتاب الله اذ لا بد من قيم عالم بما فيه حتى لا تختلف الفرق في تفسيره وتتعارض المذاهب في تأويله ذلك ان آيات القرآن مجملة واكثر الاحكام غير معلومة من ظاهر القرآن فلا بد من وجود مفسر من جانب الله لاستنباط الاحكام من القرآن ولو كان كتاب الله كافيا لما حدث الاختلاف في التفسير · (١)

ومن هنا قالت الامامية وجوب الامامة لطف الهي فذكروا في تقريره انه اذا كان في نصب الامام استجلاب المنافع التي لا تحصى ودفع المضار

---

(١) نظرية الامامة ص ٧٠ — ٧١

التي لا تخفى وبنصبه يتم صلاح المعاش والمعاد فان العدالة الالهية تقتضي ان لا يحرم الناس من التشريع السماوي والتوجيه الرباني بنصب الامام من الله ٠

ان عناية الله تقتضي ان لا يترك العالم خاليا من رئيس يدبر الامور وامام يجمع الناس يعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية والله قد ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ (١)

ثم كيف يترك الله ابليس يغوى العباد ويضلهم عن الفرض دون ان يبعث من لدنه اماما عن الصادق عن ابائه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه ٠

لم اترك الارض الا فيها عالم يعرف طاعتي وهداي ولم اترك ابليس يضل الناس وليس في الارض حجة داع الى هاد الى سبيلي ٠

واذا كان تعالى قد خلق في الانسان القوى الشهوانية والغضبية والوهمية ولم يجعل لهم القوة القدسية التي تعصمهم من الزلل وتحميهم من ارتكاب الشر وتحملهم على الخير فقد وجب عليه ان ينصب اماما يقرب المكلف من الطاعة ويبعده عن القبائح فهو يريد لعباده الطاعة ويكره لهم المعاصي وكلف كل نفس وسعها ٠

فوجب عليه اللطف في تكليفهم احسانا منه اليهم لانه اذا كلفهم وجب عليه فعل الاصلح لهم ٠

فنصب الامام اذن لطف وكل لطف فهو واجب عليه تعالى فنصب الامام واجب على الله ٠ (٢)

---

(١) سورة الانعام اية ١٢

(٢) نظرية الامامة ص ٧١ — ٧٢

وقضيــة الوجوب على الله اصل اعتزالي اخذتــه الامامية من المعتزلــة اوان الامامية قالت بقول المعتزلة واهل السنة يخالفون في ذلك فلا يوجبون على الله شيئا اذ هو الخالق للكل والكل ملك لــه فالمتصرف في ملكـــــــــه لا يجـب عليه شيء فيه ولا معنى للوجوب هنا ومن هذا الاصل تفرع القول بالصلاح والاصلح وانه يجب عليه فعل الاصلح • واهل السنة يقولون ان افعال الله لا تخلو من حكمة سواء ظهرت الحكمة للبشر ام خفيت •

ومن هذه الفكرة كما قلنا انبثقت فكرة القول باللطف على الله في وجوب الامامة •

واهل السنة ينتقدون هذه الفكرة ايضا يقول صاحب التحفة :

وقولهم في نصب الامامــة لطف في غـاية السفاهـــة يضحك عليــه اذ لوكان لطفا لكان بالتأييد والاظهـــار لا بغلبـــة المخالفين والانتصار واذا لم يكـن التأييد في الدين لم يكن النصب لطفا كما يظهـــر لذى عينيــن • (١)

غـير ان هذا اللطف من الله في نظر الشيعة لا يقتضـى اقتـــدار الأئمـة على الناس وتمكينهم لان حجـة الله على الناس بوجودهم وحجـة الامام على الناس تبليـغ اوامر الله وقيامه بما كلفه الله بـــه وليس لطف الله في تمكين الامام من الناس اوتسليطه عليهم لان هذه من الفضـلات لا من الواجبات • (٢)

وقد اثار هذا انتقادات شـديدة على الشيعة من جانب اهل السنة لما فيه من تناقض •

يقول الدكتور صبحـى :

ويـبدو ان رأى الشيعة القائل بان اللطف في وجـوب الامامـــة

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص١١٦

(٢) نظريــة الامامة ص٧٤

لا في اظهاره فضلا عن تمكينه قد اثار عليهم موجة من النقد .

اذ كيف يتم قرب العبد من الطاعة وبعده عن المعصية بامام غير ظاهر فضلا عن كونه غير متمكن وانما يحصل اللطف بامام ظاهر قاهر .

وهم لا يوجبونه فالذى يوجبونه ليس بلطف وذكر عن الرازى انه انتقد الفكرة بقوله : ان اللطف الذى قررتموه انما يحصل من نصب امام قاهر سائر يرجى ثوابه ويخشى عقابه وانتم لا تقولون بوجوب نصب مثل هذا الامام .

اما الامام الذى لا يرى له في الدنيا لا اثر ولا خبر فلا نسلم انه لطف البتة لان الامام الذى يمكن بيان كونه لطفا لا توجبون وجوده والذى توجبون وجوده لا يمكن بيان كونه لطفا فسقط الاستدلال . (١)

ولعل اعنف انتقاد وجه الى الشيعة في القول باللطف ما ذكره ابن تيمية حيث يذكر ان هذا الامام الذى تصفه الامامية مفقود غائب معدوم لا حقيقة له عند سواهم ومثله لا يحصل به شىء من مقاصد الامامة بل الامام الذى يقوم وفيه جهل وظلم انفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه . (٢)

فان احتج بان الرعية لم تمكنه فهو ذنبهم . قيل اذا كان عاجزا مقهورا عن دفع الظلم عن نفسه فما الظن برعيته وكيف يتم اللطف وهو عندكم خائف لم يمكنه الظهور خوفا من القتل .

ولا فرق بين ان يخلق الله اماما معصوما ولكنه غائب وبين الا يخلقه

---

(١) نظرية الامامة ص ٧٤ — ٧٥

(٢) منهاج السنة ج ٣ ص ٢٤٧ والمنتقى ص ٤٠٦

فلا يكون ذلك واجبا عليه وحينئذ فلا يلزم وجوده فالقول بوجوب وجوده دون تمكينه باطل على التقديرين (١) .

واضاف ابن تيمية يقول :

ان كان الله اوجب على الناس طاعتهم ولكن الخلق عصوهم قبل لم يحصل في العالم لا لطف ولا رحمة فالمنتظر لم ينتفع به من اقربه او من جحده واما سائر الائمة الاثنى عشر سوى على رضى الله عنه فكانت المنفعة باحدهم كالمنفعة بامثالهم من أئمة الدين والعلم واما المنفعة المطلوبة من اولى الامر فلم تحصل بهم . (٢)

غير ان ابن تيمية اشار الى ان فكرة اللطف الالهى ووجوب فعل الاصلح على الله اخذها شيوخ الامامية المتأخرين من المعتزلة كالمفيد والموسوى والطوسى وان قدماء الشيعة لا يوجد في كلامهم شيء من هذا وانه لا مدخل لهذه المسائل في الامامة عندهم . (٣)

فاهل السنة كما قلنا ينكرون القول بالوجوب وباللطف على الله لما يقتضيه معنى الوجوب من اللزوم او الاستحقاق لتارك الفعل من الذم العقلى او تركه ما يجب عليه فعله وما في ذلك من الاخلال بالحكمة .

يقول الرازى وان سلمنا ان نصب الامام لطف فلا نسلم ان اللطف واجب لانه لا يجب على الله شيء أصلا . (٤)

ويقول الدكتور صبحى تعقيبا على هذه النظرية :

يتضح لنا ان النظرية الشيعية في الامام لم تستمد اصولها الاولى من

---

(١) المنتقى ص٤٠٨ ـ ٤٠٩ وراجع منهاج السنة ج ٣ ص ٢٤٨

(٢)

(٣) المنتقى ص٣٣ وراجع منهاج السنة ج ١ ص٣١/٣٠

(٤) نظرية الامامة ص٧٦

الواقع او نظام الحكم القائم لاصلاحه وانما بدأت عن تصور عقلي بحت وهـــذا ما أشار اليه الرازي اشارة خاطفة حين قال : لو كان نصب الامام واجبـــا على الله لفعله ولكنه ما فعله والواحد منا اذا احتاج الى هذا الامام لم يجد له البتة اثرا ولا خبرا • (١)

قال الدكتور صبحي :

وبالرغم من ان المذهب الشيعي قد عارض نظام الخلافة الاسلامية بعد الرسول في سياسة الأمة بدعوى الاصلاح فان نظرية الامامة لا تبدأ باصلاح هذا الاعوجاج المدعى او الانحراف المزعوم حسب الواقع الذى نراه ونشاهده منذ فجر التاريخ ومنذ حدث هذا الحزب المعارض بل هو حلقة مفرغة بعيدة عن الواقع وتركيز هذا المذهب على تصور عقلي محض على نصب امام من الله لطفا منه •

من اجل هذا كثرت حملات الطعن من متكلمي اهل السنة على القول باللطف الالهي في نصب امام غير ظاهر ولا متمكن اذ كيف يتحمل العباد كلهم مسؤولية عدم تمكينه هذا • فضلا عن ان الشيعة الاثنى عشرية لا يرون الخروج على أئمة الجور الا عند ظهور المنتظر فهل يقف واجب العباد عند مجرد ولاية الأئمة والاعتقاد في المنتظر الغائب وهل يصبح الرأى السياســـي مجرد عقيدة دينية لا يتجاوز الايمان القلبي الى العمل وكيف يكون تمكين الله للامام الجاء يعارض التكليف ويؤدى الى القهر على الطاعات مع ان تمكين الله للنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤد الى انتفاء المعاصي او زوال الكافرين وان قرب المؤمنين الى الطاعة واقام الحجة على العاصيين (٢) • ثم ساق

---

(١) نظرية الامامة ص ٧٧

(٢) نظرية الامامة ٧٧ ــ ٧٨

(٣) نظرية الامامة ص ٧٧ــ٧٨

انتقاد صاحب التحفة الاثنى عشرية لفكرة القول باللطف وقد تقدم سياقه في اول هذا الفصل فاغنى ذلك عن اعادته هنا (١) .

ويذكر الدكتور سامى النشار :

ان المتقدمين من الشيعة يقتصرون على اعتبار الامامة جزءا من الايمان وانها جوهر العقيدة وان الايمان عند الشيعة يتكون في الاعتراف بتوحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وموالاة امام العصر .

فالايمان بامام العصر قاعدة اساسية تتصل بجوهر العقيدة اوثق الاتصال وهذا ما دعا اهل السنة الاشاعرة فيما بعد الى مناقشة الشيعة في فكرتهم عن الامامة في باب العقائد مع ان الامامة مشكلة عملية واعتبار الشيعة الاثنى عشرية الامامة جزءاً من العقيدة اثار ضجة كبرى في العالم الاسلامي مما حمل علماء اهل السنة يحاورونها ويجادلونها بعنف بالغ فكان المتقدمون كما قلنا يقتصرون على هذا المعتقد ثم جاء المتأخرون من الاثنى عشرية فوضعوا الادلة على هذا ودليلهم الاول ان الامامة لطف من الله وهذا اتجاه معتزلى واضح ودليلهم الثاني حفظ الشريعة وهذا اتجاه عقلى . ثم تتابعت الادلة على ذلك (٢) وقد سبق لنا القول بان ابن تيمية اشار الى ان الشيعة المتقدمين لا يعرفون هذه الافكار وانما جاءت متأخرة مأخوذة من اصول المعتزلة الكلامية (٣) .

وخلاصة القول في وجوب الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية كما قلنا انه مبنى على الدليل العقلى قبل الدليل السمعى والسمعى مؤيد للعقلى عندهم واهل السنة يخالفون في هذا الاصل من اساسه حيث ان العقل لا مدخل له في اثبات الشرعيات فان البراءة الاصلية لا يرفعها الا دليل شرعى من كتاب او سنة او اجماع .

---

(١) راجع التحفة الاثنا عشرية ص ١١٦

(٢) سامى النشار ج ٢ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥

(٣) راجع المنتقى ص٣٢

يقول القرطبي في صدد الكلام على الامامة في تفسيره وقالت الرافضة يجب نصبه يعني الامام عقلا وان السمع انما ورد على جهة التاكيد لقضية العقل فاما معرفة الامام فان ذلك مدرك من جهة السمع دون العقل وهذا فاسد لان العقل لا يوجب ولا يحظر ولا يقبح ولا يحسن واذا كان كذلك ثبت انها واجبة بالسمع لا من جهة العقل وهذا واضح .(١)

واما دعوى عدم الكفاية في الكتاب والسنة ففاسد وموقف اهل السنة ان التمسك بالكتاب والسنة يكفل للبشرية السعادة في الدنيا والاخرة وهما المرجعان عند التنازع قال تعالى ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا ﴾(٢)

٢ — الوصية بالامامة وبطلان القول بها :

ان الامامة عند الشيعة الامامية لا تكون الا بالوصية فهم كما يقولون بوجوب الامامة على الله عقلا كما تقدم يقولون ان الامامة تجب وصاية على الله تعالى فقالوا الوصاية خلافة النبوة وزعامة عامة على جميع من تشمله دعوة تلك النبوة فلو كان ذلك النبي ارسل لكافة البشر او للانس والجن كانت الوصاية عامة على هؤلاء اجمع(٣) . فالوصي يجب ان يكون فيه جميع مؤهلات النبي وخصائصه الا النبوة والوحي .

فعنده علوم ذلك النبي الكافية لتعليم البشر وعنده كمال هذا النبي الوافي لتكميل نقصان البشر وعنده سياسته الربانية واخلاقه الالهية وحلمه وورعه

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص ٢٦٥

(٢) سورة النساء اية ٥٩

(٣) الوصي ص ٧

وزهده وسخاؤه ونبله وفضله وعصمته وتقواه وشجاعته واستماتته في الذود عن حوزة الحق المبين والدين الذى ارتضاه رب العالمين ٠

وعنده كفايته ومقدرته وشهامته وسماحته وفصاحته وما يكفي الخلائق اجمعين لتعليم جاهلهم وارشاد ضالهم واسعاف ضعيفهم وكبح جماحهم ودرأ اخطارهم ودفع اشرارهم واضرارهم ومجاهدة عصاتهم واصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم وحفظ ثغورهم ودفع عدوهم واقامة العدل فيهم وحملهم على المحجة (١)

وهذا المقام لا يناله عندهم على حد تعبير آية الله السيد على تقى الحيدرى الا من اختبره سبحانه وتعالى فرآه مطواعا قابلا للفيض الالهى والتكاليف الشاقة فيخلع عليه ذلك السربال الرباني ويلبسه ذلك الرداء وياهله بالعصمة وزيادة الالطاف ٠

وهيهات هيهات ان يبلغ كنه ذلك المقام العارفون فضلا عن الجاهلين او يصل الى غور صفاته الواصفون التابعون فضلا عن الخاملين ٠

وناهيك به من مقام يكون صاحبه اهلا لادارة شئون العالمين في دنياهم واخرتهم ٠ (٢)

يقول السيد الحيدرى : ولو توهم متوهم اوادعى مدع ان كفاءة الوصى لا يلزم ان تكون لادارة اهل الارض اجمع فلا تكون كما ذكرت من عظيم خطرها ورفيع محلها بل يكفى في الموصى ان يكون اهلا لادارة شئون من اتبع ذلك النبي وغالبا لا يتبع الانبياء الا الاقلون ٠

اجبنا بان الله اذا ارسل رسولا لكافة البشر لا بد ان يزوده بما يكفى لادارة امورهم الدينية والدنيوية كلهم امنوا به او لم يؤمنوا فكذلك وصيه يلزم

---

(١) الوصى ص٧ (٢) الوصى ص٧-٨

ان يكون له اهلية القيام بالوصاية والنيابة عن ذلك النبي لجميع اهل الارض اذا كان ذلك النبي لجميع اهل الارض ولتكون لله الحجة عليهم بانه تعالى نصب لهم من يقدر على اسعادهم • واضاف الحيدري يقول /: لو لم يختر الله من اهل الارض خيرها ليقوم مقام الرسول الراحل بل ينصب من سائر الناس و غيرهم من هو اعلم منه وافضل واشجع •

كيف يكون حال هذا الوصي وحال وصايته لو سأله من هو اعلم منه •

ام كيف يكون حال هذا الوصي المسكين وحال وصايته لو ان زمرا من اليهود والنصارى والملحدين والمنافقين وجهوا اليه انواعا من الاسئلة لكشف شبههم الغامضة ولم يكن عنده جواب لتلك الأسئلة افلا يكون ذلك شوكة للكفار وضعفا للمؤمنين •

ام كيف يكون حال الوصي الامين على كتاب الله وشريعة نبيه اذا فسر القرآن برأيه وانكشف لدى خطأه او افتى في الشريعة بغير حكم صاحبها ام كيف يكون حاله اذا كان جبانا لا يقدم على مواجهة الاعداء • (١)

ومن هنا رأت الامامية انه لا بد ان يختار الله لاهل الأرض خير اهلها علما وعملا وشجاعة وكفاءة واخلاقا وتدبيرا ورأيا وورعا وحنكة وبصيرة والا لانقطع حبل الاسلام •

ويضيف آية الله السيد على تقي تقرير فكرة القول بالوصية فيقول : هذه الدعوة يسيرة من البرهان العقلي الذى لا يعتريه الريب والشك على وجوب نصب وصي لكل نبي مات وخلا الزمان بعده من نبي آخر من قبل الله اذ لا تخلو الأرض من حجة الله على العباد يكون حافظا للدين حاميا حوزة المؤمنين (٢)

---

(١) راجع كتاب الوصي ص ٨ — ٩ — ١٠

(٢) الوصي ص ١٠ — ١١

هذه/ هي الوصاية والوصي ومكانته لدى الشيعة الاثنى عشرية وطريق اثباتها بالدليل العقلي اما النقل فقد ذكروا الدليل النقلي في وجوب اثبات الوصي عندهم(١) عن جابر الانصارى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان الله تبارك وتعالى اصطفانى وجعلنى رسولا وانزل على سيد الكتب فقلت الهى وسيدى انك ارسلت موسى الى فرعون فسألك ان تجعل معه اخاه هارون وزيرا فتشد به عضده ويصدق به قوله .

واني اسألك يا سيدى ويا الهى ان تجعل لي من اهلى وزيرا تشد به عضدى فاجعل لي عليا وزيرا وأخا واجعل الشجاعة في قلبه والبسه الهيبة على عدوه وهو اول من آمن بي وصدقني وهو اول من وحد الله معى وانى سألت ذلك ربي عز وجل فاعطانيه فهو سيد الاوصياء اللحوق به سعادة والموت في طاعته شهادة واسمه في التوراة مقرون الى اسمى وزوجته الصديقة الكبرى ابنتى وابناه سيدا شباب اهل الجنة ابناى وهو وهما والائمة من بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم ابواب العلم في امتى من تبعهم نجا من النار ومن اهتدى بهم هدى الى صراط مستقيم لم يهب الله محبتهم لاحد الا دخل الجنة .(١)

(٢) وروى عن ام سلمة قالت جاء النبي صلى الله عليه وسلم ومعه على رضى الله عنه الى بيتي وفي يومي وجعلا يتساران حتى زالت الشمس فجئت اليهما فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر منى ويقول لا تلومينى فان جبريل اتانى بامر من الله تعالى بأن اوصى به عليا من بعدى وامرنى جبريل ان آمر عليا بما هو كائن بعدى فاعذريني ولا تلومينى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار من كل امة نبيا واختار لكل نبي وصيا فانا

---

(١) الوصي ص ١١ وما بعدها .

ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفى جـ ١ ص ٨٩

نبي هذه الأمة وعلى رضى الله عنه وصيى في عترتي واهل بيتي وامتي بعدى . (١)

(٣) ـ ما رواه ابراهيم الجويني عن ابى ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وانت يا على خاتم الوصيين الى يوم الدين . (٢)

(٤) ـ ما رووه ايضا عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان خلفائي واوصيائي وحجج الله على الخلق بعدى الاثنا عشر اولهم على واخرهم ولدى المهدى .

(٥) ـ وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم (يا على انت صاحب حوضى وصاحب لوائي وحبيب قلبي ووصى ووارث علمى وانت مستودع مواريث الانبياء من قبلى .

(٦) ـ ورووا عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا عماه ان الله ايدني بسيد الاوصياء على رضى الله عنه فجعله كفوءا لفاطمة ابنتى) .(٣)

(٧) ـ وفي لفظ انا خاتم الانبياء وانت يا على خاتم الاوصياء .

(٨) ـ وفي لفظ (لكل نبي وصي ووارث وعلى وصيي ووارثي) .

(٩) ـ وفي لفظ (اذا كان يوم القيامة نصب لي منبر فيقال لى إرق فاكون اعلاه ثم ينادى مناد ابن على فيكون دوني فيرقاه فيعلم جميع الخلائق ان محمدا سيد المرسلين وان عليا سيد الوصيين وهذا رووه عن جابر بن عبد الله الانصارى .

---

(١) الوصى ص ١٢ نقلا عن مناقب الخوارزمى

(٢) الوصى ص ١٢

(٣) صاحب الينابيع نقله عنه صاحب (الوصى) ص ١٩ راجع ينابيع المودة ج ١ ص ٨٩ ومابعدها

(١٠) — ورووا عن جابر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان الله عز وجل انزل قطعة من نور فا سكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزئين فجعل جزء في صلب عبدالله وجزء في صلب ابي طالب فاخرجني نبيا واخرج عليا وصيا) (١)

قال الشيخ آية الله السيد على تقي الحيدرى بعد نقله لهذه الاثار :

فهذه الاحاديث وامثالها صريحة في ان الله جل جلاله نصب عليا عليه السلام علما للعباد وحجة في البلاد بعد سيد المرسلين وخيرة الخلق اجمعين صلى الله عليه وسلم وذلك لما علمه من كفاءته ولياقته واتصافه بصفات الوصاية عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام . (٢)

ويذكر الاستاذ احمد امين عن الاماميةانهم يقولون ان عليا رضي الله عنه وصى رسول الله بنص منه وعلى اوصى لمن بعده وهكذا كل امام وصى من قبله فانتشرت كلمة الوصى بين الشيعة واستعملوها . (٣)

وروى الكليني بسنده عن عمرو بن مصعب قال : سمعت ابا عبدالله يقول : اترون ان الموصى منا يوصى الى من يريد لا والله ولكنه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل فرجل حتى انتهى الى نفسه . (٤)

هذا ما بذلته الشيعة الامامية في اثبات الوصية لعلى رضى الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالامامة على الأمة وكذا لأولاده بعده.

---

(١) الوصى ص ١٨—١٩—٢٠

(٢) الوصى ص ٢١ وراجع الاحتجاج ج ١ ص ٨٥

(٣) فجر الاسلام ص ٢٦٧ وظهر الاسلام ج ٤ ص ١١٠

(٤) اصول الكافى ج ٢ ص ٢٧٧

وهذه الجهود كلها تذهب امام الاجماع المنعقد على امامة ابي بكر رضى الله عنه اذ لو كان هناك نص بالوصية لعلى رضى الله عنه لم يحصل الاختلاف ثم الاجماع : والاجماع معصوم عن الخطأ .

ويؤيد ذلك ما ثبت عن على رضى الله عنه حين سئل هل خصكم رسول الله بشيء لم يعم به الناس ؟ فقال : لا وقد سبق لنا سياق الفاظ هذا الحديث من الكتب والسنة عند ذكر موقف اهل السنة فيما نسبته الامامية الى الصادق من العلوم وذلك في الفصل الثالث من الباب الاول من هذه الرسالة وما ذكروه من الادلة النقلية كلها موضوع كما سترى عند الحديث على ادلتهم المأخوذة من السنة والتي فيها التصريح بالوصية .

٤ — تعيين النبي للامام وابطال القول به :

والشيعة الامامية الاثنا عشرية كما يقولون بوجوب الامامة عقلا على الله ولطفا منه ووصية كما تقدم فكذلك يقولون بوجوب التعيين والتنصيص على الامام بناء على ان الامامة في نظرهم ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة فينتصب الامام بنصبهم بل هي قضية اصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام اغفاله واهماله ولا تفويضه الى العامة وارساله .

ومن هنا قالوا بان النبي صلى الله عليه وسلم نص على الامام بعده وهو على بن ابي طالب واعتقدوا ان الامامة فيه وفي اولاده بالنص الجلي او الخفي وان الخلافة والامامة لا تخرج من اولاده فان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده .(١)

---

(١) الشهرستاني جـ ١ ص ١٤٦

وقالوا وما كان في الدين والاسلام امر اهم من تعيين الامام حتى تكون مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا على فراغ قلب من امر الأمة فانه انما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز ان يفارق الامة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه فيه غيره بل يجب ان يعين شخصا هو المرجوع اليه وينص على واحد هو الموثوق به المعول عليه وقد عين عليا رضي الله عنه في مواضع تعريضا وفي مواضع تصريحا والتعريض عليه ليس بالوصف بل بالاشارة اليه بالعين فهو منصوص عليه نصا ظاهرا. (١)

ويقول الكليني : ان الامامة عهد معهود من الله عز وجل من واحد الى واحد وذكر بسنده عن ابي بصير قال : كنت عند ابي عبدالله فذكروا الأوصياء فذكرت اسماعيل فقال لا والله يا ابا محمد ما ذاك الينا وهو الى الله عز وجل ينزل واحدا بعد واحد . وعنه ايضا انه قال : (أترون ان الموصى منا يوصي الى من يريد لا والله ولكنه عهد من رسول الله الى رجل فرجل حتى انتهى الى نفسه.) (٢)

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر :

نعتقد ان الامامة كالنبوة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله او على لسان الامام المنصوب بالنص اذا اراد ان ينص على الامام من بعده وحكمه في ذلك حكم النبوة بلا فرق فليس للناس ان يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر كما ليس لهم حق في ترشيحه او انتخابه لان الشخص الذى له هذه المرتبة يجب ان لا يعرف الا بتعريف الله واضاف يقول :

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٦٢

(٢) راجع اصول الكافي جـ ٢ص ٢٧٧

ونعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على خليفته والامام في البرية من بعده فعين ابن عمه علي بن ابي طالب اميرا للمؤمنين وامينا للوحي واماما للخلق في عدة مواطن : نصبه واخذ البيعة له بامرة المؤمنين يوم الغدير (١) واول تلك المواطن حينما دعا الرسول اقرباءه وعشيرته فقال : (هذا اخي ووصي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له واطيعوا) ثم كرر ذلك بقوله (انت مني بمنزلة هارون من موسى) .

ثم جعل يذكر الادلة على ذلك وسوف نستعرض تلك الادلة مع بيان موقف اهل السنة منها عند ذكر ادلتهم على امامة علي من السنة ان شاء الله تعالى .

ثم قال الاستاذ محمد رضا المظفر :

واما الحسن فقد نص على امامته علي رضي الله عنه ونص الحسن على الحسين والحسين نص على امامة ابنه علي زين العابدين وهكذا اماما بعد امام بنص المتقدم منهم على المتأخر الى آخرهم . (٢)

والمواطن التي اشار اليها محمد رضا المظفر قد حددها محمد غالب الطويل بانها اربعة حيث ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ البيعة لعلي اربع مرات في حياته ثلاث كانت سرا والرابعة كانت علنا حيث كانت بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع عند غدير خم وهو ما بين مكة والمدينة . (٣)

ويقول الاشعري :

والامامية مجمعون على ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف

---

(١) عقائد الامامية ص٦٠ — ٦١ واصل الشيعة واصولها ص٩٨

(٢) عقائد الامامية ص٦١ — ٦٢ (٣) راجع تاريخ العلويين ص ٧٠ وما بعدها .

على بن أبي طالب باسمه واظهر ذلك واعلنه وان اكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وان الامامة لا تكون الا بنص وتوقيف وانها قرابة وانه جائز للامام ان يقول في حال التقية انه ليس بامام .(١)

ويقول الطبرسي :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم نص على الائمة الاثنى عشر وان من انكر واحدا منهم فكأنما انكر محمدا صلى الله عليه وسلم .

وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (يا ابن مسعود ان على ابن ابي طالب امامكم بعدي وخليفتي عليكم فاذا مضى فالحسن والحسين ابناى ثم تسعة من ولد الحسين واحدا بعد واحد هم خلفائي عليكم) (٢)

ومن هذه النصوص يتبين لك نظرية الشيعة الامامية الاثنى عشرية في وجوب تعيين الامام وان الامة لا مدخل لها في تعيينه وترشيحه حسب زعمهم كما رأيت . والمعين للامامة هو على بن ابي طالب واولاده من فاطمة فقط كما رأيت من قبل .

والواقع انه لا نص في تعيين الامام على رضى الله عنه بالامامة وهذا ما ذهب اليه اهل السنة والجماعة وقد استدل اهل السنة على عدم النص في على واولاده بادلة كثيرة .

(١) — منها ما ذكره ابن حزم رحمه الله تعالى حيث قال : ان البرهان على بطلان القول بالنص على علي رضى الله عنه — ضروري وهو ان الرسول صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين

---

(١) المقالات ج ١ ص ٨٩

(٢) راجع الاحتجاج ج ١ ص ٨٧ — ٨٨

فما منهم احد اشار الى علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله نص عليه ولا ادعى ذلك علي قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد في ذلك الوقت ولا بعده .

ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشر بن الف انسان متباين الهمم والنيات والانساب — على طي عهد عاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعي الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الي مجهول يكنى بالحمراء لا يعرف من هو في الخلق .

ووجدنا عليا رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة اشهر فما اكرهه ابوبكر على البيعة حتى بايع طائعا مراجعا غير مكره .

فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء ان يبايع طائعا رجلا اما كافرا واما فاسقا جاحدا لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعينه على امره ويجالسه في مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا وصحبه واعانه على أمره وانكحه من ابنته فاطمة ثم قبل ادخاله في الشورى احد ستة رجال فكيف حل لعلي عنه عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه في شورى ضالة و يغر الأمة هذا الغرور .

ولا يجوز ان يظن بعلي رضي الله عنه انه امسك عن ذكر النص خوف الموت وهو الأسد شجاعة وقد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات .

وما الذي منع الناس ومنعه من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة ثم لما ولي علي رضي الله عنه فما غير حكما من احكام ابي بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهدا من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في سعة من ان يمضي

الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه ٠

وعندما قتل عثمان رضى الله عنه سارعت طوائف المهاجرين والانصار الى بيعته ٠

فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده النص على امامته اوقال احد منهم لقد ذكرت هذا النص الذى كنت انسيته في امر هذا الرجل ان عقولا خفى عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله ان يهديها ٠

والايام الثلاثة التي كانت ميدانا للشورى بين الستة الذين عينهم عمر رضى الله عنهم وكان على من بين الستة كما قلنا تلك الايام لم يكن هناك سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب ٠

افترى لو كان لعلى رضى الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب على علي ان يقول (ايها الناس كم هذا الظلم لي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول الله وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين لي) فاذ لم يفعل لا يدرى لماذا اما كان في بنى هاشم احد له دين يقول هذا الكلام اما للعباس عمه او احد من بنيه اما لعقيل اخيه او احد بني جعفر اخيه او غيرهم فان لم يكن في بنى هاشم احد يتقى الله عز وجل ولا ياخذه في قول الحق مداهنة اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا على له حق واجب بالنص وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فأمره بين ان اصفاق جميع الامة اولها عن اخرها من برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم

على ظلمه ومنعه من حقه وليس هناك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه. (١)

(٢) - ومنها ما أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن شبابة بن سوار الفزارى قال اخبرني الفضل ابن مرزوق قال سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل ممن يغلو فيهم (ويحكم احبونا لله ويحكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق ثم قال : لقد أساء بنا آباؤنا ان كان هذا الذى تقولون من دين الله، ثم لم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه ثم قال الرافضي الم يقل الرسول لعلي (من كنت مولاه فعلي مولاه) (٢) فقال أما والله انه لو يعني بذلك الامرة والسلطان لا فصح لهم بذلك كما افصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم ايها الناس هذا وليكم من بعدى فان انصح الناس كان للناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان الأمر كما تقولون ان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام بعد النبي صلى الله عليه وسلم لكان علي اعظم الناس خطيئة وجرما اذ ترك ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوم فيه او يعذر فيه الناس. (٣)

(٣) - ومنها ما اخرجه البخارى عن الزهرى قال اخبرني عبدالله بن كعب بن مالك الانصارى ان عبدالله بن عباس اخبره ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه خرج عند النبي صلى الله عليه وسلم في وجعه الذى توفي فيه فقال الناس يا ابا الحسن كيف اصبح رسول الله ؟ قال : اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له انت والله بعد ثلاث عبد العصا اني والله

---

(١) الفصل ج ٤ ص ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١

(٢) المسند ج ١ ص ٨١ (٣) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣١٩

لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا اني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله فنسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال علي : انا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده واني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم) . (١)

وقد اوضح ابن تيمية رحمه الله الوجوه التي يمكن ان يعرف بها الامام وبين خلال عرضها لتلك الوجوه اولوية ابي بكر الصديق رضي الله عنه بها من علي رضي الله عنه وفيما يلي تلك الوجوه :

١ - الوجه الاول : ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بولاية الشخص ويثني عليه في ولايته فحينئذ تعلم الامة ان هذا ان تولى كان محمودا / مرضيا فيرتفع النزاع وان لم يقل ولوه وهذا النص وقع لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في حديث البئر حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم (بينما انا على بئر انزع منها جاءني ابو بكر وعمر فاخذ ابو بكر الدلو فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم اخذها ابن الخطاب من يد ابي بكر فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه فنزع حتى ضرب الناس بعطن) (٢)
وفي هذا الحديث اشارة الى امامتهما .

٢ - الوجه الثاني : ان يخبر بامور تستلزم صلاح الولاة - وهذه الامور وقعت في خلافة ابي بكر وعمر .

٣ - الوجه الثالث : ان يأمر من يأتيه ان يأتي بعد موته شخصا يقوم مقامه فيدل

---

(١) ج ٨ ص ١٤٢ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٢٢ ومسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٦٠

على انه خليفة بعده وهذا وقع لابي بكر رضي الله عنه في حديث المرأة التي جاءت اليه صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت : (ارأيت ان جئت ولم اجدك قال ان لم تجديني فاتي ابا بكر) (١)

٤ ـ الوجه الرابع : ان يريد كتابة كتاب ثم يقول : ان الله والمؤمنين لا يولون الا فلانا وهذا وقع لابي بكر وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه (ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر) (٢)

٥ ـ الوجه الخامس : ان يأمر بالاقتداء بعده بشخص فيكون هو الخليفة بعده. كحديث (اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما) (٣)

٦ ـ الوجه السادس : ان يخص بعض الاشخاص بأمر يقتضي انه هو المقدم عنده في الاستخلاف وهذا وقع لابي بكر رضي الله عنه وذلك حيث قدمه ليصلي بالناس مدة مرضه صلى الله عليه وسلم.

٧ ـ الوجه السابع : ان يأمر باتباع سنة خلفائه الراشدين المهديين (٤) ويجعل خلافتهم الى مدة معينة فيدل على ان المتولين في تلك المدة هم الخلفاء الراشدون كحديث (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) (٥).

---

(١) البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ١٧ ومسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٥٤

(٢) مسلم مع النووي ج ١٥ ص ١٥٤ ـ ١٥٥

(٣) الترمذي ج ١٠ ص ١٤٧

(٤) الترمذي ج ٧ ص ٤٣٩ ـ ٤٤١ وابو داود ج ٤ ص ٢٨١

(٥) ابو داود ج ٤ ص ٢٨٣ راجع منهاج السنة ج ٣ ص ٢٦٧

ومن هذه الاشارات والادلة استدل جماعة من اهل السنة والجماعة على ان امامة ابي بكر الصديق بالنص وقد نصر ابن حزم هذا القول واوضح ان امامة ابي بكر رضى الله عنه بالنص بل ذهب الى ان القرآن نص على امامة الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم . (١)

والى هذا الرأى ذهب ابن حجر الهيتمي ونسبه الى جماعة من المحققين . (٢)

غير ان مذهب جمهور اهل السنة على ان خلافة ابى بكر بالاختيار والانتخاب كما تقدم . ومن هنا يتبين للباحث بطلان القول بالنص على أمير المؤمنين على رضى الله عنه .

ويؤيد ذلك ما اخرجه احمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن .

عن عمرو بن سفيان قال لما ظهر على يوم الجمل قال : ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد الينا في هذه الامارة شيئا حتى رأينا من الرأى ان نستخلف ابا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان ابا بكر رأى من الرأى ان يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه (٣)

واخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن ابي وائل قال : قيل لعلي الا تستخلف علينا ؟ قال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخلف ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم . (٤)

---

(١) راجع الفصل جـ ٤ ص ١٠٧ و ص ١٠٩

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨

(٣) المسند جـ ١ ص ١١٤

(٤) المستدرك جـ ٣ ص ١٤٥ وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٨ ــ ٩

وقال ابن تيمية ايضا :

والنص على معين ان اريد به انه يطاع كما يطاع الرسول في كل ما يأمر به وينهى عنه .

وليس لأحد ان ينازعه في شيء كما ليس له ان ينازع الرسول وانه يستبد بالاحكام والامة معه كما كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم فهذا لا يكون لأحد بعد رسول الله ولا يمكن هذا لغيره فان احدا بعده لا يأتيه الوحي كما كان يأتيه ولم يعرف احد كل ما عرفه الرسول فلم يبق سبيل الى مماثلته لا من جهته ولا من جهة الرب تعالى .

وان أريد بالنص إنه يبين للأمة ان هذا احق بان يتولى عليكم من غيره وولاية هذا احب الى الله ورسوله واصلح لكم في دينكم ودنياكم ونحو هذا مما يبين انه احق بالتقدم في خلافة النبوة فلا ريب ان النصوص الكثيرة بهذه المعاني على خلافة ابي بكر .

وان اريد انه امرهم ان يتابعوه كما امرهم ابو بكر ان يتابعوا عمر ويعهد اليهم في ذلك فهذا اذا علم ان الأمة تفعله كان تركه خيرا من فعله وان خاف ان لا يفعلوه الا بامره كان الأمر اولى به ولهذا لما خشي عليهم ابو بكر رضي الله عنه ان يختلفوا بعده عهد الى عمر ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم انهم يبايعون ابابكر لم يأمرهم بذلك كما في الصحيحين انه قال لعائشة : ادعي اباك واخاك حتى اكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدي ثم قال : يأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر : فعلم ان الله لا يولي الا ابا بكر والمؤمنون لا يبايعون الا ابا بكر وكذلك سائر الاحاديث الصحيحة تدل على انه علم ذلك وانما كان ترك الأمر مع علمه افضل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لأن الأمة اذا ولته طوعا منها بغير الالتزام كان هو الذي يرضاه الله ورسوله كان افضل للأمة ودل على علمها ودينها

فانها لو الزمت بذلك لربما قيل انها اكرهت على الحق ولا تختاره كما يجرى ذلك لبني اسرائيل ويظن الظان انه كان في الأمة بقايا جاهلية من تقديم بالأنساب فانهم كانوا يريدون ان لا يتولى الا من هو من عبد مناف كما كان ابو سفيان وغيره يختارون ذلك فلو الزم المهاجرون والانصار بهذا لظن لظان انهم كانوا من جنس أبي سفيان وامثاله وكانوا يعرفون اختصاص الصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم اولا وآخرا وموافقته له باطنا وظاهرا. (١)

وبالرغم مما قدمنا من عدم ثبوت النص على امامة علي رضي الله عنه وباقي الاثنى عشر على سبيل التعيين والتنصيص والوصاية بالرغم من ذلك كله فقد حاول الشيعة الامامية الاثنا عشرية اثبات فكرتهم . فوضعوا في سبيل ذلك أدلة كثيرة مختلفة ونحن نستعرض ادلتهم في الفصول الآتية دون ان نتطرق الى مطاعنهم في الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه وكنا قد اعددناها مع الرد عليها ثم رأينا اهمالها كلية نظرا الى عدم اعتبارها مطاعن في الحقيقة وفي نفس الواقع . ومن هنا ضربنا صفحا عن ذكرها بالكلية كما قلنا وسوف نقتصر على ذكر أدلتهم في الفصول التالية مع ذكر موقف اهل السنة منها وكيف انها لا تدل على المقصود وهي على النحو التالي :

---

(١) راجع منهاج السنة جـ ٣ ص ٢٦٨

الفصل الثالث

الأدلة العقلية على الوصية لعلى رضى الله عنه بالامامة عند الامامية الاثنى عشرية وموقف أهل السنة منها

١ — وجوب عصمة الامام :

يقول الحلى : ان الامام يجب ان يكون معصوما ومتى كان ذلك كان الامام هو عليا رضى الله عنه . اما المقدمة الاولى فلأن الانسان مدنى بالطبع لا يمكن ان يعيش منفردا لافتقاره في بقائه الى ما يأكل ويشرب ويلبس ويسكن ولا يمكن ان يفعل ذلك بنفسه بل يفتقر الى مساعدة غيره بحيث يفرغ كل واحد منهم الى ما يحتاج اليه صاحبه حتى يتم قيام النوع .

ولما كان الاجتماع مظنة التغالب والتغابن فان كل واحد من الاشخاص قد يحتاج الى ما في يد غيره فتدعوه قوته الشهوانية الى اخذه وقهره عليه وظلمه فيه فيؤدى ذلك الى وقوع الهرج والمرج واثارة الفتن فلا بد من نصب امام معصوم يصدهم عن الظلم والتعدى ويمنعهم عن التغالب لا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ولا المعصية والا لافتقر الى امام آخر لان العلة الموجبة الى نصب الامام هي جواز الخطأ على الأئمة .

واما المقدمة الثانية : فظاهرة : لان ابا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين — اتفاقا — وعلى معصوم فيكون هو الامام . (١)

ولقد تولى ابن تيمية الاجابة عن هذا الدليل العقلى بقوله :

كلتا المقدمتين باطلة : اما الاولى فقوله (لا بد من نصب امام معصوم يصدهم عن الظلم والتعدى ويمنعهم عن التغالب ولا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ولا المعصية) .

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٤٥ — ١٤٦

فيقال في الجواب :

نحن نقول بموجب هذا الدليل ان كان صحيحا فان الرسول هو المعصوم وطاعته واجبة في كل زمان على كل احد وعلم الأمة بامره ونهيه اتم من علم آحاد الرعية بامر الامام الغائب كالمنتظر ونحوه فرسول الله هو الامام المعصوم والامة تعرف امره ونهيه ومعصوم الامامية ينتهي الى الغائب المنتظر الذى لو كان معصوما لم يعرف احد امره ونهيه .

ثم هؤلاء المعصومون في نظر الشيعة لم يتول احد منهم على الناس ظاهرا بعد علي رضى الله عنه .

فالقول بانه لا بد من امام معصوم باطل من وجوه :

احدها : ان هذا الامام الموصوف بهذه الصفات لم يوجد اطلاقا بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : قولهم لا بد من نصب امام معصوم ايريدون انه لا بد ان يخلق الله من يكون متصفا بهذا ام يجب على الناس ان يتابعوا من يكون كذلك .

فان ارادوا الاول فالله لم يخلق احد متصفا بهذه الصفات وان غاية ما عندهم ان عليا رضى الله عنه في نظرهم كان معصوما لكن الله لم يمكنه ولم يؤيده لا بنفسه ولا بجند .

بل هم يقولون انه كان عاجزا ومقهورا مظلوما في زمن الثلاثة .

ولما صار له جند قام عليه جند اخرون قاتلوه حتى لم يتمكن من ان يفعل ما فعله الذين كانوا قبله الذين هم في نظر الشيعة ظلمة فيكون الله قد أيد اولئك الذين كانوا قبله حتى تمكنوا من فعل ما فعلوا من المصالح ولم يؤيده ليفعل ذلك وان قالوا بالثاني وهو انه يجب على الناس ان يبايعوه ويعاونوه فهذا ايضا لم يقع فان الناس لم يفعلوا سواء كانوا مطيعين ام عصاة وعلى كل تقدير فلم يحصل لأحد من المعصومين المزعومين تأييد لا من الله ولا من الناس .

فاذا لم تحصل المطالب المذكورة في احد من أئمتهم بل فات كثير من شروطها فلم لا يجوز ان يكون الفائت هو العصمة •

واذا كان المقصود فائتا اما بعدم العصمة واما بعجز المعصوم فلا فرق بين عدمها بهذا او بهذا فمن اين يعلم بدليل العقل انه يجب على الله ان يخلق اماما معصوما وهو انما يخلقه ليحصل به مصالح عباده وقد خلقه عاجزا لا يقدر على تلك المصالح بل وقع بسببه الشرور والمفاسد التي لم تكن قبله •

ثم اذا كان الانسان مدنيا بالطبع فوجب نصب امام معصوم يزيل الظلم والشر عن اهل المدينة فهل تقولون انه لم يزل في كل مدينة خلقها الله معصوم يدفع ظلم الناس ام لا ؟

فان قالوا بالأول كان هذا مكابرة فهل في بلاد الكفار من المشركين واهل الكتاب معصوم وهل كان في الشام عند معاوية معصوم •

وهذا المعصوم المدعى يكون وحده معصوما او كل من نوابه كذلك وهم لا يقولون بالثاني والقول به مكابرة لأن نواب النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا معصومين وكذا نواب علي •

وان قالوا العصمة فيه وحده دون نوابه قيل فما البلاد البعيدة عن الامام لا سيما اذا لم يكن المعصوم قادرا على قهر نوابه بل هو عاجز ماذا ينتفعون بعصمته وهم يصلون خلف غير معصوم و يحكم بينهم غير معصوم •

ويقال ايضا صد الظلم عن غيره وانصاف المظلوم وايصال الحق الى اهله هذا فرع على منع ظلمه واستيفاء حقه فاذا كان عاجزا مقهورا لا يقدر ان يدفع الظلم عن نفسه ولا استيفاء حقه من ولاية ومال ولا حق امرأته من ميراثها فأى ظلم يدفع واى حق يوصل •

وحاجة الانسان الى تدبير نفسه أعظم من حاجة المدينة الى رئيسها واذا كان الله تعالى لم يخلق نفس الانسان معصومة فكيف يجب عليه ان يخلق رئيسا معصوما •

واما المقدمة الثانية وهي قولهم ليس بمعصوم غير علي اتفاقا • وهذا ممنوع لان كثيرا من الناس من عبادهم وصوفيتهم وجنديهم وعامتهم يعتقدون في كثير من شيوخهم من العصمة من جنس ما تعتقده الرافضة في الاثنى عشر وربما عبروا عن ذلك بقولهم الشيخ محفوظ واذا كانوا يعتقدون هذا في شيوخهم مع اعتقادهم ان الصحابة افضل منهم فاعتقادهم ذلك في الخلفاء من الصحابة اولى فكثير من الناس فيهم من الغلو في شيوخهم من جنس ما في الشيعة من الغلو في الأئمة •

وايضا فالاسماعيلية يعتقدون عصمة أئمتهم وهم غير الاثنى عشر •

وكثير من اتباع بني امية يعتقدون انه لا حساب على الامام ولا عذاب عليه ولا يؤاخذه الله بشيء وعلى الرعية متابعته في كل حال الى غير ذلك• (١)

والعصمة عند اهل السنة خاصة بالرسل قال تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴾ (٢) وقال ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ﴾ (٣) فجعل طاعة الرسول مطلقة ولذا كرر الفعل لأنه معصوم عن الخطأ وهل يقع منه الذنب قبل النبوة وبعدها وفي ذلك تفصيل سيأتي طرف عن ذلك في الكلام على عصمة الامام باذن الله تعالى •

يقول صاحب التحفة الاثنى عشرية (٤) في صدد الرد على الامامية الاثنى عشرية في اشتراطهم العصمة في الامام يقول ما نصه : العدالة شرط الامامة لا العصمة بمعنى امتناع صدور الذنب كما في الأنبياء خلافا للشيعة لا سيما

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ٣ ص ٢٤٧ ـ الى ص ٢٦٢

(٢) سورة النجم / ٤ (٣) سورة النساء / ٥٩

(٤) ص • ١٢

الامامية والاسماعيلية قالوا لا بد منها علما وعملا وهو مخالف للكتاب والعترة

اما الكتاب فقوله تعالى ﴿ ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ (١) وكان واجب الطاعة بالوحي ولم يكن معصوما بالاجماع وقوله تعالى ﴿ اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٢) فكان قبل النبوة اماما وخليفة وصدر منه ما صدر ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ فعصى آدم ربه فغوى ﴾ (٣) وقوله ﴿ ثم اجتباه ربه ﴾ والاجتباء في قوله تعالى في حق يونس ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ (٤)

واما اقوال العترة فمنها قول على رضى الله عنه كما روى صاحب الكافي عن على رضى الله عنه انه قال لاصحابه : (لا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست امينا ان اخطىء)

ومنها ما رواه صاحب الفصول عن ابي مخنف انه قال : كان الحسين يبدى الكراهة من صلح اخيه الحسن مع معاوية ويقول : لو جز أنفى لكان احب الى مما فعله اخى .

واذا خطأ احد المعصومين الاخر ثبت خطأ احدهما بالضرورة لامتناع اجتماع النقيضين .

وايضا في الصحيفة الكاملة للسجاد . وقد ملك الشيطان عنان نفسي في سوء الظن وضعف اليقين واني اشكو سوء محاورته لي وطاعة نفسي له .

وهذه الاقوال تدل على عدم عصمة الأئمة حيث نفوها عن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧

(٢) سورة البقرة آية ٣٠

(٣) سورة طه آية ١٢١

(٤) سورة القلم آية ٥٠

انفسهم وهم لم يدعوا العصمة لانفسهم اطلاقا وانما كان ذلك مجرد الدعوى من قبل اتباعهم من الغلاة والامامية الاثنى عشرية مستدلين بأن الامام لو لم يكن معصوما للزم التسلسل اذ لو جاز الخطأ عليه لافتقر الى آخر وهكذا فيتسلسل الأمر وهذا ليس بشيء لأن السلسلة تنتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي معصوم وكلامهم منقوض بالمجتهد النائب عن الامام في زمن الغيبة فهو غير معصوم اجماعا فلو لزم التسلسل في الامام كما زعموا للزم التسلسل في المجتهد النائب عن الامام في زمن الغيبة وهذا واضح • (١)

---

(١) التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢١

٢ — وجوب النص على الامام :

يقول الحلي ان الامام يجب ان يكون منصوصا عليه من قبل البارى تعالى لبطلان القول بالاختيار ولما يؤدى اليه القول بالاختيار من التنازع والفساد ولانه ليس بعض المختارين بأولى من البعض الآخر وغير علي لم يكن منصوصا عليه بالاجماع فتعين أن يكون علي هو الامام ٠ (١)

وهذا الدليل مردود وقد قدمنا بان الايجاب على الله فكرة اعتزالية مخالفة لعقيدة اهل السنة وعلى ذلك فلا يلزم ان يكون الامام منصوصا عليه من البارى تعالى لأن نصبه واجب على الأمة لا على الله كما تقدم بيان ذلك في طرق نصب الامام عند اهل السنة في الفصل الاول من هذا الباب ٠

فتعين الامام مفوض الى الأمة وهو الأصلح لهم كما تقدم من قبل ٠ (٢)

وقول الامامية : ان غير علي من أئمتهم ليس منصوصا عليه بالاجماع ٠ هذا باطل فقد قدمنا ان بعض السلف والخلف ذهبوا الى القول بالنص على ابي بكر رضى الله عنه كما ذهبت طائفة قليلة الى النص على العباس رضى الله عنه اذن فأين الاجماع المزعوم على ان غير علي لم يكن منصوصا عليه بالاجماع ٠ على أن الامامية لا تعتبر الاجماع حجة بل الحجة في قول المعصوم : فالاستدلال به ليس في محله لأن المستدل يجب ان لا يستدل الا بما يقربه ٠ (٣)

---

(١) راجع نهاية الكرامة ص١٤٦

(٢) التحفة الاثنا عشرية ص ١٢٢ ومنهاج السنة جـ ٣ ص٢٦٦

(٣) راجع منهاج السنة جـ ٣ ص٢٦٦

٣ — وجــوب حفظ الامام الشرع :

يذكر الحلي ان الامام يجب ان يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحي وقصــور الكتاب والسنة عن تفاصيل الجزئيات فلا بد من امام منصوب من الله تعالى معصوم مــن الخطأ والزلل لئلا يترك بعض الاحكام او يزيد فيها عـمدا او سهوا و غــيــر على رضوان الله عــنه لم يكن كذلك بالاجماع ٠ (١)

يقول ابن تيمية في الجواب عن هذا الدليل العقلي : نحن لا نسلم انه يجب ان يكون حافظا للشرع بل يجــب ان تكون الأمــة حافظة للشــرع و ذلك يحصل بالمجموع كما يحصل بالواحد ٠

بل الشرع اذا نقله اهل التواتر كان خيرا من نقل واحد ٠

ولا نسلم ان عليا رضى الله عــنه كان احفظهم للشرع بل كان أبــــو بكر وعمر اعـلم منه فبطل الاجماع المدعى ٠

وان زعموا انه معصوم فلا تعلم صحــة شــيء من الشرع الا بنقلــه لزم من ذلك ان الحجــة لا تقوم على أهل الأرض الا بنقله ولا نعلم صحــة نقلــه حتى نعلم انه معصوم ولا نعلم انه معصوم الا بالاجماع على نفــي عصمــة من ســواه ٠

فان كان الاجماع معصوما امكن حفظ الشرع به وان لم يكــن معصوما لم نعلم عصمته ثم يقال لهم هل يمكن للامام تبليغ الشرع الى من ينقلــه عنــــه بالتواتر ام لا يزال منقولا نقل آحاد من معصوم الى معصوم فان كان الامـــا م يمكن له ذلك فالرسول يمكــنه بطر يــق الأولى فحينئذ لا حاجــة الى نقل الامام وان قالوا لا يمكــنه ذلك لزم د يــن الاسلام انه لا ينقله الا واحد بعد واحــد من أقرباء الرسول الذين يمكن للقادح في نبو ته ان يقول انهم يقولون عــليه ماشاءوا

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٤٦ — ١٤٧

بانه كان طالب ملك اقامه اقاربه وعهد اليهم بما يقيمون به دولته ٠

وان قالوا الحاجة ماسة الى العصمة في حفظ الدين ونقله قلنا فلماذا لا يجوز ان يكون الصحابة هم المعصومين الذين حصل بهم مقصود الدين وبلغوه واذا كان لا يحفظ الشرع ويبلغه الا معصوم عن معصوم والمنتظر الذى له اكثر من الف سنة لم يأخذ احد عنه مسألة فمن أين علمتم القرآن والشرع في طول هذه المدة ٠

وايضا من اين لهم العلم بشيء من احوال الرسول وابن عمه وهم لم يسمعوا شيئا من ذلك من معصوم فان قالوا تواتر ذلك عندنا قيل : فان كان تواتر ذلك عن أئمتكم يوجب حفظ الشرع فلماذا لا يجوز ان يكون ماتواتر عن الأمة كلها عن نبيها اولى وأحرى من غير احتياج الى نقل واحد عن واحد ٠

وقولهم (لقصور النصوص عن تفاصيل الاحكام) يجاب عنه بأن الكليات الشرعية من الكتاب والسنة كفيلة بتفاصيل جميع الجزئيات والحوادث المتجددة في كل زمان ومكان فالنصوص غير قاصرة وقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ٠

وكل امام اذا خاطب الناس فلا بد ان يخاطبهم بما يعم الأعيان والأفعال اذ من الممتنع ان يعين كل فعل من فاعل في كل وقت فما بقي الا الخطاب الكلي وذلك ممكن من الرسول ٠ (١)

وبهذا يتبين فساد هذا الدليل كما ترى ٠

---

(١) راجع منهاج السنة جـ٣ ص ٢٧٠ـ٢٧١

٤ — وجوب امامة الأفضل :

ان الامام يجب ان يكون افضل من رعيته وعلى افضل اهل زمانه فيكون هو الامام لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا ونقلا. (١)

اجاب اهل السنة عن هذا الدليل العقلي بأن كون على افضل اهل زمانه غير مسلم وقد صرح على بن ابي طالب رضي الله عنه بذلك على منبر الكوفة بقوله (خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر.

واخرج البخارى في صحيحه عن محمد بن الحنفية انه قال : قلت لأبي أى الناس خير بعد رسول الله قال ابو بكر قلت ثم من قال ثم عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما انا الا رجل من المسلمين (٢)

واخرج ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم . (٣)

واخرج ايضا عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال خطب رسول الله الناس فذكر الحديث وفيه : ان أمنّ الناس على في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن أخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب ابى بكر (٤)

ونقل عن على رضي الله عنه من غير وجه فيمن فضله على الشيخين انه يجلد حد المفترى .

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٤٧

(٢) البخارى جـ ٧ ص ٢٠

(٣) البخارى جـ ٧ ص ١٦ وراجع منهاج السنة جـ ٣ ص ٢٧٧ والمنتقى من المنهاج ص ٤١٨

(٤) البخارى مع الفتح جـ ٧ ص ١٢

على ان بعض العلماء لا يوجبون امامة الافضل ونسب ابن تيمية هذا القول الى كثير من العلماء ثم قال : ومنهم من يقول بولاية المفضول اذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقوله الزيدية .(١)

ويقول صاحب التحفة الاثنى عشرية لا يلزم ان يكون الامام افضل اهل العصر عنده تعالى اذ قد خلف طالوت وداود وشمويل موجودان .(٢)

٥ ـ الحاجة الداعية الى الامام :

يقول الحلي : ان الله قادر على نصب امام معصوم وحاجة العالم داعية اليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه وغير علي رضي الله عنه لم يكن كذلك اجماعا فتعين ان يكون الامام هو عليا رضي الله عنه .

اما القدرة فظاهرة واما الحاجة فظاهرة ايضا وهي وقوع التنازع بين العالم .

واما انتفاء المفسدة فظاهرة ايضا لان المفسدة لازمة لعدمه .

واما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعي وانتفاء الصارف يجب الفعل .(٣)

وقد اجاب ابن تيمية عن هذا الدليل العقلي بأجوبة :

الأول :ـ ان هذا الدليل مبناه على الاجماع فان كان الاجماع معصوما كان مغنيا عن عصمة علي رضي الله عنه وان لم يكن معصوما بطلت دلالته على عصمة علي رضي الله عنه على التقديرين .

---

(١) المنتقى ص٤١٨

(٢) راجع التحفة الاثنا عشرية ص ١٢٢

(٣) منهاج الكرامة ص ١٤٧

الثاني :- انا لا نسلم ان الحاجة داعية الى نصب امام معصوم وذلك لان عصمة الأمة مغنية عن عصمته .

الثالث :- المعصوم الذى تدعو الحاجة اليه اهو قادر على تحصيل المصالح وازالة المفاسد ام هو عاجز عن ذلك الثاني ممنوع لان العاجز لا يحصل به وجود المصلحة ودفع المفسدة بل القدرة شرط في ذلك وان كان كل واحد من هؤلاء الاثنى عشر قادرين على ذلك ولم يفعلوه كانوا عصاة لا معصومين وان لم يقدروا لزم ان يكونوا عاجزين فأحد الأمرين لازم قطعا اوكلاهما . العجز وانتفاء العصمة وان كان كذلك فنحن نعلم بالضرورة انتفاء ما استدل به على وجوده . (١)

---

(١) منهاج السنة ج ٣ ص ٢٧٥

الفصل الرابع

ادلتهم من القرآن على الوصية للامام على رضى الله عنه
وموقف أهل السنة منها

اما الادلة الدالة على امامة على رضى الله عنه في نظر الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثيرة جدا ٠

يقول الدكتور صبحي :

للشيعة تأويلات لآيات كثيرة من القرآن تكاد تبلغ ثلاثمائة آية تشير كلها في رأيهم الى امامته رضى الله عنه (١) ٠

اما ابن المطهر الحلى فقد اقتصر على اربعين آية زعم انها دالة على امامة على رضى الله عنه ٠ (٢)

وسوف ترى ان تلك الايات لا تدل على امامة على رضى الله عنه لا نصا ولا استلزاما فالاستدلال بها على امامته فاسد : لكن القوم تجرؤا على كتاب الله فوضعوا بعض آياته في غير موضعها وتكلفوا في ذلك والله لا يحب المتكلفين وفي تأويلهم لهذه الايات تعسف وقد استندوا في ذلك الى اقوال بعض المفسرين الذين يجمعون ما هب ودب ٠

وقد شبه شيخ الاسلام ابن تيمية : بعضهم بحاطب ليل ٠ (٣)

ونحن هنا نقتصر على ذكر اهم تلك الايات ليقف الباحث على حقيقة القوم كيف يؤولون كتاب الله على حسب الهوى تقريرا للمذهب دون نظر الى ما يرد على الدليل من اعتراضات ٠

---

(١) نظرية الامامة ص ١٧٦

(٢) منهاج الكرامة ص ١٤٧

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤١٩

والمقصود ان هذه الايات ليست في محل النزاع وكان الشيعة المتقدمون قد اوردوا تلك الدلائل في اثبات امامة على رضى الله عنه وقصدوا بذلك الرد على اهل السنة •

ولما جاء المتأخرون وقد اخذوا من اهل السنة والمعتزلة شيئا من علم الاصول والكلام وحصل لهم نوع ما من الملكة والقدرة على الخصام •

غيروا تلك الأدلة واصلحوها بزعمهم بتبديل بعض المقدمات وزيادة على ما أثبتوه من موضوع الروايات وما علموا ان ذلك زاد في الفساد وابطل لهم المقصود والمراد • (١)

ونحن في بحثنا هذا نقتصر كما قلنا على الايات التي تشير اشارة واضحة في نظر الشيعة الامامية الاثنى عشرية الى ان الله تعالى نص في كتابه الكريم على امامة على رضى الله عنه بناء على ان الامامة من الله وان ذلك يوجب ان يكون الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم منصوصا عليه في القرآن • كما توجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يحدد الامام بعده • واليك فيما يلي تلك الايات مع ذكر موقف اهل السنة منها :

(١) — آية الولاية : وهي قوله تعالى ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ (٢)

ووجه الاستدلال بهذه الاية عند الامامية : انها نازلة في على بن ابي طالب رضى الله عنه وذلك اجماعا على حد تعبير ابن المطهر الحلى • وان الثعلبي روى بسنده الى ابي ذر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول : (على قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص ١٣٨

(٢) المائدة / ٥٥ راجع منهاج الكرامة ص ١٤٧

وان سائلا سأل يوما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطه أحد شيئا فرفع يده الى السماء وقال : اللهم اني اشهدك اني سألت في مسجد نبيك فلم أعط شيئا وكان على راكعا فأوما اليه بخنصره فأقبل فأخذ الخاتم وذلك بعين رسول الله •

فلما فرغ رفع رأسه الى السماء وقال : ان موسى سألك ﴿ واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي اشدد به ازري واشركه في أمري ﴾ (١) فانزلت عليه قرآنا ناطقا ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾ (٢) اللهم وانا نبيك وصفيك اللهم اشرح لي صدري ويسرلي أمري واجعل لي وزيرا من اهلي (عليا) أشدد به ظهري • فما استتم كلامه حتى نزل عليه جبريل بهذه الاية • (٣)

والولي هو المنصرف وقد اثبت له الولاية في الأمة كما اثبتها الله لنفسه ولرسوله (٤) وهذا هو وجه دلالة الاية على امامة على رضى الله عنه في زعمهم •

وقد اجاب ابن تيمية على الاستدلال بهذه الاية بوجوه متعددة :

خلاصتها : القدح في هذا الحديث باعتباره موضوعا والثعلبي الذى ذكره في تفسيره كحاطب ليل وفي تفسيره من الموضوعات ما لا يخفى ودعوى اجماع اهل التفسير على انها نزلت في على رضى الله عنه من اعظم الدعاوى الكاذبة بل اجمعوا على انها لم تنزل في على رضى الله عنه بخصوصه •

---

(١) سورة طه اية ٢٩ — ٣٠ — ٣١

(٢) سورة القصص اية ٣٥

(٣) منهاج الكرامة ص ١٤٨

(٤) منهاج الكرامة ص ١٤٩

كما تقابل هذه الرواية برواية الثعلبي ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الاية نزلت في ابي بكر رضى الله عنه وسئل ابو جعفر الباقر عن الاية فقال : هم المؤمنون فقيل له ان اناسا يقولون هو على رضى الله عنه فقال : على من الذين آمنوا .

وروى عن على بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الاية انه قال : كل من اسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا . (١)

ثم قوله ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ صيغة جمع فلا تصدق على فرد واحد .

وايضا فلا يثنى على المرء الا بمحمود وفعل ذلك في الصلاة غير مستحب اذ لو كان مستحبا لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولحض عليه ولكرر فعله (وان في الصلاة لشغلا) .

ثم كيف يقال : لا ولى لكم الا الذين يتصدقون في حال الركوع .

وقوله ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ يدل على وجود زكاة وعلى رضى الله عنه ما وجبت عليه زكاة قط في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بل كان فقيرا .

وزكاة الفضة انما تجب على من ملك النصاب حولا وعلى رضى الله عنه لم يكن من هؤلاء .

ثم اعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزىء عند اكثر اهل العلم فالاية بمنزلة

---

(١) راجع تفسير ابن جرير الطبرى ج ٦ ص ٢٨٨ وقد ذكر ابن جرير ان اهل التأويل اختلفوا في المعنى بهذه الاية قال : بعضهم عنى به على بن ابي طالب وقال بعضهم عنى به جميع المؤمنين .

قوله تعالى ﴿ واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ اقنتي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ (٢)

ثم من المعلوم المستفيض عند المفسرين ان هذه الاية نزلت في النهى عن موالاة الكفار ووجوب موالاة المؤمنين وسياق الكلام يدل على ذلك لمن تدبر فانه تعالى قال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (٣)

فهذا نهى عن موالاة اليهود والنصارى ثم قال تعالى ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ﴾ (٤) — الى ان قال ﴿ انما وليكم الله ﴾ فهذا وصف عام للمؤمنين لا بد منه • لكن على وابو بكر وعمر وعثمان والسابقون اولى الأمة بالدخول فيها •

ومن تأمل هذا الحديث وركاكته ظهر له كذبه ولو كان حقا كما زعموا لكان من خذله ومنعه حقه من النصر مخذولين ولم يكن الأمر كذلك بل نصروا وافتتحوا البلاد : فارس والروم والقبط والشيعة يدعون ان الأمة كلها خذلته الى ان قتل عثمان رضى الله عنه ولا ريب ان الأمة الى ان قتل عثمان رضى الله عنه كانت منصورة نصرا عظيما لم تنصر بعده مثله أبدا •

وايضا من المعلوم ان ايمان الناس بالرسول وطاعتهم له ما كان لأجل على كما كان هارون مع موسى عليه السلام ثم ان بنى اسرائيل كانوا يحبون هارون عليه السلام بخلاف على في زعم الرافضة حيث يدعون ان الناس يبغضون عليا رضى الله عنه وانهم ببغضهم له لم يبايعوه وكتموا النص عليه فكيف يقال :

---

(١) سورة البقرة اية ٤٣
(٢) سورة آل عمران اية ٤٣
(٣) سورة المائدة آية ٥١
(٤) سورة المائدة اية ٥٢

ان النبي صلى الله عليه وسلم احتاج اليه كما احتاج موسى الى هارون عليهما السلام وأما الموالاة فهي لفظ مشترك من حيث ان كل صالح من المؤمنين فهو ولي رسول الله والله مولاه وجبريل مولاه قال تعالى ﴿ وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ (١)

وليس في كون الصالح من المؤمنين مولى موجبا لكونه متوليا للأمر او متصرفا فيه .

قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ﴾ (٢) فكل مؤمن تقي فهو ولي الله والله وليه قال تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٤)

وليس في هذه الايات ما يدل على ان من كان وليا لآخر كان متوليا عليه دون الناس .

والفرق بين الولاية والولاية معروف فالأمير يسمى بالوالي ولا يسمى بالولي .

ومن هنا اختلف الفقهاء اذا اجتمع في الجنازة الوالي والولي ايهما يقدم : فالموالاة ضد المعاداة . (٥)

كما ان الركوع في الآية يجوز ان يراد به الخشوع والخضوع لا الركوع الاصطلاحي والركوع بمعنى الخشوع مستعمل في القرآن كقوله تعالى ﴿ واركعي مع الراكعين ﴾ (٦) مع ان الركوع الاصطلاحي لم يكن في صلاة من

---

(١) سورة التحريم اية ٤

(٢) سورة التوبة اية ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٥٧

(٤) سورة يونس اية ٦٢

(٥) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤١٩ — ٤٢٠ — ٤٢١ — ٤٢٢

(٦) سورة آل عمران الاية ٤٣

قبلنا من اهل الشرائع بدليل قوله تعالى ﴿ وخر راكعا ﴾ (١) ومعلوم ان الركوع المصطلح عليه ليس فيه خرور وسقوط بل هو انحناء مجرد ولا يمكن الخرور في تلك الحالة بخلاف الخشوع .

وقوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ (٢) ليس المقصود بالركوع هنا مجرد الانحناء الذى هو ركوع اصطلاحي .

ولما كان للخشوع معنى مجازيا مفارقا لهذا اللفظ جاز حمله عليه بلا ضرورة . (٣)

على ان هذا القيد لا دخل له في صحة الامامة بالاجماع لا طردا ولا عكسا . فتعليق حكم الامامة بهذا القيد يلزم منه اللغو في كلام البارى تعالى كما يقال مثلا : انما يليق بالسلطة من بينكم من له ثوب أحمر .

ولو نزلنا عن هذه كليا لقلنا : ان هذه الاية ان كانت دليلا لحصر الامامة في على رضى الله عنه فقد تعارضها الايات الأخر في ذلك فيجب الاعتقاد بها كما يجب على الشيعة ايضا اعتبار تلك المعارضات في اثبات امامة بقية الأئمة .

والدليل : انما يتمسك به اذا سلم عن المعارض وتلك الآيات المعارضات هي الايات المشيرة (٤) الى امامة الخلفاء الثلاثة كقوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (٥)

---

(١) سورة ص اية ٢٤
(٢) سورة المرسلات اية ٤٨
(٣) التحفة الاثنى عشرية ص١٤٣
(٤) التحفة ص ١٤٤
(٥) سورة النور اية ٥٥

وقوله تعالى ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ﴾ (٢)

وكل ذلك قد تحقق ووقع في خلافة الثلاثة والتاريخ يشهد لذلك .

وبهذه الايات استدل ابن حزم رحمه الله تعالى على ان القرآن نص على امامة الخلفاء الثلاثة . (٤)

٢ — آية التبليغ : — وهي قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (٥)

وقد زعمت الشيعة الامامية انها نزلت في على بن ابي طالب رضى الله عنه بالاتفاق . وقد استندوا في ذلك الى رواية أبي نعيم عن عطية ان الاية نزلت في على رضى الله عنه .

وما في تفسير (الثعلبي) في قوله تعالى ﴿ بلغ ما انزل اليك ﴾ في فضل على رضى الله عنه وانه لما نزلت الاية اخذ بيد على فقال (من كنت مولاه فعلى مولاه) (٦)

---

(١) سورة الفتح اية ١٦

(٢) سورة المائدة اية ٥٤

(٣) التحفة الاثنى عشرية ص ١٢٨

(٤) راجع الفصل جـ ٤ ص ١٠٩

(٥) المائدة/ ٦٧

(٦) المسند جـ ١ ص ٨٤

وفي تفسير الثعلبي ايضا : انه لما كان يوم (غدير خم) نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فاجتمعوا فاخذ بيد علي رضي الله عنه فقال (من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك وطار في البلاد) ثم ذكر قصة الحارث بن النعمان لما بلغه الخبر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالابطح فوجده في ملأ من اصحابه وكيف استنكر على النبي صلى الله عليه وسلم توليته علي رضي الله عنه وانه تولى وهو يقول (اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم) فما وصل حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله وانزلت ﴿ سأل سائل بعذاب ﴾(١) وروى هذا النقاش في تفسيره .(٢)

وتقرير الاستدلال بالاية عند الامامية على امامة علي رضي الله عنه ان النبي امر في الاية بتبليغ ولايته للناس فبين للناس ان من كان مولى للنبي فعلي مولاه ومن المعلوم ان النبي مولى ابي بكر وعمر والصحابة بالاجماع فيكون علي رضي الله عنه مولاهم فيكون هو الامام .

والاستدلال بهذه الاية على امامة علي رضي الله عنه مردود من وجوه :

الأول :— قولهم : ان الاية نزلت في علي رضي الله عنه كذب .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : بل ولا قال ذلك عالم وفي كتاب ابي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يعد والمرجع في النقل الى أهل علم الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المعارج آية ١/

(٢) راجع منهاج الكرامة ص١٤٩ = ١٥٠

الثاني :ـ ان هذا الحديث الذى ذكروه في سبب نزول الاية كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل الحديث •

يقول ابن تيمية : ولكذبه لم يرو في شيء من كتب الحديث المعتمد عليها •

الثالث :ـ ان حديث الغدير كان بعد حجة الوداع مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجته • الا ترى ان الشيعة يجعلون اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عيدا لهم والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع بعد ذلك الى مكة حتى لحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم •

الرابع :ـ ان في الحديث ما يبين كذبه وهو قوله (فجاءه الحارث وهو بالأبطح) ثم قوله : نزلت ﴿ سأل سائل بعذاب ﴾ (١) وهي انما نزلت قبل الهجرة بمكة ثم قوله ﴿ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق ﴾ (٢) نزلت عقب بدر بالاتفاق واهل التفسير متفقون على انها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة كأبي جهل وذويه ثم لم تنزل عليهم حجارة من السماء •

الخامس :ـ انه لو كان هذا المجهول قد نزل عليه حجر خرق هامته وخرج من دبره لكان آية من جنس اية اصحاب الفيل وذلك مما تتوفر الهمم والدواعي الى نقله • (٣)

ويقول الدكتور صبحي في بيان موقف اهل السنة في الاستدلال بهذه الاية :

اما آية ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك ﴾ فلم تنزل في ولاية على بل هي رسالة التوحيد كلف الله بها نبيه والاية نزلت قبل يوم الغدير بمدة

---

(١) المعارج اية ١/ (٢) سورة الانفال اية ٣٢

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥

وهي مكية ومع افتراض ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله يوم الغدير فانه لم يرد به الخلافة قطعا لكن الروافض يذكرون الحديث ويعتبرونه صحيحا اذا وافق هواهم. (١)

ومن هنا يتبين ان القول بان آية التبليغ نزلت في علي رضى الله عنه لم يثبت لدى المفسرين.

فالطبري يرى ان الاية نزلت ليقوم النبي بابلاغ اليهود والنصارى حسب مقتضى الايات السابقة وانها نزلت بعد الفتح ثم هو يذكر ان الله سيكفيه الناس ويعصمه منهم ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ذلك لأن اعرابيا هم بقتل الرسول فكفاه الله اياه فلا تشير الى غدير خم ولا الى ولاية على رضى الله عنه. (٢)

٣ ـ آية اكمال الدين : وهي قوله تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (٣)

يقول الحلى : روى ابو نعيم باسناده عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى غدير خم وامرنا بحث الشجر عن الشوك فقام فأخذ بضبعي على فرفعهما حتى نظر الناس الى باطن ابطي رسول الله ثم لم يتفرقوا حتى نزلت ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ فقال الرسول الله اكبر على اكمال الدين ورضا الرب برسالتي وبالولاية لعلى من بعدى ثم قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وانصر من نصره واخذل من خذله. (٤)

---

(١) نظرية الامامة ص ٢١٤ ـ ٢١٥

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ١٨٩ وراجع نظرية الامامة ص ١٢٥

(٣) سورة المائدة ٣/ (٤) منهاج الكرامة ص ١٥٠

والاستدلال بهذه الآية على امامة علي مردود ايضا لان الآية لم تنزل يوم الغدير بالاتفاق بل ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انها نزلت بيوم عرفة (١) قبل الغدير بسبعة أيام .

ثم ليس في الآية دلالة على علي رضي الله عنه بوجه من الوجوه ولا على امامته وانما يكون في الحديث دليل لو صح لكنه غير صحيح بهذه الالفاظ كما تقدم فسقط الاستدلال بالآية كما ترى . (٢)

ومعنى الآية ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ اي جعلته كاملا غير محتاج الى اكمال لظهوره على الاديان كلها وغلبته لها ولكمال احكامه التي يحتاج المسلمون اليها من الحلال والحرام .

والمقصود من اكمال الدين هنا نزول معظم الفرائض والتحليل والتحريم والا فقد نزل بعد ذلك قرآن كآية الربا وآية الكلالة .

والمراد باليوم المذكور هنا يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣) وقيل انها نزلت يوم الحج الاكبر . (٤)

فالاكمال المراد به كمال اركان الاسلام على وجه التفصيل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاد المسلمين في حجة الوداع لأجل ان يبين لهم مناسك الحج وهو الركن الخامس للاسلام فبينه باقواله وافعاله كما بين بقية اركان الاسلام قبل ذلك بالقول والفعل فتبين بهذا انه لا مدخل للآية في الامامة بوجه من الوجوه .

---

(١) الحديث رواه / البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٨ ص ٢٧٠ ومسلم ج ١٨ ص ١٥٤

(٢) المنتقى ص ٤٢٥

(٣) تقدم تخريج حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الصفحة رقم (١)

(٤) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١١

٤ ـ آية النجم : وهي قوله تعالى ﴿ والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ (١)

يقول الحلي :

روى الفقيه علي بن الفارابي الشافعي باسناده عن ابن عباس قال كنت جالسا مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ انقض كوكب من السماء فقال من انقض هذا الكوكب في منزله فهو الوصي من بعدي فاذا هو قد انقض في منزل علي فقالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي فنزلت الاية. (٢)

قال ابن تيمية رحمه الله :

وهذا الدليل مردود من وجوه :

الاول : ان ابن الجوزي ذكر هذا الحديث في الموضوعات بلفظ (ان النبي عليه الصلاة والسلام لما عرج به الى السماء السابعة فرأى ما راى من العجائب فلما اصبح بمكة واخبر بالخبر كذبه من اهل مكة من كذبه فانقض نجم فقال النبي عليه الصلاة والسلام في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي فوقع في دار علي رضي الله عنه فقال اهل مكة ضل محمد وغوى وهوى اهل بيته ومال الى ابن عمه فنزلت الاية .

قال ابن الجوزي هذا موضوع فما ابرد من وضعه وما ابعد ما ذكر. وفي اسناده ظلمات منها ابو صالح وكذلك الكلبي ومحمد بن مروان السدي واتهم به الكلبي . قال ابو حاتم : كان الكلبي من الذين يقولون ان عليا رضي الله عنه لم يمت وانه يرجع الى الدنيا وان رأوا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها . لا يحل الاحتجاج به .

---

(١) سورة النجم اية ١ ـ ٢

(٢) منهاج الكرامة ص ١٥٠ ـ ١٥١

قال ابن تيمية : والعجب من غفل عن وضع هذا الحديث كيف رتب ما لا يصلح في المعقول من النجم يقع في دار و يثبت النبي ان يرى •

ومن بلهه انه وضع هذا الحديث على ابن عباس رضى الله عنه وكان ابن عباس زمن المعراج ابن سنتين فكيف يشهد تلك الحالة و يرويها •

الثاني : انه لم ينقض كوكب قط لا في مكة ولا في المدينة ولا في غيرهما •

الثالث : لو جرى هذا كما قالوا لكان يغنى عن الوصية يوم الغدير • (١)

٥ — آية التطهير :— وهي قوله تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا ﴾ (٢)

يرى الامامية ان هذه الاية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وهم أهل البيت ووجه اختصاصهم بذلك ان الاية نزلت والنبي في بيت ام سلمة وهي جالسة عند الباب فقالت يا رسول الله الست من اهل البيت قال : انك على خير انك من ازواج النبي ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكساء فجاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)

قالوا ولما كان المراد بالرجس مطلق الذنب والاثام فان نفي الرجس عنهم بارادة الله يفيد العصمة لهم جميعا •

ولما كانت العصمة شرطا للامامة وكان الاتفاق على ان غيرهم لم يكن معصوما فقد وجب ان يكون على هو الامام • (٣)

---

(١) المنتقى ص ٤٢٦ — ٤٢٧ (٢) سورة الاحزاب اية ٣٣

(٣) نظرية الامامة ص ١٨٠ — ١٨١ وراجع منهاج الكرامة ص ١٥١

والجواب ان صاحب التحفة الاثنى عشرية قد انتقد هذا التفسير الشيعي للاية فذكر ان التطهير من الرجس ليس خاصا بمن ذكر ولذا قيل ان الاية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابو حاتم : عن ابن عباس وعن عكرمة ايضا انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك سياق الاية السابقة عليها وهي قوله تعالى ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (١) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ (٢)

فالخطاب اذن للأزواج المطهرات وفيه امر ونهي ونقله الى حال اخرين غير نساء النبي صلى الله عليه وسلم بلا تنبيه على انقطاع كلام سابق يخالف نظم البلاغة والخطاب كذلك للاناث لقوله تعالى ﴿ بيوتكن ﴾ فالاشارة الى اهل البيت يستفاد منها بيت رسول الله اى ما يسكنه فيه ازواجه . (٣)

غير ان الشيعة الامامية يستندون في دعواهم في ان اهل البيت ليس المقصود بهم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الى ان الايات السابقة على آية التطهير . الخطاب فيها للمؤنث دائما (لستن ، تخضعن - وقرن ، تبرجن) اما هذه الاية فالخطاب فيها بلفظ المذكر (عنكم - ويطهركم) مما يدل صراحة في نظر الشيعة الامامية ان المعنى بارادة الله باذهاب الرجس افرادا اخرين غير ازواج النبي . (٤)

ورد صاحب التحفة الاثنى عشرية على هذا الاعتراض بأن لفظ البيت اسم كلي يطلق على الجميع كما ان الله يخاطب المؤنث احيانا بلفظ المذكر

---

(١) الاحزاب / ٣٢

(٢) الاحزاب / ٣٣

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ١٤٩

(٤) نظرية الامامة ص ١٨٢ والتحفة ص ١٥٠

كقوله تعالى ﴿ أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ (٢) والقائل هو موسى لامرأته (٣)

وهناك فرق بين اهل البيت اذا اريد بهم من تحرم عليهم الصدقة فمن هذه الجهة فالازواج لا يدخلن في اهل البيت واما من جهة الفضل والتطهير فيدخلن في اهل البيت دخولا اوليا بل ذهب ابن حزم الى ان من افضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه ونصر ذلك بأدلة عقلية ونقلية واهم تلك الأدلة كونهن ازواجه في الاخرة ومعه في الجنة ومن اراد الوقوف على كلامه فليراجعه في كتابه (الفصل) (٤)

وعلى كل تقدير فالاية لا تدل على العصمة اذ لا يقال في حق من هو طاهر اني اريد ان اطهره ويكفي في رد ذلك ان الرسول بعد نزول الاية دعا لهم قائلا (اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فلو كانت الطهارة حاصلة لم يكن لدعائه معنى ولا يمكن ان تدل الاية على الامامة تبعا للعصمة المزعومة والا لصلحت للامامة امرأة وهذا ما لم يقل به الشيعة فذهاب الرجس اذن لا يختص به الأئمة وانما يشاركهم فيه غيرهم هذا فضلا عن أن التطهير لا يعني العصمة. (٥)

وغاية القول انهم محفوظون من الذنوب بعد تعلق ارادة الله بذهابها .

---

(١) هود اية ٧٢ (٢) طه اية ١٠

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ١٥٠ ـ ١٥١

(٤) الفصل جـ ٤ ص ١١٢ فما بعدها الى ١٣٤

(٥) المنتقى ص ٤٢٨ ونظرية الامامة ص ١٨٢ والتحفة الاثنا عشرية ص ١٥٢

ولو كان المراد بالتطهير ازالة الذنوب جميعا للزم ذلك اهل بدر جميعا لقوله تعالى فيهم ﴿ ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ (٢)

فلو كانت الطهارة واذهاب الرجز تفيد العصمة لكان الصحابة اولى بذلك لأن في ذلك اتماما للنعمة المذكورة في الاية. (٣)

واما حديث الكساء فهو صحيح رواه مسلم عن عائشة (٤) وفي السنن عن أم سلمة .

قال ابن تيمية ومع صحة هذا الحديث فلا يدل على عصمة هؤلاء ولا امامتهم اصلا لكنه يدل على انهم اخص اهل بيته ولذا خصهم بالدعاء ونحن نعلم ان الله اذهب عن اولئك السادة الشرك والخبائث والرجس وطهرهم من هذه الفواحش ولكن ليس من شرط التقى ان لا تقع منه صغيرة ويستغفر منها ولو كان ذلك شرطا لعدم المتقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن فعل ما يكفر سيئاته فهو من المتقين قال تعالى ﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (٥)

وقد يكون من تمام تطهير اهل البيت صيانتهم عن الصدقة فانها من اوساخ الناس. (٦)

---

(١) المائدة اية /٦ (٢) الانفال اية /١١

(٣) نظرية الامامة ص ١٨٣ والتحفة الاثنا عشرية ص ١٥٢ — ١٥٣

(٤) مسلم ج ١٥ ص ١٩٤ — ١٩٥

(٥) التوبة اية ١٠٣ (٦) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٢٩

قال ابن تيمية :

وبالجملة فالتطهير الذى في الاية ودعاء الرسول ليس هو العصمة بالاتفاق فان اهل السنة يثبتونها للرسول والشيعة لا يثبتونها لغير النبي صلى الله عليه وسلم الا لعلى اوالامام والحديث حجة عليهم في ابطال هذا القول حيث دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بيته بالتطهير ٠ وان قلنا المراد بذلك انه يغفر لهم ولا يؤاخذهم كان ذلك ادل على بطلان دلالته على العصمة (١) ٠

والرجس قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم ٠ قال الأزهرى : الرجس اسم لكل مستقذر من عمل (٢)

وبهذا يتبين بطلان الاستدلال بالاية على امامة على رضى الله عنه اوعلى عصمته وكذا بقية الاثنى عشر٠

٦ ـ آية المودة : قوله تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ﴾ (٣)

يقول الحلي :

روى الامام احمد في مسنده عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ، قال : على وفاطمة وابناهما وغير على من الصحابة الثلاثة ٠لا تجب مودته فيكون على افضل فيكون هو الامام ٠

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٢٩

(٢) النووى شرح مسلم جـ ١٥ ص ١٩٥٠

(٣) الشورى اية ٢٣

ولأن مخالفته تنافي المودة وامتثال اوامره يكون مودة فيكون واجب الطاعة وهو معنى الامامة (١)

اجاب ابن تيمية في الرد على الامامية في الاستدلال بهذه الاية من وجوه :

الاول : ان هذا الحديث الذى نسبوه الى مسند الامام احمد ليس فيه بل هو كذب بين بل في المسند ما يناقض ذلك من الاحاديث المروية في فضائل الصحابة ومودتهم ثم الامام احمد له مصنف في فضائل الخلفاء الاربعة فيه الصحيح والسقيم وزاد ابنه عبدالله فيه احاديث وزاد القطيعي فيه جملة كثيرة واهية مكذوبة فظن الجهلة ان الكل من رواية احمد وهذا خطأ قبيح فان زيادات عبدالله تظهر بكونها عن غير ابيه وزيادات القطيعة تعرف بروايته لها عن غير عبدالله بن احمد .

الثاني : ان هذه الاية من سورة الشورى مكية باتفاق وعلى رضى الله عنه ما تزوج فاطمة الا في المدينة والحسن ولد سنة ثلاث والحسين سنة أربع فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم الاية المكية بوجوب مودة من لا يعرف .

الثالث : ان تفسير الاية في الصحيح ان ابن عباس سئل عنها فقال له سعيد بن جبير الا ان تودوا محمدا في قرابته فقال ابن عباس عجلت انه لم يكن بطن من قريش الا ولرسول الله فيهم قرابة فقال (لا أسالكم عليه اجرا) لكن أسألكم مودة القرابة التي بيني وبينكم (٢) . فهذا ابن عباس ترجمان القرآن وأعلم أهل البيت بعد على يقول ما تسمع .

---

(١) منهاج الكرامة ص١٥٣

(٢) البخاري جـ ٨ ص ٥٦٤

الرابع : ان الرسول لا يسأل على تبليغ الرسالة أجرا البتة بل أجره على اللـه كما قال تعالى ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر ﴾ (١) وقال ﴿ أم تسألهم أجـرا فهم من مغرم مثقلون ﴾ (٣) وقال ﴿ ان اجرى الا على الله ﴾ (٢)

ولكن الاستثناء منقطع كقوله ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ (٤)

الخامس : انه قال ﴿ الا المودة في القربى ﴾ لم يقل الا المودة للقربـى ولا المودة لذوى القربى فلو اراد ذلك لقال هكذا كما قال الله تعالـى ﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولـذى القربى ﴾ (٥) وقال ﴿ فلله وللرسول ولذى القربى ﴾ (٦) وقولـه ﴿ فآت ذا القربى حقه ﴾ (٧) وقال ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى ﴾ (٨) فجميع ما أوصى به من حق ذوى قربى النبي او ذوى قربى الانسان هكذا فلما ذكر قوله في الشورى ﴿ الا المودة ﴾ بالمصدر دون الاسـم دل على انه لم يرد ذوى القربى ولو اراد لقال : المودة لذوى القربى . ولم يقل (في) لأنه لا يقال أسألك المودة في فلان ولا في قربى فـلان بل لفلان .

---

(١) الفرقان اية ٥٧

(٢) يونس اية ٧٢

(٣) الطور اية ٤٠

(٤) الفرقان اية ٥٧

(٥) الانفال اية ٤١

(٦) الحشر اية ٧

(٧) الروم اية ٣٨

(٨) البقرة اية ١٧٧

ولا ريب ان محبة اهل البيت واجبة لكن لم يثبت وجوبها بهذه الاية ولا محبتهم اجر للرسول صلى الله عليه وسلم بل هو مما أمرنا به فهو من العبادات و في الصحيح ان الرسول خطب بغدير خم وقال اذكركم الله في اهل بيتي قالها ثلاثة (١)

وفي السنن انه قال (والذى نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي) (٢)

السادس: انه لو كانت مودتنا لهم اجرا له لم يثب عليها لأنا اعطيناه اجره الذى استحقه بالرسالة فهل يقول هذا مسلم .

السابع: نحن نسلم انه تجب مودة علي بدليل اخر كما تقدم وليس في ذلك ما يوجب اختصاصه بالامامة والفضيلة . (٣)

واما قول الامامية والثلاثة لا تجب مودتهم فهذا مردود بل تجب ايضا مودتهم وموالاتهم فانه ثبت ان الله يحبهم ومن كان الله يحبه وجب علينا ان نحبه .

والحب في الله والبغض في الله واجب وهو اوثق عرى الايمان ولا ريب انهم من اولياء الله وقد ثبت ان الله رضى عنهم وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) . (٤)

---

(١) مسلم ج ١٥ ص ١٨ (٢) الترمذى ج ١٠ ص٢٦٣-٢٦٤

(٣) المنتقى ص٤٣١ ــ ٤٣٢ ــ ٤٣٣

(٤) البخارى ج ٨ ص ٤٣٨ ومسلم ج ١٦ ص١٣٩ ــ ١٤٠

ونحن علينا ان نحب من احبه الله ورسوله كعلي وغيره ممن ثبت فيه ذلك .

وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اى الناس احب اليك فقال عائشة فقيل فمن الرجال : قال : ابوها .(١)

وفي الصحيح ان عمر رضى الله عنه قال لابي بكر يوم السقيفه : بل انت سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وقال عليه السلام (لو كنت متخذا من هذه الأمة خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا) (٣)

وأيضا المودة لا تستلزم الامامة اذ لو كانت المودة تستلزم الامامة لكانت فاطمة اماما وهذا لم يقل به احد .(٤)

وبهذا يتبين سقوط الاستدلال بالاية على امامة على رضى الله عنه .

---

(١) البخارى جـ ٧ ص ١٨ ومسلم جـ ١٥ ص ١٥٣ وفيه (ثم عمر فعد رجالا)

(٢) البخارى جـ ٧ ص ١٩ ـ ٢٠

(٣) البخارى جـ ٧ ص ١٧ ومسلم جـ ١٥ ص ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣

(٤) المنتقى ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤

٧ — آية النذارة : وهي قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

يقول ابن المطهر: لما نزلت هذه الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب في دار ابي طالب بعد نزول هذه الاية وهم اربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم طعاما وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق من الشراب فاكلت الجماعة كلهم من ذلك الطعام اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما اكلوه فبهرهم ذلك وتبين لهم انه صادق في نبوته فقال : يا بني عبد المطلب ان الله بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ واني ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني عليه يكن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي ، فقال علي : انا يا رسول الله . فقال له الرسول : اجلس ، وتكرر ذلك من الرسول ومن علي عدة مرات فلم يقف احد سواه قال له الرسول : انت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي . فنهض القوم وهم يقولون لابي طالب قد ولى عليك ابنك (٢)

وقد انتقد ابن تيمية الاستدلال بهذه الآية وبهذا الخبر من وجوه :

١ — الاول : المطالبة بصحة النقل اذ ليس هذا الخبر في السنن ولا في المسانيد ولا في المغازي وانما هو في الموضوعات .

٢ — الثاني : ان بني عبد المطلب لم يبلغوا اربعين رجلا وقت نزول الاية ولا كانوا اربعين في حياة الرسول أبدا وجميع بني عبد المطلب من اولاد العباس وأبي طالب والحارث وأبي لهب فكان لأبي طالب اربعة : علي وجعفر وعقيل وطالب ، فطالب لم يدرك الاسلام والعباس كان اولاده رضعا او لم يولد له

---

(١) الشعراء / ٢١٤

(٢) منهاج الكرامة ص ١٦٧ — ١٦٨

والحارث كان له ثلاثة : ابو سفيان و ربيعة ونوفل • وابو لهب كان له ولدان او ثلاثة • فكل بني هاشم اذ ذاك لم يبلغوا بضعة عشر فأين الأربعون •

٣ـ الثالث : قوله في الحديث (كل رجل منهم ياكل الجذعة و يشرب الفرق) كذب ليس بنو هاشم معروفين بكثرة الاكل ولا عرف ولا واحد منهم يعرف عنه هذا •

٤ ـ الرابع : في الصحيحين ما يبين بطلان هذا عن ابي هريرة و غيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال (يا بني كعب ابن لؤى انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها) (١)

وفي الصحيحين ايضا انه لما نزلت قال رسول الله (يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار لا اغنى عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة ابنة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا سلاني ماشئتما من مالى) (٢) اخرجه مسلم من حديث قبيصة بن مخارق وفيه انه قام على الصفا فنادى (٣)

وبهذا يبطل استدلال الشيعة بما اوردوه حول هذه الاية •

---

(١) البخارى جـ ٥ ص ٣٧٩ • مسلم مع النووى جـ ٣ ص ٧٩ـ٨٠

(٢) البخارى جـ ٨ ص ٥٠١ • مسلم مع النووى جـ ٣ ص ٨٠ـ٨١

(٣) المنتقى ص ٤٦٥ـ٤٦٦ وراجع نظرية الامامة ص ١٧٩ ـ ١٨٠

٨ ـ الاية الثامنة : قوله تعالى ﴿ انما أنت منذر ولكل قوم هادى ﴾ (١)

يقول الحلى في كتاب الفردوس عن ابن عباس : انها نزلت في على

قال قال رسول الله انا النذير و على الهادى فبك يا على يهتدى المهتدون)

وان الاية صريحة في الامامة وروى نحوه ابونعيم . (٢)

والجواب ان هذا الحديث موضوع لا تحل نسبته الى الرسول صلى الله

عليه وسلم . قال ابن تيمية : وكتاب الفردوس للديلمى محشو بالموضوعات

كغيره و هذا من اقبحها .

وقوله (انت الهادى وما بعده ظاهره انهم يهتدون بك دونى

و هذا لا يقوله مسلم .

وان قالوا يهتدون به كهدايتهم بالرسول اقتضى المشاركة .

والله قد نص في كتابه على ان محمدا هو الهادى بقوله تعالى :

﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ (٣) وقوله (وبك يهتدى المهتدون)

ظاهره ان كل مسلم اهتدى فبعلى اهتدى . وهذا كذب فان محمدا

صلى الله عليه وسلم قد اهتدى به أمم ودخلوا الجنة ولم يأخذوا عن

على رضى الله عنه .

ثم لما فتحت الامصار اهتدى الناس بمن سكنها من الصحابة وعلى

مقيم بالمدينة لم يروه فكيف يقال : (بك يهتدى المهتدون) ؟

وقوله ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ عام في كل الطوائف فكيف يجعل عليا رضى

الله عنه هاديا للأولين والآخرين .

---

(١) الرعد اية ٧

(٢) منهاج الكرامة ص١٥٥ــ١٥٦

(٣) الشورى آية ٥٢

ثم الاهتداء بالشخص قد يكون بخبر تأمره كما يهتدى بالعالم. فدعوى دلالة الاية على امامة على باطل. (١)

ونقل الدكتور صبحي تعليقا لجولد تسير المستشرق على الحلي : في دعواه : اشارة الاية الى امامة على حيث يقول : ان الاية تعنى الاعتراف بحجية على في العلم فحسب لا الى حقه وحقوق بنيه السياسية. (٢)

ويقول صاحب التحفة :

وعلى تقدير الصحة فلا دلالة لهذه الاية على امامة على رضى الله عنه ونفيها عن غيره اصلا لان كون الرجل هاديا لا يستلزم ان يكون اماما ولا نفي الهداية عن الغير وان دل بمجرد الهداية على الامامة تكون الامامة المصطلحة لأهل السنة وهي بمعنى القدوة في الدين - مرادة وهو غير محل النزاع قال الله تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ (٣) وقال ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (٤) الى غير ذلك. (٥)

---

(١) المنتقى ص٤٤٠-٤٤١

(٢) نظرية الامامة ص١٩٩ (٣) السجدة : ٢٤ (٤) آل عمران : ١٠٤

(٥) التحفة الاثنى عشرية ص١٥٧

٩ — آية المباهلة : وهي قوله تعالى ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ (١)

يقول الحلي : نقل الجمهور كافة ان ﴿ ابناءنا ﴾ اشارة الى الحسن والحسين ﴿ ونساءنا ﴾ اشارة الى فاطمة ﴿ وأنفسنا ﴾ الى علي ثم قال : وهذه الاية أدل دليل على ثبوت الامامة له رضي الله عنه لأن الله جعله نفس الرسول والاتحاد محال فبقي المراد : المساواة له في الولاية العامة (٢) قال ابن تيمية :

والجواب : ان قصة المباهلة رواها مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال : لما نزلت الاية دعاهم الرسول فقال (اللهم هؤلاء اهلي) (٣) وهذا لا دلالة فيه على الامامة ولا على الافضلية ٠

وقولهم جعله الله نفس الرسول غير مسلم لان ذلك يقتضي المساواة وذلك ممتنع لان احدا لا يساوي الرسول وهذا اللفظ في اللغة لا يقتضي المساواة قال تعالى ﴿ ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ﴾ (٤) ولم يوجب ذلك ان يكون المؤمنون والمؤمنات متساويين وقال تعالى : ﴿ فاقتلوا انفسكم ﴾ (٥) اى يقتل بعضكم بعضا ولم يوجب ذلك تساويهم ولا ان يكون من عبد العجل مساويا لمن لم يعبده (٦)

فبقي ان المراد نفسه صلى الله عليه وسلم وما قاله علماء الشيعة من أن الشخص لا يدعو نفسه باطل : اذ قد شاع في العرف قديما وحديثا ان يقال :

---

(١) سورة ال عمران اية ٦١

(٢) منهاج الكرامة ص١٥٤

(٣) مسلم مع النووي جـ ١٥ ص ١٧٦

(٤) النور اية ١٢

(٥) البقرة ٥٤

(٦) المنتقى ص ٤٣٧ — ٤٣٨

دعته نفسه الى كـذا و دعوت نفسي الى كذا ﴿ فطوعت له نفسه قتل اخيه ﴾ (١)
وامرت نفسي وشاورت نفسي الى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة في
كلام البلغاء فكان معنى ﴿ ندع أنفسنا ﴾ نحضر انفسنا .

وقد جاء لفظ النفس بمعنى : القريب والشريك في النسب والدين
قال تعالى ﴿ ولا تخرجون انفسكم من دياركم ﴾ (٢) اى اهل دينهم ﴿ ولا
تلمزوا انفسكم ﴾ (٣) ﴿ ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا ﴾ (٤)

ثم لو كانت الاية دليلا لامامته للزم ان يكون اماما في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو باطل بالاتفاق وان قيد بوقت دون وقت فالتقييد
لا دليل عليه في اللفظ فلا يكون مفيدا المدعى اذ هو غير متنازع فيه
لان اهل السنة يثبتون امامته في وقت دون وقت فلم يكن هذا الدليل
قائما في محل النزاع (٥) .

اما اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه فلأن المباهلة
لا تكون الا بالاقارب ولذا علق وفد نجران تصديقهم النبي صلى الله
عليه وسلم على اختيار قرابته ذلك لأن طبع المرء انه يخاف على قرابته اكثر
من الابناء والنساء في المهادنة واختيار النبي لعلي دون قرابته فلأنه
لم يكن وقت المباهلة قد أسلم من اولي قرابته الا العباس ولم

---

(١) سورة المائدة اية ٣٠

(٢) سورة البقرة اية ٨٤

(٣) سورة الحجرات اية ١١

(٤) سورة النور اية ١٢

(٥) التحفة الاثنا عشرية ص١٥٦

تكـن له سابقـة مثله ٠ (١)

هذا وقد ذكـر الدكتور صبحـي ان الرازى تشـكك في حضـور علـى لقضيـة المباهلة مستدلا بأن ابن اسحاق لم يذكر في السـيرة ان علـيا حضـر المباهلة ٠ (٢)

غـير ان هذا الشك ليس بشيء فالخبر ثابت في صحيح مسلم كما تقدم الا انه لا يدل على الامامـة ولا على الافضليـة كما تقدم في كـلام ابن تيمية وفي كـلام صاحب التحفـة ٠

١٠ — الآيـة العاشرة : قوله تعالى ﴿ ومـن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضـاة الله ﴾ (٣)

قال الحلي : قال الثعلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة استخلف عليا لقضاء ديونه ورد الودائع وامره ليلة خرج الى الغار وقـد احاط المشركون بالدار ان ينام على فراشـه وقال : يا علي اتشح ببردي الحضرمي الأخضر ونـم على فراشي فانه لا يصل اليك منهم مكروه ففعل فأوحـى اللـه الى جبريل وميكائيل ان قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخـر فأيكما يؤثر صاحبه بالحيـاة فاختاركلا هما الحياة فقال الا كـنتما مثل علي آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه يؤثره الحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه فنزلا فكان جبريل عـند رأسه وميكائيل عـند رجليـه فقال جبريـل بـخ بـخ من مثلك يا ابن ابي طالب يبـاهي الله بك الملائكة فانزل الله على نبيه وهو متوجـه الى المدينة فيه هذه الاية ﴿ ومن الناس من يشرى نفسـه ابتغاء مرضاة الله ﴾

---

(١) نظريـة الامامـة ص ١٧٨

(٢) نظريـة الامامة ص ١٧٩

(٣) البقرة اية ٢٠٧

وقال ابن عباس نزلت في علي لما هرب النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار ثم قال : وهذه الفضيلة لم تحصل لغيره فدل على افضليته فيكون هو الامام (١) .

قال ابن تيمية : والجواب من وجوه :

١ ـ الأول : المطالبة بصحة النقل وعزو الخبر الى الثعلبي لا يجدي شيئا وقد تقدم الكلام على الثعلبي وامثاله .

٢ ـ الثاني : ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر لم يكن لقريش غرض في علي بل مطلوبهم النبي صلى الله عليه وسلم وابوبكر رضي الله عنه حيث جعلت قريش دية كل واحد منهما لمن جاء به .

ولذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم عليا في فراشه ليظنوه في البيت فلا يطلبونه فلما اصبحوا وجدوا عليا رضي الله عنه فظهرت خيبتهم ولم يؤذوا عليا بل سألوه عن رسول الله فقال : لا علم لي به ولو كان لهم غرض في علي لآذوه فلما لم يتعرضوا له دل على انه لا غرض لهم فيه .

٣ ـ الثالث : موقف ابي بكر الصديق الفدائي لا يقل عن موقف علي المذكور حيث كان في صحبة الرسول فكان يذكر الطلب فيكون خلف رسول الله ويذكر الرصد فيكون امامه .

٤ ـ الرابع : ان غير واحد من الصحابة قد فدوا رسول الله بانفسهم في الحروب فمنهم من قتل بين يديه ومنهم من شلت يده كطلحة وهذا واجب على المؤمنين .

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٥٣ ـ ١٥٤

٥ ـ الخامس : ان الايـة مدنية باتفاق وقيل نزلت الاية لما هـاجر صهيـب وطلبه المشركون فاعطاهم ماله واتى المدينة فقال له النبي صلى الله عليه وسـلم ربح البيع ابا يحيى وهذه القصـة في عدة تفاسير •

وعن قتادة قال : نزلت في المجاهدين المهاجرين وقال عكرمة : نزلت في صـهيب وابي ذر حين اخذ اهل بدر ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبـي صلى الله عليه وسلم فلما رجـع مهاجرا عرضوا له بممر الـمظهران فانفلـت منهم ايضا واما صهيب فاخذه اهله فافتدى منهم بمالـه •

٦ ـ السادس : ان لفظ الايـة مطلق يعم كل من باع نفسه ابتغاء مرضاة الله فقد دخل فيها اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله على الموت •

٧ ـ السابع : ان الفضيلة التي حصلت لابي بكر الصديق في الغار والهجـرة انفرد بها دون عمر وعثمان وعلى / وغيرهم من الصحابة فيكون هو الامام وهذا لا ريـب فيه بل هو الصدق الذى لا كذب فيه قال تعالى ﴿ الا تـنصروه فقد نصره الله اذ اخرجـه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبـه لا تحزن ان الله معنا ﴾ (١) فأين مثل هذه الخصيصة لغير الصديق بنـص القرآن ؟ (٢) ثم اذا كان الشيعة يرون ان الايـة في فضل على وامامته فالخوارج يرون ان هذه الايـة في قاتل على رضى اللـه عـنه وهو عبد الرحمن بن ملجم الخارجـى اخزاه الله يقول الدكتور احمد محمد صبحـى :

وجدير بالذكر انه اذا كان الشيعة يرون الاية في حق على ويراها ابن تيمية في حق صهيب فان الخوارج يرونها تشير الى قاتل على لانه في نظرهـم

---

(١) التوبـة اية ٤٠

(٢) المنتقى ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٣٦

فعل فعلته ابتغاء مرضاة الله ثم علق على ذلك قائلا وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مبلغ خضوع تفسير آيات القرآن لاهواء الفرق الاسلامية .(١)

غير انه من الملاحظ ان ما ذكره عن ابن تيمية من انه قال انها نزلت في صهيب ليس على اطلاقه وذلك ان ابن تيمية ذكر انه من ضمن ما قيل في سبب نزول الاية انها نزلت في صهيب وقيل غير ذلك ثم ذكر ان لفظ الاية مطلق فكل من باع نفسه ابتغاء مرضاة الله دخل فيها كما تقدم .

فالعبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب كما ان ما تضمن كلامه من ان اهل السنة يخضعون في تفسير ايات القرآن للأهواء غير واقع بل اهل السنة لهم قواعد واصول في تفسير كتاب الله تعالى مذكورة في كتب علوم القرآن .

---

(١) نظرية الامامة ص ١٩٥

الفصل الخامس

لستدلال الامامية بالسنة على الوصية لعلي رضي الله عنه

وموقف أهل السنة في ذلك

يرى الشيعة الامامية الاثنا عشرية ان السنة قد دلت على امامة علي رضي الله عنه وقد وضعوا في سبيل ذلك احاديث كثيرة وجميع ما ذكروا من الاحاديث لا يخلوا من قسمين : قسم صحيح وليس فيه دليل على المقصود . وقسم موضوع لا يصح الاحتجاج به في المسألة المتنازع فيها كما سنرى في مناقشة اهل السنة لتلك الاحاديث باذن الله تعالى . (١)

وقد قسم الدكتور صبحي ما يستدل به الامامية من الاحاديث على امامة علي رضي الله عنه . قسمها الى ثلاثةاقسام في نظر اهل السنة .

القسم الاول : ما كان صحيحا وليس في محل النزاع كما قلنا .

القسم الثاني : ما يشك في صحته بعض اهل السنة .

القسم الثالث: الاحاديث الموضوعة . وهذا القسم هو الذى فيه التصريح بالمسألة لكنه موضوع والموضوع لا يصح الاحتجاج به. (٢)

وسوف نستعرض في هذا الفصل الاقسام الثلاثة ان شاء الله تعالى .

---

(١) راجع الفصل جـ ٤ ص ٩٤

(٢) نظرية الامامة ص٢٢٦

اولا - الاحاديث الصحيحة :

اما الاحاديث الصحيحة التي احتجوا بها وليست في محل النزاع فمنها ما يأتي :

١ - حديث المنزلة : وهذا الحديث اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن سعيد بن ابي وقاص قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه على المدينة في غزوة تبوك فقال يا رسول الله (اتخلفنى في النساء والصبيان) فرد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدى) (١)

وهذا الحديث من الاحاديث التي يتقبلها اهل السنة كما قلنا الا انه لا يدل على امامته كما سنرى •

والشيعة الامامية يستدلون به على امامة على رضى الله عنه (٢)

ووجه الاستدلال به على امامة على في نظرهم : ان المنزلة اسم جنس مضاف الى العلم فيعم جميع المنازل لصحة الاستثناء واذا استثنى مرتبة النبوة فقد ثبت لعلى رضى الله عنه جميع المنازل الثابتة لهارون عليه السلام ومن جملتها صحة الامامة وافتراض الطاعة •

وايضا لوعاش هارون عليه السلام بعد موسى عليه السلام لكان خليفة له • ولما كانت له هذه المرتبة في عهد موسى عليه السلام فلو زالت عنه بعد وفاته لزم العزل وعزل النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع للزومه الاهانة المستحيلة في حقه فثبتت هذه المرتبة لعلى رضى الله عنه وهى الامامة • (٣)

---

(١) البخارى ج ٧ ص ٧١ ومسلم مع النووى ج ١٥ ص ١٧٥ - ١٧٦

(٢) منهاج الكرامة ص ١٦٨

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ١٦٢ ، ١٦٣ ومنهاج الكرامة ص ١٦٨

ويجاب عن هذا الدليل من وجوه :

١ — الاول : ان اسم الجنس المضاف الى العلم ليس من الفاظ العموم عند جميع الاصوليين بل هم قد صرحوا بانه للعهد في (غلام زيد) لان تعريف الاضافة المعنوية باعتبار العهد اصل وفيما نحن فيه قرينة للعهد موجودة وهي قوله : (اتخلفني في النساء والصبيان) يعني ان هارون كما كان خليفة لموسى لما توجه هو الى الطور كذلك صار علي خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم حين توجه الى غزوة تبوك .

والاستخلاف المقيد بهذه الغيبة لا يكون باقيا بعد انقضائها كما لم يبق في حق هارون ايضا ولا يمكن ان يقال : انقطاع هذا الاستخلاف عزل موجب للاهانة في حق الخليفة لان انقطاع العمل ليس بعزل والقول بانه عزل خلاف للعرف واللغة ولا يكون صحة الاستثناء دليلا للعموم الا اذا كان متصلا وههنا منقطع لان قوله : (انه لا نبي بعدي) جملة خبرية وقد صارت تلك الجملة بتاويلها بالمفرد بدخول ان في حكم الاعدم النبوة — وظاهر ان عدم النبوة ليس من منازل هارون حتى يصح استثناؤه لأن المتصل يكون من جنس المستثنى منه وداخلا فيه والنقيض لا يكون جنس النقيض وداخلا فيه فثبت ان هذا المستثنى منقطع جدا .

ولأن من جملة منازل هارون كونه أسن من موسى وافصح منه لسانا وكونه شريكا معه في النبوة وكونه شقيقا له في النسب وهذه المنازل غير ثابتة في حق علي بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم اجماعا بالضرورة .

فان جعلنا الاستثناء متصلا وحملنا المنزلة على العموم لزم الكذب في كلام المعصوم .

٢ — الثاني : انا لا نسلم ان الخلافة بعد موت موسى كانت من جملة منازل هارون لان هارون كان نبيا مستقلا في التبليغ ولو عاش بعد موسى ايضا لكان كذلك

ولم تنزل عنه هذه المرتبة قط وهي تنافي الخلافة لانها نيابة للنبي ولا مناسبة بين الاصالة والنيابة في القدر والشرف فقد علم ان الاستدلال على خلافة علي من هذا الطريق لا يصح ابدا .

وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شبه عليا رضى الله عنه بهارون عليه السلام . ومعلوم ان هارون خليفة في حياة موسى بعد غيبته وصار يوشع بن نون خليفة له بعد موت موسى عليه السلام فلزم أن يكون علي ايضا خليفة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد غيبته لا بعد وفاته بل يصير غيره خليفة بعد وفاته حتى يكون التشبيه على وجه الكمال اذ حمل التشبيه في كلام الرسول على النقصان غاية عدم الديانة وان تنزلنا قلنا : ليس في هذا الحديث دلالة على نفي الخلفاء الثلاثة غاية ما فيه ان استحقاق الامامة يثبت به لعلي رضى الله عنه ولو في وقت من الاوقات وهو عين مذهب اهل السنة . (١)

٣ـ الثالث : ان استخلاف هارون كان على كل قوم موسى واما استخلاف علي رضى الله عنه فكان على من بالمدينة من النساء والصبيان واما بقية المسلمين فكانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنت تعلم ان غزوة (تبوك) تخالف غيرها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد بالتخلف عنه . ولذا طيب النبي صلى الله عليه وسلم نفس علي رضى الله عنه وبين له ان استخلافه اياه لم يكن ببغض او استثقال .

٤ ـ الرابع : ان تشبيه الشيء بالشيء يكون مما يدل عليه السياق ولا يقتضي المساواة في كل شيء الا ترى الى ما ثبت من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أسارى بدر حين استشار ابا بكر فاشار بالفداء واستشار عمر فأشار بالقتل فقال (مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم اذ قال * فمن تبعني فانه مني

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص١٦٣ـ١٦٤.

ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ (١) ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ (٢)) الحديث (٣)

فقد جعل هذين مثليهما ولم يرد انهما مثلهما في كل شيء ولكن فيما دل عليه السياق من الشدة واللين وكذلك على انما هو بمنزلة هارون فيما دل عليه السياق وهو استخلافه في مغيبه ذاك •

٥ ـ الخامس : ان هذا الاستخلاف ليس من خصائص على ولا هو مثل سائر الاستخلافات ولا اولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى فقد استخلف ابن أم كلثوم وغيره في بعض غزواته وهذا معروف •

٦ ـ السادس : انه لو كان بمنزلة هارون مطلقا لما أمّر عليه ابا بكر في حجة سنة تسع فكان يصلي خلفه ويطيع امره •

٧ ـ السابع : انه ليس كل من صلح للاستخلاف في الحياة على بعض الأمة يصلح أن يكون خليفة بعد الموت •

وقولهم لم يعزله عن المدينة فيكون خليفته فيها بعد موته واذا كان خليفته في المدينة كان خليفته في غيرها اجماعا •

يقول ابن تيمية في الجواب على ذلك :

وهذه حجة داحضة كأمثالها من جنس نسيج العنكبوت لأنه بمجرد

---

(١) ابراهيم اية ٣٦

(٢) نوح اية ٢٦

(٣) رواه الترمذى ج ٩ ص ٤٧٦ ورواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢١ ـ ٢٢ والبغوى في تفسيره ج ٤ ص ٩٤ ـ ٩٥ مع ابن كثير •

مجيء النبي صلى الله عليه وسلم انعزل علي كما كان غيره من نواب الرسول على المدينة حيث ينعزلون بمقدمه ٠

وقد ارسله بعد ذلك ببراءة الى اهل الموسم سنة تسع مع ابي بكر كما مر بنا آنفا كما بعثه عاملا على اليمن ثم وافاه في حجة الوداع وهذا كله يدل على انه لم تكن امارته على المدينة مستمرة كما زعموا ٠

٨ — الثامن : ان الاستخلاف في الحياة نيابة ولا بد منها لكل امام عزما وبعد الموت انقطع التكليف عنه كما قال المسيح ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ﴾ (١)

يقول الدكتور صبحي :

ان علماء الشيعة الامامية كعبد الحسين شرف الدين والمسوى القزوينى يذكرون : اضافة الى متن هذا الحديث غير مذكورة في النص السنى اوحتى النص الذى يثبته كثير من علماء الشيعة انفسهم وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا انه لا نبي بعدى انه لا ينبغى ان اذهب الا وانت خليفتي) ثم قال الدكتور (ولا شك ان هذه العبارة تحمل من الحديث نصا جليا في امامة علي يحسم كل اختلاف ويضع حدا للتفسيرات المتباينة التي استخلصتها الفرق من دلالة الحديث (٢)

والواقع ان هذه العبارة غير ثابتة والصحيح من لفظ الحديث هو ما قدمنا سياقه ٠

فالحديث فيه دلالة على فضيلة علي ومكانته من الرسول ووجه الشبه بين علي وهارون انما هو في الاستخلاف الموقت ٠

---

(١) المائدة ١١٧ راجع المنتقى ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠

(٢) نظرية الامامة ص٢٢٥

يقول ابن حزم : وهذا الحديث لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام لأن هارون لم يل امر بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام وانما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر كما ولي الأمر بعد رسول الله صاحبه في الغار الذي سافر معه الى المدينة واذا لم يكن علي نبيا كما كان هارون نبيا ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى عليه السلام على بني اسرائيل فقد صح ان كونه رضي الله عنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى انما هو في القرابة فقط . وايضا انما قال له رسول الله هذا القول اذ استخلفه على المدينة فقال : المنافقون : استثقله فلحق علي برسول الله فشكى ذلك اليه فقال له رسول الله حينئذ : انت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختارا استخلافه كما استخلف موسى هارون ايضا مختارا استخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في اسفاره رجالا سوى علي فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلا على غيره ولا ولاية الامر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين . (١)

٢ — <u>حديث الراية :</u> وهو قوله عليه الصلاة والسلام (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فاعطاها عليا وفتحت خيبر على يديه) (٢) الحديث بطوله .

وهذا الحديث من الاحاديث الثابتة في حق علي رضي الله عنه

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ٩٤ — ٩٥

(٢) البخارى جـ ٧ ص ٧٠ ومسلم جـ ١٥ ص ٧٥ وما بعدها الى ٧٩

عند الطرفين اهل السنة والشيعة .

واما وجه استدلال الشيعة الامامية بهذا الحديث على احقية علي بالامامة فلأن هذه الصفات التي اوردها النبي صلى الله عليه وسلم وكم اصبحت خاصة بعلي فهو وحده الذي يحبه الله ورسوله وهذا يدل على الافضلية وبالتالي الأحقية بالامامة من حيث ان الامامة للأفضل (١) .

وقد أجاب اهل السنة بان الحديث لا يدل على مدعى الشيعة أنه لا ملازمة بين كونه محبا لله ورسوله ومحبوبا لهما وبين كونه اماما اصلا .

يقول صاحب التحفة :

لا يلزم من اثبات الصفتين له نفيهما عن غيره كيف وقد قال الله في حق ابي بكر ورفقائه ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (٢) وقال في حق أهل بدر ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (٣) ولا شك ان من يحبه الله ورسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله وقال الله في شأن اهل قباء ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾ (٤) وهذا على احدى التفسيرات في الاية .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ (يا معاذ اني أحبك) (٥)

ولما سئل من احب الناس اليك قال (عائشة) قيل ومن الرجال قال (ابوها) (٦) .

واضاف يقول : وانما نص على الحبيبية والمحبوبية في حق علي رضي الله عنه مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٣١ ومنهاج الكرامة ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) المائدة اية ٥٤

(٣) الصف اية ٤

(٤) التوبة اية ١٠٨

(٥) قال ابن حجر رواه احمد وابو داود والنسائي . بلوغ المرام مع سبل السلام ج ١ ص ٢٦٥ والفتح الرباني على مسند الامام احمد ج ٢٢ ص ٣٥٣

(٦) البخاري ج ٧ ص ١٨

(يفتح الله على يديه) وهي انه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم ان ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد (ان الله مؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)[١] فأزال ذلك التوهم باثبات هاتين الصفتين له رضى الله عنه فصار المقصود تخصيص مضمون قوله (يفتح الله على يديه) وما ذكر من الصفات لازالة ذلك التوهم[٢].

ويقول ابن حزم : وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول الله لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلى (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)[٣]

ويقول ابن تيمية :

ان فتح خيبر يدل على الفضيلة لا على الافضلية[٤] خلافا للشيعة الذين اعتبروه معجزة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في اسامة بن زيد وفي ابيه (انهما من احب الناس اليه)[٥] وقال مثل ذلك في الانصار[٦].

ومن هنا يتبين ان عليا رضى الله عنه لم يختص بهذه الصفات بل يشاركه غيره فيها وانها لا تستلزم الامامة فبطل الاعتماد على هذا الدليل في اثبات امامته رضى الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقرير ذلك آنفا .

---

(١) البخارى ج ٦ ص ١٧٩

(٢) التحفة الاثنا عشرية ص ١٧٠

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٢٤ والحديث تقدم تخريجه في ص ٣٦٢ رقم ٢

(٤) المنتقى ص ٤٧٢

(٥) البخارى ج ٧ ص ٨٦ ومسلم ج ١٥ ص ١٩٥ـ١٩٦

(٦) البخارى ج ٧ ص ١١٣ ـ ١١٤ ومسلم ج ١٦ ص ٦٧ ـ ٦٨

٣ ـ قوله صلى الله عليه وسلم لعلي : (أنت مني وأنا منك) (١)

وهذا الحديث من الاحاديث الثابتة عند اهل السنة لكنه لا يدل على الامامة انما يدل على المدح والفضيلة وهذه الصفة لم يختص بها علي رضي الله عنه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الاشعريين (هم مني وانا منهم) (٢) وقال في جليبيب لما وجده مقتولا وقد قتل سبعة من الكفار (هذا مني وانا منه) (٣)

واما الشيعة فقد ذكروا زيادة في الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه انه (سيد المسلمين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) وقوله فيه ايضا (هذا اولى بكل مؤمن من بعدي) وهذه الزيادة موضوعة لا يصح الاحتجاج بها يقول ابن تيمية في الحديث الذي اشتمل على هذه الزيادة :

ان اسناده فيه متهم بالكذب وهو موضوع عند كل من له معرفة بالحديث ولا تحل نسبته الى الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم وقال ابن تيمية : (ولا نعلم احدا هو سيد المسلمين وامام المتقين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٤)

ويقول صاحب التحفة فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : (ان عليا مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن من بعدي) هذا الحديث باطل لان في اسناده أجلح وهو شيعي متهم في روايته .

غير انه لو صح لكان غير مقيد بالوقت المتصل بزمان وفاته صلى الله عليه وسلم ولفظ (بعدي) يحتمل الاتصال والانفصال وهو مذهب اهل السنة

---

(١) البخاري ج ٥ ص ٣٠٣ـ٣٠٤ وج ٧ ص ٧٠

(٢) مسلم ج ١٦ ص ٦١ ـ ٦٢ (٣) مسلم ج ١٦ ص ٢٦

(٤) المنتقى ص ٤٧٣

القائلين بأن عليا رضي الله عنه كان اماما مفروض الطاعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في وقت ما من الاوقات . (١)

٤ — حديث الكتاب والدواة : وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته (اتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلون به من بعدي فقال عمر ان الرجل يهجر حسبنا كتاب الله فكثر اللغط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدى فقال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما . وفي لفظ انه اوصى عند موته بثلاث (اخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بمثل ما كان رسول الله يجيزه وان الراوي نسي الثالثة) (٢)

ويعلق الشيعة على حديث البخاري هذا بان الثالثة التي نسيت ليست الا الامر الذي اراد النبي ان يكتبه حفظا لهم من الضلال لكن السياسة هي التي اضطرت رواة الحديث الى نسيانه .

ويحمل الشيعة حملة شعواء على عمر لما نسب اليه من قول (هجر الرسول) وقالوا ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٣) وقوله ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ (٤)

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص ١٦٤

(٢) البخاري جـ ١ ص ٢٠٨ و × جـ ٨ ص ١٣٢ ومسلم جـ ١١ ص ٨٩

(٣) الحشر اية ٧

(٤) النجم اية ٢ — راجع نظرية الامامة ص ٢٢٣ ومنهاج السنة جـ ٣ ص ١٧

كما اتهم الشيعة علماء الحديث بانهم تصرفوا في لفظ الحديث فنقلوا معناه وان اللفظ الذى قاله عمر هو ان النبي صلى الله عليه وسلم (يهجر) فجعلها اهل السنة (غلبه الوجع) تهذيبا للعبارة لما يفيده لفظ الهجر من الهذيان الذى لا يليق ان ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم (١) وذكروا ان اهل السنة لم يقبلوا وصية النبي في مرضه بينما قبلوا وصية ابي بكر في عمر رضى الله عنه في مرضه وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصد بهذا الكتاب توثيق العهد بالخلافة وتاكيد النص على علي رضى الله عنه والأئمة من عترته •

وصاحب النظرية الامامة يتهم الرازى وابن تيمية بانهما يطعنان في صحة هذا الحديث وانه حجة ابن تيمية في انكاره قوله (لو كان النبي قد نص على امامة على نصا جليا ظاهرا معروفا قبل ذلك فلم يكن يحتاج الى الكتاب • واضاف بقول : وقد شك طه حسين ايضا في صحة حديث الكتاب • (٢)

هذا كل ما نسجته الشيعة الامامية حول هذا الحديث والواقع ان هذا الكلام مردود •

فان الحديث صحيح لا مغمز فيه بوجه من الوجوه لا من ابن تيمية ولا من غيره من اهل السنة ولم يقع لأئمة الحديث تحريف لالفاظه فلفظة " هجر " (٣) موجودة في صحيح البخارى ومسلم لم تغير اوتروى بالمعنى خلافا لما نقله صاحب نظرية الامامة عن الشيعة الامامية القائلين بأن اهل السنة غيروا لفظة "هجر" الى لفظة : غلب •

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٣٢ - ٢٣٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٣) البخارى ج ٨ ص ١٣٢ ومسلم ج ١١ ص ٨٩

كما ان تشكك الدكتور طـه حسين في صحـة الحديث لا عـبرة به فقـد شـك فيما هو اعظم من هذا تواترا •

فالحديث اذن صحيح عـند اهل السنة لكـنه عـند هم هو المبيـن بحديث عائشـة رضي الله عـنها ان رسول الله قال لها في مرضـه (ادعي لي اباك واخاك لاكتب لا بي بكركتابا لن يضلوا به بعدى) (١)

قال : ابن تيمية :

واما قصة الكتاب الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يكتبه فقد جاء مبينا كما في الصحيحين عن عائشة رضـى الله عـنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضـه (ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كـتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكـر) (٢) وفي صحيح البـخارى عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة : (وارأسـاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوكان وانا حـي فاستغـفر لك وادعو لك قالت عائشـة واثكـلاه والله اني لاظـنك تحـب موتي فلوكـان ذلك لظللت آخر يومـك معرسـا ببعض ازواجك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل انا وارأساه لقد هممت ان ارسل الى ابـي بكر وابنه فاعهد ان يقول القائلون او يتمنى المتمنون ويدفع الله ويأبـى المؤمنون) (٣)

وفي صحيح مسلم عن ابن ابي مليكـة قال سمعت عائشـة وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف قالت ابو بكر فقيـل لها ثم من بعد ابي بكـر قالت عمر قالت ثم من بعد عمر قالت أبـو عبيدة عامر بن الجراح ثم انتهت الى هذا) (٤)

---

(١) مسلم جـ ١٥ ص ١٥٥

(٢) البخارى جـ ١٢ ص ٢٠٥ ومسلم جـ ١٥ ص ١٥٥

(٣) البخارى جـ ١٢ ص ٢٠٥ (٤) مسلم جـ ١٥ ص ١٥٤

وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وسلم من شدة المرض اوكان من اقواله المعروفة والمرض جائز على الأنبياء ، ولهذا قال ماله (أهجر) فشك في ذلك ولم يجزم بانه هجر والشك جائز على عمر فانه لا معصوم الا النبي صلى الله عليه وسلم لا سيما وقد شك لشبهة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مريضا فلم يدر اكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض اوكان من كلامه المعروف الذى يجب قبوله ولذلك ظن انه لم يمت حتى تبين انه قد مات .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على ان يكتب الكتاب الذى ذكره لعائشة فلما رأى ان الشك قد وقع علم ان الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة ، وعلم ان الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال (ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر) .

وقول ابن عباس (ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب الكتاب) يقتضي ان هذا الحائل كان رزية وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق اواشتبه عليه الأمر فانه لوكان هناك كتاب لزال هذا الشك .

فأما من علم ان خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد .

ومن توهم ان هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة .

اما أهل السنة فمتفقون على تفضيل ابي بكر وتقديمه .

واما الشيعة القائلون بأن عليا هو المستحق للامامة فيقولون انه قد نص على امامته قبل ذلك نصا جليا ظاهرا معروفا وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب .

وان قيل ان الأمة جحدت النص المعلوم المشهور فلئن تكتم كتابا حضره طائفة قليلة أولى وأحرى .

وأيضا فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان الى مرض موته .

ولا يجوز ترك الكتاب لشك من شك فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته لكان النبي صلى الله عليه وسلم يبينه و يكتبه ولا يلتفت الى قول احد فانه اطوع الخلق لله تعالى فعلم انه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجبا ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ اذ لو وجب لفعله صلى الله عليه وسلم ولو ان عمر رضى الله عنه اشتبه عليه امر او شك في بعض الأمور فليس هو اعظم ممن يفتي ويقضي بامور ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بخلافها مجتهدا في ذلك ولا يكون قد علم حكم النبي صلى الله عليه وسلم فان الشك في الحق اخف من الجزم بنقيضه وكل هذا باجتهاد سائغ كان غايته ان يكون من الخطأ الذى رفع الله المؤاخذة به كما قضى على رضى الله عنه في الحامل المتوفى عنها زوجها انها تعتد أبعد الأجلين مع ما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قيل له ان ابا السنابل بن بعكك أفتى بذلك سبيعة الاسلمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذب ابو السنابل حللت فانكحي من شئت) (١) كذب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذى افتى بهذا وابو السنابل لم يكن من اهل الاجتهاد وما كان له ان يفتي بهذا مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم . وأما على وابن عباس فان كانا أفتيا بذلك لكن كان ذلك عن اجتهاد وكان ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بلغهما قصة سبيعة وهكذا سائر أهل الاجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم اذا اجتهدوا فأفتوا وقضوا وحكموا بأمر والسنة بخلافه ولم تبلغهم السنة كانوا مثابين على اجتهادهم مطيعين لله ولرسوله فيما فعلوه (٢) .

---

(١) مسلم ج ١٠ ص ١٠٨ حتى ص ١١١ والبخارى ج ٩ ص ٤٦٩ - ٤٧٠

(٢) منهاج السنة النبوية ج ٣ ص ١٣٥ - ١٣٦

ورغم صحة حديث عائشة كما رأيت فقد طعن الدكتور صبحي في صحته متهما اهل السنة في وضعه معارضة لحديث الشيعة في امر كتاب النبي الذى ينسبون الى عمر انه منعه في نظرهم واضاف يقول في تأييد رأيه ولو صح كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر لكان نصا جليا لابي بكر وهو ما لم يقل به جمهور المسلمين ثم لم يطلب النبي ان يكتب الكتاب ثم يعدل عنه ولم يثبت ان عائشة دعت اباها ولا اخاها (١)

ويبدو ان هذه نزعة شيعية بحتة والا فقد عرفت فيما تقدم صحة الحديث و على ما يحمل عليهم عدوله عن الكتابة فالحديثان صحيحان واحدهما يبين الاخر كما تقدم تقرير ذلك عن ابن تيمية والله الموفق ٠

٥ - حديث الثقلين : وهو قوله صلى الله عليه وسلم (انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض) (٢)

ووجه الاستدلال به على امامة علي

كما قال (الحلي) وجوب التمسك بقول اهل بيته وسيدهم علي رضى الله عنه فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون هو الامام دون غيره من الصحابة (٣)

يقول حسن الامين هذا الحديث من اقوى الادلة على الامامة وعلى عصمة اهل البيت من جهة اقترانهم بالقرآن (٤)

اجاب ابن تيمية عن هذا الدليل :

بأن لفظ الحديث في مسلم انما هو عن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول

---

(١) راجع نظرية الامامة ص٢٣٦

(٢) الترمذى ج ١٠ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه

(٣) منهاج الكرامة ص ١٧٢ (٤) دائرة المعارف الشيعية ج ١٤ ص ١٥

الله خطيبا بخم فقال (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله)[١] اما قوله (وعترتى) فهذا رواه الترمذى وتفرد به زيد بن الحسن الانماطى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر .

والانماطى قال فيه ابوحاتم منكر الحديث واخرجه الترمذى من حديث ابن فضيل حدثنا الاعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن زيد بن ارقم عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى احدهما اعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتى اهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما) حسنه الترمذى .[٢]

قال في التحفة : وهذا الحديث ايضا كالاحاديث السابقة لامساس له بمدعى الشيعة الامامية اذ لا يلزم ان يكون المتمسك به صاحب الزعامة الكبرى .

ثم لو دل الحديث على الامامة للزم ان يكون جميع اقاربه أئمة واجبي الطاعة وهو باطل : لأن العترة في لغة العرب هم الاقارب[٣] . اذن فالمراد بالتمسك بالعترة عند اهل السنة محبتهم والمحافظة على حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم وهو لا ينافى اخذ السنة من غيرهم لقوله تعالى ﴿ فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾[٤]

يقول المباركفورى عند شرحه لهذا الحديث قال : ابن الملك التمسك بالكتاب العمل بما فيه وهو الائتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه .

ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم زاد السيد جمال الدين ان لم يكن مخالفا للدين .[٥]

---

(١) مسلم جـ ١٥ص ١٧٩

(٢) المنتقى ص ٤٧٥ والحديث رواه الترمذى جـ ١٠ ص ١٨٩ـ ١٩٠

(٣) التحفة الاثنى عشرية ص ١٧٤

(٤) تحفة الاحوذى جـ ١٠ ص ٢٨٨
الآية من سورة النحل : آية ٤٣

(٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٢٨٨

ثانيا - الاحاديث التي يشك بعض أهل السنة في صحتها :

١ - حديث غدير خم : وهذا الحديث له شأن عظيم عند الشيعة (١)

ونظرا للاهمية التاريخية والعقائدية ليوم الغدير فقد اتخذ الشيعة يومه وهو الثامن عشر من ذي الحجة عيدا وهم يحيون هذه الليلة بالصلاة ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الشروق ويلبسون الجديد ويعتقون العبيد ويذبحون الاغنام ويكرمون الاهل والاجانب .

ويهنئ الشعراء وغيرهم الكبراء منهم بهذا العيد . (٢)

وحاصل حديث غدير خم ان بريدة بن الحصيب روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بغدير خم حين رجع من حجة الوداع وهو موضع بين مكة والمدينة اخذ بيد علي بن ابي طالب وخاطب جماعة المسلمين الحاضرين فقال يا معشر المسلمين : ألست اولى بكم من انفسكم قالوا : بلى . قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) . (٣)

وتقرير الاستدلال بعلى امامة علي لدى الشيعة الامامية ان المولى بمعنى الاولى بالتصرف وكونه اولى بالتصرف عين الامامة .

يقول الحلي : والنبي صلى الله عليه وسلم مولى ابي بكر وعمر وباقي الصحابة بالاجماع فيكون علي رضي الله عنه مولاهم فيكون هو الامام (٤)

يقول صاحب التحفة بعد نقله لهذا الدليل في نظرهم : (ان اول الغلط في الاستدلال به عدم ثبوت المولى بمعنى الاولى عند علماء العربية قاطبة بل قالوا لم يرد قط مفعل بمعنى افعل في موضع ومادة اصلا فضلا عن

---

(١) التحفة الاثني عشرية ص١٥٩ (٢) نظرية الامامة ص٢١٣
(٣) منهاج الكرامة ص١٦٨ (٤) المصدر السابق ص ١٤٩

هذه المادة بالخصوص .

الا ان ابا زيد اللغوي جوز هذا متمسكا فيه بقول ابي عبيدة في تفسير (﴿ هي مولاكم ﴾[1] أولى بكم لكن جمهور اهل العربية خطأوه في هذا التجويز قائلين بأن هذا القول لو صح لزم ان يقال : مكان فلان اولى منك مولى منك وهو باطل ومنكر بالاجماع .

وايضا قالوا ان تفسير ابي عبيدة بيان لحاصل المعنى بمعنى النار مقركم ومصيركم والموضع اللائق بكم لا ان لفظ المولى بمعنى الاولى هذا هو الوجه الاول من وجوه الرد في الاستدلال بهذا الحديث .

الوجه الثاني : ان المولى لو كان بمعنى الاولى فرضا فلا يلزم ان تكون له صلة بالتصرف وكيف تلزم هذه الصلة ومن اية لغة .

اذ يحتمل ان يكون المراد اولى بالمحبة واولى بالتعظيم واى ضرورة توجب ان كل لفظ (الاولى) يراد به التصرف كما قال تعالى ﴿ ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾[2]

فمن الواضح ان اتباع ابراهيم لم يكونوا اولى بالتصرف في جنابه العظيم .

الوجه الثالث : ان القرينة البعدية تدل صراحة على ان المراد من الولاية المفهومة من لفظ (المولى) المحبة . وهى قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ولو كان المراد من المولى التصرف في الأمور او الاولى بالتصرف لقال اللهم وال من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك وذكر المحبة والعداوة دليل صريح على ان المقصود ايجاب

---

(١) سورة الحديد اية ١٥

(٢) آل عمران اية ٦٨

محبته والتحذير من عداوته لا التصرف وعدمه ويعني ان محبة علي رضي الله عنه فرض كمحبته عليه السلام وعداوته حرام كعداوته عليه السلام وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة وهذا مطابق ايضا لما عليه اهل البيت روى ابو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط الاكبر انهم سألوه عن حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) هل هو نص على خلافة علي رضي الله عنه قال : لو كان النبي صلى الله عليه وسلم اراد خلافته بذلك الحديث لقال قولا واضحا هكذا (يا أيها الناس هذا ولي امري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له واطيعوا)[1] الخ

الوجه الرابع : ان هذا الحديث فيه دليل صريح على اجتماع الولايتين في زمان واحد اذ لم يقع التقييد بلفظ بعدي بل سياق الكلام لتسوية الولايتين في جميع الاوقات من جميع الوجوه كما هو الاظهر .

وشركة علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم في التصرف في عهده ممتنعة فهذا ادل دليل على ان المراد وجوب محبته اذ لا محذور في اجتماع محبتين بل احداهما مستلزمة للأخرى وفي اجتماع المتصرفين محذورات كثيرة كما لا يخفى وان قيدوا امامته بالمآل لا بالحال فهذا محل وفاق لأن اهل السنة ايضا قائلون بذلك في حين امامته رضي الله عنه.

واما وجه تخصيص علي رضي الله عنه بالذكر دون غيره من الصحابة فلما علمه النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي من وقوع الفساد والبغي في زمن خلافته وانكار بعض الناس لامامته وفضله .

ومعنى الحديث عند اهل السنة : ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم

---

(١) هذا الاثر تقدم تخريجه في الفصل الثاني من هذا الباب في ابطال اهل السنة القول بالتعيين .

في المحبة لتلائم اجزاء الكلام ولفظ الأولى قد ورد في غير موضع بحيث لا يناسب أن يكون معناه الاولى بالتصرف اصلا كقوله تعالى ﴿ واولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ (١) ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم ﴾ (٢) فالاية الثانية لنفي نسب الادعياء عمن يتبنونهم وبيان ان زيد بن حارثة الذى تبناه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ان يقال زيد بن محمد لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى جميع المسلمين كالاب الشفوق بل أزيد وازواجه امهات اهل الاسلام •

والاية الاولى : لبيان ان الاقرباء في النسب احق واولى من غيرهم وان كانت الشفقة والتعظيم للاجانب أزيد : ولكن مدار النسب على القرابة ولا دخل هنا لمعنى الأولى بالتصرف كما زعموا • ومحاولة بعضهم في تفسير الأولى بالمحبة بدعوى ان محبته مفادة وثابتة من أدلة اخرى •

كقوله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (٣)

فلو افاد هذا الحديث ذلك المعنى ايضا لكان لغوا فهذه محاولة باطلة ودعوى فاسدة •

يقول صاحب التحفة : ان بين محبة احد في ضمن عموم شيء وايجاب محبته بخصوص امر اخر فرقا وهو لا يخفى على العقلاء • فمثلا لو آمن احد بجميع أنبياء الله ورسله ولم يتعرض لاسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يعتبر اسلامه •

وفي هذا الحديث تكون محبة على رضي الله عنه بشخصه مقصودة بالوجوب وفي الاية يكون وجوبها مفادا بوصف الايمان الذى هو عام •

---

(١) الأنفال اية ٧٥ (٢) الاحزاب اية ٦

(٣) التوبة اية ٧١

ولو فرضنا اتحاد مضمون الاية والحديث فلا يلزم منه اللغو ، لأن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم ان يبين مضامين القرآن لا لزام الحجة واتمام النعمة . ومن تدبر القرآن والسنة لا يخطر له هذا الكلام . والا فتأكيدات النبي صلى الله عليه وسلم وتقريراته في ابواب الصلاة والزكاة وتلاوة القرآن ونحو ذلك كلها تصير لغوا والعياذ بالله .

الوجه الخامس : ان سبب هذه الخطبة يبين صراحة ان المقصود الزام المحبة له رضي الله عنه . فان المؤرخين واصحاب السير ذكروا ان سبب هذه الخطبة ان جماعة ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في سفر اليمن كبريدة الاسلمي وخالد بن الوليد وغيرهم من المشاهير اشتكوا بعدما رجعوا من سفرهم من علي رضي الله عنه . فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم في حقه هكذا وقد أورد هذه القصة — محمد بن اسحاق وغيره من اهل السير مفصلة . (١)

(١) هذا هو الاتجاه الاول في حديث (الغدير) عند بعض أهل السنة القائلين بصحته فهو محمول عندهم على المعاني المتقدمة لا على الامامة .

وهذا الاتجاه يمثله صاحب التحفة ويميل اليه الرازي مع تردد في صحته . (٢)

(٢) الاتجاه الثاني : لأهل السنة في حديث الغدير مبني على القول بصحته كالاول وهؤلاء لا يفسرون (المولى) بالناصر وبالمحبة بل يقولون كالشيعة المقصود بها الاولى بالتصرف الا انه منعا لصرف الامامة عن الخلفاء الثلاثة يتمسكون بالقول : بان الحديث لا يفيد وجوب امامته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة وقالوا نحن نسلم انه اولى بالامامة ولكن المراد المآل لا الحال ولا كان اماما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . ولما لم يتعرض الحديث لوقت المآل

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص١٥٩ الى ص ١٦٢ (٢) نظرية الامامة ص ٢١٥

سلمنا بامامته الحقة بعد الخلفاء الثلاثة .

ونسب الدكتور صبحي هذا الرأى الى ابن حجر في الصواعق (١) والحلبي في سيرته .

وذكر ان ابن حجر غير متشكك في صحة حديث الغدير بل يذكر انه رواه ثلاثون صحابيا وكثير من طرقه صحيحة او حسنة بل يذكر ابن حجر احاديث بصيغ اخرى تؤكد صحة المعانى الواردة في حديث (الغدير) كحديث الأمر بملازمة الكتاب واهل البيت (٢) الذى تقدم معناه عند اهل السنة في هذا الفصل غير ان الفريقين القائلين بصحة حديث الغدير من اهل السنة لا يقولون بصحة جميع الالفاظ التى نقلها الشيعة في هذه الواقعة الهامة عندهم بل نص الحديث عند اهل السنة هو ما اخرجه النسائى عن عائشة بنت سعد قالت سمعت ابي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ بيد علي فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال (ايها الناس انى وليكم قالوا صدقت يا رسول الله ثم رفع بيد علي فقال هذا ولي ويؤدى عنى دينى وانا موال من والاه ومعاد من عاداه وفي رواية اخرى من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وفي رواية ثالثة اخرجها الحاكم عن البراء بن عازب الستم تعلمون انى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال الستم تعلمون انى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فاخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) (٣)

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٢٠ راجع الصواعق المحرقة ص ١٢٢

(٢) نظرية الامامة ص ٢٢٠

(٣) نظرية الامامة ص ٢١٦ وروى الترمذى قطعة من هذا الحديث وهي قوله صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقال : هذا حديث حسن غريب : الترمذى ج ١٠ ص ٢١٥

يقول الدكتور صبحي في بيان وجوه الاختلاف بين الشيعة واهل السنة في نص حديث الغدير :

ويجمل وجه الاختلاف في النص بين رواية الشيعة ورواية اهل السنة دلالة هامة اذ لا يروى اهل السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس يوشك ان ادعى فاجيب واني مسئول وانكم مسئولون لما تضمنته هذه العبارة من اشارة الى انها وصية من يشعر بدنو اجله فيكون المجال ان يذكر الامام بعده.

كذلك لا يذكر اهل السنة اركان الاسلام الواردة في الحديث حسب رواية الشيعة له مقرونة بالولاية لان ذكر موالاة علي في اثر اركان الاسلام يتضمن ان الولاية كالتوحيد والنبوة من اركان الاسلام وهذا ما لا يقول به اهل السنة. (١)

(٣) الاتجاه الثالث لأهل السنة في حديث الغدير انكاره واعتباره غير صحيح سواء بالالفاظ المتقدمة والتي أقربها بعض اهل السنة او بالفاظ الشيعة وقد تقدم كلام ابن تيمية على حديث الغدير عند اية ﴿ ياأيها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك ﴾ (٢) وفي آية ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ (٣) حيث زعمت الشيعة ان الايتين نزلتا في حادثة غدير خم وقد تقدم ابطال هذا الزعم ولله الحمد.

ونقل صاحب نظرية الامامة عن الرازى انه يقول ان أئمة الحديث والسير كالبخارى ومسلم والواقدى وابن اسحاق وابي داود السجستاني وابي حاتم الرازى قدحوا في هذا الحديث واستدلوا على فساده ان عليا لم يكن

---

(١) نظرية الامامة ص ٢١٦

(٢) المائدة اية ٦٧ (٣) المائدة اية ٣

عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الحج بغدير خم ثم قال : واذا سلمنا باصل الحديث لا نسلم باصل المقدمة بمعنى قول الرسول (ألست اولى بكم من انفسكم) وان اكثر من روى الحديث لم يرو المقدمة ولم ينقل احد ان عليا رضي الله عنه ذكرها يوم الشورى ولا يفيد لفظ مولى معنى أولى .

ولقد تحامل الدكتور احمد محمد صبحي على شيخ الاسلام ابن تيمية خاصة وعلى اهل السنة عامة تحاملا عنيفا في موقفهم من حادثة الغدير حيث يقول :

اما اتجاه اهل السنة الذين انكروا واقعة الغدير من اساسها فالواقع ان الدافع الى الانكار لم يكن خلو الصحيحين منه او قدح بعض الأئمة فيه ولكن على حد تعبير ابن تيمية ان اهل الأهواء لا يكتبون الا مالهم ويوافق اهواءهم وهذه العبارة التي اتهم بها الرافضة لم يخلص هو منها .

ثم اشار الى ان السبب في الطعن على هذا الحديث من جانب اهل الظاهر والسلفيين هو موالاتهم معاوية فانه لم يكن لديهم مفر من اختيار اما ترك هذه الولاية او القدح بشتى الوسائل على الحديث وبالرغم من انه من المفروض ان تخضع العقائد للنصوص الا ان كثيرا من اصحاب المذاهب قد اخضعوا الاحاديث لاهوائهم ومذاهبهم .(١)

والواقع ان ابن تيمية رحمه الله تعالى لم ينكر حادثة الغدير من اساسها كما زعم الدكتور صبحي بل الذى ينكره ان تكون آية التبليغ اوآية اكمال الدين نازلتين في هذه الحادثة او يكون حديث الغدير بالالفاظ التي تنقلها الشيعة والتي فيها التصريح بعلى وأما أصل حديث الغدير ووصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بيته في ذلك اليوم فلا ينكره ابن تيمية بل

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٢٢

صرح بالقول به من ذلك قوله في (العقيدة الواسطية) في صدد بيان عقيدة اهل السنة في اهل البيت قال رحمه الله تعالى (ويحبون : يعني اهل السنة والجماعة : اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : يوم غدير خم (اذكركم الله في اهل بيتي) [1] وهذا النص يوضح ان ابن تيمية يقر بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل بيته (بغدير خم) وذلك على التفصيل الذى ذكرنا .

هذا وبعد ان ذكر الدكتور صبحي الاتجاهات الثلاثة لأهل السنة في حديث الغدير والتى اشرنا اليها وعلق على كل اتجاه قال في آخر البحث مقرا بالواقع :

ومن الجانب الاخر نجد موقف الشيعة وان يبدو متماسكا الا انه تتخلله بعض ثغرات وهي :

(١) هل نزلت اية التبليغ حقا لتطلب من النبي صلى الله عليه وسلم اعلان ولاية على وهل كان نزولها بعد حجة الوداع وقبل آية ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ [2] وهذا ما لم يثبت لدى المفسرين . فالطبرى [3] يرى الاية قد نزلت ليقوم النبي صلى الله عليه وسلم بابلاغ اليهود والنصارى حسب مقتضى الايات السابقة وانها نزلت بعد الفتح ثم هو يذكر/ ان الله سيكفيه الناس ويعصمه منهم ذلك لان اعرابيا قد هم بقتل الرسول فكفاه الله اياه فلا تشير الى غدير خم او ولاية علي .

(٢) اذا كان الحديث نصا صريحا ووصية ظاهرة في الامام بعده فلماذا لم يرد بعبارة واضحة لا تحتمل التأويل .

---

(١) العقيدة الواسطية ص ١٦٢ والحديث رواه مسلم كما تقدم في اول حديثنا على حديث التعليق عن زيد بن ارقم .

(٢) المائدة اية ٣ (٣) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٦ ص ٣٠٧

(٣) وكيف يكون الحديث نصا صريحا على الامامة وعهدا من الله لعلي لا يكمل الايمان الا به فلا يمتثل علي لذلك ويحارب من اجلها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مهما اجتمعوا عليه ولم يعرف عنه ضعف ولا جبن الا ان يعد آثما لتركه امر الله ووصية رسوله •

(٤) لماذا لا يحتج على ابي بكر بحادثة الغدير [١] !

وبهذا يتبين سقوط الاستدلال بالحديث المذكور سواء على القول بصحته او على القول بضعفه والله الموفق •

٢ — دوران الحق مع علي رضى الله عنه : من الاحاديث التي يستدل بها الامامة على امامة على رضى الله عنه حديث (رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار) [٢]

ووجه الاستدلال به لدى الشيعة على امامة علي انه قد ثبت اعتراض علي على بيعة ابي بكر وطلب الامامة لنفسه ولا بد ان يكون حينئذ على الحق بمقتضى هذا الحديث • هذا الا ان صاحب التحفة الاثنى عشرية لم يتعرض لصحة الحديث او لضعفه ومن هنا امكن جعله في جانب من يعتبر الحديث صحيحا وعلى كل حال فانه صرح بان الحديث لا مساس له بمدعى الشيعة

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٢٢ــ٢٢٣

(٢) وهذا الحديث رواه الترمذى عن على رضى الله عنه واوله (رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته ثم ذكر عمر وعثمان ثم قال : رحم الله عليا الحديث قال الترمذى :هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ج ١٠ ص ٢١٦ ــ ٢١٧

وهو الامامة بلا فصل وقد جاء في حق عمار بن ياسر (الحق مع عمار حيث دار) (١) وفي حق عمر بن الخطاب ايضا (الحق بعدي مع عمر حيث كان) (٢) بل في هذين الحديثين اخبار بملازمة الحق لعمار وعمر واما في حق علي رضي الله عنه فدعاء والفرق بين الاخبار والدعاء غير خاف خصوصا على ما قرره الشيعة من ان استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم غير لازمة عندهم فقد روى القمي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا ان يجمع اصحابه على محبة علي فلم يكن ذلك . (٣)

واما ابن تيمية فيعتبر الحديث ضعيفا وقد علق عليه بقوله :

ان الحق الذى يدور مع الشخص ويدور الشخص معه هو صفة ملازمة لذلك الشخص لا تتعداه والحق لا يدور مع شخص غير النبي صلى الله عليه وسلم ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب ان يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم وهم من جهلهم يدعون ذلك له ولكن من علم انه لم يكن بأولى بالعصمة من ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم - وليس فيهم من هو معصوم - علم كذبهم وفتاواه من جنس فتاوى ابي بكر وعمر وعثمان ليس هو اولى بالصواب منهم بل قد عتب عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يتزوج ابنة ابي جهل واشتكته فاطمة واستأذن بنو هشام بن المغيرة النبي فى تزويج علي ابنتهم فقام النبي خطيبا فقال (ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى ان يزوجوا ابنتهم

---

(١) رواه الترمذى جـ ١٠ ص ٢٩٩ بلفظ (ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما)

(٢) رواه الترمذى بلفظ (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) الترمذى جـ ١٠ ص ١٦٩ ورواه الحكيم الترمذى بهذا اللفظ : الجامع الصغير مع فيض القدير جـ ٣ ص ٤١٥

(٣) التحفة ص ١٧٠

على بن ابي طالب واني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم فانما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها والحديث في الصحيحين) . (١)

وكذلك لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقال له علي رضي الله عنه انما انفسنا بيد الله ان شاء ان يبعثنا بعثنا فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه ويقول « وكان الانسان اكثر شيء جدلا » (٢)

واما الفتاوى فقد أفتى بان المتوفى عنها زوجها وهي حامل تعتد أبعد الاجلين وهذه الفتيا كان قد افتى بها ابو السنابل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب أبو السنابل فانها تحل بالوضع ولو بعد ساعة من الوفاة وامثال ذلك كثيرة .

ويقول ابن تيمية :

ولو قال القائل انه لم يعرف من النبي صلى الله عليه وسلم انه عتب على عثمان في شيء وقد عتب على علي في غير موضع لما أبعد . (٣)

---

(١) البخاري ج ٧ ص ٨٥ ومسلم ج ١٦ ص ٢ ـ ٣

(٢) البخاري ج ١٣ ص ٣١٣ والاية في سورة الكهف ٥٤

(٣) المنتقى ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ وحديث ابي السنابل رواه البخاري ج ٩ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ومسلم ج ١٠ ص ١٠٨ ـ ١١١

٣ ـ حديث المؤاخاة : روى أنس رضى الله عنه قال : لما كان يوم المباهلة وآخى بين المهاجرين والانصار وعلي واقف يراه ويعرفه ولم يؤاخ بينه وبين أحد فانصرف باكيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل ابو الحسن فقالوا انصرف باكي العين فقالت له فاطمة ما يبكيك قال آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ولم يؤاخ بيني وبين احد قالت لا يخزيك الله لعله انما ادخرك لنفسه فقال بلال يا علي اجب رسول الله فأتى فقال ما يبكيك يا أبا الحسن فأخبره فقال انما ادخرك لنفسي ألا يسرك ان تكون اخا نبيك فقال بلى فأخذ بيده فأتى المنبر فقال اللهم . هذا مني وانا منه الا انه مني بمنزلة هارون من موسى ألا من كنت مولاه فعلي مولاه فانصرف فتبعه عمر فقال بخ بخ ابا الحسن اصبحت مولاى ومولى كل مسلم) (١) يقول الحلي فى بيان وجه الاستدلال به :

ان المؤاخاة تدل على الأفضلية فيكون علي هو الامام . (٢)

قال ابن تيمية :

والجواب ان هذا الحديث موضوع باطل والمباهلة انما كانت سنة تسع اونحوها والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار كانت في اول الهجرة .

وقال ابن تيمية لم تقع مباهلة لكن دعي نصارى نجران اليها فاستمهلوا حتى يتشاوروا فلما خلوا قالوا هو النبي وما باهل قوم نبيا الا استؤصلوا فاقروا الجزية وذهبوا . (٣)

---

(١) روى الترمذى قطعة منه جـ ١٠ ص ٢٢٢ بدون ذكر الاتيان به الى المنبر

(٢) منهاج الكرامة ص ١٦٩ ـ ١٧٠

(٣) المنتقى ص ٤٧١

ونقل صاحب نظرية الامامة عن الرازى انه لا ينكر مؤاخاة النبي لعلى رضى الله عنه وان كان لا يؤكدها اذ يقول (اما حديث المؤاخاة فلا نعلم ان اتخاذ النبي عليا أخاً لنفسه يدل على الفضيلة العظيمة لان المؤاخاة يحتمل ان تكون لأن ميل قلبه اليه اشد وليس كل من كان ميل الرسول اليه اشد يجب ان يكون افضل بدليل انه تبنى زيدا ولم يكن افضل الناس. (١)

ثالثا — الاحاديث الموضوعة :

اما الاحاديث التي يستدلون بها على امامته وهي موضوعة وهي التي فيها الاشارة اليه فكثيرة جدا .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : واما ما وضعه الرافضة في فضائل علي فاكثر من ان يعد . قال الحافظ ابو يعلى الخليل في كتاب الارشاد : وضعت الرافضة في فضائل علي رضى الله عنه واهل البيت نحو ثلاثمائة الف حديث .

قال ابن القيم : ولا يستبعد هذا فانك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال : (٢)

ونحن نذكر ما جرى استدلالهم به من هذه الاحاديث سالكين طريق الاختصار وهي كالتالي :

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٨٢

(٢) المنار المنيف ص١١٦

١ — حديث (انا مدينة العلم وعلي بابها) : وفي رواية (انا دار الحكمة وعلي بابها) قال الشوكاني رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا ورواه الطبراني وابن عدى والعقيلي وابن حبان عن ابن عباس ايضا مرفوعا .

وفي اسناد الخطيب جعفر بن محمد البغدادى وهو متهم .

وفي اسناد الطبراني ابو الصلت الهروى قيل هو الذى وضعه .

وفي اسناد ابن عدى احمد بن سلمة الجرجاني يحدث عن الثقات بالاباطيل .

وفي اسناد العقيلي عمر بن اسماعيل بن مجالد وهو كذاب .

وفي اسناد ابن حبان اسماعيل بن محمد بن يوسف ولا يحتج به وقد ذكره ابن الجوزى في الموضوعات من طرق متعددة وجزم ببطلان الكل . وتابعه الذهبي وغيره وقال ابن معين : لا اصل له . وقال البخارى : منكر وقال الترمذى : منكر غريب . (١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي : كنت من قبل اميل الى اعتقاد قوة هذا الخبر حتى تدربته فوجدت ان مداره على رواة شيعيين وانت تعلم حكم رواية المبتدع فيما يقوى بدعته ولو كان ثقة . (٢)

ويقول الدكتور صبحي : ومع ذيوع الحديث فاهل السنة ينكرونه لانه يعتبر عليا رضي الله عنه وحده مصدر العلم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

والواقع أن اهل السنة لم يردوا هذا الحديث اعتبارا لذلك المعنى وانما ردوه نظرا لضعف رواته ونكارتهم كما رأيت .

---

(١) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٣٤٩

(٢) التعليقات على الفوائد المجموعة ص ٣٤٩

(٣) نظرية الامامة ص ٢٤٠

ويقول صاحب التحفة : ولو صح هذا الحديث فانه لا يفيد مدعاهم اذ لا يلزم ان من كان مدينة علم فهو صاحب رياسة عامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وغايته انه من شروط الامامة وقد تحقق فيه بوجه أتم . ولا يلزم من تحقيق شرط واحد وجود المشروط مع ان ذلك الشرط كان ثابتا في غيره ايضا . (١)

٢ ـ حديث : (من اراد ان ينظر الى آدم في علمه ونوح في تقواه وابراهيم في حلمه والى موسى في بطشه والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي بن ابي طالب) (٢)

ووجه الاستدلال به على الامامة ان مساواته للأنبياء في صفاتهم توجب افضليته لان المساوى للافضل افضل فيكون على افضل من غيره والافضل يتعين ان يكون هو الامام .

قال الدكتور صبحى : هذا الحديث يجمع لعلي رضى الله عنه ما تفرق من الفضائل في الأنبياء تدعيما لعقيدة الشيعة التي تعتبر عليا رضى الله عنه افضل الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم . (٣)

والواقع ان هذا الحديث موضوع قال الشوكانى : بعد ايراده بلفظ آخر فيه زيادة يحيى بدل عيسى والزهد بدل العبادة والفهم بدل التقوى والحكمة بدل الحكم . قال : والحديث رواه الحاكم عن ابى الحمراء مرفوعا

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص ١٢٥

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ١٤٢

(٣) نظرية الامامة ص ٢٤٠

قال ابن الجوزى : موضوع وفي اسناده ابو عمر الازدى . (١)

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى : في تعليقاته على (الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة) في اسناد الديلمى ابو داود نفيع الاعمى وهو كذاب وضاع وفي مسند ابن شاهين ابو هارون العبدى وهو هالك متشيع . (٢)

ويقول صاحب المتحفة : ان هذا الحديث اورده الحلى في كتبه وقد نسبه الى البيهقي مرة والى البغوى اخرى وليس في تصانيفهما اثر منه . ولا يتأتى الزام اهل السنة بالافتراء مع انه عند اهل السنة ان الاحاديث التي تذكر في كتبهم اذا لم يصرح بصحتها فلا يحتج بها .

ثم ان المساواة للافضل في صفة لا تكون موجبة لأفضلية المساوى لان ذلك الافضل له صفات اخرى قد صار بسببها افضل وايضا ليست الافضلية موجبة للرياسة العامة كما مر . وايضا ان تفضيل علي رضى الله عنه على الخلفاء الثلاثة من هذا الحديث انما يثبت اذا لم يكن اولئك الخلفاء مساوين للأنبياء المذكورين في الصفات المذكورة او في مثلها ودون هذا خرط القتاد . ولو تتبعنا الاحاديث الدالة على تشبيه الشيخين بالانبياء لبلغت مبلغا لم يثبت مثله لمعاصريهما . (٣)

ومع انه لم يذكر تلك الاحاديث التي يدل كلامه على كثرتها فاننا نذكر مثالا مما تضمنته كتب السنة وهو ما رواه الحاكم في المستدرك والترمذى والبغوى وغيرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : (ما تقولون في هؤلاء الأسرى) فقال ابو بكر : يا رسول الله قومك واهلك اتركهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر : يا رسول الله اخرجوك وكذبوك فاضرب اعناقهم وقال عبدالله بن

---

(١) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٣٦٧

(٢) التعليقات على الفوائد المجموعة ص ٣٦٨

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ١٦٦

رواحة : انظر وادياً كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم ناراً فقال العباس قطعت رحمك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً قال فقال : ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول عبدالله بن رواحة ، قال : فخرج رسول الله فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام اذ قال : ﴿ فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ (١) ومثلك يا ابابكر كمثل عيسى اذ قال ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ﴾ (٢) وان مثلك يا عمر كمثل نوح اذ قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ (٣) وان مثلك يا عمر كمثل موسى اذ قال : ﴿ اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ (٤) فهذا الحديث كما ترى فيه تشبيه ابي بكر بابراهيم وعيسى وتشبيه عمر بنوح وموسى فلو فرضنا صحة الحديث الذى تضمن تشبيه على بهؤلاء الأنبياء لما كان فيه دلالة على وجوب امامته حيث شاركه في هذا التشبيه غيره من الصحابة .

٣ ـ حديث : (الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة والنظر الى علي عبادة ومن سب علياً فقد سبني وعلي امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله ومن ناصب علياً في الخلافة من بعدي

---

(١) ابراهيم اية ٣٦ (٢) المائدة اية ١١٨

(٣) نوح اية ٢٦

(٤) يونس اية ٨٨ والحديث في الترمذى ج ٨ ص ٤٧٦ والمستدرك ج ٣ ص ٢١ ـ ٢٢ وهذا اللفظ في تفسير البغوى ج ٤ ص ٩٤ ـ ٩٥ مع ابن كثير .

فهو كافر وقد حارب الله ورسوله ومن شك في علي فهو كافر)

اورد الحلي القطعة الاخيرة منه وذكر انه رواه أخطب خوارزم .(١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

والجواب اننا نطالب بصحة النقل فان مجرد رواية لخطب خوارزم له لا يدل على الثبوت كيف وقد حشى تاليفه بالموضوعات التي يتعجب منها المحدث الصادق ومن كان خبيرا بالاثار علم بالاضطرار ان هذا وامثاله مما ولده الكذابون بعد انقراض عصر الصحابة والتابعين .(٢)

وحديث النظر الى علي عبادة ذكره الشوكاني في الموضوعات .(٣)

٤ — حديث : (يا علي انت اخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني)

قال الحلي : بعد ذكر هذا الحديث في جملة ادلتهم من الحديث على امامة علي رضي الله عنه قال : وهذا نص في الباب (٤)

قال ابن تيمية والجواب :

اولا المطالبة بصحة هذا فان علماء الحديث لم يرووه واما روايته ابو نعيم له في الفضائل واخطب خوارزم فليس حجة باتفاق ثم بطلانه معلوم قال ابن الجوزي في كتاب (الموضوعات) لما روى هذا الحديث من طريق ابي حاتم البستي وذكر الحديث ثم قال هذا موضوع .

---

(١) منهاج الكرامة ص١٧٣

(٢) المنتقى ص٤٧٧

(٣) الفوائد المجموعة ص٣٥٩

(٤) منهاج الكرامة ص١٦٩

قال ابن حبان وفيه مطر وهو يروى الموضوعات لا تحل الرواية عنه .

ورواه من طريق عدى بنحوه ومداره على مطر هذا مع انه ليس فيه لفظة : وخليفتي ووصيى . واما في تلك الطريق وخليفتي في أهلي .(١)

وقال الشوكاني : حديث (ان أخي ووزيرى وخليفتي في اهلي وخير من اترك بعدى يقضى دينى وينجز موعدى على) رواه ابن حبان عن انس مرفوعا قال ابن الجوزى : والذهبي الى انه موضوع والمتهم به مطر بن ميمون الاسكاف. (٢)

٥ ـ حديث الطائر .

وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي بطائر فقال (اللهم ائتني باحب الخلق اليك ياكل معي من هذا الطائر فجاء على رضي الله عنه) (٣)

قال الحلي : واذا كان احب الخلق الى الله تعالى وجب ان يكون الامام (٤) .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

حديث الطائر موضوع عند اهل العلم والمعرفة بحقائق النقل .

---

(١) المنتقى ص ٤٧٠ ـ ٤٧١

(٢) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٣٤٦

(٣) حديث الطائر رواه الترمذى ج ١٠ ص ٢٢٣ بلفظ (اللهم ائتني بأحب خلقك اليك ياكل معى هذا الطير فجاء على فأكله معه) قال الترمذى هذا حديث غريب وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال وقد ذكره ابن الجوزى في الموضوعات: الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٣٨٢

(٤) منهاج الكرامة ص ١٧١

وسئل الحاكم عن حديث الطائر فقال لا يصح مع ان الحاكم منسوب للتشيع لكن تشيعه وتشيع امثاله من اهل العلم بالحديث كالنسائي وابن عبد البر وامثالهما لا يبلغ الى تفضيل علي على ابى بكر وعمر فلا يعرف من علماء الحديث من يفضله عليهما [1] وقد سبق القول فيمن هو أحب الى رسول الله في حديث الراية من هذا الفصل .

ثم لا يلزم ان يكون احب الخلق الى الله صاحب الرياسة العامة فكم من انبياء لم يكونوا ذوى رياسة عامة كزكريا و يحيى والحال انهم احب الخلق الى الله في عصرهم . [2]

٦ - حديث : (كنت انا وعلى بن ابي طالب نورا بين يدى الله قبل ان يخلق آدم باربعة عشر الف عام فلما خلق الله آدم انتقل النور في الاصلاب الطاهرة والارحام الزكية حتى صار في عبد المطلب ثم انقسم النور قسمين قسم في عبدالله وقسم في ابي طالب فكان لي النبوة ولعلي الوصية . [3]

قال صاحب التحفة بعد ايراد هذا الحديث في معرض ذكر ادلة الشيعة الامامية من السنة قال : وهذا الحديث موضوع قطعا باجماع اهل السنة . وفي اسناده محمد بن خلف المروزى قال يحيى بن معين هو كذاب وقال الدار قطني متروك ولم يختلف احد في كذبه .

وروى من طريق آخر وفيه جعفر بن احمد وكان رافضيا غاليا كذابا وضاعا وكان اكثر ما يضع في قدح الصحابة وسبهم . [4]

---

(١) المنتقى ص ٤٧٢

(٢) التحفة الاثنا عشرية من ١٦٤ـ١٦٥ ونظرية الامامة ص ٢٣٩

(٣) نظرية الامامة ص ٢٤٠ (٤) التحفة ص ١٦٩

٧ ـ حديث : (السابقون ثلاثة : السابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب ياسين والسابق الى محمد على بن ابى طالب وهو افضلهم)

يقول صاحب نظرية الامامة وفي هذا الحديث ان نسبة على الى النبى كيوشع الى موسى والواقع انه من الاحاديث الموضوعة وقد عده الدكتور احمد محمد صبحي كذلك. (١)

ويقول صاحب التحفة : مدار اسناد هذه الرواية على أبى الحسن الاشقر وهو ضعيف بالاجماع . قال العقيلى هو شيعى متروك الحديث . (٢)

٨ ـ الحديث : (الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل فرعون وعلي وهو افضلهم) قال ابن تيمية : هذا الحديث من الموضوعات وان كان موجودا في مسند الامام احمد الا انه من زيادات القطيعى ثم انه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف ابا بكر بانه صديق (٣) وصح من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) (٤) .

فالصديقون لهذا كثيرون . قال تعالى في مريم وهي امرأة ﴿ وأمه صديقة ﴾ (٥)

ومن الاحاديث الموضوعة (أنت وشيعتك في الجنة) (٦)

---

(١) نظرية الامامة ص ٢٤١

(٢) التحفة الاثنا عشرية ص ١٥٨

(٣) البخارى جـ ٧ ص ٢٢

(٤) رواه مسلم جـ ١٦ ص ١٦٠

(٥) المنتقى ص ٣٠٩ والاية في سورة المائدة اية ٧٥

(٦) الفوائد المجموعة من الاحاديث الموضوعة ص ٣٨٠

٩ — حديث : (أنت اول من يصافحني يوم القيامة وانت الصديق الاكبر وانت الفاروق) (١)

١٠ — حديث : (علي خير البرية)

قال الشوكاني : رواه عدى بن سعيد مرفوعا وفي اسناده احمد بن سالم او سمرة ولا يحتج به .

قال في الميزان : كذاب . وقال ابن الجوزى : موضوع . (٢)

---

(١) نظرية الامامة ص٢٤١

(٢) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٣٤٨

الفصل السادس

استدلالهم بقرائن احوال الامام علي على الوصية له والرد على ذلك

يرى الامامية الاثنا عشرية ان احوال علي رضي الله عنه وفضائله ومزاياه التي انفرد بها دون الصحابة تؤهله للامامة الكبرى •

وهذه الاحوال والفضائل مختلفة الجوانب : منها انسانية وبدنية وخارجية •

فالانسانية كالزهد والعلم والحكمة • والبدنية كالعبادة والشجاعة والصدقة والخارجية كالنسب فلم يلحق فيها لقربه من رسوله وتزويجه ابنته سيدة النساء • (١)

وخلاصة هذه المزايا التي انفرد بها في نظرهم على حسب ما ذكره ابن المطهر : تتلخص في النقاط التالية :

(١) الزهد (٢) العبادة (٣) العلم (٤) الشجاعة (٥) الاخبار بالمغيبات (٦) استجابة الدعاء •

وسوف نستعرض هذه النقاط فيما يلي مع بيان موقف أهل السنة في ذلك •

١ ـ الزهد :

يقول الحلي :

ان عليا رضي الله عنه كان ازهد الناس قد طلق الدنيا ثلاثا فلم يلحقه في الزهد احد ولا سبقه أحد اليه واذا كان كذلك كان هو الامام/ازهد الناس كان هو الامام لامتناع تقديم المفضول على الفاضل • (٢)

---

(١) منهاج الكرامة ص١٩١

(٢) منهاج الكرامة ص ١٧٥ـ١٧٦ وراجع شرح نهج البلاغة ج١ص ٢٦ فان ابن ابي الحديد بالغ في ذكر فضائله عند الشيعة فذكر بالحرف الواحد ان عليا سيد الزهاد وبدل الابدال ٠٠ الخ

قال ابن تيمية : كلتا المقدمتين باطلة • فان عليا رضي الله عنه لم يكن أزهد من ابى بكر رضى الله عنه ولا كل من كان أزهد أحق بالامامة بل كان ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر فانه كان له مال يتجر به فانفقه كله في سبيل الله ولما ولي الخلافة ذهب الى السوق وعلى يديه برد يبيع ويتكسب حتى فرضوا له شيئا يقوت به عياله و يتفرغ لأحوال الرعية •

وكان علي فقيرا في اول الاسلام ثم استفاد الرباع والمزارع والنخيل واستشهد رضي الله عنه وعنده تسع عشرة سرية واربع نسوة •

وقال شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي قال قال علي لقد رأيتني على عهد رسول الله أربط الحجر على بطني من شدة الجوع وان صدقة ماله لتبلغ اليوم اربعين الفا وقبل تبلغ اربعة الاف دينار فأين هذا من هذا •

وتلا عمر ابا بكر في زهده وكذا ابو عبيدة وابو ذر بخلاف غيرهم من الصحابة فانهم توسعوا في الدنيا (١) •

قال ابن حزم كان لعلي عقار كانت غلته في السنة الف وسق تمر سوى زرعها • (٢)

فالزهد عزوف النفس عن حب الصيت وعن المال واللذات وعن الميل الي الولد والحاشية فلا معنى للزهد الا هذا • (٣)

---

(١) المنتقى ص ٤٨٧ — ٤٨٨

(٢) الفصل جـ ٤ ص ١٤١

(٣) المنتقى ص ٤٨٨

٢ـ العبادة :ـ

يرى الامامية ان عليا رضي الله عنه كان اعبد الناس يصوم النهار ويقوم الليل ومنه تعلم الناس صلاة الليل ونوافل النهار . وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة واعتق الف عبد من كسب يده وكان يؤجر نفسه و ينفق على رسول الله في الشعب وجمع بين الصلاة والزكاة فتصدق وهو راكع .(١)

يقول ابن تيمية : والجواب ان يقال : في هذا من الاكاذيب ما لا يخفى على العالم ثم لا مدح فيه لمخالفة اكثره للسنة ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له (ألم اخبر انك تقول لأصومن النهار ولأقومن من الليل ما عشت قال : بلى قال فلا تفعل)(٢) الحديث

وفي الصحيحين ايضا عن علي قال طرقنا رسول الله وفاطمة فقال :ألا تقومان فتصليان فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله ان شاء ان يبعثنا بعثنا فولى وهو يضرب فخذه وهو يقول ﴿ وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾(٣) فهذا دليل على نومه بالليل (٤) .

واما القول بان منه تعلم الناس قيام الليل . فان اريد بعض المسلمين فهكذا الكبار يعلمون اتباعهم . وان اريد الكل منه تعلموا فهذا من اقبح الكذب فاخوانه من الصحابة اخذوا عن نبيهم . اما التابعون فخلائق منهم لم يروه رضي الله عنه .

واما القول بانه يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة فباطل وهذا نبي الله صلى الله عليه وسلم كان مجموع صلاته في اليوم والليلة اربعين ركعة والزمان لا يتسع لألف ركعة وامير الأمة مع سياستهم ومصالحه في اهله ونفسه الا ان تكون صلاته صلاة نقر نزه الله عليا عنها .

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٧٦ ـ ١٧٧ وشرح نهج البلاغة جـ ١ ص ٢٧
(٢) البخارى جـ ٤ ص ٢٢٠ ومسلم جـ ٨ ص ٣٩ـ٤٠
(٣) البخارى جـ ١٣ ص٣١٣ والاية في سورة الكهف ٥٤ (٤) المنتقى ص ٤٩١

واما القول بانه جمع بين الصلاة والزكاة وهو راكع فكذب وقد تقدم تفصيل ذلك في الكلام علي آية الولاية في الفصل الرابع من هذا الباب ثم لا مدح في ذلك ولا شرع لنا فعله •

واما القول بانه كان يؤجر نفسه وينفق على الرسول في الشعب فكذب بين لانهم لم يكونوا يخرجون من الشعب ولا كان هناك من يعاملهم وقت الحصار بل كان ابوه ابو طالب معهم ينفق عليه وكذلك خديجة كانت موسرة تنفق من مالها وكان على زمن الشعب له نحو من خمس عشرة سنة أو أقل (١) ولو فرض ان عليا رضى الله عنه قد اتصف بكل ذلك فانه لا تقتضى امامته بالضرورة بل ولا يقتضى تقديمه على غيره فيها •

٣ — العلم : يقول ابن المطهر الامامى (وكان يعنى عليا — أعلم الناس بعد رسول الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي) والقضاء مستلزم للعلم والدين •

وكان في غاية الذكاء شديد الحرص على العلم وملازمة الرسول من الصغر الى أن مات والعلم في الصغر كالنقش فى الحجر فتكون علومه اكثر من علم غيره ثم ذكر العلوم التي برز فيها فقال :

(١) — واما النحو فهو واضعه قال لأبي الاسود الكلام كله ثلاثة اشياء اسم وفعل وحرف وعلمه بعض الاعراب •

(٢) — أما الفقه فان الفقهاء كلهم يرجعون اليه فالمالكية اخذوا علمهم من على واولاده وابو حنيفة قرأ على الصادق والشافعي اخذ عن محمد بن الحسن •

(٣) — واما علم الكلام فهو اصله ومن خطبه تعلم الناس وكان الناس تلامذه •

---

(١) المنتقى ص ٤٩٢ — ٤٩٣

(٤) — وعلم التفسير اليه يعزى لأن ابن عباس تلميذه / فيه — ورووا عن ابن عباس قال : حدثني امير المؤمنين في تفسير الباء من (بسم الله) من اول الليل الى آخره •

(٥) — أما علم الطريقة فاليه منسوب فان الصوفية يسندون اليه الخرقة •

(٦) — اما علم الفصاحة فهو منبعه حتى قيل في كلامه انه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ومنه تعلم الخطباء •

(٧) — واليه يرجع الصحابة في مشكلا تهم ورد عمر في قضايا كثيرة قال فيها لولا علي لهلك عمر • (١)

وبالجملة لم يتركوا علما الا نسبوه اليه رضي الله عنه •

وقد اجاب ابن تيمية عن هذه الدعاوى واحدة تلو الاخرى فقال :
ان ابا بكر وعمر اعلم الناس فانه لم يكن أحد يفتي ويخطب ويقضي بحضرة رسول الله الا ابو بكر وقد شك الناس في موت نبيهم فبينه ابو بكر ثم توقفوا في دفنه فبينه ابو بكر ثم شكوا في قتال مانعي الزكاة فبينه ابو بكر • (٢)

ويقول ابن حزم انما يعرف علم الصحابي لاحد وجهين لا ثالث لهما احدهما اكثرية روايته وفتاويه الثاني كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له • فمن المحال الباطل ان يستعمل من لا علم له وهذه اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وأبي وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السلام

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٧٧ — الى ١٨٠ وراجع شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧ الى ٢٠

(٢) المنتقى ص ٤٩٣

اذا غزا لأن المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا على النساء وذوى الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرائطها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ٠

ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة لا أقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالما بمااستعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة ووجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج ايضا فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ٠

ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالما به فعند ابي بكر من الجهاد والعلم به كالذى عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا اقل فاذ قد صح التقدم لابي بكر على عليّ وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ٠

واما الرواية والفتوى فان ابا بكر رضى الله عنه لم يعش بعد رسول الله الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا او معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان واربعون حديثا مسندة ولم يروعن علي الا خمسمائة وستة وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين حديثا وقد عاش بعد رسول الله ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس له وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة وكثر سماع اهل الافاق منه مرة بصفين واعواما بالكوفة ومرة بالبصرة ٠ (١)

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ١٣٦ — ١٣٧

واما حديث (افضلكم علي) فيقول ابن تيمية في الجواب عنه : انه لم يصح له اسناد تقوم به الحجة •

وقوله عليه الصلاة والسلام (اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل) اصح منه والعلم بالحلال والحرام أعظم •

وهذا الحديث لم يروه احد من اهل السنن المشهورة والمسانيد المعروفة لا باسناد صحيح ولا ضعيف وانما جاء من طريق من هو متهم •

والقول بانه في غاية الذكاء شديد الحرص على التعلم ملازما لرسول الله من الصغر الى ان مات •

فالجواب ان يقال من اين يعلم انه اذكى من ابي بكر وعمر وارغب في العلم منهما •

وان استفادته من النبي صلى اللى عليه وسلم اكثر منهما (١) • ثم تابع ابن تيمية الاجابة عما ذكره (الحلى) قائلا :

واما النحو فانه لم يكن من علوم النبوة بل هو علم مستنبط وزمن الخلفاء الثلاثة لم يكن فيه لحن فلم يحتج اليه فلما سكن على رضى الله عنه الكوفة وبها الانباط روى عنه انه قال لأبي الأسود الدؤلى ذلك كما ان غيره وضع علوما اخر كالخط والشكل والنقط والمد والشد ونحوه للحاجة وكما استخرج الخليل العروض •

واما القول بان الفقهاء يرجعون اليه فهذا كذب فليس في الأئمة الاربعة ولا غيرهم من يرجع الى فقهه •

اما مالك فاخذ عن اهل المدينة واهل المدينة لا يكادون ياخذون عن علي بل غالب اخذهم عن عمر وزيد وابن عمر وغيرهم •

اما الشافعي فقد تفقه اولا على المكيين اصحاب ابن جريج واصحاب ابن جريج اخذوا عن اصحاب ابن عباس•

---

(١) المنتقى ص٤٩٩

ثم قدم الشافعي المدينة فاخذ عن مالك ثم كتب كتبه لأهل العراق واختار لنفسه مذهبا واما ابوحنيفة فشيخه الذى اختص به هو حماد بن سليمان صاحب ابراهيم النخعي وابراهيم صاحب علقمة وعلقمة صاحب ابن مسعود واخذ ابو حنيفة عن عطاء بمكة وعن غيره واما احمد بن حنبل فكان على مذهب أئمة الحديث .

واما القول بأن المالكية اخذوا علمهم من علي واولاده فكذب ايضا وهذا الموطأ ليس فيه عن علي واولاده الا اليسير وكذا القول بان ابا حنيفة قرأ على الصادق كذب فانه من اقرانه ولا يعرف انه اخذ عنه ولا عن أبيه مسألة واحدة .

والشافعي ايضا ما جاء الى محمد بن الحسن الا وهو قد صار اماما فجالسه وعرف طريقته وناظره والف في الرد عليه . (١)

واما القول بانه هو اصل علم الكلام ومن خطبه تعلم الناس وكان الناس تلامذته فهذا كذب فان الكلام المخالف للكتاب والسنة قد نزه الله عليا عنه فما كان في الصحابة ولا التابعين من يستدل على حدوث العالم بحدوث الاجسام ويثبت حدوث الاجسام بدليل حدوث الاعراض والحركات والسكنات وان الاجسام مستلزمة لذلك بل اول ما ظهر هذا الكلام من جهة جعد بن درهم والجهم بن صفوان بعد المائة الأولى وليس في خطب علي الثابتة عنه . شيء من اصول المعتزلة الخمسة والمعتزلة لم يكونوا يعظمون عليا بل كان فيهم من يشك في عدالته . (٢)

اما القول بان علم التفسير اليه يعزى لان ابن عباس كان تلميذه فيه وان ابن عباس قال حدثني امير المؤمنين عن تفسير الباء من البسملة من اول الليل الى آخره فهذا كما يقول ابن تيمية كذب صريح وانما يرويه من يؤمن بالمجهولات

---

(١) المنتقى ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ (٢) المصدر السابق ص ٥٠٢

من جهلة الصوفية كما يرون ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما)

وابن عباس اخذ عن عدد كبير من الصحابة واخذ التفسير عن ابن مسعود وعن طائفة من الصحابة والتابعين وما يعرف بأيدى الأمة تفسير ثابت عن علي وما ورد عنه في التفسير فقليل . (١)

وكذا القول بان علم الطريقة ينسب اليه وان الصوفية يسندون الخرقة له فهذا قول غير معروف .

يقول ابن تيمية : الخرق متعددة واشهرها خرقتان : خرقة منسوبة الى عمر وخرقة منسوبة الى علي فخرقة عمر لها اسناد الى أويس القرني والى ابى مسلم الخولاني واما المنسوبة الى على فاسنادها الى الحسن البصرى والمتأخرون يصلونها الى معروف الكرخي وبعده منقطع وتارة يقولون انه صحب علي بن موسى الرضا وهذا باطل قطعا فمعروف كان ببغداد وعلي ابن موسى كان في صحبة المأمون بخراسان . (٢) وقد تقدم القول في ذلك في الكلام على الرضا الامام الثامن في سلسلة الأئمة الاثنى عشر في الفصل الرابع من الباب الأول في هذه الرسالة وهو دور الدعوة السرى .

واما قولهم ان الفصاحة منبعه حتى قيل كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق .

فيقول ابن تيمية في الرد على هذا القول : لا ريب انه كان من اخطب الصحابة وكان ابو بكر خطيبا وكان عمر خطيبا وكان ثابت بن قيس خطيبا بليغا ولكن كان ابو بكر يخطب عند النبي صلى الله عليه وسلم في حضوره وغيبته والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت ويقره على ما يقول وقد خطب ابو بكر يوم

---

(١) المنتقى ص ٥٠٥ (٢) المنتقى ص ٥٠٥

السقيفة فأبلغ حتى قال عمر : كنت هيأت مقالة اعجبتني فلما اردت ان اتكلم قال ابو بكر : على رسلك فكرهت ان اغضبه فتكلم فكان احلم مني واوقر والله ما ترك من كلمة اعجبتني في تزويري الا قال في بديهته مثلها او افضل منها • (١)

وقال انس بن مالك خطبنا ابو بكر ونحن كالثعالب فما زال يثبتنا حتى صرنا كالأسد •

وكان ثابت بن قيس يسمى خطيب رسول الله وكان حسان بن ثابت شاعره وكان زياد بن ابيه اخطب العرب •

وكانت عائشة من افصح الناس حتى كان الاحنف بن قيس يتعجب من بلاغتها وقال ما سمعت كلام مخلوق افخم ولا افصح منه من عائشة (٢) وكان ابن عباس من اخطب الناس •

والبلغاء في العرب جماعة قبل الاسلام وبعده وعامة هؤلاء لم يأخذوا من علي شيئا وانما الفصاحة موهبة من الله •

والقول بان كلامه فوق كلام المخلوق • كلام مطعون فيه وفيه اساءة ادب مع رسول الله وايضا فالمعاني الفصيحة التي توجد في كلام علي رضى الله عنه موجودة في كلام غيره ولكن صاحب نهج البلاغة وامثاله اخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي • (٣)

والقول بان الصحابة يرجعون اليه في مشكلاتهم ليس على اطلاقه فان الصحابة لا يرجعون اليه في دينهم والنازلة اذا نزلت شاور بعضهم بعضا حتى يجدوا لها حلا وكان عمر رضى الله عنه اذا نزلت حادثة شاور عليا وعثمان وعبد الرحمن

---

(١) البخاري ج ٧ ص ١٩ ــ ٢٠

(٢) روى الترمذي في جامعه ج ١٠ ص ١٣٨ عن موسى بن طلحة قال ما رأيت احدا افصح من عائشة رضى الله عنها

(٣) المنتقى ص ٥٠٧ ــ ٥٠٨ •

ابن عوف وأبي وهذا مما أمر الله به المؤمنين حيث قال ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ (١) مع ان عمر اعلمهم وربما ادخل ابن عباس مع صغر سنه وقد اجاب ابن عباس عن مشكلات كثيرة فيما بعد لطول مدته (٢) والله الموفق .

٤ ـ الشجاعة : يقول ابن المطهر الحلي عن شجاعة علي رضي الله عنه وانها مما يوجب احقيته بالامامة .

قالوا ومن احواله التي تؤهله للامامة انه كان اشجع الناس وبسيفه ثبت قواعد الاسلام وتشيدت اركان الايمان الى اخر ما ذكره ابن المطهر من مواقفه البطولية في غزوة بدر وخيبر وغيرهما من الغزوات . (٣)

وقد اجاب ابن تيمية عن هذا مبينا موقف اهل السنة والجماعة فقال رحمه الله تعالى : لا ريب في شجاعة علي ونصره للاسلام لكن ليس هذا من خصائصه رضي الله عنه بل شاركه فيه عدة من الصحابة واشجع الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت من حديث أنس وفيه : ولقد فزع اهل المدينة يوما فانطلق ناس قبل الصوت فالتقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة وفوق عنقه السيف وهو يقول : لم تراعوا . (٤)

---

(١) سورة الشورى ٣٨ (٢) المنتقى ص ٥٠٩

(٣) منهاج الكرامة ص ١٨١ ـ ١٨٢ وراجع شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١ يقول ابن ابي الحديد وجملة الأمر ان كل شجاع في الدنيا اليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها .

(٤) البخاري ج ٦ ص ٩٥

وفي المسند عن علي رضي الله عنه قال كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله فيكون اقربنا الى العدو[1] والشجاعة قوة القلب والثبات عند المخاوف او شدة البطش واحكام صناعة الحرب ومع هذا فلم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم غير ابي بن خلف .

ومن فرط شجاعته ان اصحابه انهزموا يوم حنين وهو راكب بغلة لاتكر ولا تفر وتقدم عليها الى ناحية العدو ويسمي نفسه ويقول :

انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب [2]

واذا كانت الشجاعة المطلوبة من الامام قوة القلب فلا ريب ان اشجع الصحابة ابو بكر رضي الله عنه فانه باشر الاهوال التي كان رسول الله يباشرها من اول الاسلام ولم يجبن ولا جزع بل يقدم على المخاوف ويقي الرسول بنفسه ويجاهد بلسانه ويده وماله .

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم عظمت النازلة واضطربوا اضطرابا عظيما وارتدت العرب وعظمت الفتنة واشتد البلاء قام الصديق بقلب ثابت قد جمع له الصبر واليقين فاخبرهم ان الله اختار لنبيه ما عنده وقال : لهم (من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت)[3] وتلا عليهم الايات الدالة على موته عليه الصلاة والسلام .

وكأن المسلمين لم يسمعوها من قبل ثم شجعهم وثبتهم وبادر في تنفيذ جيش أسامة واخذ في قتال المرتدين دون خوف ولا هوان حتى كان عمر مع شجاعته وصلابته في الدين يقول له : تألف الناس وأما قتل الكفار فلا ريب ان غير علي قتل منهم اكثر منه فالبراء ابن مالك أخو أنس قتل مائة رجل مبارزة سوى من شارك في دمه وخالد ابن الوليد لا يحصى من قتله من الكفار وقد انكسر في يده يوم مؤتة سبعة أسياف .

---

(١) الفتح الرباني على مسند الامام احمد جـ ٢٢ ص ٣٧
(٢) البخاري جـ ٦ ص ٧٥ (٣) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩ — ٢٠

وقال ابن حزم :

وجدناهم — يعني الشيعة الامامية — يحتجون بأن عليا كان اكثر الصحابة جهادا وقتلا .

والجهاد على ثلاثة أقسام :

احدها — الدعاء الى الله باللسان

الثاني — الجهاد عند البأس بالرأى والتدبير

الثالث — الجهاد باليد فوجدنا الاول لا يلحق أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيه فان كبار الصحابة اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ .

والقسم الثاني : الرأى والمشورة وهو خالص لأبي بكر ثم عمر .

والقسم الثالث : الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان في اكثر اعماله للقسمين الأولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الأرض قاطبة نفسا ويدا وأتمهم نجدة لكنه يؤثر الأفضل فالأفضل .

ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابوبكر معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله له بذلك واستظهارا برأيه في الحرب وأنسا بمكانه فقد انفرد بهذا المحل دون علي وسائر الصحابة الا في الندرة (١) .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٣٥ — ١٣٦

٥ — اخباره بالغيب :

يقول الحلي الخامس: يعني من احواله اخباره بالغائب الكائن قبل كونه • من ذلك أن طلحة والزبير لما استأذناه للخروج الى العمرة قال لا والله لا يريدان العمرة وانما يريدان البصرة وكان كما قال •

واخبر وهو بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة • فقال يأتيكم من قبل الكوفة الف رجل لا يزيدون ولا ينقصون يبايعونني على الموت فكان كذلك أخرهم اويس القرني •

واخبر بقتل ذي الثدية واخبر بقتل نفسه الشريفة وان قنبرا يذبحه الحجاج فوقع ذلك•

وذكروا امورا كثيرة اخبر بها علي بن ابي طالب فوقعت كما اخبر بها عليه السلام كملك بني أمية وغير ذلك من الأمور الغيبية • (١)

والجواب ان يقال : ان الاخبار ببعض المغيبات يقع ممن هو دون علي من الصلحاء وغيرهم ممن لا يصلح للامامة •

وأبو هريرة وحذيفة وغيرهما اخبرا باضعاف ذلك وأبو هريرة يسنده مرة وحذيفة يسنده مرة وتارة لا يسنده •

فما اخبر به او غيره قد يكون مما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يكون مما كوشف به •

وفي " الزهد " لاحمد بن حنبل و " الحلية " لأبي نعيم و " كرامات الاولياء " لابن ابي الدنيا و " الخلال " وللالكائي جملة من ذلك عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم •

واما ما اورده من الامور الغيبية عن علي فلا نسلم بصحته • يقول ابن تيمية من ذلك ما يعلم كذبه ومما يبين ان عليا لا يعلم الأمور المستقبلة انه

---

(١) منهاج الكرامة ص١٨٦

كان في خلافته حروب يظن اشياء فيتبين له الأمر بخلاف ما يظن .

فلو عرف انه يجري ما جرى من قتل الناس ولم يحصل المقصود لما قاتل .

ولو علم انه اذا حكم الحكمين يحكمان بما حكما به لم يحكمهما .

وكان يقول لبالي صفين باحسن ما ظن أبوك ان الامر يبلغ هذا

وقد دل الواقع على ان رأى ولده الحسن من ترك القتال كان أجود وأنفع للأمة . (١)

٦ ـ استجابة الدعاء : يقول الحلي السادس يعني من احواله التي تؤهله للامامة انه كان مستجاب الدعوة من ذلك أنه دعا على بشر بن ارطاة ان يسلبه الله عقله فخولط .

ودعا على العيزار بالعمى فعمي .

ودعا على أنس لما كتم شهادته بالبرص فبرص (٢) .

قال ابن تيمية :

والجواب ان يقال هذا موجود في الصحابة والصالحين فلا ينكر لعلي

وكان سعد بن ابي وقاص لا تخطىء له دعوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له : اللهم سدد دينه وأجب دعوته .

والبراء بن مالك كان يقسم على الله فيبر قسمه كما في الصحيح (ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) (٣) وقد بارز مائة .

والعلاء الحضرمي نائب رسول الله ونائب ابي بكر على البحرين مشهور باستجابة الدعاء . (٤)

---

(١) المنتقى ص ٥٢١ ـ ٥٢٢

(٢) منهاج الكرامة ص ١٨٨

(٣) الترمذي ج ١٠ ص ٣٥٦

(٤) المنتقى ص ٥٢٣

هذه هي جملة احواله رضى الله عنه التي يزعم الامامية انه اختص بها وانها توجب امامته وتقدمه على غيره وقد رأينا من خلال الردود المتقدمة انه لم يختص بهذه الفضائل رضى الله عنه بل شاركه فيها غيره بل كان هناك من هو افضل في بعض تلك الأحوال .

ومع ذلك كله فان هذه الاحوال لو فرض وانها كانت مختصة به رضى الله عنه فانها لا توجب بذاتها امامته فان الامامة تنعقد ببيعة المسلمين للامام حيث يجدون مصلحة الأمة في بيعته دون سواه ولا تثبت للامام بمجرد اتصافه بهذه الفضيلة او تلك فما بالك اذا كان هذا الاتصاف موضع خلاف .

الفصل السابع

خصائص الامام ورأى أهل السنة فيها

للامام عند الشيعة الامامية خصائص يتميز بها عن غيره فلا يشاركه فيها غيره من الناس اللهم الا الانبياء خلافا لأهل السنة والجماعة وسوف نذكر هذه الخصائص فيما يلي :

١ ـ الحلول :

وهو القول بحلول روح الله في الأئمة • وعقيدة الحلول من عقائد غلاة الامامية في الأئمة وقد كانت السبئية تعتقد ان عليا صار اليها بحلول الاله فيه •

وكذلك البيانية وهم اتباع بيان بن سمعان فقد زعموا ان روح الاله دارت في الانبياء والأئمة حتى انتهت الى على ثم دارت الى محمد بن الحنفية ثم صارت الى ابنه ابي هاشم ثم حلت بعده في بيان بن سمعان •

وكذلك الخطابية : اتباع ابى الخطاب الأسدى • كلها حلولية لدعواها حلول روح الاله في جعفر الصادق وبعده في ابى الخطاب الاسدى • (١)

وكذلك الجناحية وهم اصحاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذى الجناحين • فهم حلوليون ايضا لدعواهم ان روح الاله دارت في على واولاده • (٢)

وكذا التشريعية اتباع رجل كان يعرف بالتشريعي كان يزعم ان الله تعالى حل في خمسة اشخاص وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين • (٣)

وهذه الطوائف وغيرها من الطوائف الحلولية كلها كافرة لقولهم بالحلول •

---

(١) للبغدادى ص ٢٥٥

(٢) راجع التحفة ص ١١ والبغدادى ص ٢٥٥

(٣) البغدادى ص ٢٥٢

يقول البغدادى عند ذكر اصناف الحلولية (ان الحلولية في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الاسلام و غرض جميعها القصد الى افساد القول بتوحيد الصانع وتفصيل فرقها في الاكثر يرجع الى غلاة الروافض. (١)

وقد تبرأ الائمة العلويون من هذه العقيدة فقد أحرق علي بن ابي طالب رضى الله عنه من قال له من الشيعة : أنت انت يعنى انت الالـه كما نفى عبدالله بن سبأ زعيم هذه الطائفة الى المدائن .

كما تبرأ الباقر من المغيرة بن سعيد العجلى واصحابه الذى غلا فيه وقال بالهيته فتبرأ منه الباقر ولعنه. (٢)

كما تبرأ الصادق ايضا من ابي الخطاب الاسدى لما وقف على غلوه الباطل في حقه فتبرأ منه ولعنه وأمر اصحابه بالبراءة منه وشدد القول فى ذلك و بالغ في التبرى منه واللعن عليه كما تبرأ من اصحابه وطردهم. (٣)

كما تبرأ الصادق من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه . (٤)

و يقول الشيخ محمد رضا المظفر :

لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة والحلوليون * كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * (٥)

والواقع ان القول بالحلول يتنافى مع العقيدة الاسلامية وما تقرره مع توحيد الله عز وجل وتنزيهه وصمديته فليس هو محلا للحوادث ولا يحتاج الى غيره في

---

(١) البغدادى ص٢٥٤

(٢) راجع الشهرستانى ج ١ ص ١٧٨

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٩ـ ١٨١

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٦

(٥) عقائد الامامية ص٥٩ والاية في سورة الكهف / ٥

قيامه بنفسه وهو اكبر وادل من ان يحل في شيء من خلقه * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير *(١)

٢ ـ العصمة :

العصمة لغة المنع يقال عصمه يعصمه عصما اى منعه ووقاه .(٢)

قال تعالى حكاية عن ولد نوح * سآوى الى جبل يعصمني من الماء * اى يمنعني

* لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم *(٣) اى لا مانع الا من رحمه الله .

واعتصم فلان بالله اذا امتنع به فالعصمة هنا تفيد الحفظ ، واعتصمت بالله اى امتنعت بلطفه عن المعصية .

وفي قوله تعالى في وصف (يوسف) حين راودته امرأة العزيز عن نفسها : * فاستعصم *(٤) اى أبى عليها ولم يجبها الى طلبها .

ويقال أن أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه ومنه قوله تعالى * واعتصموا بحبل الله جميعا *(٥) وقوله * ومن يعتصم بالله *(٦) اى من تمسك بعهده .(٧)

---

(١) سورة الشورى / ١١

(٢) راجع تاج العروس ج ٨ ص ٣٥٨

(٣) سورة هود اية ٤٣

(٤) سورة يوسف اية ٣٢

(٥) سورة آل عمران اية ١٠٣

(٦) سورة آل عمران اية ١٠١ (٧) نظرية الامامة ص١٠٤ـ ١٠٥

اما مفهوم العصمة عند الامامية فقد اختلف متكلمو الشيعة فيها هل هي لطف عام ام خاص بالمعصومين وهل المعصوم قادر على ارتكاب المعصية واذا كان قادرا فكيف يوء من له ألا يرتكبها وان لم يكن قادرا فأى فضل له فيما ليس بقادر عليه • يذكر الدكتور صبحي عن ابن ابي الحديد : أن العصمة مقتضية أربعة اشياء :

اولها : ان يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور داعية الى العفة •

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة •

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله •

رابعها : انه متى صدر منه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك بل ينبه فاذا اجتمعت هذه الأمور الاربعة كان الشخص معصوما لا محالة •

ثم قال الدكتور صبحي : وتعريف ابن ابي الحديد للعصمة بما ذكر يتضح منه انه جعل العصمة مقصورة على الأنبياء من حيث نزول الوحي عليهم اما هشام بن الحكم فيقول : ان جميع الذنوب لها اربعة اوجه لا خامس لها : الحرص — الحسد — الغضب — الشهوة • وهذه الصفات كلها منتفية عن الامام • (١)

وفي كتاب (ظلال الوحي) العصمة الملكة التي تمنع من صدور الذنب عن اختيار وارادة •

والعصمة اهم الخصائص التي يعتقد الامامية ثبوتها للامام حتى اصبحت وصفا لازما له وهي شرط في امامة الأئمة الاثنى عشر وشرط في القول بصحة ما يصدر عن الأئمة من العلوم والتشريعات وألوان السياسة والتدبير (٢) كما

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ١٠٨ — ١٠٩ (٢) في ظلال الوحي ص ١٥

سيتضح ذلك عند حديثنا عن وجوبها وضرورتها في نظرهم .

والامامية يلحقون الامام بالنبي في وجوب العصمة له عن جميع الخطايا صغيرة وكبيرة سهوا وعمدا لأن كلا من الامام والنبي يقوم بعمل واحد هو حفظ الشرع والدليل الموجب لعصمة النبي هو نفسه الدليل الموجب لعصمة الامام يقول الشيخ محمد رضا المظفر : (ونعتقد ان الامام كالنبي يجب ان يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا كما يجب ان يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقائمون عليه حالهم في ذلك حال النبي والدليل الذى اقتضانا ان نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا ان نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق) (١)

أما ادلة وجوب عصمة الامام فهي أدلة عقلية واخرى نقلية .

أولا — الأدلة العقلية :

١ — الدليل الأول : انه لو جاز على الامام الخطأ لاحتاج الى آخر يسدده ثم ينتقل الكلام اليه ويتسلسل ويفوت المطلوب .

٢ — الدليل الثاني : أنه لو جاز عليه الخطأ فاما أن يجب الانكار عليه فيسقط محله من القلوب فلا يتبع والغرض من نصبه اتباعه فينتقض المطلوب .

وان لم يجب الانكار عليه سقط وجوب النهى عن المنكر وهو باطل . (٢)

---

(١) عقائد الامامية ص ٥١

(٢) ظلال الوحي ص ١٥

٣ — الدليل الثالث : انه حافظ للشرع فلولم يكن معصوما لم يؤمن منه الزيادة والنقصان في الاحكام .(١)

ثانيا — الأدلة النقليــــة :

يزعم الشيعة الامامية ان العقل ليس فقط هو الذى يقضى بوجوب عصمة الامام اوبطلان متابعة الناس لغير المعصوم .

بل ان الادلة النقليـــة تفيد ذلك أيضا :

١ — الاول من الادلة النقلية : ففي جواب الله على طلب ابراهيم ان يجعل الامامة في ذريته قال تعالى ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾(٢) وكل من كان مذنبـــا فانه ظالم لقوله تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفســه ﴾(٣) فكانت الايــة نصا في أن كل من كان مذنبا سواء كان ذنبــه ظاهرا اوباطنا لا يكون اماما فالامام لا بـد ان يكون معصوما .

٢ — الثاني من الأدلة النقلية : ان الله قد أوجـب طاعة اولى الأمر مقرونة بطاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسـول واولى الأمر منكم ﴾(٤) فاولوا الأمر الواجب طاعـتهم يجب أن تكون اوامرهـــم واحكامهم موافقة تماما لاحكام الله حتى تجـب لهم هذه الطاعة ولا يتسنى هذا الا بعصمتهم اذ لو صدر الخطأ منهم لوجب الانكار عليهم وذاك يضاد أمر اللـــه بالطاعـة لهم .

---

(١) في ظلال الوحى ص١٥

(٢) سورة البقرة آية ١٢٤

(٣) سورة فاطـر آية ٣٢

(٤) سورة النساء آية ٥٩

٣ — الثالث من الأدلة النقلية : قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ (١) والنعمة هنا المراد بها العصمة اذ ان كونهم على الصراط المستقيم دائما فلا يغضب الله عليهم أبدا يقتضي ذلك عصمتهم (٢).

انظر الى أي مدى وصل اليه متكلمو الشيعة في تأويل الايات تأويلا بلغ حد التعسف والتكلف كل ذلك رغبة في تحقيق اثبات أصالة المذهب وقد ذكر صاحب نظرية الامامة أدلة عقلية ونقلية كثيرة في اثبات عصمة الأئمة عن الخطأ والنسيان وانهم كالأنبياء معصومون عن الكبائر والصغائر ولكننا رأينا أن نقتصر على هذا خشية الاطالة من ذلك تفسير الشيعة الهداية في القرآن بأمير المؤمنين علي كقوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وغيرها في القرآن (٣) ومن أقوى ادلتهم على عصمة الامام حديث الثقلين من حيث قرن الشارع اهل البيت بالقرآن (٤) غير انه من الغريب ان بعض الامامية جوز المعصية على الانبياء دون الأئمة بدعوى ان الانبياء يوحى اليهم فلا يقرهم الوحي على الخطأ واما الأئمة فلا يوحى اليهم ومن ثم وجبت عصمتهم .

يقول البغدادي : وكان هشام بن الحكم يجيز على الأنبياء العصيان مع قوله بعصمة الأئمة من الذنوب ويزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم عصى ربه عز وجل في اخذ الفداء من اسارى بدر غير ان الله عفا عنه وفرق هشام بين النبي والامام بأن النبي اذا عصى أتاه الوحي بالتنبيه على خطاياه والامام لا ينزل عليه الوحي فيجب ان يكون معصوما عن المعصية غير ان الامامية انكرت على هشام القول بجواز المعصية على الأنبياء واكفروه لذلك. (٥)

---

(١) الفاتحة اية ٦

(٢) نظرية الامامة ص ١٣٠ — ١٣١

(٣) تفسير سورة الفاتحة لآية الله عبد الحسين ص ١٣٨

(٤) دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ١٥ (٥) البغدادي ص ٦٧ — ٦٨

والواقع ان القول بالعصمة لم يكن مجال بحث في اوساط المسلمين الاوائل كما لم تكن العصمة محل جدلهم مع النصارى . يقول الدكتور صبحي نقلا عن دونالدسن : ان فكرة عصمة الأنبياء في الاسلام حديثة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعدئذ الى أن تطور علم الكلام عند الشيعة فهم اول من تطرق الى بحث هذه العقيدة ووصف أئمتهم بها وأشار الى احتمال ان تكون هذه الفكرة قد ظهرت في عهد الصادق اى في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة بينما لم يرد ذكر العصمة عند أهل السنة الا في القرن الثالث للهجرة بعد أن كان الكليني قد صنف كتابه " الكافي " وأطنب في بحث موضوع العصمة (١) وهنا يمكن القول بأن متكلمي الشيعة و فقهائهم هم الذين بحثوا موضوع العصمة .

وأشار الدكتور صبحي : الى العوامل التي هيأت لهم ان يصدر البحث في العصمة من بين كتابهم دون ان يسبقهم الى ذلك احد فنقل عن دونالدسن قوله ان الشيعة لكي يثبتوا دعوى الأئمة تجاه الخلفاء السنيين اظهروا عقيدة عصمة الرسل بوصفهم أئمة او هداة .

وقد علق الدكتور صبحي على هذا التفسير بأنه غير كاف لتعليل منشأ البحث في العصمة ووصف الأئمة بها لان دعوى الشيعة تجاه أئمتهم تحدوهم الى بحث فكرة القول بامامة الأفضل اوقد تحدوهم الى مقابلة ما وصف به خلفاء بني أمية اوبني العباس من ظلم وجور .

على ان التفسير المذكور يكشف عن حقيقة هامة وهي ان البحث في العصمة كان رد فعل او معارضة من جانب الشيعة للخلفاء المغتصبين في نظرهم وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان فكرة العصمة التي تبدو من صميم ابحاث الدين وذات صلة وثيقة بالسياسة ان لم يكن منشأها سياسيا فان متكلمي الشيعة قد بدأوا في

---

(١) نظرية الامامة ص١٣٤

اثبات وجوب عصمة الأئمة قبل الكلام على عصمة الأنبياء .

وقد خلص الشيعة الى القول بوجوب وجود المعصوم حين كان وجود الخطأ جائزا على فرد من افراد الأمة وحين اصبح للامام حق التصرف في جميع شئون المسلمين فكيف تكون احكامه على اليقين وترقى عن مستوى الظنون الا بالقول بالعصمة . (١)

وكون عقيدة العصمة ظهرت في عهد الصادق ليس أمرا غريبا لأن معظم العقائد الشيعية أخذت صبغتها المذهبية في عهده كما تقدم في نشأة الشيعة وتطورها في التمهيد لهذه الرسالة .

غير انه لا بد ان تكون للفكرة اصول سابقة على عهد الصادق وتبدو فكرة العصمة كرد فعل لكثرة اختلاف الناس على الامام علي رضى الله عنه زمن خلافته أعني الذين جادلوه في كل تصرفاته ثم الانشقاق عليه فظهرت فكرة القول بالعصمة كصفة ملازمة للامام تسمو به عن اختلاف العلماء والمجتهدين عليه في احكام الدين أو شئون الدنيا .

وليست العصمة عند الشيعة رد فعل لانشقاق الخوارج عليه رضى الله عنه فحسب بل هي رد اعتبار لهذا الامام الذى تشكك معظم المسلمين في افعاله زمن خلافته .

غير أن عليا رضى الله عنه لم يصف نفسه بالعصمة وانما وصف هو وذريته بها في عهد متأخر . (٢)

على أن الشيعة التمسوا من خطب على رضى الله عنه ما يثبتون به العصمة سواء كان بحق او بباطل ولا ننسى تأثير ما يعتقدونه من القول بانتقال النور

---

(١) نظرية الامامة ص ١٣٤ — ١٣٥

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩

المحمدى في اصلاب الأئمة وهو قبس من النور الالهى فهذا النور فيهم هو مصدر عصمتهم كما انه مصدر علومهم اللدونية كما يزعمون •

وقد مر بنا في الفصل الثالث من هذا الباب بعض ردود ابن تيمية على فكرة القول بعصمة الأئمة •

تبين لنا مما تقدم معنى العصمة واهميتها عند الشيعة الامامية ووجوبها وادلتها ومتى ظهر القول بها وسنبين بايجاز مواقف اهل السنة والجماعة من هذه الفكرة •

لقد انتقد ابن تيمية القول بعصمة الأئمة واعتبره من الافكار الخاصة بالامامية الاثنى عشرية وانه لم يشاركهم احد في ان الأئمة معصومون كالانبياء لا الزيدية ولا سائر طوائف المسلمين الا الاسماعيلية الذين هم شر من الامامية الاثنى عشرية حيث بالغوا حتى اعتبروا بني عبيد أئمة معصومين وهم ملاحدة منافقون • (١)

وأضاف في انتقاده لهذه الفكرة بأن القائل بها لا حجة معه ثم استشهد بالواقع رابطا بين عصمة المعصوم وما يجب ان يتحقق عنها في الامامة من المصلحة واللطف فقال :

ومن المعلوم المتيقن ان هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتا كما يقوله الجمهور او كان حيا كما تظنه الامامية وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل منهم شيء من المصلحة واللطف الحاصلة من امام معصوم ذى سلطان كما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة فانه كان امام المؤمنين الذى تجب طاعته وتحصل بذلك السعادة ولم يحصل بعده احد له سلطان تدعى له العصمة لا على رضى الله عنه زمن خلافته ولا غيره •

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢٢٨

ومن المعلوم ان المصلحة واللطف الذى به كان المؤمنون فيهما زمن الخلفاء الثلاثة اعظم من المصلحة واللطف الذى كانا في خلافة علي زمن القتال والفتنة والافتراق.(١)

فكل ما استدلوا به من ادلة عقلية اونقلية لا دليل فيه على عصمة أئمتهم اذ لا معصوم في هذه الأمة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى في حقه ﴿ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴾(٢) وقال ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾(٣) واما غير الرسول فهو عرضة للخطأ بقول عليه الصلاة والسلام (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)(٤) ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران واذا أخطأ فله أجر واحد)(٥) فالعصمة اذن من خصائص الرسل ولذا كانت طاعتهم واجبة مطلقا .

٣ — العلم الخاص الكامل : ذكر صاحب (الكافي) في باب الأئمة ولاة امر الله وخزنة علمه .

وذكر تحت هذا العنوان بسنده عن ابي عبدالله انه قال : نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله .

وروى بسنده ايضا عن ابي جعفر انه قال : والله انا لخزان الله في سمائه وارضه لا على ذهب ولا على فضة الا على علمه .

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ص ٨٤

(٢) سورة النجم اية ٣—٤

(٣) صورة الحشر اية ٧

(٤) ابن ماجه ج ٢ص ١٤٢٠

(٥) مسلم مع النووى ج ١٢ ص ١٣ والبخارى ج ١٣ ص ٣١٨

وروى بسنده ايضا ان ابا جعفر سئل من أنتم فقال : نحن خزان علم الله ونحن تراجمة وحي الله ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض .

ونحن نور الله في الارض وفي السماء .

ونحن اهل الذكر الذين أمر الله بسئوالهم في القرآن .

ونحن الموصوفون بالعلم في كتاب الله في قوله تعالى ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (١) فالأئمة هم الذين يعلمون وعدوهم لا يعلمون وهم الراسخون في العلم .

وقد توارثوا العلم واثبت في صدورهم .

وروى عن علي بن الحسين انه قال : نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن العلم ومختلف الملائكة . (٢)

وقد ذكر صاحب (الكافي) اضافة الى النصوص السابقة نصوصا اخرى في اتصاف الأئمة بالعلم الشامل ومؤداها انهم ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء وعندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله وانهم يعرفونها على اختلاف السنتها .

وانهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت الى الملائكة والانبياء والرسل .

وأنهم يعلمون متى يموتون ولا يموتون الا باختيارهم وان الامام اذا أراد ان يعلم علم وأنهم يعلمون ما كان وما يكون وانه لا يخفى عليهم شيء . (٣)

---

(١) سورة الزمر اية ٩

(٢) اصول الكافي جـ ٣ ص ٨١ — ٨٣

(٣) المصدر السابق جـ ٣ ص ٨٣

وفيما يتعلق بجهات العلم الشامل الذى تنسبه الامامية الى أئمتهم/يروى صاحب الكافي بسنده عن ابى الحسن الاول موسى عليه السلام انه قال (مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه ماضي وغابر وحادث).

فأما الماضي فيفسر وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع وهو افضل علمنا .

وروى بسنده ايضا عن ابي عبدالله انه قذف في القلوب ونكت في الآذان .

اما الغابر فما تقدم من علمنا . وأضاف يقول :

وأما النكت في القلوب فالهام وأما النقر في الأسماع فأمر الملك . (١)

فالعلم ينقدح في نفس الامام في زعم الامامية انقداحا انه منه وفي طبيعته ومادته وقد انتقل اليه العلم الغيبي بعد تسلسل طويل في ارواح الروحانيين من الملائكة والانبياء ، وفي البدء كانت هناك مادة نورانية انتقلت من نبي الى نبي حتى وصلت محمدا وبعده الى علي وفاطمة واجتمع النور في الأئمة الفاطميين وقد صارت ارواحهم من هذا النور الخلاب الذى بهر الشيعة فآمنوا به ايمانا عجيبا . (٢)

فالامام هو وارث العلم النبوى وانما يعلو على البشر باتصاله الدائم بالعلم الالهي ولم يصل الى هذا عن اكتساب. (٣)

ومن هذا العلم الشامل العلوم السرية كما في كتب الجفر الأبيض وفيه زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة وفيه ما يحتاج اليه الناس فما من ملك يملك الا وفيه اسمه واسم ابيه وكل ما

---

(١) اصول الكافي ج ٣ ص ٣٤٧ — ٣٤٨ وراجع الاحتجاج ج ١ ص ٦٩

(٢) راجع سامي النشار ج ٢ ص ٢٩٥ — ٢٩٦

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٥

تنطوى عليها هذه الكتب من العلوم الخ يحفظها الأئمة وكل امام يفضى الى من بعده. بهذه العلوم السرية الخاصة بالأئمة في زعم الشيعة الامامية وانهم يعلمون الاسم الأعظم •

وقد نسب الى الصادق انه قال : ورب الكعبة لوكنت بين موسى والخضر لاخبرتهما انى اعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام اعلما ما كان ولم يعلما علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله وراثة • (١)

وقد تقدم الكلام على الجفر وغيره من العلوم السرية المنسوبة الى الصادق وموقف اهل السنة من ذلك وذلك في حديثنا على موقف اهل السنة فيما نسب الى الصادق وغيره من العلوم وذلك في الفصل الثالث من الباب الاول لهذه الرسالة وذكرنا هناك ما ثبت عن علي من نفى اختصاصهم بعلوم دون الناس •

وقد اختلف الشيعة الامامية في جهات علم الامام الصغير فقالت طائفة ان جهات علمه هي : الالهام والنكت في القلب والنقر في الآذان والرؤيا الصادقة في المنام والملك المحدث له •

وانكرت طائفة أخرى هذه المصادر للعلم وقالوا ان علم الامام الصغير مصدره كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها وما رسم له فيها من الاصول والفروع (٢)

والمقصود ان الامامية لم يتركوا علما بما كان او لم يكن الا ونسبوه الى أئمتهم وسواء كان علما غيبيا او غيره كما رأيت وأنه عندهم علم الأولين والاخرين والكتب السابقة الى غير ذلك مما لم يدل عليه دليل لا من الكتاب ولا من السنة •

ومن هنا كان مذهب اهل السنة ان علم الغيب خاص بالله تعالى فلا يشاركه فيها احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل قال تعالى ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ﴾ (٣)

---

(١) راجع نظرية الامامة ص ٣٧٤ (٢) المصدر السابق ص ٣٩١ — ٣٩٢

(٣) سورة النمل اية ٦٥

وقال تعالى ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴾(٢) الاية ٠

وقال تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ﴾(٣)

والوحي خاص بالأنبياء فلا ينزل الوحي على غير الأنبياء من بني آدم وبموت محمد صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي واما الكتب السابقة فلم تكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في حاجة اليها فقد اعطاه الله ما يكفي ويشفي ولما رأى عند عمر بن الخطاب ورقة من التوراة غضب صلى الله عليه وسلم وانكر ذلك وقال :(والله لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا اتباعي)(٤) أو كما قال ٠

ومن ظن ان الاسلام يحتاج الى الكتب السابقة فقد اتهمه بالنقصان وانه غير كامل والقرآن يرد هذا الاتهام صراحة قال تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾(٥)

وحكاية النور الالهي خيالية لا دليل عليها وكذلك نسبة العلم الى الصغار من أئمتهم فالصغير مرفوع عنه القلم وغير مكلف فكيف يدعي له هذا العلم الشامل ٠

---

(١) سورة الاعراف اية ١٨٨ (٢) سورة الجن اية ٢٦ ـ ٢٧

(٣) سورة الانعام اية ٥٩

(٤) المسند للامام احمد ج ٤ ص ٢٦٥ قال ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٧٨ وفي بعض الاحاديث لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي ٠

(٥) سورة المائدة اية ٣

وأما القول باختصاص أئمة البيت بعلم لم يكن عند غيرهم من الأمة فهذا قول باطل ودعوى فاسدة يكفي في رده ما نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفاظ كثيرة وبطرق ثابتة انه سئل (هل خصكم رسول الله بشيء لم يعم به الناس؟ فقال : لا الا فهما يؤتيه الله رجلا في كتاب الله) (١) وبهذه يتبين فساد دعوى الشيعة الامامية في الأئمة في عقيدة العلم الشامل .

٤ ـ سلطان الامام في التشريع :

ان الامام عند الامامية له السلطان الكامل في التشريع وكل ما يقوله يكون من الشرع ولا يمكن ان يكون منه ما يخالف الشرع .

وقد نقل الاستاذ ابو زهرة عن السيد محمد حسين آل كاشف لغطا قوله :

يعتقد الامامية ان لله في كل واقعة حكما وما من عمل من اعمال المكلفين الا ولله فيه حكم من الاحكام الخمسة الوجوب والحرمة والكراهة والندب والاباحة وقد أودع جميع تلك الاحكام عند نبيه خاتم الأنبياء وعرفها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله او بالالهام وبين كثيرا منها وبالأخص لأصحابه الحافين به الطائفين كل يوم بعرش حضوره ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الافاق * لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا * (٢)

وبقيت احكام كثيرة لم تحصل والبواعث لقيامها وان حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الاحكام وكتمان جملة لكنه صلى الله عليه وسلم أودعها عند اوصيائه كل وصي يعهد بها الى الآخر بنشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة (٣) ثم قال ابو زهرة يستفاد من هذا الكلام ثلاثة أمور :

---

(١) البخارى ج ١ ص ٢٠٤ (٢) سورة البقرة آية ١٤٣

(٣) اصل الشيعة واصولها ص ١١٣ - ١١٢

الأول : ان الأئمة هم الاوصياء استودعهم النبي صلى الله عليه وسلم اسرار الشريعة وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبينها كلها بل بين البعض بحسب ما اقتضاه زمانه وترك للأوصياء بيان ما تقتضيه الأزمنة من بعده .

الثاني : أن ما يقوله الأوصياء شرع اسلامي لأنه تتميم للرسالة وكلامهم في الدين شرع بمنزلة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من الوديعة التي اودعها الله اياها .

الثالث : للأئمة ان يخصصوا النصوص العامة و يقيدوا النصوص المطلقة .

فالامام عند الامامية قد احاط بكل شيء علما وان ذلك العلم المحيط الثابت بالفعل لا بالامكان ولا بالاجتهاد .

ثم ان وجود الامام ليس لبيان الشريعة او تتميما لما بدأ الرسول به فقط بل لحفظ الشريعة وصيانتها من الضياع فهو يتمها و يحميها وهو قوام على الشريعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم . فالامام هو مصدر التشريع بعد القرآن والسنة المنقولة عن طريق أهل البيت اذ لا يقبلون اسنادا الا عن طريقهم . بل له أن ينسخ بعض الاحكام ان رأى ذلك . (١)

هذه درجة الامام لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية فهو عندهم مصدر التشريع و متمم للدين يقيد النصوص المطلقة و يخصص النصوص العامة فلا يقع منه الخطأ مطلقا الى غير ذلك مما تقدم من الأباطيل .

و هذا كله مخالف لعقيدة اهل السنة في الامام ذلك ان الامام عند اهل السنة كغيره من البشر فليس له ان يخرج عن مصادر الشريعة الاسلامية التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس اذا توفرت فيه الشروط المعتبرة .

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦

وليس للامام ان ينحرف عن الشرع لا يمنة ولا يسرة فالشرع كامل لا يحتاج الى تتميم فما اطلق من بعض النصوص تقيده نصوص أخرى وكذا العام تجد تخصيصه فى مكان آخر وهكذا .

فالامام عند اهل السنة يجوز له ان يجتهد فيما لم يدالع له على نص ويجوز عليه الخطأ فيكون له أجر واحد في اجتهاده لقوله صلى الله عليه وسلم (اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد) (١)

فالواجب على الامام ان يكون الشرع مصدره فالشرع كامل كما قلنا آنفا وصالح لكل زمان ومكان قال الله تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ (٢) الآية والنصوص في هذا الموضوع كثيرة كما لا ينسخ حكم شرعي الا بخطاب شرعي متراخ عنه .

٥ - وجوب معرفة الامام وموالاته والبراءة من أعدائه :

ومن اهم خصائص الامام وجوب معرفته وموالاته ورد الأمر اليه والتسليم له والبراءة التامة من اعدائه ويرجع وجوب ذلك كله عند الامامية الى اعتبارهم الامامة وركنا اساسيا لا يتم الايمان بدونه وتبعا لوجوب الايمان الكامل من المؤمن كان وجوب معرفة الامام وموالاته .

ومعرفة الامام في نظر (الامامية) جزء من معرفة الانسان بربه ونبيه ولا تتم العبادة لصاحبها الا بهذه المعرفة . وقد روى الكليني في كتابه (الكافي) بسنده الى ابى جعفر انه قال : انما يعبد الله من يعرف الله وأما من لا يعرف الله فانما يعبد الله هكذا ضلالا .

قال ابو حمزة : قلت : جعلت فداك فما معرفة الله ؟

---

(١) رواه البخاري ج ١٣ ص ٣١٨ ومسلم ج ١٢ ص ١٣

(٢) سورة المائدة اية ٣

قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم هكذا يعرف الله عز وجل .

وذكر بسنده ايضا الى الصادق انه قال : لا يكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله ورسوله والائمة كلهم وامام زمانه ويرد اليه ويسلم له . (١)

ولقد اعتبر الشيعة معرفة الامام وموالاته من اركان الاسلام كالصلاة والصيام .

ويذكر الشيخ آل كاشف الغطاء : أن (الشيعة الامامية) زادوا ركنا خامسا وهو (الولاية) (٢) وبناء على ان اركان الاسلام عندهم هي : التوحيد والنبوة والمعاد والعمل بالدعائم التي بنى عليها الاسلام وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والركن الخامس الامامة . (٣)

والولاية ان يعتقد ان الامامة منصب الهي كالنبوة فمعرفة الامام والائتمام به : هو المعنى المقصود من لفظ الولاية وهو جوهر المذهب الشيعي .

فالشيعة يهتمون بمسألة الولاية ومعرفة الامام غاية الاهتمام حتى علقوا الايمان به .

ومن هنا كان الانتساب الى التشيع متوقفا على معرفة الامام وموالاته .

غير أن بعض المتأخرين من الامامية كالعاملي يقول : ان اصول الدين عند الشيعة خمسة : التوحيد ، العدل ، النبوة ، الامامة ، المعاد . ولكن الامامة وان اعتبروها من اصول الدين فهي باصول المذهب أشبه لأن منكر الامامة عندهم لا يخرج بذلك عن ملة الاسلام وانما يخرج عن المذهب .

---

(١) راجع (اصول الكافي) ج ٣ ص ٤٦-٤٧

(٢) اصل الشيعة واصولها ص ٩٨ وقد تقدم سياق عبارته في اول الفصل الثاني من هذا الباب .

(٣) اصل الشيعة واصولها ص ٩٤ — ٩٨

وقد أشار الدكتور صبحي تعقيبا على فكرة العاملي هذه الى ان رأى العاملي هذا اتجاه معتدل في التشيع لأن جميع النصوص المنسوبة الى الأئمة تعلق الايمان بوجوب موالاتهم . (١)

و يذكر الشيخ حسن فريد في تفسير قوله تعالى ﴿ اولئك هم الفائزون ﴾ (٢) من اطاع الرسول و سلم لعلي واقر بولايته وذكر ان امير المؤمنين تلا هذه الاية فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحاب الجنة من اطاعني وسلم لعلي وأقر بولايته واصحاب النار من سخط الولاية . (٣)

و هذا ما جعل هذه الفرقة متميزة عن بقية الفرق الاخرى وليس ذلك لان الفرق الاخرى تعادي أئمة الشيعة بل لان التشيع يقتضي ألا يتم الايمان الا بموالاة الأئمة وأكدوا ذلك بطلب البراءة من اعدائهم . ولقد حاول متكلمو الشيعة اثبات الولاية بتأويل كثير من الايات فقد نسبوا الى الباقر أنه فسر ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ (٤) انه قال : كذبوا على الله لادعائهم الامامة وليسوا أئمة كما فسر الكاظم قول الله ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (٥) من اتخذ دينه برأيه بغير امام .

وسئل الصادق عن رأيه في اقوام لا يتولون أئمة الشيعة ويقولون فلانا وفلانا ومع ذلك لهم امانة وصدق ووفاء واقوام اخرون يتولون أئمة الشيعة وليس لهم تلك الامانة ولا الصدق او الوفاء فاستوى الصادق غاضبا وقال : لا دين لمن دان الله بولاية امام جائر ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية امام عادل من الله .

---

(١) نظرية الامامة ص ١٦٤

(٢) سورة الحشر اية ٢٠

(٣) تفسير سورة الحشر ص ٨٣

(٤) سورة الزمر اية ٦٠

(٥) سورة القصص اية ٥٠

وسئل الصادق ايضا عن حديث (من مات وليس له امام فميته جاهلية) هل هي ميتة كفر ؟ فرد قائلا ميتة ضلال وفي قول آخر جاهلية كفر ونفاق وضلال .

وروى الصادق عن ابيه عن جده مرفوعا (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى امامة من الله ليست له ومن جحد اماما من الله ومن زعم ان لهما في الاسلام نصيبا) (١)

يقول الدكتور صبحي بعد نقله لهذه النصوص الشيعية :

وهكذا تؤكد النصوص المنسوبة للأئمة والتى تشغل جزءا كبيرا في امهات كتب عقائد الشيعة كالكافي وبحار الانوار - الأهمية البالغة في وجوب معرفة الامام وموالاته وقد تكون هذه النصوص معبرة عن تعصب مقيت وتعسف ظاهر في فهم الايمان وتطرف بالغ في معاداة المخالفين ولا شك أن هذه النصوص قد أثارت عليهم عداء خصومهم . (٢)

على ان الباعث لهم في الخوض في هذه الفكرة اولا على ما يبدو كان رد فعل للخوارج الذين لا يدينون بامام ثم هم قد كفروا امام الشيعة الاول على بن ابي طالب فكان رد الفعل من جانب الشيعة القول بفكرة وجوب موالاة الامام واعتبارها شرطا للايمان .

ثم انه قد ادعى الكثيرون الامامة سواء من بنى هاشم او من غيرهم فكان لا بد ان تحدد العقائد المذهبية وتضع معالم للتشيع والا ضاعت ملامحه ولذا حرص الشيعة الاثنا عشرية ان يحددوا بالنصوص القاطعة ائمتهم وان يحذروا من موالاة غيرهم فكان القصد من الفكرة ازالة كل اثر من آثار الموالاة او المناصرة للخلفاء المغتصبين من بنى أمية او بنى العباس او غيرهم من ادعياء

---

(١) نظرية الامامة ص١٦٦

(٢) المصدر السابق ص ١٦٧

الامامة في نظر الامامية على أى وجه من وجوه النصرة لهم او التأييد لسلطانهم او الرضا باحكامهم • ولقد تحول التشيع الى هذا الرأى بعد مصرع الحسين رضى الله عنه حين انتقل من فكرة محاربة العدو بالسيف والخروج عليه الى حربه بالرأى والعقيدة واعتبار ذلك وسيلة الى بلوغ الغاية • (١)

ومن هنا لزم على الشيعي ان يستتبع الولاية البراءة من الأعداء ولذلك كان لعن اعداء علي وغاصبيه وأعداء البيت العلوى على العموم فريضة افترضها الشيعة الاثنا عشرية على أنفسهم • (٢)

وفي (ذخائر الفكر الاسلامي) عن أبي عبدالله قال : * المغضوب عليهم * النصاب و * الضالين * الشكاك الذين لا يعرفون الامام •

وعن أبي الحسن الرضا عن أبي عبدالله قال : * اهدنا الصراط المستقيم * يعني أمير المؤمنين • (٣)

---

(١) نظرية الامامة ص١٦٧

(٢) سامي النشار جـ ٢ص ٢٩٥

(٣) ذخائر الفكر الاسلامي ص٣١ — ٣٢

الأمور التي توجب معرفة الامام :

أما الأمور التي توجب معرفة الامام فيتسأل الدكتور صبحي قائلا : اذا كانت معرفة الامام فرض عين على المسلمين وولايته شرطا ضروريا لوجود الايمان لا لمجرد كماله فكيف السبيل الى معرفة هذا الامام لموالاته ونصرته ؟ اجاب عن هذا التساؤل بقوله :

(١) — الامامة ميراث الانبياء فهي في سلالة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وهي في الاعقاب اذ لا تكون في الأخ بعد أخيه بعد الحسن والحسين كما لا تكون في العم الى غير ذلك من القرابات لقوله تعالى ﴿ وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ﴾ (١)

(٢) — ولا بد ان يعرف الامام من يخلفه ليوصي اليه وصيته ويعهد اليه عهده تنفيذا لأمر الله ﴿ ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ (٢) والامانة هي الامامة عهد من امام الى من بعده بأمر من الله .

(٣) — ويوصي الامام في حضرة اصحابه ليكون حجته عليهم ويرثه ميراث النبيين والسلاح الذى بمثابة التابوت ميراث انبياء بني اسرائيل فيكون مع السلاح حيث كان .

(٤) — ان عدد الأئمة قد تحدد منذ كان النبي نورا في ظهر آدم . ثم نص النبي عليهم بالاسم واحدا واحدا قبل ان يفارق الدنيا .

(٥) — روى عن الصادق انه قال : ان الله انزل على نبيه كتابا قبل وفاته فقال يا محمد هذه وصيتك التحية من اهلك فقال : وما التحوة الى يا جبريل؟ فقال : علي بن ابي طالب وولده .

---

(١) سورة الانفال اية ٧٥ (٢) سورة النساء اية ٥٨

فنان على الكتاب خواتم من ذهب فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه وأمره ان يفك خاتما منه ويعمل بما فيه ففك علي رضي الله عنه خاتما وعمل بما فيه ثم دفعه الى ابنه الحسن ففك خاتما وعمل بما فيه وهكذا الى المهدي .

فالطريق الى معرفة الامام طريق واضح لا عذر في جهله ومن ثم تكون الولاية له والبراءة من اعدائه من الواجبات التي لا لبس في وجوبها . (١)

وموقف اهل السنة ان معرفة الامام ليست ركنا من اركان الاسلام فاركان الاسلام معروفة عند المسلمين فليست معرفة الامام وموالاته منها كما ان معرفة الله أمر مستقل يدركه الانسان بالعقل والشرع فليست معرفة الامام جزء من الايمان والنبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فذكر اركانه لم تكن معرفة الامام وموالاته والبراءة من اعدائه منها .

والكفار على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذا اسلموا أجرى عليهم احكام الإسلام ولم يذكر لهم احكام الامامة بحال . (٢)

يقول ابن تيمية : ومجرد معرفة الانسان امام وقته اورؤيته لا يستحق به الكرامة ان لم يوافق امره ونهيه فكيف بمن عرف الامام وهو مضيع للفرائض معتد متعد للحدود .

وحديث (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) حديث لا يصح بهذا اللفظ (٣) وقد مر بنا في فصل الامامة ذكر هذا الحديث والجواب عنه .

وان الامامة من الفروع العملية وهي شورى وليست بالنص والتعيين كما مر .

---

(١) نظرية الامامة ص ١٦٨–١٦٩

(٢) راجع المنتقى ص ٢٥

(٣) المصدر السابق ص ٢٧

٦ — المعجزات :

ومن خصائص الامام لدى (الشيعة الامامية) ان يكون صاحب معجزة تدل على صدق امامته من الله تعالى لا سيما في حق من لم يعرف النص على امامته وذلك تمييزا للصادق في دعوى الامامة من الكاذب •

يقول ابو زهرة : ان الامامية يقولون : اذا لم يكن نص على امامة الامام من الأئمة وجب ان يكون اثبات الامامة بالمعجزة (١) ونقل عن الطوسي شيخ الطائفة في عصره انه قال : العلم به اى بالامام قد يكون بالنص تارة وبالمعجزة تارة اخرى فمتى نقل الناقلون النص عليه من وجه يقطع العذر فقد حصل الغرض ومتى لم ينقلوه واعرضوا عنه وعدلوا الى غيره فانه يجب ان يظهر الله تعالى على يديه علما يميزه عن غيره لتمكن الناس من العلم به والتمييز بينه وبين غيره •

هذا ولم يخالف في ظهور المعجزات على آيدى الأئمة الا القليل من الامامية الاثنى عشرية حيث لا يقولون بظهورها الا على ايدى الرسل • (٢)

يقول الأشعرى : اختلف الروافض في الأئمة هل يجوز ان تظهر عليهم الاعلام ام لا وهم في ذلك على اربع فرق :

(١) — الفرقة الاولى يزعمون أن الأئمة تظهر عليهم الاعلام والمعجزات كما تظهر على الرسل لأنهم حجج الله سبحانه وتعالى كما ان الرسل حجج الله ولم يجيزوا هبوط الملائكة بالوحي عليهم •

(٢) — والفرقة الثانية يزعمون ان الاعلام تظهر عليهم وتهبط الملائكة بالوحي عليهم ولا يجيزون ان ينسخوا الشرائع •

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٥٧

(٢) نقلا عن تلخيص الشافي ص ٣١٩ راجع تاريخ المذاهب الاسلامية جا ص ٥٧

(٣) — والفرقة الثالثة يزعمون ان الاعلام تظهر عليهم وتهبط الملائكة بالوحي عليهم ويجوز ان ينسخوا الشرائع ويبدلوها ويغيروها .

(٤) — والفرقة الرابعة يزعمون ان الاعلام لا تظهر الا على الرسل . (١)

هذا وكتب الشيعة التي تتناول جانب الوصية واثباتها للائمة الاثنى عشر مملوءة بمعجزات منسوبة اليهم . ولما كانت الامامة في نظر الشيعة ميراث النبوة فقد نسبوا المعجزات الى الأئمة مثلهم في ذلك كمثل الأنبياء .

بل بالغوا في ذكر معجزات منسوبة للأئمة لم تكن للأنبياء انفسهم .

وقد زعموا ان الامام يحتاج الى المعجزة لاثبات امامته لصدق دعواه في الامامة وذلك في مقابلة من يشك في امامته كشأن النبي ولو لم يكن هناك من يشك في امامته لما احتاج الى ان يقيم البينة على صدق دعواه .

ومن هنا نسبت المعجزات الى الأئمة الاثنى عشر من قبل الشيعة منها :

رد الشمس من مغربها لعلي ليصلي العصر واحياء الموتى وضرب الفرات بعصاه حين فاض حتى نقص الماء فيه ذراعين ثم ذراعين واحتكام الجن اليه . (٢)

ومن ذلك نطق الحجر الأسود بتقرير امامة زين العابدين وذلك حينما اختلفت الكيسانية والامامية في الامام هل هو محمد بن الحنفية ام علي بن الحسين زين العابدين فجاء دور المعجزات لكي تجعل حدا لهذا الاختلاف فكان الاحتكام الى الحجر الأسود فنطق الحجر الاسود بان الامام هو علي زين العابدين حتى بكى في دعواهم محمد بن الحنفية وقال معتذرا لابن اخيه : قد ظلمتك يا ابن اخي اذ عصيتك .

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٣

(٢) نظرية الامامة ص ١٧٠

وحين اختلفت الزيدية والاثنا عشرية في امامة زيد او الباقر ثم الصادق نسبوا الى الباقر انه ابرأ الاكمه ٠

وان الصادق دق الأرض بقدمه فاستخرج سبيكة من الذهب وانه وكزها مرة اخرى برجله والقوم عطاش فبحث لهم عين ماء ثم ضرب لهم على جذع في غبر اوان نضج ثمرها فتساقط عليهم رطبا جنيا ٠ (١)

وتباهل قوم من الاسماعيلية مع الاثنى عشرية بعد شك الاسماعيلية في امامة الكاظم فخرجوا الى الصحراء فأظلت غمامة اصحاب الكاظم وامطرتهم دون اصحاب اسماعيل الى غير ذلك من المعجزات التي اطلقها الشيعة على أئمتهم الاثنى عشر ٠

يقول الدكتور صبحي :

ولقد أسرف الشيعة في ذكر معجزات للأئمة لم تصدر عن الأنبياء انفسهم فقد وهبوهم القدرة على التحكم في السماوات والأرض والافلاك وحركاتها فلم يعجزهم قانون طبيعي كما جعلوا علم الأئمة يفوق علم الأنبياء عدا محمدا ٠

ولقد جعلوا معجزاتهم ابلغ في الدلالة على الاعجاز مما كان للأنبياء بما في ذلك معجزات المسيح وان كانت المعجزة تقوم اصلا على خرق ناموس طبيعي فلا تخضع لقانون عقلي وانما تستند الى مبدأ غيبي بحت فان الشيعة اسرفوا في هذه الغيبيات كل الاسراف حين ذهب بهم الخيال في نسبة معجزات الأئمة مذهبا يفوق كل تفكير عقلي سليم ٠ (٢)

والواقع ان موقف اهل السنة ان المعجزة خاصة بالأنبياء ، وهي المقرونة بالتحدى وأما الذى يجرى على يد الأولياء المتقين فهي الكرامات والكرامة لا تقترن بالتحدى بل تكون بدون طلب وهذا النوع لا يختص به الأئمة

---

(١) نظرية الامامة ص١٧١ (٢) المصدر السابق ص١٧١

بل يجري فيمن دون الأئمة .

وقد رد ابن تيمية رحمه الله على الحلي في استدلاله على امامة علي بالمعجزات بقوله :

فان عني بالمعجزات الكرامات فعلي لفضل من كثير من ذوى الكرامات. (١)

والخارق ان حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الاعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا اما واجب او مستحب وان حصل به امر مباح كان من نعم الله تعالى الدنيوية التي تقتضي شكرا .

وان كان الخارق على وجه يقتضي ما هو منهي عنه نهي تحريم او تنزيه كان سببا للعذاب او البغض كالذى اوتي الايات فانسلخ منها .

فالخارق ثلاثة أنواع : محمود في الدين ومذموم ومباح فان كان المباح فيه منفعة كان نعمة والا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها .

قال ابو على الجوزجاني : كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة . (٢)

ثم اعلم ان عدم حصول الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه فلو لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك انفع له فانه ان اقترن به الدين والا هلك صاحبه في الدنيا والاخرة فان الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه او فساده او نقصه . فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له كما ان الرياسة النافعة هي التابعة للدين .

---

(١) المنتقى ص١٧١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩

والمعجزات التي الصقوها بالأئمة لم يدل عليها دليل ثابت .

وحديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ليصلى العصر بعد ما غربت حديث موضوع ذكره ابن الجوزى في الموضوعات (١) . يقول ابن تيمية رضى الله عنه :

فأما رد الشمس له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكره طائفة بلفظ آخر كالطحاوى والقاضى عياض وغيرهما وعد ذلك من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الحذاق يعلمون ان هذا لم يكن والحديث في ذلك ذكره ابن الجوزى في الموضوعات .

ثم اى حاجة له في رد الشمس بعد غروبها لصلاة العصر فان الذى فاتته العصر ان كان مفرطا لم يسقط ذنبه الا بالتوبة ومع التوبة يستغنى عن رد الشمس وان لم يكن مفرطا كالنائم والناسى فلا مام عليه في صلاتها بعد الغروب ثم نفس الغروب يخرج الوقت المضروب للصلاة فالمصلى بعد ذلك لا يكون مصليا في الوقت وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فاتته صلاة العصر يوم الخندق وصلاها قضاء هو وكثير من اصحابه وما سأل الله ان يرد له الشمس . (٢)

وكذا ضرب الفرات باطل لا اسناد له .

يقول ابن تيمية تعقيبا على (الحلى) أين اسناد هذا والا فمجرد الحكايات يقدر عليه كل أحد ولا يغنى شيئا ثم هو باطل ولو وقع لتوفرت الدواعى والهمم على نقله . (٣)

وكذلك بقية الخوارق التى ذكروها فهى من جنس هذا فانا لله وانا اليه راجعون .

---

(١) المنتقى ص ٥٢٥

(٢) المنتقى ص ٥٢٧

(٣) المنتقى أيضا ص ٥٢٨

٧ — الغيبة :

ونعني بالغيبة عند الشيعة اختفاء الامام في مكان ما وغيبته عن اتباعه مدة طويلة يعود بعدها ليملأ الأرض عدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا كما يقولون .

وان عقيدة الغيبة عند الامامية قد مرت على مراحل فكان عبد الله بن سبأ اول من قال : بغيبة النبي صلى الله عليه وسلم ومهديته وانه غاب كما غاب موسى عليه السلام لميقات ربه . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاد ان يقع فيها ولكنه سرعان ما رجع وذلك حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسي الايات الدالة على موته عليه السلام حتى تلاها ابو بكر رضي الله عنه .

ثم انتقلت الفكرة فاقترنت بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فأنكرت السبئية موته بل زعموا انه رفع الى السماء كما رفع عيسى عليه السلام .

ثم جاءت الكيسانية فنقلت الفكرة الى محمد بن الحنفية وقالوا بمهديته وانه اول مهدي في الاسلام .(١)

فالكيسانية يعتقدون ان محمد بن الحنفية لم يمت وانه غائب بجبل رضوى ، يقول شاعرهم كثير عزة :

ألا ان الأئمة من قريش	ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده عسل وماء (٢)

---

(١) راجع سامي النشار ج ٢ ص ٨٠ (٢) الشهرستاني ج ١ ص ١٥٠

ويقول السيد الحميري :

لو غاب عنا عمر نوح ايقنت منا النفوس بأنه سيؤوب

وما لبثت الفكرة ان انتقلت الى الشيعة الامامية الاثنى عشرية فنسبوا الغيبة الى الامام الثاني عشر وزعموا انه غاب في سر من رأى (١) واعتمدوا في ذلك على اثار ينقلونها عن أئمتهم منها ما نقله الكليني في كتابه (الكافي) عن ابي عبدالله انه قال : ان لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط القتاد ثم قال هكذا بيده فأيكم يمسك شوك القتاد بيده ثم اطرق مليا ثم قال ان لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه .

وروى زرارة عن ابي عبدالله ايضا انه قال : للقائم غيبتان يشهد في الأولى المواسيم ويرى الناس ولا يرونه وعنه ايضا انه قال :للقائم غيبتان قصيرة وطويلة غيبة لا يعلم مكانه فيها الا خاصة شيعته واخرى لا يعلم مكانه فيها الا خاصة مواليه احداهما يرجع فيها الى اهله والاخرى يقال : هلك وفي أى واد سلك (٢)

ونسبوا الى القائم انه قال ان وجه الانتفاع بي في غيبتي كالانتفاع بالشمس اذا غيبها السحاب عن الأبصار . (٣)

وقد مر بنا في الفصل الخامس من الباب الاول وفي الحديث على دور الغيبة والسفر .

تحديد الامامية لبداية الغيبة الصغرى ونهايتها وبداية الكبرى :

أما نهاية الغيبة الكبرى فقد تقدم ان جمهور الشيعة الامامية قطعوا كل محاولة نحو تحديدها غير انهم ذكروا ان نهايتها وعلامة ظهور الامام الثاني عشر بعدها

---

(١) سامي النشار ج ٢ ص ٨٠ ومابعدها (٢) الكافي ج ٤ ص ٣٩٤ ٤٠٠/٤٠٣

(٣) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨٤

هو تفسخ العالم خلقيا . الا ان من الشيعة من حدد زمن ظهور الامام المختفي وهؤلاء يسمون بالوقاتيين وقد أشار اليهم الدكتور سامي النشار وبين انهم الفوا في ذلك كتبا يحاولون بذلك تحديد وقت ظهور الامام الغائب بينما آمن الأغلبية العظمى من الشيعة الاثني عشرية كما قلنا بعدم التوقيت . (١)

وقد قرن الشيعة غيبة المنتظر بغيبة الخضر الغائب عن الأعين مع حياته اثناء غيبته الطويلة في زعمهم .

فالشيعة الامامية الاثنا عشرية تؤمن بحياة الامام الثاني عشر وغيبته في سرداب سامراء ايمانا كاملا حتى يومنا هذا ووضعهم القديم والحالي يدل على ذلك فان الزائر لمسجد الامام الغائب في سامراء يقول :

اشهد انك الحق الثابت الذي لا ريب فيه وان وعد الله فيك حق لا ارتاب فيك لطول الغيبة وبعد الأمد اللهم أرنا وجه امامك في حياتنا اللهم انى ادين لك بالرجعة بين يدى هذه البقعة الغوث الغوث الغوث . (٢)

والواقع ان الفكرة باطلة من اساسها والادلة لا تدل عليها على الاطلاق اذ ليس هناك من البشر من كتب له الخلود المستمر قال الله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ وما كان لبشر من قبلك الخلد ﴾ (٤)

والقول بحياة الخضر وغيبته عن الأعين قول مرجوح وان قال به بعض اهل السنة فان الآية السابقة ترد القول بخلوده .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٣٠١

(٢) راجع سامي النشار ج ٢ص ٣٠١

(٣) سورة آل عمران الاية ١٨٥ (٤) سورة الأنبياء الاية ٣٤

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

والدليل على ان الخضر ليس بباق اربعة اشياء : القرآن — والسنة — واجماع المحققين من العلماء — والمعقول .

اما القرآن فقوله تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ (١) فلو دام الخضر لكان خالدا .

واما السنة : فقوله صلى الله عليه وسلم (لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض احد) (٢) متفق عليه .

وفي مسلم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بقليل :(ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية) . (٣)

واما اجماع المحققين من العلماء فقد ذكر عن البخارى وعلى بن موسى الرضا ان الخضر مات وان البخارى سئل عن حياته فقال : وكيف يكون ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ارأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد) (٤)

واما المعقول فمن عشرة اوجه سردها ابن القيم وفيها ان القائلين بحياة الخضر يقولون انه ولد آدم لصلبه وذلك لوكان صحيحا لركب مع نوح في السفينة ومات بعد ذلك لان الذين كانوا مع نوح في السفينة ماتوا كلهم بعدما نزلوا من السفينة قال تعالى ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ (٥) وهذا يبطل قول من قال انه كان قبل نوح عليه السلام .

---

(١) سورة الانبياء اية ٣٤

(٢) البخارى ج ٢ ص ٤٥ ومسلم مع النووى ج ١٦ ص ٨٩ — ٩٠

(٣) مسلم ج ١٦ ص ٩١ (٤) تقدم تخريجه قريبا (٥) الصافات اية ٧٧

ثم انه لو كان صحيحا ان بشرا من بني آدم يعيش من حين يولد الى اخر الدهر فكان هذا من اعظم الايات والعجائب ولكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع والأمر الواقع على العكس فان غاية ما يتمسك به من ذهب الى حياته حكايات ومنامات لا يعتمد على مثلها في الشرعيات (١) .

يقول ابن القيم : الاحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد وكذا حديث يلتقى الخضر والياس كل عام .

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن حياة الخضر وغيبته فقال : لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر (اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض) (٢) وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين باسمائهم وقبائلهم فأين الخضر يومئذ (٣) ؟

وبهذا يتبين فساد فكرة القول بغيبة الخضر وخلوده والذى استشهدوا به على خلود أئمتهم وغيبتهم عن الأعين مع ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان (أعمار أمته ما بين الستين الى السبعين)(٤)

ثم هذه الفكرة مع بطلانها ومخالفتها للعقائد فهي مخالفة لطبيعة الامامة ومقاصدها فان من مقاصد الامامة حصول الطاعة والجماعة وجلب المصالح ودفع المضار وهذه المقاصد لا تحصل من غائب .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى (والامامية يدعون ان الغائب المنتظر

---

(١) المنار المنيف ص ٦٩ الى ـ ٧٥

(٢) رواه مسلم جـ ١٢ ص ٨٤ والمسند جـ ١ ص ٣٠

(٣) المنار المنيف ص ٦٧ ـ ٦٨

(٤) الترمذى جـ ٦ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ قال الترمذى بعد اخراجه حديث حسن غريب

محمد بن الحسن الذى دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين او نحوها ولم يعد وكان عمره حينئذ اما سنتين واما ثلاث واما خمسا او نحو ذلك وله الان على قولهم اكثر من اربعمائة سنة (١) ولم ير له عين ولا أثر ولا سمع له حس ولا خبر

فليس فيهم احد يعرفه لا بعينه ولا بصفته لكن يقولون ان هذا الشخص الذى لم يره احد ولم يسمع له خبر هو امام زمانهم .

ومعلوم ان هذا ليس هو معرفة بالامام التى تخرج الانسان من الجاهلية وهي المعرفة التي يحصل بها طاعة وجماعة .

فان هذا الغائب المنتظر لا يعرف له حال ينتفع به في الامامة . (٢)

وبهذا يتبين مخالفة هذه الفكرة لطبيعة الامامة ومقاصدها كما مر .

٨ ـ الرجعة :

ومن عقائد الشيعة الامامية القول بالرجعة بمعنى الرجعة بعد الموت الى الدنيا او بعد الغيبة فيمن اعتقدوا غيبته من أئمتهم كما مر .

يقول الأشعرى :

اختلفت الروافض في رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة وهم في ذلك على فرقتين :

(١) ـ الفرقة الاولى يزعمون ان الاموات يرجعون الى الدنيا قبل يوم الحساب وهذا قول الاكثر منهم وهم يزعمون انه لم يكن في بنى اسرائيل شيء الا وكان في هذه الأمة وان الله تعالى قد احيا قوما من بنى اسرائيل بعد الموت فكذلك يحيى الاموات في هذه الأمة ويردهم الى الدنيا قبل يوم القيامة .

---

(١) يعني في عصر ابن تيمية اما الان فله اكثر من الف ومائة واربعين سنة .

(٢) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣٤ـ٣٥

(٢) — والفرقة الثانية وهم أهل الغلو ينكرون القيامة والاخرة ويقولون ليس قيامة ولا آخرة وانما هي ارواح تتناسخ في الصور فمن كان محسنا جوزى بأن ينقل روحه الى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم ومن كان مسيئا جوزى بان ينقل روحه الى اجساد يلحق الروح فيها الضرر والألم وليس شيء غير ذلك وان الدنيا لا تزال ابدا هكذا. (١)

ويقول الاستاذ محمد رضا المظفر : ان الذى تذهب اليه الامامية أخذا مما جاء عن آل البيت عليهم السلام ان الله تعالى يعيد قوما من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريق ويذل فريقا آخر وذلك عند قيام مهدى آل محمد .

ولا يرجع الا من علت درجته في الايمان او من بلغ الغاية من الفساد ثم يصيرون بعد ذلك الى الموت ومن بعده الى النشور وما يستحقونه من الثواب او العذاب . (٢)

ويقول الاستاذ احسان الهى ظهير :

ومن العقائد المدسوسة عقيدة الرجعة فالشيعة عن بكرة أبيهم يعتقدون بها فكل من قرأ كتبهم وعرف مذهبهم يعلم بانهم ما قالوا بامامة أحد من على الى ابن الحسن العسكرى المزعوم الا واعتقدوا رجعته بعد موته . (٣)

والقول بالرجعة مر عليه عند الشيعة مراحل فكان اول من قال بها من الشيعة عبد الله بن سبأ حيث قرن رجعة النبي صلى الله عليه وسلم برجعة عيسى ابن مريم وكان يقول للرجل : اليس قد ثبت ان عيسى ابن مريم سيعود الى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم فيقول له فرسول الله افضل منه افتنكر

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١١٩

(٢) عقائد الامامية ص ٦٧ (٣) الشيعة والسنة ص ٦٥

ان يعود الى هذه الدنيا وهو اشرف من عيسى ابن مريم ؟ (١)

ثم انتقلت الفكرة الى علي بن ابي طالب فكانت السبئية يقولون ان عليا لم يمت ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض.

وقد ذهب فريق من السبئية الى الكوفة بعد استشهاد علي رضي الله عنه فلما استأذنوا في الدخول عليه قال لهم من حضر من اولاده واهله سبحان الله أما سمعتم ان امير المؤمنين قد استشهد ؟ قالوا : انا لنعلم انه لم يمت ولا يقتل حتى يسوق العرب بعصاه وسوطه.

ولما قيل لابن سبأ ان عليا قتل قال : لو جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ولا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها وهذه الطائفة تزعم ان المهدى المنتظر انما هو علي دون غيره وان الأموات يرجعون الى الدنيا. (٢)

وهم القائلون بأن عليا رضى الله عنه في السحاب ويقولون المقتول شيطان تصور للناس بصورة علي رضي الله عنه وان عليا صعد الى السماء كما صعد عيسى الى السماء.

وما لبثت الفكرة ان اقترنت بمحمد بن الحنفية من قبل الكيسانية او المختاربة وقد اخذت الفكرة تنتشر في الكوفة وتتطور في صورة اسطورية لدى طائفتين الكريبية اتباع ابي كريب الضرير وقد ذهب الى ان محمد بن الحنفية حي لم يمت وانه في جبل رضوى وعنده عين من ماء وعين من عسل يأخذ منهما رزقه وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من اعدائه الى وقت خروجه وهو الامام المنتظر. (٣)

---

(١) راجع سامي النشار ج ٢ص ٢٤

(٢) المصدر السابق ج ٢ص ٢٥

(٣) نفس المصدر السابق ج ٢ص ٧٨

والطائفة الثانية الحربية اتباع عبدالله بن عمر بن حرب الكندى وهو ممن نادى بمهدية محمد بن الحنفية ورجعته ومن هنا نرى الفكرة لم تأخذ صورتها الكاملة الا في ابن الحنفية حيث رأوا ان ملامح المهدى تتضح فيه اكثر من ايضاحها في ابيه علي بن ابي طالب ونسبت مهدية علي بن ابي طالب وعاشت مهدية محمد بن الحنفية واخذت تستمد اصولها من القرآن. (١)

يقول السيد الحميرى الشاعر الكيساني :

لو غاب عنا عمر نوح ايقنت

منا النفوس بأنه سيؤوب

ثم تطورت هذه الفكرة التي كانت تدور حول شخص ابن الحنفية كما قلنا فدارت حول جماعة من اصحابه وهم اربعون شخصا من اتباع ابن الحنفية يرجعون معه في قيامه •

وفي زعمهم ان محمد بن الحنفية اذا ظهر بعد استتاره فانه ينزل المدينة ويكون امير المؤمنين بها •

وبينما كانت الفكرة تدور في شخص ابن الحنفية الا انها تطورت فدارت حول اربعين شخصا من اتباعه يرجعون معه في قيامه وهم رؤساء فرقة الكيسانية ولم يكتف الكيسانية في القول برجعة رؤسائهم وانصارهم بل روى عنهم القول برجعة علي بن ابي طالب ليقتل معاوية وآل ابى سفيان وليهدم دمشق • (٢)

ثم دخلت الفكرة في احضان التشيع الاثنا عشرى حيث ينسبونها الى الامام الثاني عشر •

فكان من عقائدهم ان الله يحشر في زمن القائم اوقبله جماعة من

---

(١) راجع سامي النشار جـ ١ ص ٨٢

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ١١١ـ ١١٢

المؤمنين لتقر عينهم برؤية أئمتهم ودولتهم وجماعة من الكافرين والمخالفين للانتقام عاجلا في الدنيا •

وعاشت الفكرة كما قلنا قوية صارخة واصبحت ركنا من اركان التشيع بل دينا • (١)

ولقد اعتمد الشيعة الامامية في اثبات عقيدة الرجعة الى أدلة نقلية وعقلية حسب زعمهم • (٢)

من هذه الأدلة ما نقله الدكتور الشيبي عن القمي وهو من ابرز متكلمي الشيعة الاثنى عشرية حيث يقول اعتقادنا في (الرجعة) انها حق قال الله تعالى : ﴿ الم تر الى الذين اخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ اوكالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ (٤)

وجميع الذين أحياهم عيسى باذن الله رجعوا الى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا بآجالهم •

واورد علي بن ابراهيم في تفسيره ان تأويل قول الله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ﴾ (٥) ان المراد (الرجعة) •

وان قول الله تعالى ﴿ ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ﴾ (٦) أن الاية تنصرف الى الرجعة على قول جعفر الصادق •

---

(١) سامي النشار ج ٢ ص ٨٥

(٢) راجع الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٣

(٣) سورة البقرة اية ٢٤٣

(٤) سورة البقرة اية ٢٥٩

(٥) سورة القصص اية ٨٥

(٦) سورة غافر اية ١١

ومن هنا كان من رأى الأثنى عشرية ان للناس قيامتين : صغرى : وهي الرجعة ، وكبرى : وهي القيامة النهائية .

عن علي بن ابراهيم عن جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ (١) انها نزلت في الرجعة وعلل ذلك بقوله : أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقين انما اية القيامة قوله تعالى ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ (٢)

فقال الصادق : هذا ما يكون اذا رجعنا الى الدنيا (٣) واستشهدوا على وقوع الرجعة ايضا بقصة اهل الكهف وقتيل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمروا بذبحها فأحياه الله فأرشد الى قاتله . (٤)

هذا وقد اضاف الشيعة الى الرجعة قيدا آخر وهو ان كل قرية عذبها الله لا ترجع في الرجعة واما في القيامة فيرجعون استنادا الى قوله تعالى ﴿ وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ﴾ (٥) الى غير ذلك مما اعتمدوا عليه في اثبات عقيدة الرجعة . (٦)

غير ان الشيخ محمد رضا المظفر لما رأى عدم الجدوى من هذه الأدلة في اثبات الرجعه وانه لا سبيل الى رد مطاعن اهل السنة على هذه الفكرة الغريبة على الاسلام ، لما رأى ذلك ختم بحث (الرجعة) بقوله :

---

(١) سورة النمل اية ٨٣

(٢) سورة الكهف اية ٤٧

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٣

(٤) راجع سامي النشار ج ٢ ص ٨٢

(٥) سورة الانبياء اية ٩٥

(٦) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٤

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها وانما اعتقادنا بها كان تبعا للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب وهي من الأمور الغيبية التي اخبروا عنها ولا يمتنع وقوعها. (١)

وموقف اهل السنة والجماعة ان الاموات لا رجعة لهم في الدنيا قبل يوم القيامة وقد تكفل القرآن برد هذه العقيدة قال تعالى حكاية عن الكافر عند تمنيه الرجعة * قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون * (٢)

وقال تعالى * وهو الذى أحياكم * اى انشأكم من العدم الفطرى * ثم يميتكم * عند انقضاء آجالكم * ثم يحييكم * (٣) اى يوم القيامة للجزاء.

وقال تعالى * وكنتم امواتا فاحياكم * في الدنيا * ثم يميتكم * بعد انقراض آجالكم * ثم اليه ترجعون * (٤)

وكما ان الدليل السمعى يرد هذه العقيدة كما رأيت فكذلك يردها الدليل العقلى الموافق لأصول الامامية وهو انهم لو عذبوا بسوء اعمالهم بعد ما رجعوا في الحياة الدنيا ثم يعاد عليهم العذاب في الاخرة لو كان ذلك لكان ظلما صريحا فلا بد ان يكونوا في الاخرة معذبين فيحصل لهم تخفيف عظيم عن العذاب المستمر الدائم وذلك مناف لغلظ الجناية وعظم الجرم. (٥)

---

(١) عقائد الامامية ص ٧١

(٢) سورة المؤمنون اية ١٠٠

(٣) سورة الحج اية ٦٦

(٤) سورة البقرة آية ٢٨

(٥) راجع التحفة ص ٢٠٢

والادلة التى ذكروها كلها لا دليل فيها على اثبات الرجعة كعقيدة فان احياء قتيل بنى اسرائيل ونحوه من المعجزات الخارقة التي يقع مثلها لمصلحة ما امر لا ينكره اهل السنة وانما الذى ينكره اهل السنة اثبات هذه الفكرة في الاسلام كعقيدة يجب الايمان بها وهذا ما لا دليل عليه .

ويقول صاحب التحفة :

والعجب ان هؤلاء الكذابين مختلفون بينهم في هذا الكذب فجابر الجعفى الذى هو من قدماء هذه الفرقة يقول :

برجعة علي رضى الله عنه الى الدنيا وأن الدابة المذكورة في القرآن عبارة عنه ، معاذ الله من سوء الأدب ،

والزيدية كافة ينكرون الرجعة انكارا شديدا وفي كتبهم رد هذه العقيدة بروايات الأئمة .

ومن هنا يتبين بطلان هذه الفكرة وانه لا رجعة في الدنيا للأموات لا للأئمة ولا لغيرهم وان كنا نعتقد انه لا يستحيل على الله اعادة الأموات كما حصل في الأمم السابقة والله الموفق والهادى الى سواء السبيل . (١)

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص ٢٠١ — ٢٠٢

الفصل الثامن

رأى الامامية في الخلافات التي دارت حول الامامة وبيان موقف اهل السنة منهـــا

لا شك ان رأى الشيعة الامامية في الخلافات التي دارت حول الامامة كان تخطئة المشتركين فيها اعنى تخطئة المبايعين لغير علي من بداية امامة الصديق الى قتل ذى النورين وان خلافة الثلاثة باطلة وقد ذكروا مطاعـــن واهية على الثلاثة الخلفاء الذين تقدموا عليا رضى الله عنه في الامامة وقـــد أهملنا ذكرها كما قلنا من قبل لعدم صلاحيتها للاستدلال فاقتصرنا على ذكـــر ارائهم في النقاط التالية :

(١) رأيهم فيمن ترك الائتمام بعلي بعد الرسول :

بناء على رأى الشيعة الامامية في عدم صحة خلافة الثلاثة افترق رأيهـــم في الحكم على من ترك الائتمام بعلي بعد الرسول الى فرقتين :

الفرقة الاولى يقولون باكفاره وتضليله

والفرقة الثانية فصلت بين ما اذا ترك الائتمام به عنادا للرسول وردا عليه أولا ، فان ترك الائتمام به عنادا للرسول اوردا عليه حكموا عليه بالكفـــر والا فانه فاسق. (١)

والواقع ان رأى الشيعة في جميع الخلافات التي دارت حول الامامة كان ثابتا على ان الامامة في علي واولاده وان كل من اخرجها منهم فهـو ظالـم وان خلافة الثلاثة باطلة كما تقدم وكذا الخلافة الأموية والعباسية وان الحكام في جميع هذه الأدوار غير شرعيين بل غصبوا الحق من اهله الشرعيين بنـاء

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٢٨

على قولهم بالنص والوصية التي تقدم الكلام فيها في الفصول المتقدمة من هذا الباب . (١)

(٢) رأيهم فيمن حارب عليا رضى الله عنه :

والشيعة فيمن حارب عليا من الصحابة على رأيين :

الرأى الأول : الحكم عليه بالكفر والضلال ويشهدون بذلك على طلحة والزبير ومعاوية بن ابي سفيان .

والرأى الثاني : التفصيل بين من حاربه عنادا للرسول وردا عليه فيكفر وبين من حاربه لا عنادا للرسول ولا ردا عليه فلا يكفر بل يكون فاسقا . (٢)

يقول ابن أبي الحديد وهو من المعتدلين :

اما اصحاب الجمل فهم عند اصحابنا هالكون كلهم الا عائشة وطلحة والزبير رحمهم الله فانهم تابوا ولولا التوبة لحكم لهم بالنار لاصرارهم على البغى .

اما عسكر الشام بصفين فانهم هالكون كلهم عند اصحابنا لا نحكم لأحد منهم الا بالنار لاصرارهم على البغى وموتهم عليه رؤساؤهم والاتباع جميعا . (٣)

(٣) رأيهم في التحكيم :

يذكر الاشعرى ان الشيعة الامامية في قضية التحكيم على فرقتين : فرقة يزعمون ان عليا انما حكم تقية وانه مصيب في تحكيمه بالتقية وان التقية تسعه اذا خاف على نفسه . وفرقة ثانية يزعمون ان التحكيم كان صوابا على أى وجه فعله علي على التقية او على غير التقية . (٤)

---

(١) راجع في ظلال الوحى ص٣٦ الى ٣٨ (٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص٩ ١٢

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص٩ (٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٣٠

(٤) رأيهم في جواز الصلاة خلف مخالفيهم :

يقول الأشعري (اجمعوا) يعني الروافض على انه لا تجوز الصلاة خلف الفاسقين وانما يصلون خلف الفاسقين تقية ثم يعيدون صلاتهم .(١)

(٥) رأيهم في جواز سبي نساء مخالفيهم واخذ اموالهم اذا امكنهم ذلك :

والشيعة في هذا الرأي على فرقتين :

فرقة تستحله بل وتستحبه ويستحلون سائر المحظورات ويتأولون قول الله تعالى ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما تقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾(٢) وقوله ﴿ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾(٣)

والفرقة الثانية يحرمون سبي نساء المخالفين واخذ اموالهم بغير حق ولا يبيحون المحظورات ولا يستحلونها .(٤)

(٦) بغضهم للصحابة وتكفيرهم لعامتهم :

يقول الاستاذ احسان الهي ظهير :

عن القوبختي ان عبدالله بن سبأ كان اول من اظهر الطعن في ابي بكر وعمر وعثمان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك الوقت الى يومنا هذا صارت الشيعة تتمسك بهذه العقيدة وتلقف حولها فليس شيعي من لا يبغض خلفاء رسول الله الثلاثة ووزرائه ومحبيه ولا يطعن فيهم .(٥)

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٣٠

(٢) سورة المائدة اية ٩٣

(٣) سورة الاعراف اية ٣٢

(٤) المقالات ج ١ ص ١٣٠

(٥) الشيعة والسنة ص ٣٢

ثم قال الاستاذ احسان : فهذا هو الكشي (كبيرهم في الجرح والتعديل)
روى عن حمزة بن محمد الطيار انه قال : ذكرنا محمد بن ابى بكر عند أبى عبدالله عليه السلام فقال ابو عبدالله رحمه الله وصلى عليه قال لأمير المؤمنين علي عليه السلام يوما من الايام أبسط يدك ابايعك فقال اوما فعلت قال : بلى فبسط يده فقال اشهد انك امام مفترض طاعتك وان أبى فى النار فقال ابو عبدالله كان النجابة فيه من قبل دمه لا من قبل ابيه .

وروى أيضا عن زرارة بن اعين عن ابى جعفر الباقر ان محمد بن ابى بكر بايع عليا على البراءة من أبيه .

وعن شعيب عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال : ما من أهل بيت الا وفيهم نجيب من انفسهم وانجب النجباء من اهل بيت سوء محمد بن ابى بكر . (١)

وروى الكشى عن الورد بن زيد قال قلت لأبى جعفر عليه السلام جعلنى الله فداك قدم الكميت فقال : ادخله فسأله الكميت عن الشيخين فقال له ابو جعفر عليه السلام ما اهريق دم ولا حكم بحكم غير موافق لحكم الله وحكم رسوله وحكم علي الا وهو في اعناقهما فقال الكميت :الله اكبر حسبي حسبي . وفي رواية : يا كميت ما اهريق في الاسلام محجنة من دم ولا اكتسب مال من غير حله ولا نكح فرج حرام الا وذلك في اعناقهما الى يوم يقوم قائمنا ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما . (٢)

وهكذا عثمان بن عفان ذو النورين .

---

(١) الشيعة والسنة ص ٣٢ ـ ٣٣

(٢) الشيعة والسنة ص ٣٦ ـ ٣٧

نقل الاستاذ احسان عن الكليني صاحب (الكافي) انه روى عن ابي عبدالله في قوله تعالى * ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم * (١)

قال ابو عبدالله نزلت في فلان وفلان آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه) ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقروا بالبيعة ثم ازدادوا كفرا باخذهم من بايعه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الايمان شيء . وذكر شارح الكافي ان المراد ابوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . (٢)

ومن ذلك ايضا طعنهم في عمه العباس رضي الله عنه . ذكر الكشي عن محمد الباقر في قوله تعالى * ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة أعمى واضل سبيلا * (٣) * ولا ينفعكم نصحي ان اردت أن انصح لكم * (٤) قال نزلتا في العباس بن عبد المطلب . (٥)

واتهموا ابن عباس بانه لما استعمله علي على البصرة حمل كل ما في بيت المال من المال فلحق بمكه وترك عليا وأن عليا حين بلغه ذلك صعد المنبر وبكى وقال : اللهم هذا ابن عم رسولك يفعل هذا فكيف يؤمن من دونه .

وبوب الكشي بابا مستقلا بعنوان دعاء علي على عبدالله وعبيدالله ابني عباس . وروى عن ابي جعفر عليه السلام انه قال قال امير المؤمنين

---

(١) سورة النساء اية ١٣٧

(٢) السنة والشيعة ص ٤١ـ٤٢

(٣) الاسراء اية ٧٢ (٤) هود / ٣٤

(٥) السنة والشيعة ص ٤٢ـ٤٣

اللهم العن ابني فلان يعني عبدالله وعبيد الله ابني عباس واعم ابصارهما كما اعميت قلوبهما .

يقول الاستاذ احسان الهي ظهير :

ومثل هذه الروايات الكاذبة الخبيثة كثير عندهم في (الكافي) وفي تفسيرهم للقمي والعياشي والصافي . (١)

ومن ذلك طعنهم في خالد بن الوليد القائد المظفر الذي رفع راية الاسلام يقول القمي : ان خالد ما هجم على مالك بن نويرة الا ليتزوج على زوجته (٢) .

وطعنوا ايضا على عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأنس ابن مالك والبراء بن عازب . (٣)

كما طعنوا على طلحة والزبير روى القمي عن ابي جعفر الباقر في قوله تعالى ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ (٤) قال ابو جعفر نزلت في طلحة والزبير والجمل جملهم . (٥)

ولم يكتف الشيعة بالطعن في الصحابة فحسب حتى طعنوا في ازواج النبي امهات المؤمنين ازواجه في الدنيا والاخرة وخاصة الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها .

---

(١) الشيعة والسنة ص ٤٣–٤٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٤–٤٥

(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٦

(٤) سورة الاعراف / ٤٠

(٥) الشيعة والسنة ص ٤٧

فقد نقل الاستاذ احسان ظهير عن الطوسي في كتابه عن الباقر انه قال : لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال امير المؤمنين علي عليه السلام : والله ما أُراني الا طالقها فانشد الله رجلا سمع من رسول الله يقول يا علي امر نسائي بيدك من بعدي ولما قام فشهد قام ثلاثة عشر رجلا فيهم بدريان فشهدوا انهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن ابي طالب يا علي امر نسائي بيدك من بعدي قال فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها .(١)

يقول الاستاذ احسان الهي ظهير بعد نقله لعقيدة الشيعة في الصحابة من مصادرهم المعتمدة قال :(١) فهذه عقيدة القوم من اولهم الى آخرهم كما رسمها اليهود لهم حتى صار دينهم الذي يدينون به دين الشتائم والسباب لكنهم لم يكتفوا بالشتائم والسباب على عدد كبير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هوت بهم هاوية حتى كفروا جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا النادر منهم فهذا الكشي احد أئمتهم يروى عن ابي جعفر انه قال : كان الناس اهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة قلت : ومن الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وذلك قول الله عز وجل ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ﴾(٢)

ويروى عن ابي جعفر ايضا انه قال : المهاجرون والانصار ذهبوا الا واشار بيده الا ثلاثة .

ويروى عن موسى بن جعفر الامام السابع عند الاثنى عشرية انه قال : اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حواري محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذين لم ينقضوا عليه فيقوم سلمان والمقداد وابو ذر .

---

(١) الشيعة والسنة ص ٤٧-٤٨-٤٩ (٢) آل عمران / ١٤٤

يقول الاستاذ احسان ظهير :

والعجب كل العجب أين ذهب علي والحسن والحسين وبقية اهل البيت وعمار وحذيفة هذا مع ان عليا لم يكفر حتى من حاربه من اهل الشام وانكر على من سب معاوية رضي الله عنه وعساكره وهذا امر منقول عن علي حتى من كتب الشيعة كما ذكر ذلك محمد الرضي في نهج البلاغة (١) .

ويقول الشيخ الحاج الحجة حسن الفريد بن العالم المحقق الحاج محمد مهدى في تفسير قوله تعالى ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ (٢) يعني في دينهم واسلامهم حيث تركوا ديارهم واموالهم بمكة المكرمة وهاجروا الى المدينة الطايبة يبتغون فضلا من الله و رضوان و ينصرون الله ورسوله وصدق الله العلي العظيم ونحن على ذلك من الشاهدين فلو كانوا استقاموا على ايمانهم وما ارتدوا على ادبارهم لكانوا على خير ولكن مع الأسف ما بقوا على ما هم عليه ورجعوا على ادابرهم في مسألة الولاية .

والعجب ان بعض علماء العامة كما نقل عنه الفخر الرازى في تفسيره تمسك بهذه الاية على امامة ابي بكر فقال هؤلاء الفقراء من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لأبي بكر : يا خليفة رسول الله والله يشهد على كونهم صادقين فوجب ان يكونوا صادقين في قولهم يا خليفة رسول الله ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بامامته .

انظر كيف غلط هذا المسكين فيما تمسك به .

ألسنا نعلم جميعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ابا بكر ولم يدع ذلك احد بل ادعى العامة ان المسلمين استخلفوه/ حينئذ فلا ريب أنهم في قولهم يا خليفة رسول الله كاذبون مفترون قطعا ليس المراد بقوله تعالى :

---

(١) الشيعة والسنة ص ٤٩ـ٥٠ (٢) سورة الحشر / ٨

﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ انهم صادقون في كل ما يقولون الى اخر عمرهم بل المراد انهم صادقون في دينهم الى هذا المقام ولا ينافي ذلك ارتدادهم بعد ذلك ولا كذبهم في سائر اقوالهم بل ولا نفاق بعضهم وعدم كون هجرتهم ابتغاء فضل الله ورضوانه .

وقد بين الله سبحانه بعد الثناء على الانصار والتابعين حال المنافقين الكاذبين في دعوى الايمان وشهد الله على كذبهم بقوله ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ (١) فكشف بذلك أن في المهاجرين والانصار منافقين لا تكون هجرتهم ابتغاء فضل الله ورضوانه وانهم لكاذبون وصدق الله ورسوله وظهر كذبهم بعد ذلك بتمردهم عن قبول ولاية امير المؤمنين عليه السلام (٢)

٧ ــ بغض الشيعة لبعض أهل البيت :

ان اهل البيت في عرف الشيعة الامامية لا يتناول الا فاطمة وعليا والحسن والحسين فقط .

يقول السيد على تقي الحيدري في كتابه (الوصي) نص النبي صلى الله عليه وسلم على أن المراد باهل البيت في الاية ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ (٣) المراد باهل البيت هم فاطمة وابوها وبعلها وبنوها . (٤)

ويقول المقريزى : وقال فرقة منهم الكلبي : هم ، يعني اهل البيت ، علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة . (٥)

---

(١) سورة المنافقون اية ١/
(٢) تفسير سورة الحشر ص ٥٦
(٣) سورة الاحزاب اية ٣٣
(٤) الوصي ص ١١٣
(٥) فضل البيت للمقريزى ص ٣٢

وذكر الشوكاني اربعة اقوال لاهل العلم في المراد بأهل البيت في الآية

(١) القول الأول : ان المراد باهل البيت في الاية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ويقول هذا الفريق ان المراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته لقوله تعالى ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن ﴾ وايضا السياق في الزوجات من قوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ الى قوله ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن ﴾ .

(٢) القول الثاني : ان المراد باهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ومن حججهم الخطاب في الاية مما يصلح للذكور لا للاناث وهو قوله ﴿ عنكم ليطهركم ﴾

(٣) القول الثالث : ان المراد باهل البيت بنو هاشم وبنو المطلب .

(٤) القول الرابع : حمل الاية على الشمول والعموم فهي شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين .

اما الزوجات فكونهن المرادات في سياق هذه الايات ولكونهن الساكنات في بيوته صلى الله عليه وسلم النازلات في منازله .

يقول الشوكاني بعد نقل هذه الاراء : فمن جعل الاية خاصة بأحد الفريقين فقد اعمل بعض ما يجب اعماله واهمل ما لا يجوز اهماله وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما .(١)

ويقول المقريزي : والذي يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ﴿ يطهركم تطهيرا ﴾ لان رسول الله وعليا وحسنا وحسينا كانوا فيهم واذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الاية أن

---

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٩ — ٢٨٠

الزوجات من أهل البيت لأن الاية فيهن والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام . (١)

والواقع ان اهل البيت يعم الزوجات واهله من النسب وهم قرابته الذين تحرم عليهم الصدقة ففى الفضل والاحترام والتوقير يدخلن في أهل البيت وفي تحريم الصدقة فاهل البيت لا يتناول الا من تحرم عليه الصدقة كما في حديث زيد بن ارقم الذى رواه مسلم وفيه قال له حصين ومن اهل بيته يا زيد أليس نساؤه من اهل بيته ؟ قال : نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده قال : ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . (٢)

ومن هنا يتبين لنا ان اهل البيت النبوى يشمل من ذكر وهذا هو مذهب أهل السنة فهم يتولون الجميع اما الشيعة فلا يتولون من اهل البيت الا فاطمة وعليا وابنيهما فقط بل يبغضون بقية اهل البيت .

يقول الحيدرى : لا يمكن دخول نسائه — يعنى في اهل البيت — لان فيهن من حاربت عليا والحسن والحسين وحربهم حرب لله بنص من رسول الله ثم قادت قوة مسلحة في تشييع الحسن لمنعهم من دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم ولو بقيت ليوم الحسين لربما انتدبها ابن ميسون لحرب الحسين لما يعلم من رأيها في الخروج لقتال اهل البيت . (٣)

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

واعجب من ذلك دعوى الروافض حب اهل البيت والعمل بعلومهم والأخذ بالكتاب والسنة فهم كاليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وذلك لأن العترة

---

(١) فضل البيت للمقريزى ٣٢–٣٣ (٢) مسلم ج ١٥ ص ١٨٠

(٣) الوصى ص ١٣

باجماع اهل اللغة تقال لاقارب الرجل وهم ينكرون نسب بعض العترة كرقية وام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعدون بعضهم داخلا فيها كالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وجميع اولاده وكالزبير ابن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغضون كثيرا من اولاد فاطمة رضي الله عنها بل يسبونهم كزيد بن على بن الحسين وقد كان في العلم والزهد في جانب عظيم وكذا يحيى ابنه فسافهم ايضا يبغضونه وكذا ابراهيم وجعفر ابنا موسى الكاظم حتى لقبوا الثاني بالكذاب مع انه من اكابر الاولياء .

ولقبوا بالكذاب ايضا جعفر بن على اخا الامام الحسن العسكرى واعتقدوا ان الحسن بن الحسن المثنى وابنه على المحض وابنه محمد الملقب بالنفس الزكية ارتدوا وحاشاهم عن دين الاسلام وهكذا اعتقدوا في ابراهيم بن عبدالله وزكريا بن محمد الباقر ومحمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ومحمد بن القاسم بن الحسن بن يحيى بن عمر الذى كان من احفاد زيد بن على بن الحسين وكذلك في جماعة حسينيين كانوا قائلين بامامة زيد بن على بن الحسين الى غير ذلك وهم حصروا حبهم في عدد منهم قليل وكل فرقة منهم تخص عددا وتلعن الباقين وهذا حبهم لأهل البيت . (١)

ومن هنا يتبين لنا موقف الشيعة من اهل البيت وكيف اقتصروا في تعريف اهل البيت بعلى وفاطمة واولاد على من فاطمة والباحث في كتب الشيعة الامامية يدرك هذا حيث لا تجد ذكرا لبقية اهل البيت عدا من ذكرنا فلا يذكرون من بناته غير فاطمة ولا احدا من اولاده فضلا عن بقية اهل البيت النبوى فهذا الدلفى صاحب كتاب (الرسول الاعظم واهل بيته الاطهار) قد اقتصر في كتابه المذكور على ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي والحسن والحسين وبقية الاثنى عشر فذكر ان هؤلاء الاربعة عشر هم

---

(١) السنة والشيعة لمحمد رشيد رضا ص ٥٢ — ٥٣ — ٥٤

المعصومون وكذا الاستاذ العقاد فقد افرد فاطمة الزهراء بكتاب ولم يعرج الى غيرها من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا الحسين بن الحكم الحبرى الكوفي فقد الف فيما نزل من القرآن في اهل البيت والحيدرى في كتابه (الوصي) كذلك وقد مر بنا قريبا طعنهم في العباس وبنيه فانا لله وانا اليه راجعون ولعل هذا هو الباعث للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء في تأليف كتاب أسمته (بنات النبي عليه الصلاة والسلام) فذكرت في الكتاب بنات النبي صلى الله عليه وسلم الاربع فبدأت بزينب الكبرى ثم رقية ذات الهجرتين ثم أم كلثوم ثم فاطمة الزهراء فذكرت فضائل كل واحدة دون غلو ولا جفاء ٠

وبهذا يتبين لنا موقف الشيعة من الصحابة تكفيرا وتفسيقا وبغضا كما تبين لنا بغضهم لبعض اهل البيت النبوى اما موقف اهل السنة والجماعة من الصحابة فهو التوقير والتقديم استنادا الى نصوص القرآن والسنة التي شهدت على عدالتهم والرضا عن جملتهم ٠

من ذلك قول الله تعالى ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ (١) وكانوا اذ ذاك الفا واربعمائة ٠

وقال تعالى ثناء على المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٢)

وقال ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ (٣)

---

(١) سورة الفتح اية ١٨

(٢) سورة التوبة اية ١٠٠

(٣) سورة التوبة اية ١١٧

وقال تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام (لا تسبوا اصحابي فوالله لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه) (٣)

وقال (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث (٤)

هذا بالنسبة الى جملتهم اما بالنسبة الى كل واحد على الانفراد فقد وردت اخبار في ذلك . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (عشرة من اصحابي في الجنة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح) (٥)

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل من أحب الناس اليك ؟ قال : عائشة قلت من الرجال ؟ قال : ابوها (٦) وقال ان من أمن الناس على في صحبته وماله ابوبكر) (٧)

وعن عبد المطلب بن ربيعة ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وانا عنده فقال ما اغضبك ؟ قال : يا رسول الله

---

(١) سورة النور اية ٥٥ (٢) سورة الفتح اية ٢٥

(٣) البخارى جـ ٧ ص ٢١ ورواه مسلم ايضا جـ ١٦ ص ٩٤ — ٩٥

(٤) البخارى جـ ٧ ص ٣

(٥) الترمذى جـ ١٠ ص ٢٤٩ — ٢٥١ وابو داود جـ ٤ ص ٢١٢ وراجع الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٤

(٦) البخارى مع الفتح جـ ٧ ص ١٨ (٧) البخارى مع الفتح جـ ٧ ص ١٢

ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال : (أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه) (١)

وقال في عمر (ان الله جعل الحق في لسان عمر وقلبه) (٢)

وقال في عثمان (ان لكل نبي رفيقا ورفيقي يعني في الجنة — عثمان) (٣)

وقال في عائشة (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) (٤)

وقال في خالد بن الوليد (خالد سيف من سيوف الله عز وجل) (٥)

وقال لمحمد بن مسلمة (لا تضرك الفتنة) (٦)

وقال في معاوية رضي الله عنه (اللهم اجعله هاديا مهديا واهده) (٧)

وقال في البراء بن مالك (كم من اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) (٨)

وقال في عبدالله بن عمر (انه رجل صالح) (٩)

---

(١) رواه الترمذي ج ١٠ ص ٢٦٣ — ٢٦٤

(٢) رواه الترمذي ج ١٠ ص ١٦٩

(٣) رواه الترمذي ج ١٠ ص ١٨٨

(٤) البخاري مع الفتح ج ٧ ص ١٠٦

(٥) البخاري ج ٧ ص ١٠٠

(٦) رواه ابو داود ج ٤ ص ٢١٦

(٧) رواه الترمذي ج ١٠ ص ٢٤٠ — ٢٤١

(٨) رواه الترمذي ج ١٠ ص ٣٥٦

(٩) البخاري مع الفتح ج ٧ ص ٩٠

وفي هذه النصوص دليل على عظمة قدر الصحابة عند الله تعالى وكراماتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم فمن العجب ان يستجيز ذوو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم نعوذ بالله من الخذلان .(١)

واما من حارب عليا من الصحابة فانما كانت محاربته له عن اجتهاد وذلك ان عائشة والزبير وطلحة ومعاوية كان من رأيهم الاسراع في الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه وان ذلك مقدم على البيعة وعلي كان من رأيه رضي الله عنه التأني في المطالبة من القصاص حيث ان القتلة كانوا اهل شوكة فكان لا بد من التأني حتى تستقر الخلافة فيتمكن من تنفيذ القصاص على الجناة فكان رأيه هو الصواب ورأي محاربيه خطأ وأنت تعرف ان المجتهد اذا اصاب في اجتهاده فله اجران واذا اخطأ فله أجر واحد هذا ما دام ان الجميع كان قصدهم الحق لا متابعة الهوى فمعاوية ومن معه لم يحاربوا عليا انكارا لفضله وانه اهل للخلافة وانما كان غرضهم المسارعة في تنفيذ حكم القصاص في القتلة الجناة وان كان هذا خطأ كما ان عليا رضي الله عنه لم يقاتل معاوية لعدم مبايعته له بل لاجل انه لم يمكنه في تنفيذ اوامره في بلاد الشام مع انه هو الامام الواجب الطاعة هذا بدليل انه لم يقاتل ابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهما ممن لم يبايعه من الصحابة وكذا ابو بكر الصديق لم يقاتل عليا مع تخلفه عن البيعة مدة ستة اشهر كما مر .

يقول البغدادي في صدد بيان مذهب اهل السنة في ذلك وقالوا :

يعني اهل السنة — تصويب علي في حروبه بالبصرة وبصفين ونهروان .

وان طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي .

وان عائشة رضي الله عنها قصدت الاصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والأزد على رأيها وقاتلوا عليا دون اذنها حتى كان من الأمر ما كان .

---

(١) الشيعة والسنة ص٥٤

وقالوا : يعني اهل السنة ، انه ، يعني عليا ، في صفين كان على الصواب وان معاوية واصحابه بغوا عليه بتأويل اخطأوا فيه ولم يكفروا بخطئهم .

وان عليا رضي الله عنه اصاب في التحكيم غير ان الحكمين أخطآ في خلع علي رضي الله عنه من غير سبب اوجب خلعه .

وقالوا : يعني اهل السنة ، بمروق اهل النهروان على الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم مارقين لانهم اكفروا عليا وعثمان وعائشة وابن عباس وطلحة والزبير وسائر من تبع عليا بعد التحكيم واكفروا كل ذى ذنب من المسلمين ومن اكفر المسلمين واكفر اخيار الصحابة فهو الكافر دونهم . (١)

ومن هنا كان مذهب اهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة من نزاع الامساك وعدم الخوض فيه لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبير بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم .

يقول ابن تيمية في الواسطية :

ومن اصول اهل السنة والجماعة سلامة السنتهم وقلوبهم لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى * والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * (٢)

ويحبون اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم (اذكركم الله في اهل بيتى) (٣) الحديث .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ وراجع الفصل ج ٤ ص ١٥٣ وما بعدها

(٢) سورة الحشر اية ١٠ (٣) رواه مسلم ج ١٥ ص ١٧٩

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون اهل البيت بقول أو عمل .

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الاثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتى انهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم كما ان لهم اسبابا أخر لمحو السيئات كالتوبة والسابقية وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم احق الناس بشفاعته او ابتلاء في الدنيا كفر به عنهم فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين ان اصابوا فلهم اجران وان اخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور ثم ان القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا يكون مثلهم وانهم الصفوة من قرون هذه الأمة .

ويتولون ازواج رسول الله امهات المؤمنين ويؤمنون بانهن ازواجه في الاخرة خصوصا خديجة رضى الله عنها ام اكثر اولاده والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) . (١)

---

(١) العقيدة الواسطية ص ١٦٣ــ١٦٤ وهذا الحديث رواه البخارى وغيره ج ٧ ص ١٠٦

ومن هنا كانت بدعة الرافضة في نظر اهل السنة والجماعة اشد من بدعة الخوارج لانهم يكفرون من لم يكفره الخوارج كأبي بكر وعمر ويكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كذبا ما كذب احد مثله والخوارج لا يكذبون بل كانوا اصدق واشجع واوفى بالعهد منهم والشيعة اكذب وأجبن وأغدر وأذل وهم يستعينون بالكفار على المسلمين كما جرى لجنكيز خان ملك الترك الكفار فان الرافضة أعانته على المسلمين .

كما اعانوا هولاكو لما جاء الى خراسان والعراق والشام فكانوا بالعراق وخراسان من اعظم انصاره باطنا وظاهرا وكان وزير الخليفة العباسي المستعصم آخر خلفاء بني العباس من الرافضة ويدعى ابن العلقمي فلم يزل يمكر بالخليفة وبالمسلمين ويكيد لهم انواعا من الكيد وراسل هولاكو لما وصل الى ايران وكان المستعصم قد وثق به وفوض اليه امور الدولة فمكن هولاكو من دخول بغداد فقتلوا من المسلمين ما يقال انه بضعة عشر الف الف انسان او اكثر او اقل ولم ير في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين فهل يكون مواليا لآل رسول الله من يسلط الكفار على قتلهم وهم يكذبون على الحجاج وغيره في انه قتل الاشراف ولم يقتل الحجاج هاشميا قط مع ظلمه فان عبدالملك نهاه عن ذلك وانما قتل ناسا من اشراف العرب غير بني هاشم كما مر . (١)

وأشار ابن تيمية الى انه كان بساحل الشام جبل كبير فيه الوف من الرافضة يسفكون دماء الناس ويأخذون اموالهم .

ومع ذلك فان اهل السنة لا يكفرونهم بل يستعملون معهم العدل والانصاف ولا يظلمونهم فان الظلم حرام مطلقا خلافا للرافضة الذين يكفرون اهل السنة

---

(١) المنتقى ص من ٣٢٥ الى ٣٢٧

او يفسقونهم وكذلك اكثر اهل الاهواء يبتدعون رأيا ويكفرون من خالفهم فيه واهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذى جاء به الرسول ولا يكفرون من خالفهم فيه بل هم اعلم بالحق وارحم بالخلق . (١)

وقد اطنب الشيخ ابن حجر الهيتمى في كتابه (الصواعق المحرقة) في بيان ما يجب على المسلم تجاه الصحابة فذكر الايات الدالة على عدالتهم وقد سبق سوق تلك الايات قريبا كما ذكر خلال عرضه لعقيدة اهل السنة في الصحابة انه يجب الامساك عما شجر اى وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب وانه لا يلتفت الى اخبار المؤرخين سيما جهلة الروافض .

وان ما جرى بين معاوية وعلى لم يكن لمنازعة معاوية عليا في الخلافة للاجماع على احقيتها لعلى رضى الله عنه وانما الذى هيج الفتنة مطالبة معاوية بقتلة عثمان لكونه ابن عمه واما علي رضى الله عنه فامتنع ظنا منه ان تسليمهم اليه على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي ان ذلك يؤدى الى الفتنة .

وان معاوية رضى الله عنه لم يكن خليفة ايام علي رضى الله عنه. (٢)

وكما اطنب ابن حجر الهيتمى في كتابه المذكور في ذكر عقيدة اهل السنة في الصحابة فكذلك الف كتابا سماه (تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان) فذكر في هذا الكتاب اسلام معاوية وفضائله مما لا يدع مجالا للطعن فيه رضى الله عنه .

---

(١) المنتقى ص ٣٢٩ وما بعدها

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٨ وما بعدها

(٣) تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبى سفيان ص ٧ وما بعدها .

الباب الثالث

آراء الإمامية الإثنى عشرية الاعتقادية

الباب الثالث

آراء الامامية الاعتقادية

الفصل الأول

في الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله

لا شك ان الذى قرره اصحاب الفرق كالشهرستانى وغيره يؤخذ منه ان الامامية كانوا في أول امرهم على مذهب أئمتهم في الاصول ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختارت كل فرقة منهم طريقة : فصارت الامامية بعضها معتزلة اما وعيدية واما تفضيلية وبعضها اخبارية اما مشبهة واما سلفية (١) فبعضهم يميل في الاصول الى الاعتزال وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه (٢) كما ان من الامامية العدلية في الاصول والمشبهة في الصفات . (٣)

غير انه مما تجب الاشارة اليه ان الشيعة الامامية كانوا يثبتون الصفات كما صرح بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وقد بالغوا في اثباتها حتى وصلوا الى حد التشبيه (٤) عياذا بالله ثم في نهاية المطاف صاروا على مذهب المعتزلة في الصفات .

هذه الخطوات الثلاث هي التى مرت على مذهب الامامية الاثنى عشرية في الصفات .

---

(١) الشهرستانى ج ١ ص ١٦٥

(٢) الشهرستانى ج ١ ص ١٤٧ (٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٢

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٤

(١) — التشبيه :

ان الذى استقر عليه معتقد قدماء الشيعة من متكلميهم هو القول بالتشبيه والتجسيم يقول الاشعرى رحمه الله تعالى : ان الهشامية اصحاب هشام بن الحكم يزعمون ان معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وزعموا انه نور ساطع له قدر من الاقدار في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة وزعموا انه اللون وهو الطعم .

وذكر ابو الهذيل في بعض كتبه ان هشام بن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء فيتحرك تارة ويسكن أخرى ويقعد مرة ويقوم مرة وانه طويل عريض عميق لأن ما لم يكن كذلك دخل في حد التلاشي فقلت له : فأيهما اعظم الهك او هذا الجبل فأومأت الى أبي قبيس؟ قال فقال : هذا الجبل يوفي عليه اى هو أعظم منه .

وذكر ابن الراوندى ايضا : ان هشام بن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام تشابها . وذكر عن هشام بن الحكم انه قال في ربه في عام واحد خمسة اقاويل زعم مرة انه كالدرة وزعم مرة انه كالسبيكة وزعم مرة انه غير صورة وزعم مرة انه بشبر نفسه سبعة اشبار (١) .

وبعض الرافضة يزعمون انه على صورة الانسان ويمنعون ان يكون جسما . (٢)

اما اصحاب هشام بن سالم الجواليقى وهم الفرقة الثانية من الهشامية فيزعمون ان الرب على صورة الانسان وينكرون ان يكون لحما ودما ويقولون انه نور ساطع يتلألأ بياضا وانه ذو حواس خمس كحواس الانسان له يد ورجل وعين وأنف واذن وفم (٣) عياذا بالله .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٠٦ — ١٠٧ — ١٠٨ والبغدادى ص ٦٥ — ٦٦

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٠٨ (٣) المقالات جـ ١ ص ١٠٩

واول من قال بالتشبيه في الاسلام هو هشام بن الحكم وطريقه في اثبات الجسم ـ العقل البحت الذى لايستند الى دليل نقلى اما مقاتل بن سليمان الذى اشتهر بالقول بالتشبيه فكان طريقه في ذلك النقل حتى حشا تفسيره للقرآن الكريم باسرائيليات انتهى منها الى القول بالجسم والتشبيه (١) .

وكلا الرجلين قالا بعقيدة باطلة وان اختلفا في طريق الاستدلال .

ويتصل بعقيدة التشبيه عند هشام بن الحكم القول في تحديد علاقة الذات الالهية بالعرش .

يقول الأشعرى : ان العرشية اصحاب يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ـ يزعمون ان الحملة يحملون البارى وان الحملة تطيق حمله وان رجليه تحملانه وهما دقيقتان (٢) .

ويقول البغدادى : وذكر ابوعيسى الوراق ان بعض اصحاب هشام بن الحكم اجابه الى ان الله عز وجل مماس العرش لا يفضل عن العرش ولا يفضل العرش عنه . (٣)

الى غير ذلك من اقاويل الامامية الاثنى عشرية الباطلة في التشبيه .

هذا مذهب اوائل متكلمى الامامية في الله تعالى اما متأخرو الامامية فهم على مذهب المعتزلة وقد اشار الاشعرى رحمه الله تعالى الى ان اوائل الامامية كانوا يقولون بالتشبيه واما المتأخرون فهم يقولون في التوحيد بقول المعتزلة . (٤)

---

(١) سامى النشار ج ١ص ٢٢٢ وراجع المنتقى ص ٩٤ ـ ٩٥

(٢) المقالات ج ١ ص ١١٠

(٣) الفرق بين الفرق ص ٦٧

(٤) المقالات ج ١ ص ١٠٩

(٢) — اعتناق الامامية لمذهب المعتزلة :

ان كلا من مذهب التشيع والاعتزال يقوم على اسس متباينة اذ الشيعة حزب سياسي نشأ في ظروف تاريخيه واحداث سياسية وقد سبق لنا بيان ذلك بينما يقوم مذهب الاعتزال على النظر والجدل فان آراء الشيعة محل اعتقاد ايماني والمعتزلة هم اصحاب التفكير الحر فبين الفريقين من البعد ما بين الايمان القلبي والتفكير العقلي .

الا ان هذا الاختلاف لم يمنع من التقاء التشيع مع الاعتزال في اكثر من موضع .

وقد حاول بعض الكتاب ان يفسر هذا اللقاء بان الاعتزال يرجع الى التشيع من حيث استناد المعتزلة في النظر الى بعض كلمات رويت عن علي رضى الله عنه .

اوتلمذة شيوخ المعتزلة على ابى هاشم بن محمد بن الحنفية (١) أو أن بعض انصار علي اعتزلوا الحسن ومعاوية لما وقع الصلح بينهما فلزموا منازلهم فسموا معتزلة فيكون نشأة الاعتزال من التشيع .

يقول ابو الحسين الملطي : وسموا انفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم اليه الأمر فاعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك انهم كانوا من اصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة . (٢)

من هذا التقى الفريقان فاخذت الشيعة برأى المعتزلة في اللطف الالهي ووجوب فعل الأصلح على الله ، ولما كانت هذه الاراء لازمة على عقيدة المعتزلة في العدل فان الشيعة لم يجدوا صعوبة في تقبل فكرة العدل .

---

(١) نظرية الامامة ص ٤٥١

(٢) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطي ص ٣٥-٣٦

كما كان مذهب الشيعة جنبا الى جنب مع المعتزلة في القول بتقديم الوجوب العقلي على الأدلة الشرعية .

ويبدو ان متكلمي الشيعة قد استعانوا باصول المعتزلة الكلامية ومنهجهم في الاستدلال لحاجتهم في الرد على خصومهم. (١)

يقول ابن تيمية : ثم عمدتهم اليوم على كتب المعتزلة فوافقوهم في القدر وسلب الصفات . (٢)

ويقول الدكتور صبحي :

وهكذا اقتبس الشيعة اكثر من اصل معتزلي ولكن هذه الاصول كلها تدور حول العدل الذى عالجه المعتزلة من الناحية الالهية ثم تناوله الشيعة من ناحيته السياسية .

ولا يستبعد ان يكون للحوادث التاريخيه اثرها في تقارب الفريقين وذلك حين تعرض المعتزلة للاضطهاد والتشريد منذ عهد المتوكل فلزم عن ذلك تجاوب بين المضطهدين وان اختلفت مذاهبهم .

ذلك التجاوب هو الذى سهل على متكلمي الشيعة التماس اراء المعتزلة في عهد متأخر لم يعرف عن متكلمي الشيعة الأوائل كهشام بن الحكم وزرارة بن أعين ولذا استقر الاعتزال في مؤلفات الشيعة المتأخرين حتى يومنا هذا . (٣)

ويقول الدكتور سامي النشار :

ونحن لا نجد أدنى فرق بين اى معتزلي وابن المطهر الحلي عالم الشيعة المتأخر الكبير حين يكتب عن عقائد الاثنى عشرية الكلامية فيقول : ان الله عدل حكيم لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب وان افعاله انما تقع لغرض صحيح

---

(١) نظرية الامامة ص ٤٥٢ــ٤٥٣ (٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٤

(٣) نظرية الامامة ص ٤٥٣

وحكمة وانه لا يفعل الظلم ولا العبث وانه رؤف رحيم بالعباد لا يفعل بهم الا ماهو الاصلح والأنفع وانه كلفهم تخييرا لا اجبارا ووعدهم الثواب وتوعدهم العقاب على لسان انبيائه ورسله المعصومين بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي والا لم يوثق باقوالهم وافعالهم فتنتفى فائدة البعثة .

وهذا كلام معتزلي واضح وليس في قدماء الشيعة كما قلنا من قبل شيء من هذا بل ان جعفرا الصادق يقول في الارادة : ان الله تعالى اراد بنا شيئا واراد منا شيئا فما اراده بنا طواه عنا وما اراد منا اظهره لنا فما بالنا نشتغل بما اراده بنا عما اراده منا . (١)

ثم ان رأيه في القدر هو امر بين امرين لا جبر ولا تفويض . (٢)

ومن هنا نرى الشيعة الاثنى عشرية قد اخذت اصلين هامين من المعتزلة وهما التوحيد والعدل ففي هذين الاصلين لجأ الشيعة الى المعتزلة واعتنقوا المذهب المعتزلي كاملا واختلطت عقائد المعتزلة بعقائد الاثنى عشرية كما اختلطت من قبل بعقائد الزيدية . (٣)

ومن هنا تساءل الدكتور سامي النشار قائلا : ما هي العلة في احتضان الشيعة الاثنى عشرية لمذهب المعتزلة في التوحيد والعدل .

في الاجابة عن هذا التساؤل يقول :

ان دخول كثير من الزيود في الامامية وعودتهم اليها يعتبر من الاسباب في احتضان الاثنى عشرية للمذهب المعتزلي حيث حملوا معهم كثيرا من عناصر مذهبهم المعتزلي ومزجوه بمذهب الاثنى عشرية وكانت الزيدية متكاملة المذهب الكلامي . (٤)

---

(١) سامي النشار ج ٢ص ٢٨٨ـ٢٨٩ (٢) عقائد الامامية ص ٢٣

(٣) سامي النشار ج ٢ص ٢٩١

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

ثم حدد الدكتور تاريخ العقائد الشيعية وتطورها فذكر ان عقيدة الاثنى عشرية كانت سلفية منذ عهد الامام علي بن ابي طالب الامام الاول لهم الى نهاية عهد حفيديه علي زين العابدين ومحمد الباقر .

فتداورت الى عقائد كلامية عقلية تتوسط المذاهب وهي اقرب الى مذهب الاشعرية في ذلك الطور وذلك على يد الامام الصادق الامام السادس الاثنى عشرى .

ثم عقائد مجسمة على يد تلامذة جعفر الصادق كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي ومؤمن الطاق فانتشر التجسيم فظهر كتاب الانتصار للخياط المعتزلي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى يؤرخ تلك المرحلة الشيعية المجسمة ثم ظهر كتاب الشيخ المفيد اوائل المقالات بمثل المرحلة المعتزلية بعقائد الشيعية الاثنى عشرية وتابعه في ذلك اعلام المذهب الاثنى عشرى كالشريف الرضي والطوسي ثم ابن المطهر في عصر متأخر.(١)

وهكذا استمر المذهب الى يومنا هذا .

(٣) في صفات الله :

يرى هشام بن الحكم ان الصفة ليست هي هو ولا غيره ولا بعضه فالصفة لا توصف فالعلم صفة الله وليست هي هو ولا هي غيره ولا هي بعضه .

ولا يقال لعلمه انه قديم ولا محدث لانه صفة والصفة لا توصف وكذلك في قدرته وسمعه وبصره وحياته وارادته .(٢)

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ص ٢٩٢_٢٩٣

(٢) المقالات ج ١ ص ١١٢ وسامى النشار ج ٢ ص ٢٣٢

ويرى زرارة بن أعين : ان الله لم يزل غير عالم ولا سميع ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه . (١)

ويرى اصحاب شيطان الطاق ان الله عالم في نفسه ليس بجاهل لكنه انما يعلم الأشياء اذا قدرها واراده‍ا فاما قبل ان يقدرها ويريدها فمحال ان يعلمها . (٢)

يقول الشيخ محمد رضا المظفر : ونعتقد ان من صفاته تعالى الثبوتية صفات الجمال والكمال كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهي كلها عين ذاته ليست هي صفات زائدة عليها اما الصفات الاضافية كالخالقية والرازقية فهي ترجع في حقيقتها الى صفة واحدة وهي القيومية .

اما الصفات السلبية التى تسمى بصفات الجلال فهي ترجع جميعها الى سلب واحد وهو سلب الامكان عنه .

ثم قال في آخر البحث فمن وصفه سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله . (٣)

اما الصفات الخبرية كاليد والوجه والعين والنزول الى السماء الدنيا والرؤية في الدار الاخرة فقد اعتبر الامامية من يثبتها لله كالكافر به وانه جاهل بحقيقة الخالق (٤) على حد زعمهم .

واهل السنة يخالفون الشيعة الامامية والمعتزلة على حد سواء فلا يشبهون الله بشيء من خلقه لا في ذاته المقدسة ولا في صفاته ولا في افعاله بل هم متفقون على تنزيه الله عن مماثلة الخلق فالمشبهة هم الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه واهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل اثبات بلا

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١١٢

(٢) المقالات جـ ١ ص ١١٠ـ١١١

(٣) عقائد الامامية ص ١٦ـ١٧ـ١٨ (٤) عقائد الامامية ص ١٣

تمثيل وتنزيه بلا تعطيل قال الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [1] وهو رد على الممثلة ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد على المعطلة وينزهون الله عن صفات النقص مطلقا كالنوم والسنة والنسيان والعجز والجهل ونحو ذلك ويصفونه بصفات الكمال الواردة في الكتاب والسنة . [2] لا فرق في ذلك بين الصفات الذاتية او الفعلية فالقول في الصفات فرع عن القول في الذات فكما ان لله ذات لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات وكذلك الصفات الخبرية كاليد والقدم والوجه والعين والنزول الى السماء الدنيا وغير ذلك من الصفات الخبرية التي ثبتت بطريق الاخبار الصحيحة الثابتة فأهل السنة يثبتون ذلك كله لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ولا يلزم من ذلك تشبيه اذ لا مناسبة بين الخالق والمخلوق لا في الذات ولا في الصفات ولا في الافعال فاهل السنة يثبتون معاني الصفات . اما الكيفية فيكلون علمها الى الله تعالى كما قال امام دار الهجرة مالك بن أنس لما سئل عن الاستواء : (الاستواء معلوم والكيف مجهول) [3] .

ثم الصفة غير الموصوف والصفات متعددة بالنظر اليها ومترادفة باعتبار دلالتها على الذات حيث انها تدل على ذات واحدة .

نقل صاحب التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية نقل عن ابن القيم انه يقول : اسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته هي بالنظر الى الذات من قبيل الترادف وبالنظر الى الصفات من قبيل المتباين . [4]

فأركان الايمان بالاسماء والصفات ثلاثة . الايمان بالصفة وما دلت عليه من المعنى وما تعلق بها من الآثار فنؤمن بأنه عليم وذو علم عظيم وانه لا تخفى عليه خافية وان اسماء الله وصفاته حقيقية وليست من قبيل المجاز . [5]

---

(١) سورة الشورى اية ١١
(٢) المنتقى ص١٠٣
(٣) راجع الرد على الجهمية ص٣٢
(٤) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص٢
(٥) التنبيهات السنية ص٢٠

(٤) — العـــدل :

يعتبر العدل من اصول الدين عند الامامية وقد ذكر ابن تيمية ان اصول الدين عند الامامية اربعة :

التوحيد والنبوة والامامة والعدل .(١)

من هنا اعتبر الامامية العدل احدى عقائدهم . يقول الاستاذ علي فضل الله الحسني :

ان العدل من اسماء الله وهو مصدر أقيم مقام الاسم وحقيقته ذو العدل .

والعادل هو الذى لا يميل به الهوى فيجور في الحكم .

والعدل ان يثيب على الحسنة الحسنة ويعاقب على السيئة السيئة .

والعدل ايضا خلاف القبيح .

ومعناه هو كل ما تستحسنه ولا تستقبحه ولا تنفر عنه .

والقبيح هو الذى يستقبحه العقل وينفر منه ثم قال في تقرير هذا الأصل :

ولا ريب ان كل من تصور حقيقة الحسن والقبيح يحكم بنفرة العقل من ترك الحسن وفعل القبيح .

والقبيح محال على الله ولا يرضى به لان الرضا به قبيح كفعله والله سبحانه وتعالى انما يأمر عبيده بما فيه مصلحتهم وينهاهم عما فيه مفسدتهم .

وبالجملة العدل من الحكيم هو الذى لا يفعل القبيح ولا يخل بواجب ولو لم يكن الامر كذلك لا رتفع الوثوق بوعده ووعيده وينقضي الغرض المقصود من بعثة الأنبياء والرسل ولا يجوز الظلم عليه لأنه ذم الظلم وأهله

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ٢٨ — ٢٩

ومدح العدل وأهله . (١)

فلو كان فعل القبح والظلم جائزا عليه لكان الأمر لا يخلو من أربع صور :

(١) — ان يكون جاهلا بالامر فلا يدرى انه قبيح .

(٢) — ان يكون عالما ولكنه مجبور على فعله وعاجز عن تركه

(٣) — ان يكون عالما وغير مجبور عليه/لكنه يحتاج الى فعله

(٤) — ان يكون عالما وغير جاهل ولا محتاج اليه فينحصر فى أن يكون فعله له تشهيا وعبثا ولغوا .

وكل هذه الصور محال على الله تعالى وتستلزم النقص فوجب الحكم بأنه منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح . (٢)

ومن هذا الاصل نشأ القول بوجوب الاصلح على الله والقول بفكرة اللطف وقد مربنا في فصل وجوب الامامة عند الامامية الاثنى عشرية استخدام هذا الأصل في وجوب نصب الامام على الله تعالى وسبق الرد على هذه الفكرة وانها مأخوذة من المعتزلة .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى :

والشيعة كالمعتزلة يوجبون على الله من جنس ما يوجبون على العباد ويحرمون عليه ما يحرمونه على العباد ويضعون له شريعة بقياسه على خلقه فهم مشبهة في الافعال : فهؤلاء هم النافون للقدر .

ثم بين ابن تيمية موقف اهل السنة في هذا بقوله :

أما اهل السنة والشيعة المثبتون للقدر فمتفقون على ان الله تعالى لا يقاس بخلقه في افعاله كما لا يقاس بهم في ذاته وصفاته فليس كمثله شيء لا في

---

(١) في ظلال/ الوحي ص ٩ وما بعدها

(٢) عقائد الامامية ص ١٩

ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وليس ما وجب على احدنا وجب مثله على اللـــه ولا ما حرم على احدنا حرم مثله على الله ولا ما قبح منا قبح من اللـه ولا مـا حسن من الله تعالى حسن من احدنا وليس لاحدنا ان يوجب على الله تعالـى شيئا ولا يحرم عليه شيئا فهذا أصل قولهم الذي اتفقوا عليه (١)

ويقول الطحاوى (٢) :

ولم يكلفهم الله تعالى الا ما يطيقون ولا يطيقون الا بما كلفهـم وكل شيء يجرى بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئتـه المشيئات كلها و يفعل ما يشاء وهو غير ظالم ابدا ﴿ لا يسأل عما يفعـل وهم يسألون ﴾ (٣)

ويقول شارح الطحاوية :

الذى دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد يقتضى قولا وسطا بين قولى القدرية والجبرية فليس ما كان من بنى آدم ظلما وقبيحا يكون منه ظلما وقبيحا كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم فان ذلك تمثيـل لله بخلقه وقياس له عليهم فالظلم لا يكون الا من مأمور من غيره ومنهى واللـه ليس كذلك. (٤)

قال تعالى ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٥) وقال ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ (٦)

وبهذا الايضاح يتبين لنا خطأ القائلين بهذا الأصل ومنشأ خطأهم راجع الى تحكيمهم العقل حيث قاسوا الخالق بالمخلوق في الحسن والقبح وهذا القياس فاسد من اصله لأن الله لا يقاس بخلقه في افعاله كما لا يقاس بهم في ذاته ولا في صفاته كما سبق .

قال تعالى ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ان اللـه يعلم وانتم لا تعلمون ﴾ (٧)

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ١٦٦ (٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠
(٣) سورة الانبياء اية ٢٣ (٤) شرح الطحاوية ص ٤٤٥
(٥) سورة فصلت اية (٦) سورة النحل اية ١١٨ (٧) سورة النحل آية ٧٤

(٥) قولهم في الوعيد :

ان الروافض في القول بالوعيد على فرقتين وذلك على حسب ما نقله الأشعري عنهم :

١ — الفرقة الأولى : يسوقون الوعيد على مخالفيهم ويقولون انهم معذبون ولا يقولون باثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى يدخلهم الجنة وان ادخلهم النار اخرجهم منها .

وزعموا ان ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي فان أئمتهم سألوا الله فيهم فصفح عنهم وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم اليهم حتى صفحوا عنهم .

٢ — والفرقة الثانية : يذهبون الى اثبات الوعيد وان الله عز وجل معذب كل مرتكب الكبائر من اهل مقالتهم كان او من غير اهل مقالتهم ويخلدهم في النار. (١)

فالوعيدية هم القائلون بان الله يجب عليه عقلا ان يعذب العاصي كما يجب عليه ان يثيب المطيع فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم ان يغفر الله له. (٢)

وقد انتقد ابن تيمية هذه الفكرة فذكر ان الشيعة كالمعتزلة متفقون على ان الله تعالى اذا وعد عباده شيئا كان واجبا بحكم وعده فان الصادق في خبره لا يخلف الميعاد .

وهذا اصل من اصول المعتزلة وبه يقول الخوارج وهذا مبنى على تحكيمهم

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٢٦

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٢

العقل القاصر قبل النقل وهذا الاصل فاسد من اصله ومخالف للكتاب والسنة قال تعالى ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١)

وقد استفاضت الاحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة . (٢)

ومن هنا كان مذهب اهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة اذا مات من غير توبة انه مفوض أمره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه كما دلت عليه الاية السابقة وان عاقبه فانه لا يخلد خلود الكفار بل يخرج من النار ويدخل الجنة .

فمرتكب الكبيرة ناقص الايمان آثم معرض نفسه للعقوبة لكنه لا يسلب الايمان بالكلية وهذا مذهب اهل السنة واخلاف الوعيد عندهم كرم يمدح به بخلاف اخلاف الوعد قال الشاعر (٣) :

وانى وان اوعدته او وعدته

لمخلف ايعادى ومنجز موعدى (٤)

ومن هنا كان من مذهب اهل السنة والجماعة وسطا بين المرجئة والمعتزلة القدرية في باب الوعيد فالمرجئة هم الذين قالوا لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة وزعموا ان الايمان مجرد التصديق بالقلب وان لم ينطق به وسموا بذلك نسبة الى الارجاء اى التأخير لأنهم أخروا الاعمال عن الايمان (٥)

---

(١) سورة النساء اية ٤٧

(٢) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٦٦

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٢

(٤) الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية ص ٢٨٨

(٥) شرح الواسطية ص ١٢١

(٦) الكلام :

ان مذهب الشيعة الامامية في كلام الله تعالى كمذهب الجهمية يعتقدون أنه ليس لله كلام الا ما خلقه في غيره كما انه ليس له فعل الا ما كان منفصلا عنه فلا يقوم به في اعتقادهم لا فعل ولا قول وجعلوا كلامه الذى كلم به ملائكته وعباده كالذى كلم به موسى عليه السلام والذى انزله على عباده هو ما خلقه في غيره . (١)

يقول ابن تيمية في رد هذه العقيدة ما نصه :

(ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها لم يكن المتحرك بها هو الخالق لها وكذلك اذا خلق لونا او ريحا او علما اوقدرة في محل كان ذلك المحل هو المتلون بذلك اللون فكذلك اذا خلق كلاما في محل كان هو المتكلم بذلك الكلام وكان ذلك الكلام كلاما لذلك المحل لا لخالقه فيكون الكلام الذى سمعه موسى عليه السلام وهو قوله ﴿ انني انا الله ﴾ (٢) كلاما لشجره لا كلام الله) (٣)

والبارى تعالى اهل لأن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته كالافعال الاختيارية ومن هنا كان من لوازم عقيدة الشيعة في كلام الله وفي الافعال الاختيارية على وجه العموم يلزم منها ان الرب تعالى كان معطلا في الأزل لا يتكلم ولا يفعل شيئا ثم احدث الكلام والفعل وهذا باطل كما ترى وهناك آراء في صفة الكلام ذكر شارح الطحاوية منها تسعة آراء ولا داعي الى ذكرها هنا . (٤)

---

(١) منهاج السنة ج ١ ص ١٦٩ (٢) سورة طه اية ١٥

(٣) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٦٩

(٤) راجع شرح الطحاوية ص ١١٧ — ١١٨

وموقف اهل السنة في كلام الله انه متكلم بكلام قديم النوع حادث الاحاد وانه لم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم اذا شاء بما شاء كيف شاء وانه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه . سمعه موسى عليه السلام من الله من غير واسطة ومن اذن له من ملائكته و رسله ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الاخرة .

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة متعددة منها قوله تعالى ﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ (١) ﴿ ومن اصدق من الله قيلا ﴾ (٢)

وقوله ﴿ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ﴾ (٣) وقوله ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ (٤)

وقوله ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ (٥) ﴿ ومنهم من كلم الله ﴾ (٦) ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ (٧) ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ (٨) ﴿ واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾ (٩) الى غير ذلك.

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام (يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار) (١٠)

---

(١) سورة النساء آية ٨٧
(٢) سورة النساء اية ١٢٢
(٣) سورة المائدة اية ١١٠
(٤) سورة الانعام اية ١١٥
(٥) سورة النساء اية ١٦٤
(٦) سورة البقرة اية ٢٥٣
(٧) سورة الاعراف اية ١٤٣
(٨) سورة مريم اية ٥٢
(٩) سورة الشعراء ايــة ١٠
(١٠) البخارى مع فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٥٣

ولا يلزم من اثبات صفة الكلام لله تعالى مشابهته للمخلوق في ذلك فالله سبحانه وتعالى لا تشبه صفاته صفات خلقه كما ان ذاته لا تشبه ذوات خلقه فلله صفات تليق بجلاله وعظمته وللمخلوقين صفات تليق بعجزهم فلا يلزم في اثبات صفة الكلام لله ما يلزم على المخلوق فأهل السنة يثبتون ان لله كلاما يليق به حقيقة من غير تعرض لكيفية ذلك ونحن غير مكلفين بمعرفة الكيفية بل الكيفية مجهولة لنا كما قال مالك بن أنس لما سئل عن الاستواء فقال (الاستواء معلوم والكيف مجهول) (١)

ثم قد ثبت لدينا ان الارجل والايدى تنطق يوم القيامة وهي اقرب الينا ومخلوقة ومع ذلك لاندرك كيفية كلامها فنحن نؤمن بذلك لثبوته بالأدلة المتواترة ·

(٧) رأى الامامية في القرآن :

ان عقيدة الشيعة في القرآن مخالفة لما عليه اهل السنة ، حيث طعنوا فيه وزعموا ان اهل السنة نقصوه · فالذى استقر عليه مذهبهم وصرح به بعض المصادر المعتبرة لديهم هو نقصانه ولهم تأويلات بعيدة لبعض آياته لا سيما ما كان مخالفا لمذهبهم غير انا لا ننكر ان بعض الشيعة الامامية المتأخرين كأهل السنة في ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقد صرح بذلك الاستاذ محمد رضا المظفر (٢) ومحمد حسين آل كاشف الغطاء وغيرهما غير ان ذلك لا يستبعد ان يكون من باب (التقية) وهي التي تسد باب الثقة فيما يقولون ·

---

(١) الرد على الجهمية ص ٣٣

(٢) راجع عقائد الامامية ص ٤١ وأصل الشيعة واصولها ص ١٠١ / ١٠٢

ومن الادلة على ما ذكرنا عنهم في القرآن ما صرح به صاحب الكافي وهو من الكتب المعتبرة لديهم ، عن أبي جعفر انه قال : ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما انزل الا كذب وجمعه وحفظه كما انزل الله تعالى الا علي بن ابي طالب والأئمة من بعده ·

وفي رواية : ما جمع احد القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء · (١)

ويقول الأشعري : ان الروافض في القرآن على فرقتين :

١ — الفرقة الأولى : منهم هشام بن الحكم واصحابه يزعمون ان القرآن لا خالق ولا مخلوق ·

٢ — والفرقة الثانية : يزعمون انه مخلوق محدث لم يكن ثم كان كما تزعم المعتزلة والخوارج وهؤلاء قوم من المتأخرين · (٢)

اما عن الزيادة والنقصان منه فقد اختلفوا في ذلك ايضا فطائفة تقول ان القرآن قد نقص منه اما الزيادة فغير جائزة فيه وكذلك لا يجوز ان يكون قد غير منه شيء عما كان عليه واما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه والامام محيط علما به ·

وطائفة تزعم ان القرآن ما نقص منه ولا زيد وانه على ما أنزل الله على نبيه ولم يغير ولم يبدل ولا زال عما كان عليه ، يقول الأشعري وهؤلاء هم القائلون بالاعتزال والامامة · (٣)

وأشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذه الطائفة في منهاج السنة النبوية حيث بين ان الامامية ادخلوا في التوحيد : نفي الصفات والقول بأن القرآن مخلوق · (٤)

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ١٧٨ وما بعدها (٢) المقالات ج ١ ص ١١٤

(٣) المقالات ج ١ ص ١٢٠ (٤) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٨—٢٩

وهذا هو مذهب المعتزلة تماما فهم كالمعتزلة في هذا كما تقدم ·

غير انه لا بد من الحكم بان هناك عقيدة في (الامامية) في القول بتحريف القرآن وتغيير بعد الرسول وانه ناقص ولعل هذه العقيدة هي السائدة عندهم ولكن مبدأ التقية يسترها ·

يقول محب الدين الخطيب :

ان احد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي الذى بلغ من اجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ انهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوى بالنجف هذا العالم الف كتابا سماه : (فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه وقد طبع في ايران سنة ١٢٨٩هـ وعند طبعه قامت حوله ضجة لانهم كانوا يريدون ان يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورا بين خاصتهم ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم وان لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد تطبع منه الوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم امام انظار الجميع ·

ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه والف كتابا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الارباب) وقد كتب هذا الكتاب للدفاع عن الاول وذلك قبل وفاته بسنتين ·

ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص في القرآن (سورة) تسميها الشيعة (سورة الولاية) مذكور فيها ولاية علي (يا أيها الذين آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم الى الصراط المستقيم) ٠٠الخ (١)

وذكر محب الدين الخطيب ان الاستاذ محمد على سعودى الذى كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر ومن خواص تلامذة الشيخ محمد عبده قد اطلع

---

(١) الخطوط العريضة ص ٨ــ٩ــ١٠

على مصحف ايراني مخطوط عند المستشرق براين فنقل منه هذه السطور بواسطة الفوتوغراف وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الايرانية وكما اثبتها الطابوسي في كتاب (فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب)

فانها ثابتة ايضا في كتابهم (ديستان مذاهب) باللغة الايرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري وهو مطبوع في ايران طبعات متعددة فنقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله المستشرق نولدكه في كتابه (تاريخ المصاحف ج ٢ ص ١٠٢) واستشهد ايضا بما ورد في كتاب (الكافي) عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن بعض اصحابه عن ابي الحسن عليه السلام قال قلت له جعلت فداك انا نسمع الايات من القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم فقال اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم).

ومعناه انه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلمه الناس في المصحف العثماني ثم ان الخاصة من الشيعة سيعلم بعضهم بعضا ما يخالف ذلك مما يزعمون انه موجود او كان موجودا عند أئمتهم من اهل البيت. (١)

ومما تزعم الشيعة انه اسقط من القرآن اية (وجعلنا عليا صهرك) زعموا انها اسقطت من سورة * ألم نشرح * (٢)

وقد سبق النص الذى نقله صاحب الكافي عن الباقر انه قال (ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما انزل الا كذب وما جمعه وحفظه كما انزل الا علي بن ابي طالب والأئمة من بعده. (٣)

وهناك نص آخر اورده صاحب (الكافي) عن ابي بصير قال دخلت على ابي عبدالله الى ان قال ابو عبدالله وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام

---

(١) الخطوط العريضة ص ١٠ـ١١ (٢) التحفة ص ٣١

(٣) راجع الكافي ج ١ ص ١٧٨ـ١٧٩ـ١٨٠ـ١٨١

قال قلت وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما في قرآنكم فيه حرف واحد . (١)

يقول الاستاذ محب الدين الخطيب بعد نقله لهذه النصوص من (الكافي) :

وهذه النصوص الشيعية المكذوبة على أئمة اهل البيت قديمة العهد وجعلها محمد بن يعقوب الكليني الرازي في كتاب (الكافي) قبل اكثر من الف سنة وهي أقدم منه لأنه يرويها عن اسلافه. (٢)

ويقول صاحب التحفة :

ومن مكايدهم (يعني الشيعة الاثنى عشرية) انهم يقولون ان كبار اهل السنة وأئمتهم كأبي بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن واسقطوا كثيرا من الايات والسور التي نزلت في فضائل اهل البيت والأمر باتباعهم والنهي عن مخالفتهم وايجاب محبتهم واسماء اعدائهم والطعن فيهم واللعن عليهم فشق عليهم ذلك ونبض عرق الحسد منهم فتجاسروا على ذلك) (٣)

وقد نقل الاستاذ احسان الهي ظهير كثيرا من النصوص ونماذج من الايات الساقطة من القرآن عن علماء الشيعة الكشي وعلي بن ابراهيم القمي وملا محمد تقي الكشاني وغيرهم. (٤)

---

(١) تقدم تخريج هذا الخبر في الحديث من الكافي في الحديث على موقف اهل السنة فيما نسبته الامامية الى الصادق في آخر الفصل الثالث من الباب الاول لهذه الرسالة .

(٢) الخطوط العريضة ص ١٥

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ٣٠

(٤) راجع الشيعة والسنة ص ٧٧ وما بعدها .

ويقول صاحب الوشيعة القول بتحريف القرآن واسقاط كلمات وآيات منه نزلت وتغيير ترتيب الكلمات والايات اجمع عليه كتب الشيعة واخبار التحريف مثل اخبار الامامة متواترة عند الشيعة . (١)

وان للشيعة الامامية في اثبات التحريف في القرآن اغراضا ونوايا فاسدة :

(١) — منها اثبات مسألة الامامة والولاية التي جعلوها اساسا للدين وهذا لا يتم لهم الا بدعوى التحريف في القرآن ليتمكنوا من اثبات هذه العقيدة الزائفة .

(٢) — ومنها انكار فضل اصحاب رسول الله حيث يشهد القرآن على مقامهم السامي وشأنهم العالي ودرجاتهم الرفيعة .

(٣) — ومنها قصد الاباحية وعدم التقيد باحكام القرآن والعمل به حيث انه ما دام قد ثبت في القرآن التحريف والتغيير فكيف يمكن العمل به والتعبد باحكامه والتمسك بأوامره .

فهذه هي الاسباب التي حملتهم على القول بمثل هذه الاباطيل (٢)

روى الشيخ الحسين بن الحكم الحبري الكوفي بسنده عن علي عليه السلام قال نزل القرآن اربعة ارباع : ربع فينا وربع في عدونا وربع حلال وحرام وربع فرائض واحكام ولنا كرائم القرآن (٣)

وموقف اهل السنة من القرآن انه من كلام الله المنزل على رسوله وانه غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وان الله تعالى تكلم به حقيقة فلا يجوز اطلاق القول بانه حكاية بل ان قرأه القارئ اوكتبه في المصاحف لم يخرج بذلك

---

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص٢٣

(٢) الشيعة والسنة ص٩٩ وما بعدها

(٣) ما نزل من القرآن في اهل البيت ص ٣٢

عن ان يكون كلام الله تعالى حقيقة فان الكلام انما يضاف الى من قاله ابتداء لا من قاله مبلغا ومؤديا وهو كلامه حروفه ومعانيه .

وانه محفوظ عن الزيادة والنقصان وقد تكفل البارى تعالى بحمايته فما ظنك فيما كان في حمايته تعالى فالبشر عاجزون عن تحريفه او زيادة شيء فيه او نقص حرف منه قال تعالى ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (١)

فهذه الاية كافية في الرد على الامامية الزاعمين ان في كتاب الله نقصا او زيادة اوتحريفا او تبديلا كما وقع في غيره من الكتب فالقرآن محفوظ عن الزيادة والنقص والتحريف والتبديل (٢)

يقول ابن حزم رحمه الله تعالى :

ومن قول الامامية كلها قديما وحديثا ان القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير . حاشا علي بن الحسن بن موسى وكان اماميا يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلى ميلاد الطوسى وابو القاسم الرازى

ثم قال ابن حزم في الرد عليهم :

القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صريح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣)

ثم لو كان ما يزعمون حقا وحاشاه لكان في وسع علي رضي الله عنه ان يرد ما نقص من القرآن ويسقط ما زيد منه وهذا في وسعه في زمن خلافته ولجمع مصحفا له مستقلا عن مصحف عثمان وانتشر في اقطار الاسلام وكل ذلك لم يكن بل الذى كان عند علي رضي الله عنه هو مصحف عثمان رضي الله عنه وهذا مما يوضح كذب القوم .

واما الاية التي زعموا انها ساقطة في سورة ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ (وجعلنا عليك صهرك) وهم .

---

(١) سورة الحجر اية ٩ — (٢) التحفة الاثنا عشرية ص ٣٢

(٣) الفصل جـ ٤ ص ١٨٢

فيقول محب الدين الخطيب في الرد عليهم في هذه الدعوى :

وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ مكية ولم يكن علي صهرا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وانما كان صهره الوحيد بمكة العاص بن الربيع الأموى واذا كان علي صهرا للنبي صلى الله عليه وسلم على احدى بناته فقد جعل الله عثمان بن عفان صهرا له على ابنتيه . (١)

واتهام الصحابة بتحريف القرآن من اخطار المسائل التي ابتدعها الروافض .

يقول البغدادى :

اتفقوا — يعنى اهل السنة — على اصول احكام الشريعة : القرآن والسنة واجماع السلف واكفروا من زعم من الرافضة ان لا حجة اليوم في القرآن والسنة لدعواه ان الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه . (٢)

ويقول ابو الحسين الملطى :

ويقال لهم — يعنى الشيعة — الاجماع ان هذا القرآن الذى انزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغير ولم يبدل ولم ينسخ منه شيء فمن اين خالفتم الاجماع وقلتم ان القرآن غير وبدل ونسخ ومن خالف الاجماع ضل . (٣)

ولقد احسن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في قوله : بعدما نفى عن القرآن الزيادة والنقصان والتحريف قال :

ومن ذهب منهم او من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه او تحريف فهو مخطىء يرده نفس الكتاب العظيم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ (٤)

---

(١) الخطوط العريضة ص ١٢ (٢) الفرق بين الفرق ص ٣٢٧

(٣) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ص ٢٩

(٤) سورة الحجرات آية ٩

والاخبار الواردة من طريقنا او طريقهم الظاهرة في نقصه اوتحريفه ضعيفة شاذة واخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا فاما ان تأول بنحو من الاخبار او يضرب بها الجدار . (١)

فهذا نص من شيعي معاصر لم ينف فيه وجود من يدعي الزيادة او النقص او التحريف في القرآن من الشيعة او من غيرهم ولكن لا يلتفت الى مدعي ذلك كائنا من كان .

(٨) جواز البداء على الله :

يذهب المؤلفون المتأخرون من الامامية الاثنى عشرية الى أن البداء معناه عندهم هو الظهور بعد الخفاء يعني ظهور الشيء بعد خفائه بمعنى ان الله ابان لخلقه ما كان مخفيا عنهم .

ونفوا ان يكون المراد به عندهم ظهور شيء لله تعالى بعدما كان مخفيا عنه . (٢)

يقول الشيخ آل كاشف الغطاء :

ان البداء الذى تقول به الامامية الاثنا عشرية والذى هو من اسرار آل محمد وغوامض علومهم حتى ورد في اخبارهم الشريفة انه ما عبدالله بشيء مثل القول بالبداء وانه ما عرف الله حق معرفته من لم يعرفه بالبداء الى كثير من امثال ذلك .

وهو عبارة عن اظهار الله جل شأنه امرا يرسم في الواح المحو والاثبات وربما طلع عليه بعض ملائكته المقربين او أحد الانبياء والمرسلين فيخبر الملك به النبي والنبي يخبر به امته ثم يرتفع بعد ذلك خلافه لأن الله

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص١٠١ـ١٠٢

(٢) في ظلال الوحي ص ١٥

(٣) اصل الشيعة واصولها ص١٦٣ـ١٦٤

محاه واوجد في الخارج غيره وكل ذلك بعلمه •

وفي الجملة فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع فكما ان لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح واسرارا بعضها ظاهر وبعضها غامض فكذلك في الاخفاء والابداء في عالم التكوين •

على ان قسما من البداء يكون باطلاع النفوس المتصلة بالملأ الأعلى على الشيء وعدم اطلاعها على شرطه اوما نعه •

واضاف يقول :

اما البداء بمعنى ان الله يظهر ويبدو له امر لم يكن عالما به فهذا هو الجهل فالبداء بهذا المعنى لا تقول به الامامية بل هذا كفر لاستلزامه الجهل على الله وانه محل الحوادث • (١)

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر :

البداء في الانسان ان يبدو له رأى في الشيء لم يكن له ذلك الرأى سابقا فالبداء بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه ولا تقول به الامامية • (٢)

اما الاشعرى فيقول ان الروافض في القول بجواز البداء على الله على ثلاث فرق :

١ ـ فرقة تقول ان الله تبدو له البداوات وانه يريد ان يفعل الشيء في وقت من الاوقات ثم يحدثه لما يحدث له من البداء •

٢ ـ والفرقة الثانية تزعم انه جائز على الله البداء فيما علم انه يكون حتى لا يكون وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده وانه لا يكون فيما لم يطلع عليه عباده •

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص١٦٣ ـ ١٦٤

(٢) عقائد الامامية ص٢٤

٣ — والفرقة الثالثة تقول انه لا يجوز على الله البداء وينفون عنه ذلك تعالى .(١)

ونسب الشهرستاني البداء الى الغلاة من الشيعة الامامية حيث قال : وبدع الغلاة محصورة في أوجه التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ .(٢)

وعقيدة البداء ظهرت في الشيعة الاثنى عشرية في عصر الصادق كما تقدم ظهرت مرتبطة بامامة ولده اسماعيل . يقول صاحب نظرية الامامة :

ويبدو انها محنة للصادق حينما شرب اسماعيل ابنه الخمر حسب رواية المصادر السنية اوحين مات في حياة ابيه وقد كان أمله في الامامة من بعده اذ اخفى الله عنه ذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيا ان تبد لكم تسؤكم ﴾(٣)

كما كانت محنته اعظم للشيعة حينما جعلوا أئمتهم مطلعين على الغيب لا يخفى عليهم ما كان وما هو كائن وما سيكون الى يوم القيامة فظهرت عقيدة البداء كتبرير لما يقع مخالفا لتنبؤات الأئمة .

ولقد سبق ان نسب البداء الى المختار حينما كانت تخيب الأيام تنبؤاته لانصاره فعقيدة البداء وثيقة الاتصال بعقيدة اطلاع الأئمة على الغيب .(٤)

وبالرغم من تفسير علماء الشيعة المتأخرين البداء بما سبق وبالرغم من نسبته الى الغلاة من الشيعة فان الذى يلهم من كتب الشيعة اطلاق القول بعقيدة البداء .

من ذلك ما نقله الكليني محدث الشيعة حيث عقد بابا مستقلا في كتابه الكافي بعنوان : البداء ، فروى تحت هذا العنوان عدة روايات عن الأئمة

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١١٣

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص١٧٣

(٣) سورة المائدة اية ١٠١

(٤) نظرية الامامة ٣٧٩

منها : عن الريان بن الصلت قال سمعت الرضا على بن موسى يقول : ما بعث الله نبيا قط الا بتحريم الخمر وان يقر لله بالبداء .(١)

ومنها : رواية ابى هاشم الجعفرى وهى تفسر معنى البداء قال :

كنت عند ابى الحسن عليه السلام بعدما مضى ابنه ابو جعفر وانى لأفكر فى نفسى أريد ان اقول كأنهما أعنى ابا جعفر وابا محمد في هذا الوقت كأبى الحسن موسى بعد مضى اسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وان كره المبطلون وابو محمد ابن الخلف من بعدى وعنده علم ما يحتاج اليه ومعه آلة الامامة .

وروى الكلينى ايضا ان أول من قال بالبداء عبد المطلب(٢) .

ونقل الاستاذ احسان السهى ظهير :

عن النوبختى ان جعفر بن محمد الباقر نص على امامة اسماعيل ابنه واشار اليه في حياته ثم ان اسماعيل مات وهو حى فقال ما بدا لله فى شىء كما بدا له في اسماعيل ابنى .

يقول الاستاذ احسان السهى ظهير : بعد نقله لرواية النوبختى هذه :

فهذه الروايات تثبت معنى البداء بانه علم ما لم يكن يعلمه الله قبل وهذا ما يعتقده الشيعة في الله(٣) وعقيدة الشيعة هذه انما تسربت الى الشيعة من اليهودية حيث كانت هذه العقيدة من الافكار التى روجها عبدالله بن سبأ اليهودى لما دخل في الاسلام للنيل منه.(٤)

---

(١) اصول الكافى ج ١ ص ٣٣٧

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٣

(٣) الشيعة والسنة ص ٦٤ (٤) المصدر السابق ص ٦٣

ومن المعلوم ان لليهودية كان من معتقداتهم القول بأن الرب حزن حيث خلق الانسان في الأرض وتأسف في قلبه وذلك حين رأى الرب ان شر الانسان قد استفحل في الأرض (١) نقله صاحب نظرية الامامة من الفصل السادس من التكوين من التوراة ٠

وهذه العقيدة مخالفة لعقيدة اهل السنة والجماعة حيث يعتقدون ان الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وانه لا تخفى عليه خافية ٠

قال تعالى ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ وان الله قد احاط بكل شيء علما ﴾ (٤)

فالقول بالبداء سواء بالمعنى الذى قال به المتأخرون من الامامية دفاعا عن عقيدتهم او بالمعنى الذى يفهم من روايات الكافي وغيره كما سبق فهو قول لا يعرفه اهل السنة والجماعة بل هو من الافكار المدسوسة والدخيلة على العقيدة الاسلامية ٠

والمعتزلة الذين يتفق معهم الشيعة في بعض الاصول لا يوافقون على عقيدة البداء لأنه الظهور بعد الخفاء ٠ لا يصح الا على من لا يعلم الشيء ثم يعلمه وكل ذلك على الله محال وليس البداء في التكوين كالنسخ في التشريع كما زعم المتأخرون من الشيعة لأن شرط البداء ان ينهى الله عن شيء مما سبق ان امر به ويكون الفعل واحدا في وقت واحد على وجه واحد ٠

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٧٩

(٢) سورة طه اية ٥٢

(٣) سورة الحشر آية ٢٢

(٤) سورة الطلاق آية ١٢

اما النسخ فهو ما اقتضى من الادلة الشرعية انه لا يدوم ذلك ان الأمر الشرعي يظل امرا حتى تتم الحكمة من الأمر به فان تم ذلك جاز النسخ او تغيير الأمر اما البداء فيفيد الانتقال من حال الى حال .(١)

(٩) ـ الرؤية :

والشيعة الامامية الاثنى عشرية كالمعتزلة في نفى رؤية المؤمنين ربهم في الدار الاخرة فهم ينفون حصول الرؤية في الدنيا والاخرة .

يقول محمد رضا المظفر :

من قال ان الله ينظر اليه اهل الجنة كالقمر او نحوها فهو بمنزلة الكافر به .(٢)

وقالوا ان الرؤية غير ممكنة لا في الدنيا ولا في الاخرة اما الادلة التي استدلوا بها على زعمهم فهي كالتالي :

قال تعالى ﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾(٣)

وقال تعالى ﴿ انك لن تراني ﴾(٤)

ويقول محب الدين الخطيب : الامامية الاثنى عشرية يعتقدون أن رؤية الله غير ممكنة لا في الدنيا ولا في الاخرة .(٥)

ويقول ابن تيمية : ان الامامية ادخلوا في التوحيد نفى الصفات وان الله لا يرى في الآخرة .(٦)

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٨٠

(٢) عقائد الامامية ص ١٣

(٣) سورة الانعام اية ١٠٣

(٤) سورة الاعراف اية ١٤٣

(٥) الخطوط العريضة ص ٥١

(٦) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٨ـ٢٩

وموقف اهل السنة من رؤية الله في الدار الاخرة هو الايمان الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم عيانا بابصارهم في عرصة القيامة وفي الجنة يرونه ويكلمهم ويكلمونه قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ للذين احسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٢)

﴿ لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ﴾ (٣)

ومن السنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) (٤)

واما قوله تعالى ﴿ لا تدركه الابصار ﴾ فالادراك الاحاطة اى لا تحيط به الابصار والاحاطة أخص من الرؤية ٠

وقوله تعالى ﴿ لن تراني ﴾ اى في الدنيا لأن سؤال موسى الرؤية يدل على امكانها لان العاقل فضلا عن النبي لا يطلب المحال فكيف يظن بكليم الله ورسوله وأعلم الناس به في عصره ان يسأل ما لا يجوز عليه ثم انه لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح نجاة ابنه انكر سؤاله ٠

وايضا فانه قال ﴿ لن تراني ﴾ ولم يقل : اني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي اولست بمرئي وهو انما علق الرؤية باستقرار الجبل وهو امر ممكن في نفسه والمعلق على الممكن ممكن ٠ (٥) اذن فالرؤية ممكنة ومن هنا كان مذهب الحق القول باثبات رؤية الله في الدار الاخرة للمؤمنين فهم يتمتعون بالنظر الى وجهه تعالى فلا يجدون نعمة اعظم من لذة النظر اليه نسأل الله ان يجعلنا ممن يتمتع بذلك انه سميع مجيب ٠

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢ (٢) سورة يونس آية ٢٦

(٣) سورة ق آية ٣٥

(٤) البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٣٣ ومسلم مع النووي ج ٣ ص ٢٥

(٥) الاسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ص ٢٠٠

(١٠) افعال العباد :

ذكر الاشعرى رحمه الله تعالى ان الرافضة في افعال العباد على ثلاث فرق :

١ ـ الفرقة الاولى : اتباع هشام بن الحكم يزعمون ان اعمال العباد مخلوقة لله وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم انه كان يقول ان افعال الانسان اختيار له من وجه اضطرار من وجه اختيار من جهة انه ارادها واكتسبها واضطرار من جهة انها لا تكون منه الا عند حدوث السبب المهيج عليها .

٢ ـ والفرقة الثانية : يزعمون انه لا جبر كما قال الجهمي ولا تفويض كما قالت المعتزلة .

٣ ـ والفرقة الثالثة : يزعمون ان اعمال العباد غير مخلوقة لله وهذا قول قوم يقولون بالاعتزال والامامة . (١)

هذا وذكر الملطي أن أهل قم من الامامية يقولون بالجبر والتشبيه . (٢)

وانت تعلم مذهب المعتزلة القدرية في افعال العباد وهو ان العباد خالقون لافعالهم ومذهب الجبرية قائم على ان العبد مجبور على عمله فلا يسند اليه عمل وان أسند اليه فهو على وجه المجاز والمعتزلة القدرية هم مجوس هذه الأمة حيث اثبتوا خالقا غير الله .

ومذهب اهل السنة والجماعة وسط بين المذهبين .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١١٤ ـ ١١٥ (٢) الرد على اهل الاهواء ص ٣٢ ـ ٣٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في وصف اهل السنة في باب الافعال :

وهم ـ يعني اهل السنة ـ وسط في باب افعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم (١) فالجبرية غلوا في اثبات القدر فنفوا فعل العبد أصلا والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة .

واما اهل السنة فقد هداهم الله للحق فقالوا العباد فاعلون والله خالقهم وخالق افعالهم كما قال تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (٣)

فافعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة . (٤)

وبتفاوتهم في الاعمال كانت درجتهم في الدار الاخرة متفاوتة . (٥)

قال علاء الدين الباجي الشافعي :

وافعالنا من خلقه كذواتنا

وما فيهما خلق لنا بالحقيقة

ولكنه اجرى على الخلق خلقه

دليل على تلك الأمور القديمة

عرفنا به اهل السعادة والشقاء

كما شاء ه فينا بمحض المشيئة (٦)

---

(١) العقيدة الواسطة ص ١٢٠

(٢) سورة الصافات آية ٩٦

(٣) سورة التكوير آية ٢٩

(٤) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٢٠ ـ ١٢١

(٥) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٣٦٩

(٦) شرح النونية لابن القيم ص ٢٢٢

ومما سبق يتبين للقارئ ان من الامامية من يقول بقول المعتزلة في باب الافعال كما تقدم النقل عن الاشعري وان منهم من يقول بقول الجبرية كما نقل الملطي عن اهل (قم) وهم من الامامية الاثنى عشرية بلا شك وهم كذلك حتى يومنا هذا فمدينة (قم) هي مقر آية الله الخميني الزعيم الروحي لايران وهي مقر رجال الدين وتسمى المدينة المقدسة غير ان ما نقله الاستاذ محمد رضا المظفر يخالف نقل الاشعري ونقل الملطي معا حيث يقول : ذهب قوم وهم " الجبرية " الى انه تعالى هو الفاعل لافعال المخلوقين فيكون الله قد أجبر الناس على فعل المعاصي وهو مع ذلك يعذبهم عليها ... الخ

وذهب قوم آخرون وهم (المفوضة) الى انه تعالى فوض الافعال الى المخلوقين ورفع قدرته وقضائه وتقديره عنها واعتقادنا تبع لما جاء عن أئمتنا الاطهار من الأمر بين الأمرين والطريق الوسط بين القولين الذى كان يعجز عن فهمه امثال أولئك المجادلين من اهل الكلام ففرط منهم قوم وافرط آخرون .

قال الامام الصادق (لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين)

وخلاصة هذه العبارة :

ان افعالنا من جهة افعالنا حقيقة نحن اسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا ومن جهة اخرى هي مقدورة لله وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه فلم يجبرنا على افعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل ولم يفوض الينا خلق افعالنا حتى يكون قد اخرجها عن سلطانه بل له الخلق والحكم والأمر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد . (١)

---

(١) عقائد الامامية ص ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣

ومن هذا النص يتبين لنا ان الرجل ليس جبريا ولا معتزليا في افعال العباد وهو من المؤلفين المتأخرين ولعل ذلك هو مذهب بعض الامامية الاثنى عشرية الذين لم يسلكو طريق المعتزلة في المسألة اوتراجعوا عنهم في ذلك والا فالقوم قد عرفت فيما مر اعتناقهم لمذهب الاعتزال في كثير من الأصول كما لايستبعد ان يكون ما ذكره هذا الشيعى على سبيل التقية التي صارت عقيدة اصيلة يستطيعون بموجبها ان يقولوا وان يكتبوا خلاف الواقع الا ان الحكم بحسب الظاهر والله يتولى السرائر .

الفصل الثانـي

النبـــــوات

(١) مقـام النبـوة :

يقول الشيخ محمد رضا المظفر :

نعتقد ان النبوة وظيفة الهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه ويختاره من عباده الصالحين[(١)].

ويقول الشيخ آل كاشف الغطاء :

يعتقد الشيعة الامامية ان جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مكرمون بعثوا لدعوة الخلق الى الحق وان محمدا خاتم الانبياء وسيد المرسلين وانه معصوم من الخطأ والخطيئة وانه ما ارتكب المعصية مـدة عمره وما فعل الا ما يوافق رضا الله حتى قبضه الله اليه[(٢)]

(٢) وجوب بعثة الرسل على الله في نظرهم :

يقول الشيخ محمد رضا المظفر : ونعتقد ان قاعدة اللطف توجب ان يبعث الخالق اللطيف بعباده رسله لهداية البشر واداء الرسالة الاصلاحية وليكونوا سفراء الله وخلفاءه .

وعللوا ايجاب بعثة الرسل على الله بأن الانسان تتنازعه دواعي الشروالفساد وبواعث الخير والصلاح فالشهوة والهوى يدعوانه الى الفساد والزيغ والفطرة والعقل يدعوانه الى الخير والصلاح ولاجل هذا يعسر على الانسان ان يصل بنفسه الى طرق الخير والصلاح ومعرفة جميع ما ينفعه ويضره في دنياه واخراه فيما يتعلق

---

(١) عقائد الامامية ٢٨ (٢) اصل الشيعة واصولها ص ٧٧

بخاصة نفسه وبمجتمعه ومن هنا وجب ان يبعث الله تعالى في الناس رحمة لهم ولطفا بهم ﴿ رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (١) وينذرهم عما فيه فسادهم ويبشرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم . انتهى منه بتصرف . (٢)

يقول صاحب التحفة اعلم ان الشيعة يعتقدون ان بعث الأنبياء واجب على الله تعالى ولا يليق ذلك بمرتبة الربوبية والالوهية فان الله هو الحاكم الموجب على عباده فمن يحكم عليه بوجوب شيء لكن تكليف العباد وبعثة الانبياء واقع حتما ولكن بمحض فضله ورحمته وكرمه بحيث لو لم يفعل ذلك لم يكن لهم مجال للشكاية فاذا فعل فهو عين فضله ومحض رحمته وهذا هو مذهب اهل السنة ولو كان بعث الانبياء واجبا عليه تعالى لم يمتن ببعثهم في كثير من الايات قال تعالى ﴿ بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ﴾ (٤) وظاهر انه ليس في اداء الواجب منة وأيضا لو كان واجبا لما سأله ابراهيم وطلب منه البعث في ذريته قال تعالى ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ (٥) لأن الدعاء بما هو واجب الوقوع لغو ولا معنى له والانبياء منزهون عن اللغو . (٦)

وفكرة القول بالوجوب من الافكار الاعتزالية التي اعتنقها الشيعة الامامية وقد مر بنا الرد على هذه الفكرة في الحديث على وجوب الامامة عقلا في نظر الامامية وذلك في الفصل السابق .

---

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) عقائد الامامية ص ٢٨ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١

(٣) سورة الحجرات آية ١٧

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٤

(٥) سورة البقرة آية ١٢٩

(٦) التحفة الاثنا عشرية ص ٩٩

وأما اعتقادهم عدم خلو اى زمان من نبي أو وصي فهو اعتقاد مخالف لما عليه اهل السنة • يقول الكليني في تقرير هذه العقيدة : (ان الارض لا تخلو من حجة الله وانه لو لم يبق في الأرض الا رجلان لكان احدهما الحجة) (١)

ويقول صاحب التحفة : اعلم ان الامامية لا بد عندهم ان لا يخلو زمان من نبي او وصي قائم مقامه • ثم قال صاحب التحفة في رد هذه الفكرة ما نصه :

وعقيدة الشيعة هذه مخالفة للكتاب والعترة ، اما الكتاب فلأن كثيرا من آياته تدل على وجود زمن الفترة وخلوه عن النبوة كما قال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ (٢) وغيرها من الايات واما العترة فمنها ما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض خطبه المتواترة عند الشيعة حيث يقول :

وأرسله على فترة من الرسل وطول هجعة بين الأمم ومعنى الفترة ان لا يكون نبي ولا قائم مقامه في الزمان • (٣)

(٣) عصمة الأنبياء :

يعتقد الامامية عصمة الانبياء عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان فيجب أن يكون الرسول منزها حتى عما ينافي المروءة كالأكل في الطريق والضحك العالي • (٤)

وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقع في خطأ ولا في خطيئة وما ارتكب المعصية مدة عمره وكل ما صدر منه يوافق رضا الله وهكذا حتى قبضه الله اليه • (٥)

---

(١) اصول الكافي جـ ٤ ص ٤٠ ـ ٤١

(٢) سورة المائدة الاية ١٩

(٣) التحفة الاثنا عشرية ص ٩٤

(٤) عقائد الامامية ص ٣٥

(٥) اصل الشيعة واصولها ص ٧٧

يقول الأشعري :

اختلف الروافض في جواز المعصية على الرسول الى فرقتين ، فرقة تزعم انه لا يجوز على الرسول ان يعصى الله عز وجل ولا يجوز ذلك على الأئمة لأنهم جميعا حجج الله وهم معصومون من الزلل .

وفرقة ثانية يزعمون ان الرسول صلى الله عليه وسلم جائز عليه ان يعصى الله وان النبي صلى الله عليه وسلم قد عصى في اخذ الفداء يوم بدر واما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم والقائل بهذا القول هو هشام بن الحكم (١) . انتهى منه بتصرف .

وقد انكرت الامامية على هشام بن الحكم هذا القول بل اكفروه . يقول البغدادي : وكان هشام على مذهب الامامية في الامامة واكفره سائر الامامية باجازته المعصية على الأنبياء . (٢)

ومن الغريب في أمر هشام بن الحكم انه اجاز المعصية على الأنبياء وقال بعصمة الأئمة من الذنوب مستندا في ذلك الى دليل عقلي وهو ان النبي اذا عصى اتاه الوحي بالتنبيه على خطأه والامام لا ينزل عليه الوحي فيجب أن يكون معصوما عن المعصية (٣) وهذا الفرق مبني على عقيدة فاسدة وهي القول بعصمة الأئمة وقد ابطلنا ذلك القول سابقا في فصل خصائص الامام عند الامامية وذلك في الباب الثاني لهذه الرسالة .

والدليل على وجوب العصمة في نظر الشيعة الامامية انه لو جاز ان يفعل النبي المعصية او يخطىء او ينسى او يصدر منه شيء من هذا القبيل فاما ان يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانا او خطأ أو لا يجب فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك وهذا باطل

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٢١ (٢) الفرق بين الفرق ص ٦٧

(٣) الفرق بين الفرق جـ ١ ص ٦٨ ومقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٢١

بضرورة الدين والعقل وان لم يجب اتباعه فذلك ينافى النبوة التي لا بد ان تقترن بوجوب الطاعة ابدا في كل شيء يقع منه من فعل اوقول ومن تحتمل فيه المعصية او الخطأ فلا يجب اتباعه في شيء من الأشياء فتذهب فائدة البعثة بل يصبح النبي كسائر الناس ليس لكلامهم ولا لعملهم تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائما كما لا تبقى طاعة حتمية لأوامره ولا ثقة مطلقة باقواله وافعاله (١) وهذا الدليل على عصمة النبي يجرى كما سبق ان ذكرنا في عصمة الامام مع الفرق الواضح بينهما .

ويقول الأشعرى في تقرير دليلهم المذكور : ان الرسول او الامام لو جاز عليه السهو او اعتماد المعاصي وركوبها لكانوا قد ساووا المأمومين في جواز ذلك عليهم كما جاز على المأمومين ولم يكن المأمومون احوج الى الأئمة من الأئمة لو كان ذلك جائزا عليهم جميعا . (٢)

هذا هو الدليل العقلى الذى استند عليه القوم في تقرير العصمة .

يقول الدكتور الشيبي ان دونالدسن اثبت ان القول بالعصمة فكرة شيعية اصيلة لم تتطرق اليها الاسفار الدينية المسيحية واليهودية ولم يقل بها المسلمون الأولون في جدالهم للمسيحيين وان القرآن نفسه لم يذكر عصمة الأنبياء . (٣)

وموقف السلف الذين ادركهم البحث في موضوع العصمة يتلخص في أن الانبياء معصومون في تبليغ الرسالة وطاعتهم واجبة ولا يجيزون على الأنبياء ارتكاب الكبائر اما الصغائر فهي جائزة عليهم سهوا لكن لا يقرون عليها . واما الأئمة فلم يقل احد بعصمتهم الا الشيعة . (٤)

---

(١) عقائد الامامية ص ٣٥ـ٣٦

(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٢١

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٨٥ (٤) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٥٥

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب العزيز دالة على وقوع الخطأ من النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفس الوقت تحمل التنبيه له وعدم اقواره على الخطأ كما تحمل العفو عن الخطأ الحاصل منه من جراء الاجتهاد ومن هذه النصوص قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ولولا كتاب سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ (٣)

وقوله تعالى ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ﴾ (٤)

وقوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ (٥)

الى غير ذلك من النصوص القرآنية قد سردها الاستاذ محمد على الصابوني في كتابه (النبوة والانبياء) (٦)

هذا في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهناك نصوص في حق غيره من الانبياء وهي معروفة فلا نشتغل بذكرها ومقصودنا ان نقرر ان مذهب

---

(١) سورة الانفال آية ٦٧
(٢) سورة التوبة آية ٤٣
(٣) سورة عبس آية ١
(٤) سورة الاحزاب آية ٣٧
(٥) سورة الفتح آية ١
(٦) ص ٨٢ — ٨٣

اهل السنة والجماعة قائم على عصمة الانبياء في التبليغ وانه قد يجتهد احدهم فيقع في الخطأ لكن الله لا يقره على هذا الخطأ بل سرعان ما ينبهه ويغفر له والذى دعا الشيعة الى القول بعصمة الانبياء انما هو توطئة الى غرضهم الأساسي وهو عصمة أئمتهم ، ومن هنا خالف هشام بن الحكم طائفته فقال بعصمة الأئمة دون الانبياء مبررا ذلك بأن الامام يحتاج الى العصمة لأنه لا وحي معه يقومه بخلاف النبي فانه اذا اخطأ نزل عليه الوحي . وقد مر بنا آنفا تكفير الامامية له على هذه المقالة .

ومن الغريب ان صاحب التحفة قد قرر ان الامامية هم الذين يقولون بجواز الكذب والبهتان على الأنبياء بل قد يجب عليهم "تقية" (١) هذا ما قرره صاحب (التحفة) ورد على الامامية في هذا القول وهذا غريب جدا حيث ان المعروف اتهام الامامية اهل السنة بذلك لا ان الامامية تقوله عن الانبياء ويخالفه ايضا النص الذى ذكره الحلي حيث قال في كتابه (منهاج الكرامة) :

وذهب من عدا الامامية والاسماعيلية الى ان الانبياء والأئمة غير معصومين فجوزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة (٢)

والقارئ اذا وقف على هذا النص علم ان الأمر على عكس ما قرره صاحب التحفة وان كان الحلي هو الآخر قد اطلق القول وجازف في الاتهام فأخطأ كما سبق ان رددنا عليه في هذا القول .

قال ابن حزم :

وذهب جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي اصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعري شيخ ابن فورك والباقلاني .

---

(١) التحفة الاثنا عشرية ص ١٠٥

(٢) منهاج الكرامة ص ٩٣

قال ابو محمد : وهذا القول هو الذى ندين الله تعالى به ولا يحل لأحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين اصلا بل ينبههم وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل بنبيه صلى الله عليه وسلم في أمر زينب ام المؤمنين وطلاق زيد لها رضى الله عنهما وفي قصة ابن مكتوم رضى الله عنه وربما يبغض المكروه في الدنيا كالذى اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام .

والانبياء عليهم السلام بخلافنا في هذا فاننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدا . (١)

وموضوع العصمة من المواضع التي يقع فيها الخلاف بين اهل السنة والشيعة الامامية .

غير ان اختلاف الشيعة مع أهل السنة والجماعة في هذه النقاط لا يعد خلافا له اهمية ، يقول الدكتور سامي النشار في معرض كلامه على اختلافات الامامية مع أهل السنة قال ما نصه :

فاذا انتقلنا الى الأصل الثالث عند الشيعة الاثنى عشرية وهو النبوة فلا نجد ثمة اختلافا كبيرا بينهم وبين اهل السنة والجماعة فالفريقان يختمان سلسلة النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن يختلف الفريقان اختلافا جزئيا في مسألة العصمة فبينما يذهب الشيعة الامامية الى ان الانبياء معصومون عن الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها يذهب اهل السنة في الجملة الى اعتبار الانبياء معصومين من الكبائر قبل النبوة وبعدها ولكن غير معصومين عن الصغائر سهوا في بعض الأحيان ولكن لم يكن في هذا خلاف جوهرى . (٢)

---

(١) الفصل جـ ٤ ص ٢-٣ (٢) نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤

الفصل الثالث

الايمان

ان اصول الايمان عند الامامية خمسة :

التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد .

كما أن اصول الاسلام في نظرهم ثلاثة :

التوحيد ، والنبوة ، والمعاد .(١)

يقول الأشعري : جمهور الرافضة يزعمون ان الايمان هو الاقرار بالله وبرسوله وبالامام وبجميع ما جاء من عندهم فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم فاذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم واذا أقر ولم يعرف فهو مسلم ليس بمؤمن .(٢)

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر :

نعتقد ان الامامة اصل من اصول الدين لا يتم الايمان الا بالاعتقاد بها .(٣)

ويقول الدكتور سامي النشار : والايمان عند الشيعة انما يتكون من الاعتراف بتوحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وموالاة امام العصر فالايمان بامام العصر قاعدة امامية تتصل بجوهر العقيدة تتصل بها اوثق الاتصال .(٤)

ويقول الحلي في وصف الامامة :

وهي – يعني الامامة – احد اركان الايمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن .(٥)

---

(١) في ظلال الوحي ص ١٢–١٣

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٥

(٣) عقائد الامامية ص ٤٩

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٤٩٢

(٥) منهاج الكرامة ص ٧٧

وبهذه النصوص يتبين للقارئ ماهية الايمان عند الامامية وكيف ادخلوا في مسمى الايمان الاقرار بالامام وكيف اعتبروا الامامة جزءاً من الايمان ثم لم يدخلوا عمل الجوارح في تعريف الايمان كما نقل الأشعري عن جمهور هم وهم في هذا مخالفون لأهل السنة والجماعة . يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى :

ومن اصول اهل السنة والجماعة ان الدين والايمان قول وعمل . قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . (١)

فأركان الايمان عند اهل السنة ثلاثة : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان . وان هذه الثلاثة داخلة في مسمى الايمان المطلق. (٢)

ويقول شارح الطحاوية :

ذهب مالك والشافعي واحمد والاوزاعي واسحاق وابن راهويه وسائر اهل الحديث واهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين الى ان الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان . (٣)

واما اعتبار الاقرار بامام العصر من اركان الايمان وان الامامة من اصول الايمان فهذا مخالف لطريقة أهل السنة والجماعة . يقول الدكتور سامي النشار :

واعتبار الشيعة الاثني عشرية الامامة جزءا من العقيدة أثار ضجة كبرى في العالم الاسلامي حيث صار علماء اهل السنة يحاربونها ويجادلونها بعنف بالغ وقد راعهم ان يضاف الى العقيدة اصل لم يرد اطلاقا من قبل بل لقد فتش المحدثون في آثار السلف من اهل البيت فلم يجدوا له مكانا . (٤)

---

(١) العقيدة الواسطية ص ١٥٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل الهراس ص ١٥٣

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١١ (٤) سامي النشار ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

الفصل الرابع

آراء دينية أخرى

(١) التناسخ :

عرف الشهرستاني التناسخ بقوله :

ان التناسخ هو ان تتكرر الاكوار والأدوار الى ما لا نهاية له ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الاول والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار اخرى لا عمل فيها والاعمال التي نحن فيها انما هي اجزية على اعمال سلفت منا في الادوار الماضية فالراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على اعمال البر التي سلفت منا في الادوار الماضية والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على اعمال الفجور التي سبقت منا .(١)

هذا ونقل الشهرستاني ايضا عن ابى كامل انه قال : الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون امامة وربما تناسخ الامامة فتصير نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت .(٢)

ومراتب التناسخ عندهم أربع :

المرتبة الأولى : النسخ .

المرتبة الثانية : المسخ .

المرتبة الثالثة : الفسخ .

المرتبة الرابعة : الرسخ .

وأعلى المراتب مرتبة الملكية او النبوة وأسفل المراتب مرتبة الشيطانية او الجنية .(٣)

---

(١) الملل والنحل جـ ٢ص ١١٣ـ ١١٤ (٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١٧٤ـ ١٧٥

(٣) المصدر السابق نفسه جـ ١ ص ١٧٥

والقائلون بالتناسخ والحلول من الشيعة الامامية هم الغلاة .

يقول الشهرستاني : والغلاة على اصنافها متفقون كلهم على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل ملة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البراهمة ومن الفلاسفة والصابئة. (١)

وما من ملة من الملل الا والتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير (٢) ذلك .

وهم على اربعة اصناف : صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية وهذان الصنفان كانا قبل دولة الاسلام .

وصنفان آخران ظهرا في دولة الاسلام احدهما من القدرية والآخر من الرافضة الغالية .

واهل التناسخ في دولة الاسلام كالبيانية والجناحية والخطابية والراوندية من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الاله في الأئمة بزعمهم .

وأول من قال بهذه الضلالة السبئية من الرافضة لدعواهم ان عليا صار الها حين حل روح الاله فيه .

وزعمت البيانية من الرافضة ان روح الاله دارت في الانبياء ثم في الأئمة الى أن صارت في بيان بن سمعان وادعت الجناحية منهم ذلك في عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر .

وكذلك دعوى الخطابية في ابي الخطاب وكذا دعوى قوم من الراوندية في ابي مسلم صاحب دولة بني العباس. (٣)

---

(١) الملل والنحل جـ١ ص ١٧٥ (٢) الشهرستاني جـ٣ ص١٠٠

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ — ٢٧١

ومن هنا يتبين ان القول بالتناسخ من الافكار الغريبة على الاسلام ، وكان اهل الهند من اشد الناس اعتناقا لعقيدة التناسخ كما كان بعض اليهود يزعم ان الله نسخ بختنصر في سبع صور من صور البهائم والسباع وعذبه فيها كلها ثم يبعثه في آخرها . (١)

فالفكرة اذن دخيلة على الاسلام فالقائلون بها هم الغالية من الامامية فهم يقولون ان الثواب والعقاب يحصلان في الحياة الدنيا وهذا القول لا يعرفه الاسلام كما قلنا آنفا بل ينكره ويكفر معتقده . (٢)

يقول البغدادى فصل في ذكر اصحاب التناسخ من اهل الأهواء وبيان خروجهم عن فرق الاسلام . (٣)

(٢) التقيـــة :

التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد عن الغير وهي المداراة والتظاهر بخلاف الواقع في الباطن .

والتقية عند الشيعة جزء من الدين وشعار من شعاراتهم المذهبية يقول الشيخ محمد رضا المظفر : ان التقية كانت شعارا لآل البيت عليهم السلام دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم وما زالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والأمم . (٤)

وقد أولوها الشيعة اهتمامهم حيث تعتبر ركنا من اركان المذهب لا يقوم المذهب بدونها . (٥)

من ذلك ما نقله الدكتور الشيبي عن القمي انه قال :

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٧٢
(٢) تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٩٥
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠
(٤) عقائد الامامية ص ٧٢
(٥) مجموع السنة ج ١ ص ٢٦٠

(اعتقادنا في التقية انها واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ووقت رفعها بخروج المهدى المنتظر ومن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله ودين الامامية وخالف الله ورسوله) (١)

ويقول الاستاذ حسن الأمين :

التقية من المبادئ التي دان بها الشيعة وطبقوها دون حرج او انكار تمسك بها الاسماعيليون على اختلاف فرقهم وفروعهم وخاصة في دور الستر وتمسك بها الجعفريون (٢) .

وقد حاول الشيعة دعم مذهبهم في التقية باثار نقلوها عن أئمتهم الاثني عشر . يقول الشيخ محمد رضا المظفر : روى صادق آل البيت عليه السلام في الاثر الصحيح التقية دينى ودين آبائي ومن لا تقية له لا دين له . (٣)

ومن ذلك ما روى القمى عن الصادق انه سئل عن قول الله تعالى : ﴿ ان اكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (٤) قال : أعلمكم بالتقية . وأن عليا رضى الله عنه قال : التقية من افضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه واخوانه من الفاجرين .

وان الحسين بن علي رضى الله عنهما قال : لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا .

وعن علي بن الحسين انه قال : يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والاخرة ما خلا ذنبين ترك التقية بالذنب وترك حقوق الاخوان .

وعن محمد بن على بن الحسين انه قال : ان التقية جنة المؤمن .

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٠٢

(٢) دائرة المعارف الشيعية ج ٣ ص ٦٨

(٣) عقائد الامامية ص ٧٢

(٤) سورة الحجرات آية ١٣

وعن الصادق، انه قال : ما على وجه الارض شيء احب اليّ من التقية . ثم قال : يا حبيب انه من كانت له تقية رفعه الله ومن لم تكن له تقية وضعه الله .

وعن الكاظم انه كتب الى احد مريديه علي بن سويد ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب الينا هذا باطل وان كنت تعرف خلافه فانك لا تدرى لم قلناه وعلى اى وجه وضعناه آمن بما اخبرتك ولا تفش ما استكتمتك .

وعن علي بن موسى انه قال : لا دين لمن لا ورع له ولا ايمان لمن لا تقية له وان اكرمكم عند الله اتقاكم . فقيل له : يا ابن رسول الله الى متى ؟ قال : الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا .

وزيادة على ذلك فقد نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كذبا انه قال : مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له .(١)

وفوق هذا وذاك فالقوم يستدلون بآيات من كتاب الله على اصالة عقيدتهم كقوله تعالى ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ (٣)

وقوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ﴾ (٤)

والتقية في نظر الشيعة مبدأ اسلامي اصيل كان اول ظهوره من عمار بن ياسر وان النبي صلى الله عليه وسلم اقره على التظاهر بالشرك وشتم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل في ذلك قرآن (٥) وانه بسبب التقية بقي هذا المذهب الى الآن .

---

(١) الشيعة والسنة ص ١٥٧ الى ١٦١ . (٢) سورة آل عمران آية ٢٨

(٣) سورة النحل آية ١٠٦ (٤) سورة المؤمن آية ٢٨

(٥) الصلة بين التشيع والتصوف ص ٤٠٢

هذا وقد علل للشيعة سبب تميزهم بهذا الاعتقاد من بين الفرق الأخرى بالاضطهادات المتوالية عليهم عبر التاريخ حيث كانوا مسلوبي الحرية في عهد الدولة الأموية وفي عهد العباسيين و في اكثر أيام الدولة العثمانية ولأجل ذلك استمر شعار التقية فيهم اكثر من أى قوم . (١)

يقول الشيخ آل كاشف الغطاء :

ان اللوم والتعبير بالتقية ـ ان كانت تستحق اللوم والتعيير ـ ليس على الشيعة فحسب بل على من سلبهم موهبة الحرية وألجأهم الى العمل بالتقية. (٢)

ويقول ايضا في الرد على أهل السنة في انكارهم على الامامية القول بالتقية يقول ما نصه :

الأمر الثاني مما يشنع على الامامية القول بالتقية جهلا منهم بمعناها ولو صبروا وتثبتوا لعلموا ان التقية التي تقول بها الشيعة لا تختص بهم ولم ينفردوا بها بل هو أمر من ضرورة العقول وعليه جبلة الطباع وأضاف يقول :

فمن ضرورة العقل ان كل انسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته وهي أعز الأشياء عنده . (٣)

اما الأمر الاخر الذى يشنع به على الامامية على حد تعبير الشيخ آل كاشف الغطاء فهو فكرة القول بالبداء وقد مر القول فيه في الفصل الأول من هذا الباب .

غير ان الشيعة الامامية لم يتفقوا على وجوب التقية بل اقوالهم مضطربة فيها كما يقول الألوسي في تفسيره (روح المعاني) (٤) حيث يقول بعضهم انها

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٠٢

(٢) اصل الشيعة واصولها ص ١٦٣

(٣) اصل الشيعة ص ١٦٦

(٤) روح المعاني جـ ٣ ص ١٣٢

جائزة في الاقوال كلها عند الضرورة ولا تجوز في الافعال كقتل المؤمن ولا فيما يعلم اويغلب على الظن أنه افساد في الدين .

وقال المفيد : انها قد تجب احيانا وقد يكون فعلها افضل من تركها وقد يكون تركها افضل من فعلها .

وقال ابو جعفر الطوسي : ان ظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس .

وقال غيره : انها واجبة عند الخوف على المال ايضا ومستحبة لصيانة العرض حتى سن لمن اجتمع مع اهل السنة ان يوافقهم في صلاتهم وصيامهم وسائر ما يدينون به .

ورووا عن بعض أئمة اهل البيت من صلى وراء سني تقية فكأنما صلى وراء نبي وفي وجوب قضاء تلك الصلاة عندهم خلاف .

هذا واذا اتينا اهل السنة وجدنا ان التقية عندهم جائزة الا انها رخصة من الله مباح الاخذ بها في بعض الحالات وموجبها ضعف المسلم وقوة العدو . وتباح عند خوف تلف النفس او بعض الاعضاء او المال والعرض فيباح حينئذ اظهار الموالاة من غير اعتقاد لها .(١)

فاعطاء التقية انما هو رخصة من الله تعالى وليس بواجب بل ترك التقية افضل .

يقول الجصاص الحنفي في تفسيره : قال اصحابنا فمن اكره على الكفر فلم يفعل حتى قتل انه افضل من اظهر وقد اخذ المشركون (خبيب بن عدى) فلم يعط التقية فكان عند المسلمين افضل من عمار بن ياسر حين أعطى التقية فأظهر الكفر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : كيف وجدت قلبك ؟ قال : مطمئنا بالايمان فقال صلى الله عليه وسلم (ان عادوا فعد) وكان ذلك على وجه الترخيص .

---

(١) الجصاص ج ٢ ص ١٠ (٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١١

فاعطاء التقية كما قلنا رخصة وترك اظهارها افضل وكل ذلك بالنسبة الى الكفار اعداء الاسلام وأما بالنسبة الى المسلمين فلا يجوز خداعهم وغشهم باظهار خلاف ما في الباطن فالمسلم لا يجوز له ان يخدع المسلمين بقول أو فعل او يظهر لهم خلاف الحقيقة .

يقول الاستاذ السيد محب الدين الخطيب : لا تجوز التقية الا مع الكفار اعداء الدين وفي حالة الحرب فقط باعتبار ان الحرب خدعة ويجب ان يكون المسلم صادقا شجاعا في الحق غير مراء ولا كاذب ولا غادر بل ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . (١)

والذى يؤخذ على الشيعة الامامية هو اعتبارهم هذه الرخصة دينا وفريضة لا يقوم المذهب الا بها وقد ركزوا عليها اهتمامهم فهم يتلقون اصولها سرا ويتعاملون بها وعندهم ان الغاية تبرر الوسيلة وهذا يبيح لهم كل اساليب الكذب والمكر والتلون فيبالغون في الاطراء والمدح لمن يرونهم كفارا يستحقون القتل والتدمير و يطلقون حكم الكفر على كل من ليس على مذهبهم . (٢)

وكذا نسبة التقية الى أئمة اهل البيت الشجعان رضوان الله عليهم فقد مرت بنا النصوص المنسوبة افتراء الى الأئمة في وجوب الأخذ بالتقية وأن الأخذ بها مستمر الى خروج المهدى المنتظر .

ونتيجة لذلك حملوا كل قول او فعل صادر من الأئمة مما يوافق قول اهل السنة على (التقية) وكذا ما روى عن الأئمة مما هو رد على مذهب الشيعة حملوه على (التقية) .

---

(١) الخطوط العريضة ص ٥٤ — ٥٥

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥٤ — ٥٥

يقول الآلوسي :

وحملوا اكثر افعال الأئمة بما يوافق مذهب اهل السنة ويقوم به الدليل على رد مذهب الشيعة على (التقية) وجعلوا هذا اصلا عندهم أسسوا عليه دينهم وجل غرضهم ابطال خلافة الخلفاء الراشدين ويأبى الله تعالى ذلك .

ففي كتبهم ما يبطل كون أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وبنيه رضي الله تعالى عنهم ذوي تقية بل ويبطل ايضا فضلها الذي زعموه . (١)

وقد انتقد ابن تيمية مبدأ التقية حيث يقول :

ان أساس النفاق الذي بني عليه الكذب ان يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه كما اخبر الله تعالى عن المنافقين انهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والرافضة تجعل هذا من اصول دينها وتسميه (التقية) وتحكي هذا عن أئمة اهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك وقد نزه الله المؤمنين من اهل البيت وغيرهم عن ذلك بل كانوا من اعظم الناس صدقا وتحقيقا للايمان وكان دينهم التقوى لا (التقية) وقول الله تعالى * لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة * انما هو بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب والله تعالى قد أباح لمن اكره على كلمة الكفر ان يتكلم بها اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان لكن لم يكره احد من اهل البيت على شيء من ذلك حتى ان ابا بكر رضي الله عنه لم يكره احدا لامنهم ولا من غيرهم على متابعته فضلا من ان يكرههم على مدحه والثناء عليه بل كان علي وغيره من اهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن احد يكرههم على شيء منه .

---

(١) روح المعاني ج ٣ ص ١٢٢ — ١٢٣

فالذى يتظاهر به الرافضة انما هو من باب الكذب والنفاق لا من باب ما يكره المرء من عليه من التكلم بالكفر .

وهؤلاء اسرى المسلمين في بلاد الكفار غالبهم يظهرون دينهم والخوارج مع تظاهرهم بتكفير الجمهور وتكفير عثمان وعلى ومن والاهما يتظاهرون بدينهم واذا سكنوا مع الجماعة سكنوا مع الموافقة والمخالفة والذى يسكن في مدائن الرافضة فلا يظهر الرفض وغايته اذا ضعف ان يسكت عن ذكر مذهبه لا يحتاج الى ان يتظاهر بسب الصحابة والخلفاء .

فكيف يظن بعلى رضى الله عنه وغيره من اهل البيت انهم كانوا اضعف دينا من الاسرى في بلاد الكفر ومن عوام اهل السنة ومن النواصب مع انا قد علمنا بالتواتر ان احدا لم يكره عليا ولا اولاده على ذكر فضائل الخلفاء والترحم عليهم بل كانوا يقولون ذلك بدون اكراه ويقوله احدهم لخاصته كما ثبت ذلك بالنقل المتواتر . (١)

ومن هنا شنع اهل السنة على الشيعة الامامية تمسكهم بهذه العقيدة الخطيرة التي سدت باب الثقة فيهم حيث يحملون كما قلنا كل قول او فعل صدر من أئمتهم اذا كان يتضمن ثناء على الخلفاء الثلاثة فانهم يحملونه على (التقية) كتزويج على رضى الله عنه ابنته أم كلثوم من عمر ابن الخطاب وهو خليفة وأم كلثوم من فاطمة رضى الله عنها . وكصلاته خلف ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واعترافه بفضلهم .

وكثناء الصادق رضى الله عنه على ابى بكر الصديق رضى الله عنه فقد كان يثنى عليه ولا يجيز سبه لا سيما وهو جده من جهة الأم كما مر بنا في حديثنا على الصادق الامام السادس في زعم الامامية . وهذا كله في نظر الشيعة وقع من الأئمة من باب التقية وكذا اذا روى الامام حديثا عن النبي

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٥٩

صلى الله عليه وسلم وافق فيه اهل السنة فلم يجدوا سبيلا الى رده حملوه على (التقية) وهذا قدح في اهل البيت وتنقيص لهم ونسبتهم الى الجبن والى الخيانة في تبليغ الرسالة وهو جرم عظيم كما هو جرح في عدالة العدل[1] •

يقول صاحب (الوشيعة) :

اما التقية بالعبادة بأن يعمل الامام عملا لم يقصد به وجه الله وانما اتاه خوفا من سلطان جائر •

والتقية بالتبليغ بأن يسند الامام الى الشارع حكما لم يكن من الشارع •

فان مثل هذه التقية لا تقع أبدا اصلا من احد له دين ويمتنع صدورها من امام له عصمة •

وحمل رواية الامام وعبادته على (التقية) طعن على عصمته وطعن على دينه •

والتقية في العبادة عمل لم يقصد به وجه الله وكل عبادة لم يقصد بها وجه الله باطلة وهي شرك •

وكل رواية يرويها عدل فهي اداء امانة وهي تبليغ فحملها على التقية قول بان العدل قد افتراها على الله وعلى رسوله وان العدل قد كاد بها الأمة •[2]

وقد نزه الله اهل البيت الاطهار عن هذه الصفات الرذيلة التي لا تليق بعوام الناس فضلا عن اهل البيت النبوى •

ثم هذا يناقض قول الشيعة المتقدم في احوال علي رضى الله عنه حيث قالوا انه رضى الله عنه اشجع الناس والاسلام ثبتت قواعده بسيفه أين هذا مع قولهم انه كان يصلي وراء ابي بكر وعمر وعثمان خوفا منهم وانه زوج ابنته

---

(١) راجع مجموع السنة جـ ١ ص ١٦٤

(٢) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٢٧/٢٨

ام كلثوم من عمر رضي الله عنه خوفا منه فهذا لا يقوله عاقل بل لا ينسبه لاحد الى ادنى الناس فكيف ينسب الى اهل البيت الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم فانا لله وانا اليه راجعون .

على ان هناك امثلة يقفون امامها دون جواب : كتسليم الحسن الأمر لمعاوية فان قالوا كان ذلك منه تقية قيل لهم فما بال اخيه الحسين رضي الله عنه وقد مر بنا في الحديث على ثورة الحسين على يزيد . ان فعله ذلك وفعل اخيه الحسن المخالف لفعله يعتبر من المشاكل التي واجهت الشيعة على مر التاريخ .

ومن ذلك انه لو قلت لهم كيف تكفرون زيد امام الزيدية وهو من آل محمد ؟ قالوا لانه خالف اخاه المعصوم وهو الباقر في خروجه على الدولة الأموية .

ومن العجيب ان يكون الخروج على الدولة كفرا في نظر من يكفر الأمويين .

فان قلت لهم : فكيف بكى عليه الباقر لما قتل وترحم عليه ؟ قالوا : انما فعل ذلك تقية وربما عكسوا الأمر فحملوا تكفير زيد على التقية.(١)

---

(١) مجموع السنة ج ١ ص ٢٦٥

(٣) تقديسهم لاصحاب القبور من الأئمة :

يقول الشيخ محمد رضا المظفر :

مما امتازت به الامامية : العناية بزيارة القبور قبر النبي والأئمة وتشييدها باقامة العمارات الضخمة عليها ولاجلها يضحون بكل غال ورخيص في سبيل ذلك.

واعتبروا هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والانقطاع الى الله. (١)

ويستند الامامية في ذلك الى اقوال ينسبونها الى الأئمة ويدعون وجود وصايا الأئمة في حثهم شيعتهم على الزيارة وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى باعتبار انها افضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة وجعلوها ايضا من تمام الوفاء بعهود الأئمة. (٢)

من ذلك ما رووه عن جعفر الصادق انه قال (من زار قبر امير المؤمنين عارفا بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة شهيد وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأتى رجل الصادق واخبره انه لم يزر امير المؤمنين فقال بئس ما صنعت لولا انك من شيعتنا ما نظرت اليك الا تزور من يزوره الله والملائكة ويزوره الأنبياء والمؤمنون. (٣)

وفي مسند الامام الرضا :

عن الصدوق قال روى الحسن بن على الرضا عن ابى الحسن الرضا قال : ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا فيما رغبوا فيه كان

---

(١) عقائد الامامية ص ٩٢ وراجع اصل الشيعة واصولها ص ٧٧

(٢) عقائد الامامية ص ٩٣ (٣) راجع ظهر الاسلام ج ٤ ص ١٢٣

ائمتهم شفعائهم يوم القيامة (١) .

وعن/ الصدوق باسناده الى الرضا عن جعفر محمد أنه سئل عن زيارة الحسين بن على رضى الله عنهما فقال اخبرني أبي ان من زار قبر الحسين بن على رضى الله عنهما عارفا بحقه كتبه الله في عليين ثم قال : ان حول قبر الحسين سبعين الف ملك يبكون عليه الى يوم القيامة . (٢)

عن أبي جرير القمي قال سمعت ابا الحسن القمي يقول لأبي من زار الحسين بن على عارفا حقه كان من محدثي الله فوق عرشه (٣) .

وعنه ايضا انه قال : من زار قبر ابي عبدالله بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه وسئل ابو الحسن الرضا عمن أتى قبر الحسين قال يعدل عمرة .

وروى عنه انه قال يعدل عمرة مقبولة .

وعنه ايضا انه قال من زار قبر الحسين كتب الله له حجة مبرورة . (٤)

ومن هنا كانت قبور الأئمة محط آمال الشيعة ولذلك جعلوا للزيارة آدابا ودعوات مخصوصة .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر من آداب الزيارة :

(١) ـ ان يغتسل الزائر قبل الشروع في الزيارة .

(٢) ـ ومنها ان يلبس احسن وانظف ما عنده من الثياب .

(٣) ـ ومنها ان يتطيب ما وسعه الطيب .

(٤) ـ ومنها ان يتصدق على الفقراء .

---

(١) مسند الامام الرضا ص ٢٣٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٦

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٢٣٧

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٥) — ومنها ان يمشي بسكينة ووقار غاضا بصره .

(٦) — ومنها أن يكبر ويقول (الله اكبر) ويكرر ذلك ما شاء وقد تحدد في بعض الزيارات بمائة .

(٧) — ومنها ان الزائر يصلي ركعتين على الأقل بعد الفراغ من زيارة النبي أو الامام .(١)

اما الدعوات فقد وضعوا دعوات طويلة يتلونها عند الزيارة منها :

(السلام عليك يا ولي الله يا حجة الله يا خليفة الله يا عمود الدين يا وارث النبيين يا قسيم الجنة والنار يا أمير المؤمنين أشهد انك كلمة التقى وباب الهدى والاصل الثابت والحبل الراسخ والطريق الحق أشهد انك حجة الله على خلقه وشاهده على عباده وأمينه على علمه ومستودع اسراره) ...الخ (٢)

ونتيجة لذلك اتخذوا القبور محلا للتبرك والاستشفاع بل يحجونها كما يحجون البيت الحرام ولهم كتب في (مناسك حج المشاهد) من ذلك كتاب المفيد سماه (حج المشاهد) وانت تشاهدهم اذا زاروا القبر الشريف او البقيع كيف ترتفع اصواتهم بالبكاء والنحيب فانا لله وانا اليه راجعون فالقوم قد عمروا القبور وعطلوا المساجد وسوف نذكر فيما يلي مشهدين من مشاهدهم وهما كنموذج لغيرهما :

---

(١) عقائد الامامية ص٩٥ — ٩٦

(٢) راجع ظهر الاسلام جـ ٤ ص ١٢٣ — ١٢٤

(١) ـ مشهد الامام علي بالنجف :

وهو يبعد عن الكوفة نحو اربعة اميال ويحتوي هذا المشهد على مساحات واسعة ملئت بالقبور كما ملئت بمئات القباب المختلفة الألوان ·

نقل الاستاذ احمد امين عن ابن بطوطة في رحلته انه يقول في وصف (النجف) انها مدينة حسنة وأهل هذه المدينة كلهم رافضة وبها الروضة التي فيها الامام وحيطان الروضة منقوشة بالقيشانى والقبة مفروشة بانواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة وفي المدينة خزانة كبيرة تجمع بها النذور من الناس في بلاد العراق وغيرها ومن يصيبه المرض ينذر للروضة نذرا اذا برئ · (١)

وقد سلم هذا المشهد من تخريب (هولاكو) لأن الشيعة كانت قد ساعدته · (٢)

ومن جملة مفتريات الشيعة الشنيعة جعل صورة قبر آدم ونوح عليهما السلام بجنب قبر علي رضى الله عنه في زعمهم · (٣)

(٢) ـ مشهد الحسين بكربلاء :

وهو من اشهر المشاهد والمزارات عند الشيعة وكربلاء على بعد ثلاثة اميال من بغداد وفيها مشهد الحسين · وهي من اعظم المزارات واضخمها واحفها بالتحف والمذهبات يقول فيها ابن بطوطة : والقبة الشريفة من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار الحرير وكم يكرر الزائرون مأساة الحسين وهم يرون الروايات الغريبة عن فضل هذا المكان المقدس(٤) وفي وسط القرن الثالث الهجرى أخذ أمر الزيارة

---

(١) راجع ظهر الاسلام ج ٤ ص ١٢١ ـ ١٢٢ (٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٣

(٣) راجع الاسرار المرفوعة في الاحاديث الموضوعة ص ٤٠٢

(٤) ظهر الاسلام ج ٤ ص ١٢٤

يرتكز على (كربلاء) وفي القرن الرابع استولى البويهيون على (العراق) فكان ذلك بداية عهد جديد لكربلاء اذ ان البويهيون وهم (شيعة) جددوا بناء القبور وصرفوا عنايتهم في جميع المقامات في (النجف وكربلاء) وغيرها . (١)

والزيارة عند الشيعة لها مواسم عامة وخاصة المواسم العامة يجتمع فيها الزائرون من مختلف مدن العراق ومن مختلف البلدان الاخرى وهي على قسمين :

(١) القسم الأول : ما يقع في يوم معين وهي الزيارات المخصوصة بأمير المؤمنين وهي في الايام التالية :

يوم الغدير وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة

ويوم المولد

ويوم مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو ٢٧ رجب

وما يقع في شهر معين وهي شهور الزيارات المخصوصة بالحسين في كربلاء وذلك في الأشهر التالية :

شهر المحرم حيث اليوم العاشر منه وهو يوم عاشوراء يوم استشهاده

وشهر صفر في اليوم العشرين منه ،

وشهر رجب في اليوم الأول منه وليلة النصف منه

وشهر شعبان في ليلة النصف منه

وشهر رمضان في ليالي القدر ١٩ـ٢١ـ٢٣

وشهر شوال في اليوم الأول منه

وشهر ذى الحجة في اليومين التاسع والعاشر منه .

---

(١) دائرة المعارف الشيعية جـ ١٢ ص ٢٧٠

(٢) القسم الثاني : المواسم الخاصة وهي على قسمين ايضا :

مواسم عراقية يجتمع فيها العراقيون وحدهم غالبا وهي في اليومين التاليين :

يوم دخول فصل الربيع .

ويوم ذكرى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الثامن والعشرون من صفر .

ومواسم نجفية يجتمع فيها النجفيون وحدهم غالبا : وهي في :

ليالي الجمع وايام وفيات اهل البيت ويوم ٢١ رمضان وهو يوم وفاة أمير المؤمنين رضي الله عنه .

ويوم ١٥ جمادى الاولى وهو ذكرى وفاة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .(١)

ومذهب أهل السنة في القبور وزيارتها :

انه لا يجوز بناء المشاهد والقباب عليها كما لا يجوز اتخاذها مساجد وقد نهى الشارع عن ذلك كله وأمر بتسوية القبور لما في ذلك من تعظيم غير الله والغلو الذي كان هو السبب الأول في دخول الشرك في بني آدم .

فعمارة القبور وتشييدها والعناية بها ودعاء اصحابها شرك بالله تعالى وعمل مضاه لعمل اليهود والنصارى الذين كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره واتخذوه مسجدا وقد لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سياق الموت وحذر أمته عن هذا الفعل .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذا الموضوع :

والرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يصلون فيها جماعة ولا جمعة وليس لها عندهم كبير حرمة وان صلوا فيها

---

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ج ١٢ ص ٦٨

صلوا فيها وحدانا ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون اليها كما يحج الحاج الى البيت العتيق .

ومنهم من يجعل زيارتها اعظم من الحج الى الكعبة بل يسبون من لا يستغنى عن الحج اليها من الحج الذى فرضه الله تعالى على عباده ومن لا يستغنى بها عن الجمعة والجماعة وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن .

وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا) (١)

وقال قبل ان يموت بخمس (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك) (٢) رواه مسلم .

وقال : (ان من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد) رواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه . (٣)

وقال : (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) رواه مالك في الموطأ . (٤)

وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد وهو شيخ الموسوى والطوسى ـ كتابا سماه (مناسك المشاهد) جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذى جعله الله قياما للناس وهو أول بيت وضع للناس فلا يطاف الا به ولا يصلى الا اليه ولم يأمر الا بحجه .

---

(١) البخارى مع فتح البارى جـ ٨ ص ١٤٠ ومسلم مع النووى جـ ٥ ص ١٢

(٢) مسلم مع النووى جـ ٥ ص ١٣

(٣) رواه الامام احمد وابو حاتم وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود فتح المجيد : ص ٢٣٩ والمسند جـ ١ ص ٤٠٥

(٤) الموطأ مع تنوير الحوالك جـ ١ ص ١٣٥

وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الانبياء والصالحين بل هذا من دين المشركين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ (١)

قال ابن عباس وغيره : هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح لما ماتوا عكفوا على قبورهم فطال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ثم عبدوهم (٢).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها) (٣)

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابي الهياج الأسدى قال قال لي علي بن ابي طالب رضي الله عنه (ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته) (٤)

فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لأن كليهما ذريعة الى الشرك •

كما في الصحيحين عن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم : كنيسة رأيتها بأرض الحبشة وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) (٥)

والله تعالى امر في كتابه بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد •

فالرفضة بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة المشركين ومخالفة للمؤمنين •

---

(١) سورة نوح اية ٢٣ (٢) البخارى مع فتح البارى ج ٨ ص ٦٦٧

(٣) مسلم مع النووى ج ٧ ص ٣٨ (٤) مسلم مع النووى ج ٧ ص ٣٦

(٥) البخارى مع فتح البارى ج ٧ ص ١٨٧ ومسلم مع النووى ج ٥ ص ١١ - ١٣

قال تعالى ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ (١)
ولم يقل عند كل مشهد وقال ﴿ ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ﴾ الى قوله ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ﴾ (٢) ولم يقل مشاهد الله •

بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله
وقال تعالى ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (٣) ولم يقل وأن المشاهد لله • وقال تعالى ﴿ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ (٤) ولم يقل ومشاهد •
وقال تعالى ﴿ في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ (٥)

وبالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول صلى الله عليه وسلم شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة العيدين وغير ذلك • وأنه لم يشرع لأمته ان يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من اهل البيت ولا غيره مسجدا ولا مشهدا ولم يكن على عهده صلى الله عليه وسلم في الاسلام مشهدا مبنيا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر ابراهيم الخليل ولا غيره بل لما قدم المسلمون الى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على أهل الذمة ومشارطتهم ثم لما قدم الى سرغ وفي جميع هذه المرات لم يكن احدهم يقصد السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد •

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٩

(٢) سورة التوبة اية ١٨

(٣) سورة الجن آية ١٨

(٤) سورة الحج آية ٤٠

(٥) سورة النور آية ٣٦

ولما ظهر قبر دانيال بتستر كتب فيه ابو موسى الأشعرى الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر ان تحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا وتدفنه في الليل في احد منها لئلا يفتتن الناس به وكان عمر بن الخطاب اذا رآهم يتنا وبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبى ينهاهم عن ذلك ويقول انما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار انبيائهم مساجد ومن ادركته الصلاة فيه فليصل والا فليذهب فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذى أرسل الله به الرسول اليهم ويتبعون في ذلك سنته صلى الله عليه وسلم والاسلام مبنى على اصلين : الا نعبد الا الله وان نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع فالنصارى خرجوا عن الأصلين وكذلك المبتدعون من هذه الأمة من الرافضة وغيرهم . (١)

هذا ومن العجب أن الشيخ آل كاشف الغطاء يستدل بقول الله تعالى ﴿ في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ (٢) على جواز الصلاة عند قبور الانبياء والأئمة حيث يذكر : أن التبرك بالانبياء والأئمة والتوسل الى الله بكراماتهم وبمنزلتهم عند الله والصلاة) عند مراقدهم كل ذلك جائز وليس من العبادة لهم بل العبادة لله وفرق واضح بين الصلاة لهم والصلاة لله عند قبورهم ﴿ في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ (٣)

فيا عجبا من أين أمر الله برفع المشاهد والقباب والصلاة عندها وقد رأيت النصوص الدالة على وجوب هدم القباب والمشاهد المبنية فكيف يأذن الله برفعها ومن هذه النصوص حديث ابى الهياج الاسدى المتقدم والذى فيه

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٦

(٢) سورة النور آية ٣٦

(٣) اصل الشيعة واصولها ص ٧٧

أن عليا رضى الله عنه قال له : (الا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله الا تدع قبرا مشرفا الا سويته) (١)

أما زيارة القبور فجائزة عند اهل السنة لتذكر الاخرة والدعاء للميت اذا لم تتضمن شد رحل لقوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة) (٢) وعلم اصحابه ما يقولون اذا زاروا القبور (السلام عليكم دار قوم مؤمنين انتم سابقون ونحن بكم ان شاء الله لاحقون يغفر الله لنا ولكم) (٣) الحديث (السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية) (٢)

يقول السيد محمد رشيد رضا :

والشيعة أول من ابتدع زخرفة القبور وسرى الى غيرهم وقد صرحوا بأن زيارة قبور الأئمة اواحد الأئمة افضل من سبعين حجة ولذلك تراهم يطوفون بها ويسألونها حوائجهم ولهم اجتماعات بالنجف وغيرها فيأتون بأنواع من البدع كلطم الخدود وقراءة النصوص المكذوبة واكل النذور واضلال الجهلة وسب الصحابة وتكفيرهم واضلالهم . انتهى منه بتصرف (٤)

ومع الأسف فان عقيدة تعظيم القبور والبناء عليها قد سرت الى العالم الاسلامي فانا لله وانا اليه راجعون فليس من بلد الا وفيه مظهر من مظاهر هذه البدعة الا من عصمه الله .

يقول الأستاذ أحمد امين :

والذى يرى المشاهد المديدة في القاهرة كمشهد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة وغيرها يرى انها صورة مصغرة جدا للمشاهد في النجف وكربلاء والكاظمية . (٥)

---

(١) مسلم مع النووى ج ٥ ص ١٣
(٢) مسلم مع النووى ج ٧ ص ٤٦
(٣) مسلم مع النووى ج ٧ ص ٤٥
(٤) السنة والشيعة ص ٦٢
(٥) ظهر الاسلام ج ٤ ص ١٢٥ وراجع السنة والشيعة ص ٦٢

هذه هي الاراء التي تستحق البحث من آراء الشيعة الامامية الاثنى عشرية الاعتقادية ولهم آراء اخرى لا داعي الى ذكرها اهملناها خشية الاطالة ولعدم الجدوى من ذكرها لأن النفوس تستنفر منها من ذلك ما ذكره الاشعري عن هشام بن الحكم أنه كان يقول في الزلازل ان الله سبحانه وتعالى خلق الأرض من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضا فاذا ضعفت طبيعة منها غلبت الأخرى فكانت الزلزلة وان ضعفت أشد من ذلك كان الخسف وله رأى في الجن وفي وسواس الشيطان وفي الملائكة وفي السحر والمطر (1) الى غير ذلك .

---

(1) راجع مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٣ — ١٢٤

الخاتمـــــة

وتتضمن أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث وهي على النحو التالي :

(١) ـ أبطلت ما ذهب اليه الامامية من أن التشيع بدأ مع ظهور الاسلام على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت أنه لم يبتدئ الا في اواخر عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد عبدالله بن سبأ وما أشاعه من عقائد باطلة حول علي بن أبي طالب رضي الله عنه • وان كانت الحوادث الثابتة كحروب الجمل وصفين ومقتل الحسين رضى الله عنه قد زادته قوة وجعلت الشيعة حزبا متميزا •

(٢) ـ تبين لي ان التشيع بدأ بسيطا عند بعض الصحابة في صورة المحبة لعلى رضى الله عنه واهل البيت ثم تعقد فيما بعد واصبح مجموعة من العقائد الباطلة النابعة من الفكر اليهودى والفارسى •

(٣) ـ أبطلت ما ذهب اليه الامامية من انطباق الاحاديث المبشرة باثنى عشر اماما على أئمتهم واثبت أن الاحاديث الصحيحة التي تبشر بأن أمر الاسلام لا يزال قويا ما قام في المسلمين اثنا عشر اماما متفق عليهم من قريش يتفق عليهم المسلمون ـ وأثبت أن هذه الأحاديث لا تنطبق على أئمة الامامية الاثنى عشرية وان اوائل الامامية لم يقولوا باثنى عشر اماما من ابناء الحسين رضى الله عنه وانما ظهر هذا القول على يد المتأخرين بعد الحسن العسكرى •

(٤) أثبت بالمقارنة التاريخية الدقيقة صحة ما يعرفه أهل السنة لأهل البيت من الفضل والتقدير وما يتصورونه في حقهم وأبطلت كل مظاهر الغلو التي يضفيها الامامية على أئمتهم •

(٥) ـ اثبت عدم أمر يزيد بن معاوية بقتل الحسين وأن رأسه لم ينقل الى دمشق ومن ثم لم يكن هو الذى نكت بالقضيب بين ثناياه وانما فعل ذلك عبيد الله بن زيد وان كان يزيد لم يقتص من قتلة الحسين •

(٦) ـ من أهم ما انتهى اليه البحث اثبات ان الحسن العسكرى لم ينجب ومن ثم يبطل كل ما ذهب اليه الاثنا عشرية من وجود الامام الثاني عشر وهو محمد القائم ومن اختفائه في سرداب بيت أبيه وغيبته الصغرى والكبرى الى غير ذلك من الاساطير التي حيكت حول هذا المهدى المزعوم وقد بينت ان الاحاديث المبشرة بالمهدى في آخر الزمان لا تنطبق عليه حيث تنص على ان المهدى من ولد الحسن وأنه غير موجود الآن •

(٧) ـ أبطلت بالأدلة القاطعة كل ما ذهب اليه الامامية الاثنا عشرية من اعتبارهم الامامة ركنا من اركان العقيدة وانها بالوصاية والتعيين وعلى النقيض من هذا كله أثبت صحة رأى أهل السنة في الامامة وكونها مصلحة دينية تتم ببيعة الامام •

(٨) ـ أبطلت أدلتهم العقلية على امامة علي رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصية منه وبينت ان الادلة النقلية التي يستدلون بها من القرآن الكريم لا دلالة فيها على ذلك اما الاحاديث النبوية التى يستدلون بها على ذلك فقد بينت انها اما ان تكون موضوعة او ضعيفة اوصحيحة ولكن لا دلالة فيها على قولهم بالوصاية لعلي رضى الله عنه بالامامة واما قرائن أحواله التي يستدلون بها فقد بينت انها ليست مختصة به وليس فيها دلالة على ما قدمنا من قولهم بامامة على رضى الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم •

(٩) ـ أثبت بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة بطلان كل ما يزعمه الامامية الاثنا عشرية للامام من الخصائص كالعصمة والحلول والعلوم السرية والسلطان

التام في التشريع والمعجزات وبطلان كل ما قالوا به من التقية والرجعة والتناسخ .

(١٠) — بينت بالأدلة القاطعة بطلان موقف الروافض من الصحابة وتكفيرهم اياهم وطعنهم في عدالتهم وكذلك بغضهم لبعض أهل البيت وهم ممن ليسوا من أئمتهم، بينت بطلان ذلك بالأدلة القرآنية التى تنص على عدالة الصحابة وتذكر فضلهم وبالاحاديث النبوية التى تنهى عن سبهم وتشيد بفضائلهم .

(١١) — أثبت تطور الامامة في عقائدهم وأنهم كانوا اولا سلفيين ثم صاروا مجسمة ثم معتزلة وانهم الان كذلك واثبت بطلان قولهم بوقوع الزيادة والنقصان في القرآن الكريم وبطلان ما ابتدعوه من تقديس مشاهد أئمتهم وما جعلوه لزيارة هذه المشاهد من الآداب والرسوم .

(١٢) — واخيرا اتضح لي عمق الخلاف مذهبيا وعمليا بين الامامية الاثنى عشرية وأهل السنة في كل ما يتعلق بحكم الامامة وخصائص الامام والحكم على الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين قبل علي رضى الله عنه وكذلك فيما يتعلق بأمور العقيدة ومن ثم فان الدعوة الى التقريب بين الفريقين لن تؤتى ثمرتها الا اذا أعاد الاثنا عشرية النظر في كل ما قدمناه حتى يتبين لهم وجه الحق الذى يهدى اليه الكتاب والسنة في مختلف هذه الجوانب الاعتقادية .

واقترح أن يقوم رجال الفكر الاسلامي بتصحيح المفاهيم الخاطئة عند الاثنى عشرية دينيا وتاريخيا في كتبهم ورسائلهم وان تعنى المؤسسات الثقافية الاسلامية بنشر هذه الكتب والرسائل بين صفوف الامامية الاثنى عشرية توجيها لهم الى الصواب لعل الكثيرين منهم يفيئون الى المذهب

الحق وينضمون الى صفوف أهل السنة والجماعة نتيجة لهذه الجهود الفكرية الخاصة .

وأرجو أن اكون قد قمت في هذه الرسالة ببعض جوانب هذا الجهد الاسلامي المطلوب وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد انه سميع الدعاء .

المراجع

الكتاب	المؤلف	الطبعة
(أ)		
اصول الكافي مع شرحه الشافي	محمد بن يعقوب بن اسحاق بن جعفر الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ	مطبعة النجف النجف ١٣٧٧هـ
أصل الشيعة وأصولها	محمد الحسين آل كاشف الغطاء	المكتبة الحيدرية ومطبعتها بالنجف الطبعة الرابعة عشرة
الاصابة في تمييز الصحابة	أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ	مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨هـ
الاحتجاج	ابو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي	مطبعة النعمان النجف سنة ١٣٨٥هـ
أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية	البير نصري	بيروت الطبعة الثانية
أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن	محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي	مطبعة المدني مصر عام ١٣٧٨هـ
الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة	علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤	مطابع دار القلم بيروت لبنان مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩١هـ
الامام علي بن ابي طالب	محمد رضا	القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ

الكتاب	المؤلف	الطبعة
الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة	عبد القادر شيبة	مؤسسة الطباعة والنشر بجدة
الأسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية	عبد العزيز المحمد السليمان	مطبعة الحرية بيروت الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ
احكام القرآن	ابو بكر احمد بن على الرازى الجصاص الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ	المطبعة البهية المصرية ادارة الملتزم ١٣٤٧هـ
اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء	محمد الخضرى بك	الطبعة التاسعة ١٣٨٣هـ

(ب)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
البيان في تفسير القرآن	السيد ابو القاسم الموسوى الخوينى	المطبعة العلمية ـ قم الطبعة الثالثة
البداية والنهاية	أبى الفداء الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤هـ	دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ
اللباب في تهذيب الانساب	عز الدين ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ	
بنات النبى صلى الله عليه وسلم	الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء	بيروت
بلوغ المرام من ادلة الاحكام مع شرحه سبل السلام	ابن حجر العسقلانى	مطبعة محمد عاطف والسيد طه وشركاهما كلوت بك حارة الوطن
التحفة الاثنا عشرية	شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوى	الطبعة الثانية القاهرة القاهرة المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٨٧هـ

الكتاب	المؤلف	الطبعة
	(ت)	
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع	أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧هـ	سنة ١٣٨٨هـ يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت
تاريخ المذاهب الاسلامية	محمد ابو زهرة	دار الفكر العربى
تاريخ الخلفاء	جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ	دار الفكر ١٣٩٤هـ
التفكير الفلسفى في الاسلام	الدكتور عبد الحليم محمود	الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ دار النصر للطباعة ١٣ شارع سعد الله القاهرة
تاريخ العلويين	محمد امين غالب الطويل	الطبعة الثانية بيروت لبنان ١٣٨٦هـ
تاريخ بغداد	ابو بكر احمد بن الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣هـ	بيروت
تفسير الحافظ بن كثير	اسماعيل بن كثير القرشي تقدم تعريفه في حرف الباء	مطبوع مع البغوى مطبعة المنار مصر
تفسير معالم التنزيل	الحسن بن مسعود الفراء الشيخ ابو محمد البغوى المتوفى سنة ٥١٦ هـ	مطبوع مع ابن كثير مطبعة المنار بمصر
تهذيب التهذيب	أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢هـ	مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند حيدر اباد الدكن الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥هـ

الكتاب	المؤلف	الطبعة
تحفة الأحوذى	أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ	مطبعة المدنى شارع العباسية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ
تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان	أحمد بن حجر الهيثمى المكى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ	مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلانى تقدم التعريف به في حرف (أ)	مطابع دار الكتاب العربى بمصر القاهرة ١٣٧٤ هـ
التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية .	عبد العزيز ناصر الرشيد	مطبعة الامام ١٤ شارع على عبد اللطيف
تفسير سورة الحشر	الحاج الشيخ حسن الفريد	مطبعة الحيدرى عام ١٣٩٦ هـ
تاريخ الفرق الاسلامية	على مصطفى الغزالى	مطبعة محمد على صبيح واولاده بميدان الأزهر
تاج العروس في جواهر القاموس	محمد مرتضى الزبيدى	المطبعة الخيرية للنشأة بحماية مصر المحمية ١٣٠٦ هـ الطبعة الأولى

(ج)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
جامع البيان عن تأويل آى القرآن	ابو جعفر بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ	مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر
الجامع لأحكام القرآن	أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ	الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية

الكتاب	المؤلف	الطبعة
جامع الترمذى	ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ	مطبوع مع تحفة الأحوذى المطبعة المدنى شارع العباسية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ
	(ح)	
الحسن والحسين	محمد رضا	دار الكتب العامة بيروت لبنان سنة ١٣٩٥هـ
الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية	محمد حسن الأعظمى عميد كلية اللغة العربية بكراتشي	المؤسسة المصرية للتأليف والنشر
	(خ)	
الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية	السيد محب الدين الخطيب	الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦هـ
	(د)	
دائرة المعارف الاسلامية الشيعية	حسن الأمين	بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ
	(ذ)	
ذخائر الفكر الاسلامي في تفسير فاتحة الكتاب	الشيخ عبد الحسين الأمين النجفى	مطبعة الحيدرى طهران ايران الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ
	(ر)	
الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار	حسون ملا رجب الدلفى	الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ منشورات مؤسسة الأعلمى

الكتاب	المؤلف	الطبعة
رأس الحسين	ابن تيمية	مطبعة السنة المحمدية شارع غيط النوبى القاهرة
روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى	ابو الفضل شهاب الدين محمود الالوسى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ	دار الطباعة المنيرية درب الاتراك مصر الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ
الرد على الجهمية	عثمان بن سعيد الدارمى الشافعى المتوفى سنة ٢٨٠هـ	منشورات المكتب الاسلامى

(س)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
السنة و الشيعة	السيد الامام محمد رشيد رضا	الطبعة الثانية دار المنار القاهرة ١٣٦٦هـ
السنن الكبرى المشهور بالمجتبى	ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ	دار الفكر
سنن ابى داود	سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى المتوفى بالبصرة فى شوال سنة ٢٧٥ هـ	دار الطباعة المنيرية مصر درب الاتراك الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ
سنن ابن ماجه	ابو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٥ هـ	عيسى البابى الحلبى
سنن النسائي	ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ	المطبعة المصرية بالازهر ادارة محمدعبداللطيف

الكتاب	المؤلف	الطبعة
	(ش)	
الشافي في شرح اصول الكافي	الشيخ عبد الحسين بن ساحة آية الله العظمى الشيخ عبدالله المظفر	الطبعة الثانية مطبعة المعزى الحديثة النجف عام ١٣٧٧ هـ
الشيعة والسنة	احسان السى ظهير	مطبعة المكتبة العلمية لاهور باكستان الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ
شرح نهج البلاغة	ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ هـ وقيل غير ذلك	الطبعة الثانية عام ١٣٨٠ هـ دار احياء الكتب العربية
شرح العقيدة الطحاوية	مجهول	الطبعة الثالثة منشورات المكتب الاسلامي دمشق
الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشر	شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ	طبعة بيروت سنة ١٣٧٧ هـ
شرح مسلم	محي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى عام ٦٧٦ هـ	المطبعة المصرية ومكتبتها
شرح العقيدة الواسطية	محمد خليل هراس	مؤسسة مكة للطباعة والاعلان الطبعة الخامسة
	(ص)	
الصلة بين التصوف والتشيع	الدكتور كامل مصطفى الشيبي	الطبعة الثانية دار المعرفة بمصر

الكتاب	المؤلف	المطبعة
الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقة	احمد بن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٤	مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان ميدان الازهر بمصر
صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى	ابو عبدالله محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦هـ	المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح الروضة
صحيح مسلم مع النووى	مسلم بن الحاج بن مسلم القشيرى المتوفى سنة ٢٦١هـ	المطبعة المصرية ومكتبتها
صحاح الجوهرى		

(ط)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ	دار صادر بيروت

(ظ)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
ظهر الاسلام	أحمد أمين	بيروت الطبعة الخامسة ١٣٨٨هـ

(ع)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
عقائد الامامية	محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه في النجف العراق	الطبعة الأولى في النجف الأشرف العراق عام ١٣٧٣هـ الطبعة الثانية بالجمهورية العربية المتحدة عام ١٣٨١هـ مطبعة نور الامل شارع سعيد ٢٨٩ مطبوعات القاهرة

الكتاب	المؤلف	المطبعة
العقيدة الطحاوية	ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الازدى الطحاوى نسبة الى قرية بصعيد مصر المتوفى سنة ٣٢١ هـ	مطبوعة مع شرحها منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الثانية
العقيدة الواسطية	لشيخ الاسلام ابن تيمية	مؤسسة مكة للطباعة والاعلام
عشرون حديثا من صحيح مسلم	عبد المحسن حمد العباد المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة	المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح بالروضة القاهرة ١٣٩١هـ

(ف)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
الفرق بين الفرق	ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ	مطبعة المعارف شارع الفجالة بمصر سنة ١٣٢٨هـ القاهرة
الفصل في الملل والاهواء والنحل	ابو محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى المتوفى ٤٥٦ هـ	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ
فضل البيت	تقى الدين احمد بن على المقريزى	دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ
فجر الاسلام	أحمد أمين	الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان الطبعة العاشرة ١٩٦٩م

الكتاب	المؤلف	المطبعة
فاطمة الزهراء والفاطميون	عباس محمود العقاد	طبع مطابع مؤسسة دار الهلال ١٩٧١م
في ظلال الوحي	علي فضل الله الحسني	منشورات دار مكتبة الحياء بيروت
الفكر الشيعي	الدكتور مصطفى الشيبي	مطابع دار التضامن بغداد الطبعة الاولى سنة ١٣٨٦هـ
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ	الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ
فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح الروضة
الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد	للساعاتي	دار احياء التراث العربي مصر الطبعة الأولى
الفتح الكبير في ضم الزيادات الى الجامع الصغير	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ	
فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ	مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى عام ١٢٥٨هـ	مطبعة السنة المحمدية القاهرة الطبعة السابعة

الكتاب	المؤلف	المطبعة
	(ق)	
القاموس المحيط	مجد الدين الفيروزابادى	مطبعة السعادة بمصر
قطر المحيط	المعلم بطرس البستانى	صورة عن طبعة ١٨٦٩م
	(ك)	
الكواشف الجلية عن معانى الواسطية	عبد العزيز المحمد السلمان	مطبعة السعادة الطبعة الثانة ١٣٩٠هـ
	(م)	
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ	الطبعة الاولى المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق سنة ١٣٢١هـ
الملل والنحل	ابو الفتح محمد عبد الكريم بن ابى بكر احمد الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ	دار الاتحاد العربى للطباعة لصاحبها محمد عبد الرزق سنة ١٣٨٧هـ
المنتقى من منهاج الاعتدال	ابن تيمية اختصار ابى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ	المطبعة السلفية ومكتبتها ٢١ شارع الفتح الروضة القاهرة سنة ١٣٧٤هـ
مقاتل الطالبيين	ابو الفرج على بن الحسين الاصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦هـ	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان
منهاج الكرامة فى معرفة الامامة	ابو منصور الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى المشهور عند الشيعة بالعلامة المولود سنة ٦٤٨هـ والمتوفى	مطبوع مع منهاج السنة لكنه مستقل عنه مكتبة دار المعرفة تحقيق الدكتور محمد

الكتاب	المؤلف	الطبعة
مقالات الاسلاميين	ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتوفى سنة ٣٢٠هـ	مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ
مجموع السنة	لطائفة من العلماء	
ما نزل من القرآن في أهل البيت	الحسين بن الحكم الحبرى الكوفى من القرن الثالث الهجرى	مطبعة قسم الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ
المنار المنيف	شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الحنبلى الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفى سنة ٧٥١ هـ	مطابع دار القلم بيروت لبنان
موطأ الامام مالك مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطى	ابو عبد الله مالك بن أنس امام دار الهجرة المتوفى سنة ١٦٩هـ	
مسند الامام احمد	ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المتوفى سنة ٢٤١ هـ	المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بيروت الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ
المستدرك على الصحيحين من الحديث	ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف / بالحاكم النيسابورى المتوفى في صفر سنة ٤٠٥ هـ	طبع سنة ١٣٣٥هـ
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	للذهبى	دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ

الكتاب	المؤلف	المطبعة
المغنى في الضعفاء	للذهبى أيضا	مطبعة البلاغة حلب الطبعة الأولى ١٣٩١هـ

(ن)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية	الدكتور احمد محمود الصبحى	دار المعارف بمصر
نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام	الدكتور على سامى النشار	دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٦٥م
النونية	قصيدة الامام ابن القيم	منشورات المكتب الاسلامي بدمشق مع شرحها للشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى الشرقى الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ج ٢
النبوة والأنبياء	محمد على الصابونى	الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ
النهاية في الفتن والملاحم	اسماعيل بن كثير القرشى صاحب التفسير	مؤسسة النور الرياض عام ١٣٨٨هـ

(و)

الكتاب	المؤلف	المطبعة
الوصى	آية الله السيد على نقى الحيدرى	مطبعة المعارف بغداد

الكتاب	المؤلف	الطبعة
وفيات الأعيان	ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ	دار الثقافة بيروت لبنان
الوشيعة في نقد عقائد الشيعة	مجهول	مكتبة الخانجى شارع عبد العزيز بمصر

(ى)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
ينابيع المودة	سليمان بن ابرهيم القندوزى الحنفى المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ	المطبعة الحيدرية في النجف الطبعة السابعة سنة ١٣٨٤هـ

*

الفهرســـــــت

الفصل الرابع ـ دور الدعوة السرى

الكاظم ـ الرضا ـ الهادى ـ الجواد ـ العسكرى

القائم .

الفصل الخامس ـ دور الغيبة وعهد السفراء

الباب الثاني

الامامة عند الامامية الاثنى عشريـة

الفصل الأول ـ الامامة عند اهل السنة

الفصل الثاني ـ وجوب الامامة وصاية وتعيينا عند الاثنى عشرية

الباب الثالث

آراء الامامية الاعتقادية وموقف اهل السنة منها

قائمة الخطأ والصـــواب

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
القرن	القرآن	٧	د
عقيد تهم	وعقيد تهم	٥	و
بالسكر	بالكسر	١	١
ابى عبيد	بن ابى عبيد	٤	٣
أصل	أهمل	١٤	٧
عقيدة	كعقيدة	٢٣	١٤
جورها	جاورها	٢٣	٢٠
الطائى	الطاق	١	٢٢
الطائى	الطاق	٢	٢٢
تميزت	تميزه	١	٢٣
يستجيزون	يستجيز ذو د ين	٤	٢٤
٦٨	٢٦٨	تعليق رقم ١	٢٥
أمين	اليه	٤	٢٧
فكار	أفكار	١٤	٢٨
فلزى	نرى	١٨	٢٨
القرق	القرن	٩	٣٥
سساباط	ساباط	١٢	٣٨
كيسائية	كيسانية	١٥	٣٨
٤١	٢١	الهامش رقم٢	٣٨
التبرية	البترية	١٨	٤١
الخلمسة	الخامسة	١	٤٣
للزيدية	الزيدية	٣	٤٣
للحسين	الحسين	١٨	٤٣
١	١١	٢٣	٤٦
والزواية	والزرارية	٢٣	٤٦
٣	١٣	٢٤	٤٦
نجاد	نجد	١	٤٧
ساقول	ساقوا	١١	٤٧
بدأو	بدأ	٩	٥١
نصل	نصا	١٦	٥١
قائمكن	قائمكم	١٧	٥١
الثافى عشر	الثانى عشر	١١	٥٢
عصر	عشر	٣	٥٣
المقالات	تعليقات	رقم٢	٥٣
خطاب	فى خطاب	٦	٥٥
عسرى	عشرى	١٢	٥٦
ينبع	يتبع	٤	٥٩
فى	فوا	١٢	٥٩

الخطأ		الصواب	السطر	صفحة
الحد		الحديث	١٨	٥٩
يشق		يشغى	١٩	٦٠
نقضى		نقض	٨	٦١
فأمرا		فأمر	٧	٦٥
لعم		لم	٢١	٦٥
العزل		الغزل	٦	٦٦
قيم		قسيم	٢٠	٦٧
يثلقوب		يثلثون	١٤	٦٨
نصف		نصه	٥	٦٩
مكانته		مكانة	١٠	٦٩
الراقضة		الرافضة	١١	٦٩
الهاشى		الهاشمى	١٦	٧٠
مان		ما	١٦	٧٣
الامامية		الامامة	رقم٢ من الهامش	٧٤
الامامية		الامامة	رقم٣ = =	٧٤
ائمته		ائتمنه	٥	٧٥
قل		قال	٩	٧٦
مصاه		مصلاه	٢٠	٨٠
ابى		ابن	٧	٨١
جمعاوية		معاوية	١١	٨١
قد	....	زائدة	١٢	٨١
المشهور		المشهورة	٢	٨٣
وجاء		جاء	٩	٨٤
بسب		بسبب	١٠	٨٤
تقدمك		فقدمك	١٣	٨٤
يتهمنى		ينبغى	٩	٨٦
الجيش		جيش	١٢	٨٦
ال	....	زائدة	١٥	٨٦
ثكللتم		ثكلتكم	١٢	٨٧
عل		على	٢	٨٨
الرعلم		العلم	١٥	٩٠
عبد الله		عبيد الله	١٨	٩٠
بقتل		يقتل	٣	٩١
ريحانتين		ريحانتاى	٥	٩١
أخبار		أخبار	٣	٩٤
بقول		بنوا	١٣	٩٤
ان الحسين		أن الحسين مقتول	الهامش رقم٣	٩٦
النهمة		التهمة	١٦	١٠٠

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
السبب	السبب	١	١٠١
الفعل	الفصل	٤	١٠١
ت	زائدة	الهامش رقم ١	١٠١
ابتهام	اتهام	١٠	١٠٣
أضر	أصر	١٥	١٠٣
معصية	مصيبة	١٦	١٠٨
بينهما	بيتهما	١٩	١٠٨
وأت	وان	١٠	١٠٩
الباطل	الباطن	٩	١١٠
ذكره	ذكروه	١٩	١١١
فينها	منها	٨	١١٢
صلالة	ضلالة	٩	١١٣
تقل	نقل	٢	١١٦
فاستسلم	فأستلم	٩	١١٧
يزين	يزينه	١٣	١١٧
ما	كما	٥	١١٨
الذلفى	الدلفى	٦	١١٨
لتبعدع	لتبعده	١	١٢١
خبرة	خيرة	٢	١٢١
النحيل	الخيل	١٢	١٢٢
طبعتت	طبعت	١٩	١٢٣
حباها	أحياها	٢٠	١٢٤
الحسرة	الحرة	٣	١٢٧
لتصلى	لنصلى	١٣	١٢٧
حسس	حسن	١٦	١٢٧
عليه	عليهم	٤	١٣١
يزيد	بريد	١٠	١٣٣
سوير	سدير	١٠	١٣٣
للعلم	لعلم	١٤	١٣٣
تفكر الفلسفى	زائدة	رقم٢ الهامش	١٣٣
٣	٢- يوضع فى اخر سطر٢ ١	تعليق رقم٣	١٣٣
الظابع	الطابع	١٠	١٣٤
برى	برئ	٣	١٣٦
ممن	زائد	٨	١٣٦
البيرى	البربرى	١٨	١٣٦
الاسناد	الاستاذ	١	١٣٧

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
فشأة	نشأة	تعليق رقم ٣	١٣٨
جـ٤ ص ١٤١ – ١٤٢	زائد	تعليق رقم ٣	١٣٨
١٣٥	١٤٥	تعليق رقم ٢	١٣٩
الإمابة	الامامية	٢	١٤٠
عنه	عند	٢	١٤١
الخنفية	الحنفية	١٦	١٤١
جر بح	جر يج	١٩	١٤١
تابعه	تابعى	٢	١٤٣
المكدر	المنكدر	٣	١٤٤
رحبى	رجبى	٦	١٤٥
رحبى	رجبى	١٣	١٤٧
الق	زائدة	١٦	١٤٧
الامامية	الامامة	٧	١٤٨
٢١٩	٢٠٩	تعليق رقم ١	١٥٠
المعاصبرين	المعاصرين	٧	١٥٣
٣-	٢-	تعليق رقم ٣	١٥٤
٢	٣	تعليق رقم ٢	١٥٤
فى	زائدة	١٠	١٥٥
منهج	منهم	٥	١٥٦
الله	لله	١٤	١٥٦
ذولة	دولة	١٣	١٥٨
المكدر	المنكدر	١٨	١٦١
عافر	عاثر	٦	١٦٧
ابى	الى	٦	١٦٧
عدة	عدل	١٠	١٦٧
خذا	هذا	٧	١٧٢
و	زائدة	٧	١٧٢
دانانير	دنانير	١٣	١٧٦
يحيى	يحى	٥	١٧٧
بسبطه	بسيطة	١٣	١٧٩
ابن	بن	١٦	١٧٩
وقول	وقولى	٩	١٨٠
يتذكر	لتذكر	١	١٨٣
به	زائدة	٣	١٨٣
بالبعادة	بالعبادة	٣	١٨٤

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
رجال	حال	٧	١٨٥
ثان	ثمان	٨	١٨٥
فى	فى	١٦	١٨٦
سنا	سند	٣	١٨٧
بن	ابن	تعليق رقم ٢	١٨٧
كما	زائدة	١	١٨٨
بالنص	النص	٨	١٨٨
أن	اذ	١٦	١٨٩
عرفى	عرقى	١٦	١٩٦
السابق	زائدة	تعليق رقم ٣	٢٠٢
النوبختى	التوبختى	٧	٢٠٣
مرية	مريم	تعليق رقم ٣	٢٠٣
التحر يم	مريم	تعليق رقم ١	٢٠٤
التقى	النقى	٣	٢٠٩
غد د	عد د	٢	٢١٠
عشرون	عشرين	٨	٢١٨
وصية	وصيه	١٤	٢٢٠
فيما	زائدة	٢٢	٢٢٠
مقيل	صقيل	٢٠	٢٢٥
عن	زائدة	١٠	٢٢٩
قد	فقد	١٢	٢٢٩
نظر	نظرنا	١٦	٢٣٠
و	زائدة	تعليق رقم ٤	٢٣٠
المصدر السابق	الشذرات الذهبية	تعليق رقم ٤	٢٣٨
جـ	جـ١	تعليق رقم ١	٢٤١
عبد العادر	عبد القادر	١	٢٤٣
غلابة	قلابة	٥	٢٤٥
القلوس	الغلوس	١٦	٢٤٥
كالاجال	كالدجال	٤	٢٤٦
الأحودى	الأحوذى	تعليق رقم ٣	٢٤٦
على	عليا	٦	٢٤٨
تفاصف	تناصف	٥	٢٥٢
ففله	فعله	١١	٢٥٩
يعترف	يعرف	١	٢٦٠
ففاله	فعاله	٩	٢٦٠

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
الى أن ابى بكر	الى أن امامة ابى بكر	١٧	٢٦١
الاسارة	الامارة	١٠	٢٦٢
و	ر	٧	٢٦٥
أخنى	أخى	٢	٢٦٧
الصلة	العلة	١٧	٢٧٠
الحضرى	الخضرى	١٨	٢٧٠
امامام	امامان	تعليق رقم ١	٢٧٤
باللعراق	بالعراق	١٥	٢٧٥
راحة	صراحة	١٧	٢٧٦
بما	زائدة	٦	٢٧٨
محمذ	محمد	١١	٢٧٩
غذ	عند	٤	٢٨٢
حسين	خين	١٢	٢٨٤
مشيرا	شـبرا	١٠	٢٨٥
واجيب	واجب	١٥	٢٨٦
يتقاد	ينقاد	٨	٢٨٧
الاماميته	الامامية	١٠	٢٩١
٢	زائد	٨	٢٩١
٣	٢	١٢ تعليق رقم ٣	٢٩١
٤	٣	١٧	٢٩١
الاشاعرة	والاشاعرة	٨	٢٩٣
زهذه	زهده	١	٢٩٥
تقى	نقى	٨	٢٩٥
لدى خطأه	لدى الناس خطأه	١٢	٢٩٦
قى	فى	١٧	٢٩٦
جزء	جزءا	٣	٢٩٩
تقى	نقى	٥	٢٩٩
و	زائدة	٦	٣٠٠
واما	واماما	٣	٣٠٢
من ابنته فاطمة	ابنته من فاطمة	١٥	٣٠٣
عنه	زائد	١٦	٣٠٤
عنه	عنده	٢٤	٣٠٤
يغلوا	يغلو	٦	٣٠٦
يجرى	جرى	١	٣١١
لظان	الظان	٥	٣١١

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
بالنسبى	بالنبى	٦	٣١١
احد	أحدا	١٤	٣١٣
ليخصل	ليحصل	٥	٣١٤
البعيدة	الغائبة	١٦	٣١٤
نهاية الكرامة	منهاج الكرامة	الهامش رقم ١	٣١٨
قوالوا	قالوا	٨	٣٢٠
الاسد	الاسد	١٥	٣٢١
يخاطب	يحاطب	١٣	٣٢٤
المنصرف	المتصرف	١١	٣٢٦
بحثت	بحث	١٤	٣٣٤
ما يسكنه	ما يسكن	١٢	٣٣٨
اتعحبين	اتعجبين	١	٣٣٩
السورى	الشورى	رقم ٣	٣٤١
القطيعة	القطيعى	١٠	٣٤٢
الصغيق	الصديق	١٤	٣٥٤
امامية	امامة	٦	٣٥٦
بالمنسألة	بالمسألة	١٠	٣٥٦
كتوم	مكتوم	٨	٣٦٠
وكم	زائدة	٣	٣٦٣
موءيد	ليوءيد	٢	٣٦٤
عليهم	عليه	٨	٣٧١
صحبته	محبته	١٣	٣٧٥
جمع	جميع	٩	٣٧٨
النبى	الرسول	١٥	٣٧٩
قدحوا	قد حوا	٢٠	٣٧٩
عهدا	وعهدا	١	٣٨٢
الامامة	الامامية	٩	٣٨٢
العقيل	العقيلى	٢	٣٨٧
قدريته	تدريته	١٤	٣٨٧
أحطب	اخطب	٢	٣٩١
روايته	رواية	١٣	٣٩١
ابو	ابى	١٤	٣٩١
الى	زائدة	٦	٣٩٢
القوائد	الفوائد	الهامش رقم ٦	٣٩٤
اذا	اذ	١٧	٣٩٦
الوادد	الواحد	الهامش رقم ٢	٣٩٦
يسبيع	يبيع	٥	٣٩٧

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
خزقة	خرقة	٨	٤٠٤
خزقة	خرقة	٩	٤٠٤
كلوم	كلام	١٦	٤٠٤
ابوء	ابو	١٩	٤٠٤
للبغدادى	البغدادى	الهامش رقم ١	٤١٢
فكلرة	فكرة	٣	٤١٩
و بهذه	و بهذا	٤	٤٢٧
لغطا	الغطاء	٨	٤٢٧
نضيبا	نصيبا	٦	٤٣٢
ولو يكن	ولو لم يكن	٩	٤٣٧
المقروفة	المقرونة	٢٠	٤٣٨
فابعة	تابعة	٢٠	٤٣٩
السفر	السفراء	١٧	٤٤٢
لصلبة	لصلبه	١٦	٤٤٤
المستد	المسند	الهامش رقم ٢	٤٤٥
نسبت	نسيت	٤	٤٤٩
احضان	احضان	١٧	٤٤٩
جـ١	جـ٢	الهامش رقم ١	٤٤٩
التصوق	التصوف	الهامش رقم ٢	٤٤٩
التفضيل	التفصيل	٦	٤٥٥
غبر	غير	٨	٤٥٥
القوبختى	النوبختى	١٣	٤٥٦
و تلقف	و تلتف	١٥	٤٥٦
د مه	أمه	٦	٤٥٧
الخبيبة	الخبيثة	٤	٤٥٩
ان خالد	ان خالدا	٧	٤٥٩
لعقيذة	لعقيدة	٨	٤٦٠
بيده	بيده	١٩	٤٦٠
لرضوان	رضوان	٩	٤٦١
فعتى	نعتى	١٢	٤٦٢
فالمطة	فاطمة	١١	٤٦٣
التوفير	التوقير	٤	٤٦٤
للمغريزى	للمقريزى	الهامش رقم ١	٤٦٤
تصويب	بتصويب	١٩	٤٦٩

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
احذ	احد	٣	٤٧٢
النترك	الترك	١٣	٤٧٢
بالعرشى	بالعرش	٧	٤٧٦
من هذا	من هنا	١٨	٤٧٧
كلنهم	كلفهم	٢	٤٧٩
يمثل	يمثل	١٠	٤٨٠
والرطوس	والطوسى	١٢	٤٨٠
كالخالفية	كالخالقية	٨	٤٨١
المطلة	المعطلة	٢	٤٨٢
الخيرية	الخبرية	٦	٤٨٢
مجبورا	مجبور	٦	٤٨٤
الهمية	الجهمية	الهامش رقم ١	٤٩١
و تغيير	و تغييره	٣	٤٩٣
مقسى	فقسى	٦	٤٩٣
الكشبى	الكشى	١٥	٤٩٥
فى الحديث	هذه اللفظة زائدة من	الهامش رقم ١	٤٩٥
يظاهر	يظاهر	١١	٤٩٧
عليك	عليا	٢٢	٤٩٧
يرده	يرده	٢٠	٤٩٨
الحجرات	الحجر	الهامش رقم ٤	٤٩٨
ا رجة	اربعة	٤	٥٠١
ابن	ابنى	٧	٥٠٢
كا	كما	١٣	٥٠٢
فيقيد	فيفيد	٣	٥٠٤
قى	فى	١٦	٥١١
الفصل	الباب	١٧	٥١١
اكقروه	اكفروه	٨	٥١٣
التسبيه	التنسبيه	٢	٥١٥
على	زائدة	١٥	٥١٦
يتهمهم	ينبههم	٤	٥١٧
التفكير	الفكر	الهامش رقم ٢	٥١٧
التناسخ	للتناسخ	٥	٥٢١
السنية	السمينة	٨	٥٢١
لغضل	افضل	٣	٥٢٦

الخطأ	الصواب	السطر	صفحة
زيد	زيدا	٩	٥٣١
تقيسهم	تقديسهم	العنوان	٥٣٢
جعفر محمد	جعفر بن محمد	٢	٥٣٣
سمعن	سمعت	٦	٥٣٣
تركهم	تدركهم	١١	٥٣٨
رأيتها	رأينها	١٥	٥٣٩
زيد	زياد	٣	٥٤٥
الامامة	الامامية	٨	٥٤٦
ست	زائدة	١٦	٥٤٦
أحمذ	احمد	٥	٥٤٩
أبى	ابو	١١	٥٤٩
سودة	سورة	٢	٥٥٢
الحاج	الحجاج	٥	٥٥٥
الجلية	الجليلة	٣	٥٥٨
ظهور	الظهور	٦	٥٦٣
الهادى الجواد	الجواد الهادى	١	٥٦٥
الله	ان	١١	٥٦٨
اولى	اول	١٩	٥٦٨
الحاصل	الخاص	٨	٥٦٩